نفائس المطبوعات النادرة

تاريخ غزة

عارف العارف

أضواء السلف

كلمة المؤلف

الوحدة العربية والاستقلال ..... تلك هي أمنيتي التي حملتها بين أضلعي ، وسرت على هداها في أعمالي ، مذ تعلمت وعرفت معنى (حب الوطن) . وإنه ليسرني أن أرى هذه الأمنية التي كانت تعد في يوم من الأيام ضرباً من الخيال أو حلماً من الأحلام ، أخذت في هذه الأيام تطل من وراء سحاب . وإني لا أشك قط في أنها ستصبح عما قليل حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وان غداً لناظره قريب .

غير أنه لا يزال بيننا وبينها بعض العقبات لا مناص من اجتيازها ، وبعض الصعاب لا بد من العمل على تذليلها . وتذليلها ليس بالأمر العسير إذا ما تعارفنا ، وعرفنا مواطن القوة والضعف فينا . واليكم البيان :

أنا امرؤ طوحت به يد الأقدار في هذه الديار : ديار غزة وبئر السبع . ولقد عشت في هذه البقعة من البقاع العربية ردحاً من الزمن ، تيسر لي خلاله أن أدرسها دراسة تامة . فرأيت من واجبي — كعربي يحب قومه وبلاده ، ووطني يتمنى من صميم فؤاده أن تستقل بلاده وتتحد — أن أنقل ما عرفته عن هذه البقعة من المبادىء الأخلاقية ، والفوارق الاجتماعية ، والعوامل الاقتصادية ، والحوادث التاريخية إلى أبناء قومي الآخرين الذين يعيشون في سوريا وشرق الاردن والعراق ونجد والحجاز واليمن والكويت والبحرين وحضرموت ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وسائر انحاء البلاد العربية . وحبذا لو حذا كل قطر من هذه الاقطار هذا الحذو فحدثنا ابناؤه الأحرار عن بلادهم اطرف الأحاديث وأصدق الأخبار .

أنا إذا ما اخترنا هذا السبيل القويم ، وسرنا فيه بقدم ثابتة إلى الأمام ، اهتدينا إلى ضالتنا المنشودة في أقصر ما يكون من الوقت . وإلا فان دون الوصول أليها خرط القتاد .

بهذه الروح كتبت كتابي الأول في (القضاء بين البدو) ، وبها أيضاً كتبت كتابي الثاني في (تاريخ بئر السبع وقبائلها) ، وبها لا بغيرها وضعت كتابي هذا في (تاريخ غزة) . وليس لي من فضل فيما فعلت سوى أنني تصفحت من أجله عدداً كبيراً من الكتب والأسفار — عربية وافرنجية — وجمعت ما تبعثر في بطون هذه الكتب والأسفار من أحاديث وأخبار . فصنفتها بعد أن محصتها ، وأوردتها حسب تاريخ حدوثها . ثم استنطقت الطلول والآثار ، وقرأت ما حدثتني به هذه عن مفاخر الآباء والأجداد — وهي الصادقة فيما تحدث — . ثم وضعت في آخر الكتاب فصلا اسميته (غزة في يومنا هذا) .

فالفضل إذاً ، إن كان ثمة فضل ، يرجع إلى اولئك الادباء والمؤلفين والكتاب المتقدمين الذين سبقوني في هذا المضمار ، وإلى الذين آزروني في عملي فأمدوني بصادق معونتهم وارشادهم ، وإلى أبناء غزة انفسهم الذين احبوني واحببتهم ، ووثقوا بي فغمروني بصادق عطفهم طيلة السنوات التي مكثتها بين ظهرانيهم . فلم أجد ما أقابلهم به سوى هذا الكتاب الذي يبحث عن تاريخهم ، متمثلا بقول الشاعر العربي الكريم :

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

هذا هو قصدي ، وتلك هي أمنيتي . فاذا كنت قد أصبت المرمى كان ذلك ما أبغي . وإلا فشفيعي في خطئي أنني ما كنت لاقترفه لو لا حبي لبلادي . والله من وراء القصد .

عارف العارف

مصادر الكتاب

الكتب العربية

الرقم	إسم الكتاب	المؤلف
١	معجم البلدان	ياقوت الحموي
٢	معجم الادباء	ياقوت الحموي
٣	المعجم اليوناني	———
٤	صبح الأعشى	القلقشندي
٥	رحلة ابن بطوطة	ابن بطوطة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي
٦	سوانح الانس برحلتي لوادي القدس	مصطفى أسعد اللقيمي
٧	خطط الشام	محمد كرد علي
٨	فتوح الشام	محمد الواقدي
٩	فتح مصر الحديث	أحمد حافظ عوض
١٠	المحفوظات الملكية المصرية	أسد رستم
١١	حروب ابراهيم باشا المصري	مؤرخ مجهول
١٢	تاريخ الكتاب المقدس	———
١٣	تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية	شحادة خوري ونقولا خوري
١٤	تاريخ الناصرة	أسعد منصور
١٥	تاريخ عمرو بن العاص	حسن ابراهيم حسن
١٦	تاريخ خالد بن الوليد	ابو زيد شلبي
١٧	تاريخ ابن خلكان	شمس الدين بن خلكان
١٨	تاريخ بئر السبع وقبائلها	عارف العارف
١٩	تاريخ شرق الاردن وقبائلها	فردريك بيك
٢٠	تاريخ سيناء	نعوم شقير
٢١	تاريخ نابليون	الياس الحويك
٢٢	اسلام نابليون	يعقوب العودات
٢٣	السامريون	الياس مرموره
٢٤	حياة محمد	محمد حسين هيكل

الكتب العربية

الرقم	إسم الكتاب	المؤلف
٢٥	جغرافية فلسطين	خليل طوطح وحبيب خوري
٢٦	بلادنا — فلسطين	مصطفى مراد الدباغ
٢٧	العصور القديمة	برستد
٢٨	العهد القديم	———
٢٩	العرب قبل الاسلام	جورجي زيدان
٣٠	مجلة الهلال	جورجي زيدان
٣١	مجلة المقتطف	فارس نمر ويعقوب صروف
٣٢	مجلة المشرق	———
٣٣	مجلة النعمة	عيسى اسكندر معلوف
٣٤	الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل	مجير الدين الحنبلي
٣٥	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	محمد بن عبد الرحمن السخاوي
٣٦	شذرات الذهب في اخبار من ذهب	عبد الحي بن العماد الحنبلي
٣٧	زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك	غرس الدين الظاهري
٣٨	الاخبار السنية في الحروب الصليبية	سيد علي الحريري
٣٩	كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك	تقي الدين المقريزي
٤٠	النظام الاقتصادي في فلسطين	سعيد حماده

الكتب التركية

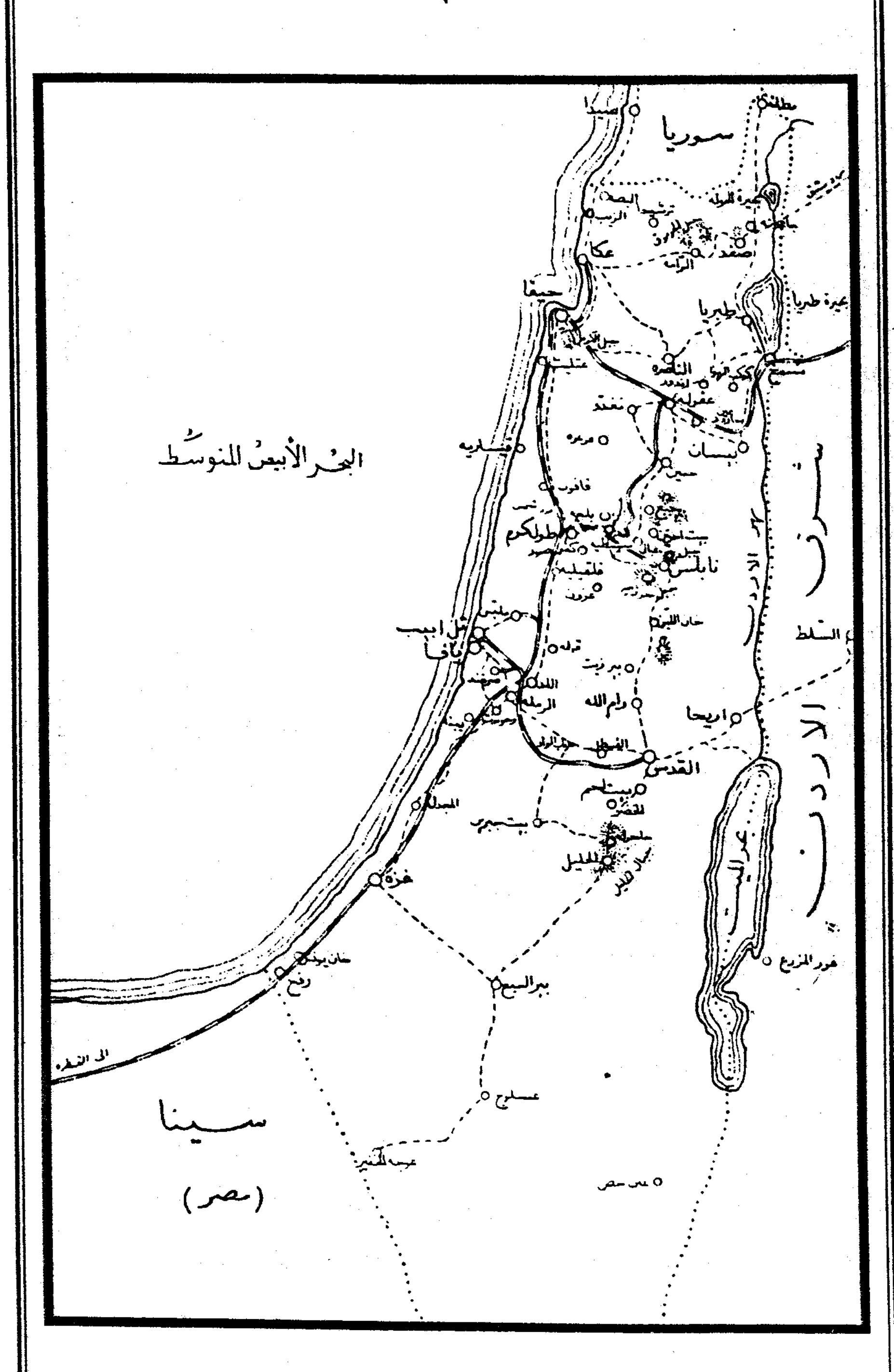
عدد	كتابك اسمي	مؤلفي
١	اوليا جلبي سياحتنامه سی	اوليا جلبي
٢	فلسطين جبهه سی	دوقه كين زاده فريدون
٣	قاموس اعلام	شمس الدين سامي

الكتب الانكليزية

S. No.	Name of Book	Name of Author
1	History of the City of Gaza	M. A. Meyer
2	Gaza a City of many Battles	T. E. Dowling
3	Ancient Gaza	Sir Flinders Petrie
4	Soundings at Gaza	W. J. Adams
5	Arabic Inscriptions of Gaza	L. A. Meyer
6	Samaritan Inscription from Gaza	W. R. Taylor
7	The Works of Josephus	Flavius Josephus
8	Encyclopaedia Biblica	———
9	Encyclopaedia Britannica	———
10	The Encyclopaedia of Islam	———
11	Dictionary of the Bible	———
12	English Dictionary on Hisorical Principles	J. A. H. Murray
13	Archaeological Researches in Palestine	Charles Clermont-Ganneau
14	A History of Egypt	J. H. Breasted.
15	A History of Egypt	Sir Flinders Petrie
16	The Royal Archives of Egypt	Asad J. Rustum
17	History of the Jews	H. Graetz
18	The Seleucidan Era	H. Graetz
19	The Hand-Book of Palestine	E. Keith-Roch & H.C. Luke
20	The Historical Geography of the Holy Land	G. A. Smith
21	The Ancient East and its Story	James Baikie
22	The Palestine Campaign	Colonel A. P. Wavell
23	Sinai & Palestine	H. S. Gullett
24	Palestine Exploration Fund (1918)	D. Mackenzie
25	Palestine Exploration Fund (1920)	J. Garsting

الكتب الافرنسية

Nombre	Le Nom du Livre	Auteur
1	Géographie de la Palestine	L. Abel
2	Dictionnaire de la Bible	———
3	Revue Biblique Internationale	L'Ecole Biblique et Archéologique Française, Jerusalem
4	Inscription Samaritaine de Gaza	Charles Clermont-Ganneau



خارطة فلسطين

غزة

أهميتها التاريخية . أسماؤها المختلفة . معناها . أين كانت في العهود الغابرة ؟

(غزة) مدينة تاريخية قديمة . لا ، بل انها من اقدم المدن التي عرفها التاريخ . انها ليست بنت قرن من القرون ، او وليدة عصر من العصور ؛ وإنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلها ، ورفيقة العصور الفائتة كلها : من اليوم الذي سطر التاريخ فيه صحائفه الاولى إلى يومنا هذا .

وإنه لتاريخ مجيد ، تاريخها . ذلك لانها صمدت لنوائب الزمان بجميع انواعها ، وطوارىء الحدثان بجميع ألوانها . حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والتأخرين الذين كانت لهم صلة بالشرق إلا ونازلته : فاما أن يكون قد صرعها ، أو تكون هي قد صرعته .

٢ — ولقد تبدل اسمها بتبدل الامم التي صارعتها . فقد كان العرب ولا يزالون يسمونها (غزة) أو (غزة هاشم) . والعبرانيون (عزة) עזה . والكنعانيون (هزاتي) Hazzati . والمصريون (غازاتو) Ghasàtu ، و (غاداتو) Ghadatu . والآشوريون (عزاتي) Azzati واليونانيون ΓΑΖΑ . وقد جاء في المعجم اليوناني انها اعطيت في العصور المختلفة عدة اسماء منها إيوني ، ومينوواء ، وقسطنديا . والصليبيون Gadres . والأتراك (غزة) . والانكليز (غازا) Gaza . وكذلك قل عن كثير من الامم في يومنا هذا .

٣ — ولقد تضاربت الآراء واختلفت التفاسير في معنى كلمة (غزة) : فهناك من يقول أن هذه الكلمة مشتقة من (العزة) والمنعة والقوة . ومن القائلين بهذا القول المؤرخ اوسابيوس Eusabus في كتابه Onomostica Sacra . وكذلك ويليام سمث في قاموس العهد القديم . ويعلل هذا الفريق قوله بالحروب الكثيرة التي جرت فيها وحولها ، والتي صمدت لها صمود الجبابرة . وهناك من يقول أن معناها (الخزينة) أو (الثروة) . ومن القائلين بالقول الثاني من يعزو ذلك إلى أصل فارسي وهو المتروبوليت صفرونيوس في كتابه قاموس العهد الجديد المطبوع في مطبعة

البطريركية الارثوذكسية بالإسكندرية سنة ١٩١٠ . ويقول أن (غازا) كلمة فارسية معناها الكنز الملكي . وهناك من يقول انها يونانية الاصل ، وأن معناها باللغة اليونانية أيضاً هو الثروة أو الخزينة . ويعلل هذا الفريق رأيه برواية وردت في كتب التاريخ من أن ملكاً من ملوك الفرس دفن فيها ثروته ، وغاب عنها ؛ ثم رجع إليها ، فوجدها فيها . وعلى قول أن هذا العمل تكرر في عهد الرومان .

وقد جاء في معجم البلدان عند تفسير كلمة (غزة) أن « العرب تقول قد غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين اصحابه » . ومعنى ذلك أن الذين بنوا غزة قد اختصوا هذا الموقع لبنائها من بين المواقع الاخرى الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط . وقال ابو المنذر أن « غزة » كانت امرأة صور الذي بنى مدينة صور . وإياها اراد الشاعر بقوله :

ميت بردمان وميت بسلـ ـمان وميت عند غزات

وعندي أن الرأي الاول هو الاصوب . وأما الآراء الاخرى فانها ضعيفة للغاية. ولا صحة في نظري للقول القائل بان هذا الاسم اطلقه المهاجرون وجوابو الامصار على القبائل النازلة بالقرب من غزة لشدتهم وبطشهم اثناء الغزو . إذ أن (غزة) ذكرت بهذا الإسم قبل أن يحتلها الفرس واليونان والرومان بأحقاب ، وقبل أن يدفن هذا الملك أو ذاك فيها ثروته ، وقبل أن يكون ثمة سياح وجوابو امصار يعرضون انفسهم لخطر الغزو .

٤ — ولا بد لي بهذه المناسبة من الإشارة إلى أنه يوجد فوق الكرة الارضية ثلاث مدن بهذا الإسم : الاولى في جزيرة العرب . وهي التي ذكرها ابو منصور ، فقال : ورأيت في بلاد بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم رملة يقال لها غزة ، فيها احساء جمة ونخل . وقد نسب الاخطل الوحش الى غزة ، فقال يصف ناقته :

كأنها بعد ضم السير خيلها من وحش غزة موشي الشوى لهق

والثانية بلد بافريقية ، بينها وبين القيروان نحو ثلاثة أيام . تنزلها القوافل القاصدة الى الجزائر . وقد ذكرها ابو عبيد البكري ، والحسن بن محمد المهلبي في كتابيهما .

والثالثة : (غزة) من أعمال فلسطين ، وهي موضوع كتابنا هذا .

٥ — ترى هل المدينة الحالية قائمة على انقاض المدينة القديمة ، أم أنها بنيت على بقعة من الارض غير البقعة التي انشئت فوقها من قبل ؟ هنا أيضاً تضاربت الآراء :

فمن قائل وهو العالم الاثري المشهور السر فلندرس بتري أن غزة القديمة انشئت قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وانها كانت يومئذ قائمة فوق التل المعروف بتل العجول وأن سكانها الاقدمين هجروها بسبب الملاريا التي اجتاحتها يومئذ ، فحطوا رحالهم في بقعة من الارض تبعد عن الاولى ثلاثة اميال ، وانشأوا غزة التي نعيش فيها في يومنا هذا . ويقول واضع هذه الفكرة أن المراكب كانت ترسو على شاطيء غزة القديمة ، وأن البحر عندما انسحب بسبب الجزر تكونت هناك مستنقعات عشش البعوض فيها ، فسطا على سكانها ، وراح قسم كبير منهم ضحية الملاريا والامراض الفتاكة الاخرى ؛ الامر الذي جعل البقية الباقية منهم ينزحون إلى المكان الذي فيه غزة الآن . وهناك من يؤيد هذا القول ويضيف اليه أن ذلك جرى على عهد الهيكسوس (أو الملوك الرعاة) الذين سيطروا على هذه البلاد قبل المسيح بألفي سنة . وقد أيد هذا القول البحاثة ستاركي ، والقديس ايرونيموس ، ودنكان ماكنزي Duncan Mackenzie وغيرهم .

وهناك من يدحض هذا الرأي ويقول أن غزة كانت من القديم في موقعها الحالي ، وأن تل العجول لم يكن يومئذ سوى ثغرها التجاري الذي كانت ترسو فيه السفن والمراكب التجارية . ومن قائل أن غزة الجديدة وإن كانت لا تقوم على أساس المدينة القديمة بالضبط إلا أنها لم تنشأ في مكان بعيد عنها كالبعد الذي يتصوره السر فلندرس بتري . وزعيم هذه النظرية هو سترابون . وهو يقول أن غزة الجديدة انشئت بالقرب من المدينة القديمة التي راحت طعمة الخراب في عهد الاسكندر ، يوم فتحها هذا وخربها (عام ٣٣٢ قبل الميلاد) . ولكن ديودوروس وارمانوس وغيرهما من المؤلفين يدحضون هذا الرأي أيضاً ، ويقولون أن غزة ظلت قائمة في مكانها الاول ، لم تنتقل عنه لا إلى مسافة بعيدة ولا إلى مسافة قريبة . ومن القائلين بهذا القول الراهب النمساوي الاب جورج غات الذي قضى في غزة ثلاثين عاماً ، درس خلالها تاريخها دراسة تامة ، وأسس الدير المشهور بدير اللاتين ، ونشر لاول مرة الرسالة اللاتينية فيها .

ويعتقد الاستاذ غارستنغ(١) أن القسم القديم من مدينة غزة الحالية هو المكان الذي كانت تقوم عليه غزة القديمة في عهد الفلسطينيين من القرن السادس إلى القرن الثاني قبل الميلاد .

---

(١) Palestine Exploration Fund Vo. 52 (1920)

بناة غزة الاقدمون

المعينيون . . السبائيون . . العربيون . . الكفتاريون . . العنافيون . . المريانيون . . الآدوميون . . العموريون . .

كانت غزة ، على مر الدهور ، ذات صلة وثقى بالعرب والحياة العربية . وإذا لم يكن (المعينيون) هم الذين وضعوا الحجر الاساسي فيها ، فانهم أول من ارتادها وغشي اسواقها من العرب الاوائل الذين وصلت إلينا اخبارهم . فقد كان هؤلاء يحملون إليها بضائعهم وسلعهم التجارية : كالطيب ، والبهار ، والبخور ، واللبان ؛ فينقلونها عبر الصحراء إلى غزة . إذ كانت هذه أهم فرضة تجارية واقعة على شواطيء البحر الابيض المتوسط . وكانت البضائع والسلع المتقدم ذكرها تصرف فيها ، فاما أن يستهلكها أهلها أو يصدرونها إلى البلاد المجاورة . وكانت مصر في مقدمة تلك البلدان ، لأن المصريين كانوا يستعملون اللبان والتوابل والافاويه في طقوسهم الدينية وفي تحنيط أجساد موتاهم .

٢ — أضف إلى ذلك أن غزة كانت واقعة على الطريق الصحراوية التي تربط مصر بالهند . ذلك لأن الملاحة في البحر الأحمر كانت صعبة للغاية ، ولا سيما في القسم الشمالي منه . ولهذا كانت أفضل طريق تجارية في العالم القديم هي التي تبدأ من جنوب بلاد العرب ، في حضرموت واليمن ، حيث تجتمع تجارة البلاد وتجارة الهند . ثم تسير شمالا إلى مكة والمدينة والبتراء . ومن هنا كانت تتفرع إلى فرعين : ينتهي أحدهما في غزة على البحر المتوسط ، ويمتد الثاني في طريق الصحراء إلى تيماء ودمشق وتدمر .

٣ — ولقد عرف المعينيون هذه الطرق كلها ، ولا سيما الطريق الاولى . وعرفوا قيمتها التجارية ، فارتادوها ؛ فكان من وراء ارتيادهم لها أن تأسست مدينة (غزة) واكتسبت شهرتها التاريخية الاولى . فمن هم هؤلاء يا ترى؟ ذكرهم[١] مؤرخو اليونان فقالوا انهم من الامم العربية التي كانت تعيش في القسم الجنوبي من جزيرة العرب ،

---

(١) العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان .

وكانت عاصمتهم في بادىء الأمر (معين) الواقعة شرقي صنعاء ، ثم صارت (قرنا) . ذات تجارة واسعة وشأن كبير . جاءوا من العراق إلى اليمن . وقد كانوا امة عظيمة ، وأسسوا فيها دولة امتد نفوذها وسلطانها إلى شواطيء البحر المتوسط(٣٧٥٠ ق م) وشواطيء خليج العجم .وظلوا يتعاطون التجارة زمناً طويلا حتى فقدوا استقلالهم ، وغلبوا على امرهم من قبل بني سبأ .

٤ — و (السبائيون) أيضاً من الامم العربية التي كانت تعيش في القسم الجنوبي من جزيرة العرب . إنهم من العرب المتعربة . ويرجعون بنسبهم إلى قحطان. وقد كانوا امة عظيمة ،ذات تجارة واسعة وشأن كبير .وأسسوا دولة سبأ التي كانت عاصمتها(مأرب). وقد استدل الاستاذ غلازر من نقش أثري عثر عليه في جنوب جزيرة العرب على أن السبأيين حاربوا المعينيين ، وغلبوهم على أمرهم . وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد .

ولقد وصلت هذه الدولة إلى أوج عزها ومجدها التجاري في اواخر القرن العاشر قبل الميلاد . وذكرت ملكة سبأ في ايام سليمان أي في القرن التاسع قبل الميلاد ، وظلت قائمة حتى (سيل العرم) . وأن غزة من أهم المدن التي كان السبائيون يؤمونها بقوافلهم التجارية . ولم يكن عالم التجارة ليستغني عنهم . فزهت بلادهم ، واتسعت ثروتهم ، وامتدت سيادتهم إلى اطراف الجزيرة شمالا وشرقاً ؛ فحفروا الترع ، وبنوا السدود ، وحولوا الرمال إلى تربة خصبة ، وبنوا القصور والمحافد والهياكل ، وشادوا حولها الاسوار ، وغرسوا الحدائق ، حتى صارت البادية جنة عامرة .وما زالوا كذلك في عز وثروة إلى أن أتى سيل العرم . ثم تحولت طرق التجارة من البر إلى البحر ، فزالت دولتهم من الوجود .

٥ — ويقول المستر غلازر أن المعينيين وجدوا في غزة وما جاورها من البلاد حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد . وأن بني سبأ جاءوا من بعدهم فاحتلوا ديارهم . وقد استنتج مما تقدم أن المعينيين وبني سبأ ، هم أول من أنشأ غزة ، أو انهم أول من احتلها من العرب الأوائل الذين وصلت إلينا اخبارهم . وقد أيده في استنتاجه هذا الاستاذ ماير الذي درس تاريخ هذه المدينة دراسة مطولة . ويفهم من هذا كله أن غزة العربية كانت قائمة في هذا الوجود حوالي سنة ٣٧٥٠ قبل الميلاد.

٦ — ومن أقدم الامم التي استوطنت غزة (العويون) الذين ذكرهم موسى ،

فقال انهم مقيمون بالقرى إلى غزة . وقد ابادهم (الكفتاريون) ، إذ جاءهم هؤلاء من الجنوب ، فاكتسحوا بلادهم ، وارجعوهم إلى الشمال ، وأقاموا مكانهم. وعلى قول أن الكفتاريين جاؤا من كريت واحتلوا القسم الجنوبي من فلسطين منذ القديم ، وانشأوا المدن الكبرى فيها .

ثم نزح (العناقيون) عن مساكنهم في الجبال ، وهبطوا الساحل واستوطنوا غزة . وقد اشتهر هؤلاء بطول قامتهم وبأسهم في الحروب ، حتى أن بني اسرائيل كانوا يرهبونهم ويخافون شرهم . ويقال أن العويين وبني عناق هم الفلسطينيون القدماء الذين جاء ذكرهم في أسفار العهد القديم بأنهم هم أول من استوطن غزة .

وقد استوطنها أيضاً (المديانيون) أحفاد إبراهيم، و(الآدوميون)و(العموريون) و (الكنعانيون) وغيرهم كثيرون سنأتي على ذكرهم في الفصول التالية .

غزة
في عهد الكنعانيين

جاء في سفر التكوين (١٠ : ١٩) أن غزة من أقدم مدن العالم . سكنها أولا الكنعاني من نسل حام . وفي رواية أخرى أن غزة كانت قائمة في هـذا الوجود عندما احتلها الكنعانيون وأخذوها من العموريين ، وكانت واقعة على أقصى تخومهم من الجنوب .

٢ — قال ابن جرير ان القبائل الكنعانية من العرب البائدة ، وانهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة . وقد أخذ ابن خلدون عنه هذا الرأي . ويعتقد الاستاذ مصطفى الدباغ(١) أن هجرة الكنعانيين من الموجات السامية التي اتخذت طريقها إلى هذه البلاد حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م إذ كانت معظم بلاد الجزيرة العربية صحراء قاحلة، وكان أهلها يضطرون للرحيل عنها كلما ازداد عددهم . فيهاجرون إلى البلاد المجاورة التماساً للرزق ، وطلباً للعيش . وعلى هذا المنوال حدثت هجرات عديدة منها وأهمها الهجرة الكنعانية التي اتخذت طريقها إلى فلسطين .

ويرى البعض أن الكنعانيين أتوا من خليج العجم ، والبعض الآخر من البحر الأحمر . وأياً كان أصلهم فانه مما لا شك فيه إنهم استوطنوا هذه البلاد قبل خمسة آلاف سنة تقريباً . وعندي أن الكنعانيين نزلوا غزة في عهد لا يعرف له تاريخ .

٣ — يعتقد السر فلندرس بتري أن قسماً كبيراً من سور المدينة الذي عثروا على بقاياه بالقرب من الجامع القديم انشيء في عهد الكنعانيين ، وأن المنقبين لم يعثروا على حجارة ضخمة بهذا الحجم بعد الكنعانيين . ويقول الاستاذ غارستنغ أن تاريخ بناء هذا السور غير معلوم بالضبط . وإنما هو يظن أنه بني حوالي القرن الخامس ،

---

(١) بلادنا — فلسطين .

أو السادس ، أو السابع قبل الميلاد . ولا يمكن أن تكون قبل ذلك . ويستدل على ذلك بقطع الفخار التي عثر عليها الأب فنسان Pere Vincent وفي الطرف الجنوبي من تل العجول عثروا على اطلال مدينة كنعانية كانت على ما يظهر تحت سلطة الهيكسوس ، وعلى مقابر يعود تاريخ بعضها إلى العصر البرونزي (٤٠٠٠ ق . م)

٤ — كانت هذه البلاد تدعى (أرض كنعان) ، وكانت غزة الحد الجنوبي لهذه الارض . وأما في الشمال فقد شملت ، فضلا عن القسم الساحلي من فلسطين الذي كان يمتد من غزة في الجنوب إلى عكا في الشمال ، القسم الواقع بين هذه وصيدا أيضاً .

٥ — كان الكنعانيون في بادىء الامر متفرقين متخاذلين . ثم اتحدوا فكونوا قوة ، وكان باستطاعتهم بعدئذ أن يغزوا مصر . وقد أسسوا لهم فيها كياناً ومجداً داما حيناً من الدهر .

وقد كانوا أيضاً بناة مدن ، وسكان مدن . وكانت أكثر مدنهم محاطة بالأسوار . وكانوا ماهرين في فن البناء ، وفي قطع الحجارة الضخمة . إنهم أول من عرف زراعة الزيتون في هذه البلاد . وقد تعلم بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة . وكذلك قل عن صناعة النسيج والفخار . وقد عرفوا أيضاً المعادن والتعدين . واخترعوا الحروف الهجائية . وسنوا الشرائع والقوانين . فأخذ بنو اسرائيل عنهم كثيراً من سننهم ، وشرائعهم ، وأفكارهم ، ومبادئهم ، حتى وحضارتهم. وكانت غزة في عهدهم من المراكز التجارية الهامة .

٦ — كانوا يعبدون الاصنام . ومن اصنامهم (بعل) ومعناه الرب او السيد. وهذا هو إله الشمس الذي اشتهر بعدئذ في غزة يوم كانت هذه غارقة في عبادة الاوثان، وكان لإله الشمس (هيليوس) فيها المقام الاول .

٧ — وكان الكنعانيون ماهرين في فن الحرب أيضاً . فقد حدثنا التاريخ عنهم، وعن مهارتهم في الحروب ، وعن وقوفهم حجر عثرة في وجوه المصريين كلما أراد هؤلاء اجتياح أرض كنعان . وقد كانوا من الجرأة بدرجة أن ثاروا على رعمسيس الثاني المشهور باسم (سيزوستريس) أو (رعمسيس الأكبر) . وهو أعظم من ملك مصر بالحكمة والبطش مدة طويلة . وكان المصريون يسمونهم (كناع) أو (كناحي) .

وقد عثر المنقبون في مقابر بني حسن في إحدى الحجر علـى صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء واطفال وفدت من فلسطين إلى مصر في أيام الملك(سنوسرت الثاني) .

٨ — وقد كان لهم مع بني اسرائيل أيضاً حوادث جمة . ذكرت كلها في أسفار العهد القديم . ومنهـا أنهم حاربوا بني اسرائيل سنة ١١٨٦ ق . م وصدوهم عندما أراد هؤلاء عبور فلسطين من هذه الناحية . وظل النزاع قائمـاً بين الكنعانيين وبني اسرائيل حتى عام ١٠٠٠ ق . م . حيث تمكن بنو اسرائيل من استلاب الحكم والسيادة منهم . وما كان هؤلاء ليوفقوا لو لا تفرق كلمة الكنعانيين : فقتلوا ملوكهم ، ودمروا مدنهم ، واستعبدوا من لم يقتل منهم . وكان في أرض كنعان يومئذ ١١٨ مدينة ذكرت كلها فى جدول عثر عليه في هيكل الكرنك من صعيد مصر.

إن النصر الذي ناله داود ، وابنه سليمان من بعده قضى علـى الكنعانيين والعموريين معاً قضاء تاماً. فلم يعد التاريخ يذكر أن هذين الشعبين كونا كياناً قوياً ذا سيادة وسلطان بعد ذلك التاريخ .

ولقد أشارت أسفار العهد القـديم إلى هذا الحادث ، فجاء في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ما يأتي :

« وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني . وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار[1] إلى غزة »

وجاء في الاصحاح الثاني من سفر صفنيا ما يأتي :

« ان غزة تـكون متروكة ، واشقلون للخراب ، واشدود عند الظهيرة يطردونها، وعقرون تستأصل . ويل لسكان ساحل البحر امة الكريتيين . كلمة الرب عليكم . يا كنعان أرض الفلسطينيين إني اخربك بلا ساكن »

---

(١) (تل جمة) من اعمال بئر السبع . وقد كانت عاصمة ابيمالك ملك الفلسطينيين.

غزة
في عهد الفراعنة

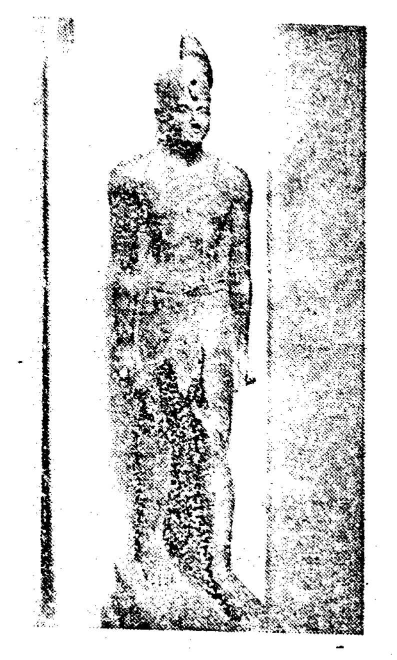
كانت غزة ولا تزال حلقة الاتصال بين مصر والشام . انها ذات قيمة حربية واقتصادية في نظر الجيوش التي تعبر الصحراء . ولطالما اعتبرت في التاريخين: القديم والحديث « المخفر الامامي لمصر وافريقيا وباب آسيا » . ولهذا كانت ولا تزال موضع اهتمام جميع الملوك والسلاطين والغزاة والفاتحين الذين اعتلوا عرش النيل من أيام الفراعنة حتى يومنا هذا . وكان المصريون في عهد الفراعنة يسمونها (هازاتي) و (غزاتي) . كذلك ورد اسمها في الواح (تل العمارنة) . وورودت في بعض الاسفار الاخرى بهذا الاسم : (غاداتو) و (غازاتو) وما إلى ذلك .

٢ — ولقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة على مر الاحقاب . وإذا كنت في شك من قولي هذا فما عليك إلا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة في شارع من شوارع غزة في هذه الايام : تشابه في الرداء ، واللهجة ؛ وفي العادات ، والعنعنات ؛ وفي الافراح ، والمآتم ؛ وفي السحن ، وتقاطيع الوجه ؛ وفي الابنية ، والمآكل ؛ وفي كل شيء .

ولا غرابة في ذلك . فكما أن الجيوش التي كانت تعبر الصحراء من مصر الى سوريا كانت تترك اثناء اوبتها الى مصر عدداً من رجالها هنا في غزة ، فقد كان المصريون في زمن السلم أيضاً يؤمونها مستمرئين العيش فيها . ولئن صعب علينا استجلاء الغامض من هذه الناحية في عهد الفراعنة فان لنا في التاريخ الحديث خير دليل على ذلك ؛ ولا سيما عندما رجع ابراهيم باشا الى مصر بعد حروبه في هذه البلاد تاركاً وراءه عدداً غير قليل من بني قومه .

٣ — وإليك اسماء ملوك مصر وفراعنتها الاقدمين الذين مروا منها ، او فتحوها وكان لهم شأن فيها : —

مرن رع (٣٢٣٥ ق . م) مر هذا من غزة اثناء فتحه الشام .



تاحوتمس الثالث

سنوسرت الثالث (٢٤٦٥ ق . م)
غزا المصريون في عهده جنوب سوريا .

آحمس (١٥٧٣ ق . م) هذا هو القائد الذي غلب (ملوك الرعاة) .

تاحوتمس الاول (١٥٣٩ ق . م) فتح غزة وسار بفتوحاته حتى الفرات .

تاحوتمس الثاني (١٥١٤ ق . م) اخضع سوريا برمتها : شمالها وجنوبها .

تاحوتمس الثالث اشتهرت غزة في زمنه. هبطها (عام ١٥٠١ ق . م) بعد أن قطع مئة وستين ميلا في البادية في اثني عشر يوماً . ثم سار شمالا فاخضع سوريا وحاربها مراراً .

امين حوتب الثاني استأنف حملة ابيه في سوريا ، ومر من غزة (١٤٤٩ ق.م) .

تاحوتمس الرابع (١٤٢٣ ق . م) اغار على سوريا .

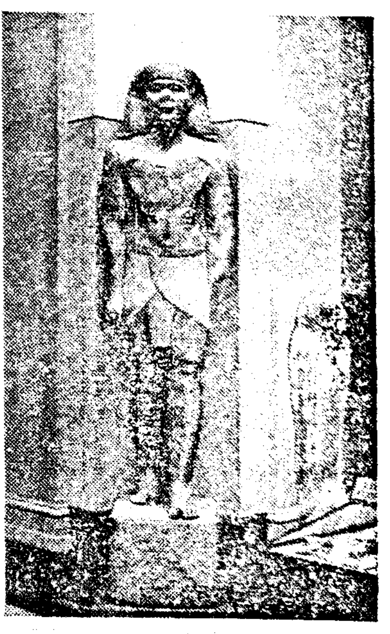
امين حوتب الثالث (١٤١٣ ق . م) اخضع ملوك الرعاة . وامتد سلطانه من مصر الى شمال سوريا ومن الحبشة حتى ما بين النهرين .

توت عنخ آمون (١٣٥١ ق . م) عثر المنقبون على آثار استدلوا منها على أن سوريا كانت تدفع الجزية لمصر في عهده .

سيتي الاول (١٣١٧ ق . م) طارد قبائل الشاسو ، وابعدهم عن حدود مصر ، ثم اكتسح البلاد حتى وصل الى اقصى الشمال في سوريا . ومما هو جدير بالذكر في عهده انه بحث عن المياه في طريقه وسبر غور البادية ، ثم انشأ الصهاريج والقساطل في رحلته قبل أن يفتح هذه البلاد .

رعمسيس الثاني غزا سوريا (١٢٩٥ ق . م) وحارب الحيثيين والكنعانيين حرباً دامت عشرين سنة ، ثم حالف (ختسارو) أمير الحيثيين على أن يساعد كل من

الفريقين الآخر إذا ما أراد هذا ان يؤدب العشائر النازلة على الحدود . وكان معروفاً عند اليونان باسم (سيزوستريس) .



امين حوتب الثانى

مرن بتاح (١٢٢٩ ق.م) هناك اغنية مصرية قديمة تذكر الظفر الذي ناله هذا في غزة وعسقلان من ارض كنعان .

رعمسيس الثالث (١١٩٥ ق . م) تحالف سكان هذه البلاد من عموريين وفلسطينيين ضد السلطة المصرية في عهده، فاخضعهم . وقد عثروا على كتاب له جاء فيه : هاجمت سا آرو(١) ، وانزلت بلائي على العشائر الشاسو فخربت ديارهم ، واهلكت رجالهم واموالهم حتى الابقار ، واسرتهم، ثم اجبرتهم على دفع الجزية الى مصر ، وقدمتهم الى الآلهة كعبيد في المعابد .

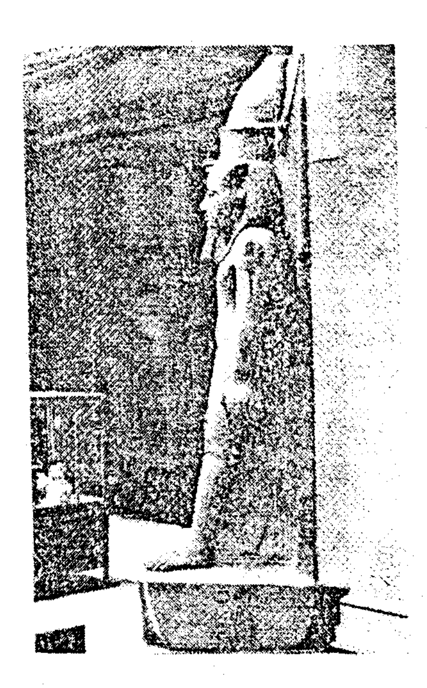
اوزرقون الاول (٩١٩ ق . م) نهب المدن التي حول جرار ومنها غزة ، وهدمها ، وجعل هذه المدن حداً لمصر .

بسامتيك الاول (٦٦٤ ق . م) استولى على فلسطين وجعل غزة حداً لمصر .

نخاو الثاني (٦١٠ ق . م) قام بغزوة كبيرة على سوريا ، وافتتح عدداً كبيراً من مدن فلسطين ومنها غزة . وقد تغلب على بني اسرائيل ايضاً واقال ملكهم ، ولكنه لم يقدر على ملك بابل (نبوخذ رزر) فرجع إلى مصر .

٤ — ومن هذا ترى ان غزة كانت من الاهمية على جانب عظيم في عهد الفراعنة، وانه ما فكر ملك من ملوك مصر بغزو سوريا إلا ورنا ببصره الى غزة اولا فاحتلها ؛ وانه حين يضعف الواحد منهم فيضطر للانكماش في مصر لا يهدأ له بال إلا عندما

(١) أي جنوب فلسطين



رعمسيس الثاني

تكون غزة في ملكه . ويظهر أنها كانت على عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة المقر الرئيسي للجيش المصري المحتل لهذه البلاد ، وإنها كانت يومئذ محاطة بأسوار حصينة عالية ، وكانت اسوارها هذه مبنية بالآجر على الطريقه المألوفة في مصر .

وكذلك كان يفعل الغزاة الذين يأتون من الشمال كالآشوريين والبابليين ، فانهم كانوا يهتمون بغزة اولا فيحتلونها . وبعد أن يستكملوا فيها عدتهم ، ويحشدوا قواهم ، يبدأون منها بالزحف على مصر . وهذا ما جعلها تقاسي الآلام والاهوال سنين طويلة تحت سنابك خيل الفاتحين سواء أجاء هؤلاء اليها من الشمال أم من الجنوب.

ومما يستلفت الانظار بشكل خاص أن شؤون المملكة المصرية ما كانت تزدهر إلا عندما يتمكن المصريون من الاستيلاء على غزة . لأن الاستيلاء على غزة معناه السيطرة على طرق الحرب والتجارة بين آسيا وافريقيا .

٥ — الآن وقد انتهيت من مطالعة هذا الفصل يجدر بك أن تقرأ الفصل الذي يبحث عن (غزة في عهد ابراهيم باشا) ذلك الفصل الذي نعتبره تتمة لحديثنا هذا .

غزة

في عهد الهيكسوس (الملوك الرعاة)

كانت غزة في عهد الهيكسوس (أو الملوك الرعاة) المدينة الرئيسية في هـــذه البلاد . ولكنها لم تكن يومئذ في موقعها الحالي . بل كانت قائمة ، على ما يقول العالم الاثري المشهور السر فلندرس بتري ، في المكان الذي يدعى في يومنا هذا (تل العجول) . ويقول السر فلندرس بتري هذا إن البحر كان في تلك الايام قريباً منها ، وان السفن كانت ترسو على شاطئها ، وانه عندما انسحب البحر تكونت في تلك البقعة مستنقعات نمت فيها جراثيم الملاريا والامراض الاخرى. ففتكت هذه في الغزيين فتكاً ذريعاً . فاضطروا على أثر ذلك لمغادرة ذلك المكان ، ونزلوا الناحية التي تتكون منها غزة الحالية .

ذلك كله جرى في عهد الهيكسوس الذين حكموا هذه البلاد قبل المسيح بألفي سنة . فمن هم يا ترى ؟

٢ — اختلف المؤرخون في تعيين أصلهم : فمن قائل إنهم هم العمالقة او العرب البائدة الذين أتوا من شبه جزيرة العرب. ومن قائل انهم من سلالة آرية أتت من بلاد ما بين النهرين . ومن قائل إنهم من أصل سامي ، وموطنهم الاصلي فلسطين .

ولقد اطلقت عليهم الاسماء التالية :

حقاخاسوت(١) ، ومنتيوستت(٢) ، وعامو(٣) ، وشاسو(٤) . وكان مؤرخو اليونان(٥) يسمونهم هيكسوس(٦) . ويظهر من اسماء ملوكهم انهم يرجعون إلى

---

(١) أي حكام قبائل فلسطين ، وكان هذا اللقب يطلق عليهم قبل أن يغزوا مصر .

(٢) اسم القبائل التي كانت تسكن انحاء فلسطين الجنوبية .

(٣) أي الاسيويين او الساميين .

(٤) الاسم الذي كان يطلق على سكان الناحية الشمالية الشرقية من مصر .

(٥) راجع كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

(٦) يقول يوسيفوس أن هيك معناها الملك ، وسوس معناها الراعي . وأما بروكش فيقول ان هيك معناها الملك ، وشاسو معناها البادية أو البدو.

أصل سامي كنعاني ، كـ (يعقوب إله) و (عنات إله) . وكذلك اسماء الافراد كـ (عبد) و (عابد) وما الى ذلك .

٣ — انك إذا رجعت الى تاريخ مصر القديم رأيت أن الشاسو كثيراً ما كانوا يسطون على المصريين في مدنهم ، تارة من تلقاء انفسهم ، وطوراً بايعاذ من الحيثيين. وكان المصريون يخافون بأسهم وبطشهم . ولما كانوا من الشدة والشجاعة على درجة قصوى فقد استعان بهم الفراعنة في حروبهم بعضهم على بعض في كثير من الاحايين . ولقد تمكنوا في أحيان كثيرة من الاستيلاء على مصر . كما حكموا مصر وفلسطين معاً حقبة من الدهر .

وكان مدير الخزينة العام (ها آل) يقوم بنفس العمل في القطرين.وقد ساروا على هذه الخطة حيناً من الدهر . وظلوا في مصر (١) حكاماً وملوكاً مدة خمسةقرون، وكونوا فيها ملكاً عربياً كان يوسف عليه السلام مستوزراً فيه .

٤ —وكما أنهم شادوا غزة بالمكان المعروف الآن بتل العجول،واستوطنوها قبل أن يغزوا مصر ، فانهم رجعوا إليها يوم غلبوا على امرهم هناك ، وحالفوا المصريين (٢) على أن يخرجوا من مصر الى حيث يشاؤون . وقد كان عددهم يوم خروجهم من مصر ٢٤٠،٠٠٠ نسمة ؛ هبط بعضهم غزة ، والبعض الآخر تل جمة ، وتل الفارعة؛ وقسم آخر رحل إلى أبعد من ذلك وتغلغل في البلاد السورية .

٥ —انهم أول من أدخل الخيل إلى هذه البلاد .وهم وإن كانوا قصار الاجسام، حتى قيل إن قبر الرجل الهيكسوسي كان يسع حصانه أيضاً ، إلا أنهم ماهرون في ركب الخيل . ليس هذا فحسب بل كانوا ينظرون إلى الخيل نظرة إجلال واعتبار. حتى أن السر فلندرس بتري عثر في تل العجول على عظم حصان دفن مع صاحبه في قبر واحد.

---

(١) قيل إن ذلك حدث في زمن ابراهيم الخليل . ويقول جرجي زيدان ان الهيكسوس ملكوا مصر من اوائل القرن الثالث والعشرين حتى اوائل القرن الثامن عشر ق . م (٢٢١٤ — ١٧٠٣ ق.م) . وأما السر فلندرس بتري فانه يستنتج من الآثار التى عثر عليها فى تل العجول انهم حكموا مصر من (٢٠٩٨ — ١٥٨٧ ق . م)

(٢) كان ذلك فى عهد الملك احمس المؤسس الاول للاسرة الثامنة عشرة ١٥٧٣ ق.م.

٦ — ويظهر من القصور والآثار(١) التي اكتشفها السر فلندرس بتري أن غزة كانت في عهد الهيكسوس عامرة ومزدهرة ، وكان حولها يومئذ سور عرضه متران ونصف المتر وارتفاعه ١٥٠ قدماً . وكان هذا السور مبنياً من النوع المتين من الآجر بدرجة أنه كان يقاوم الامطار والعواصف الشديدة. ويستدل من الأواني، والحلي الذهبية ، والكنوز الثمينة التي عثر عليها في قبورهم انهم كانوا على غاية قصوى من الترف والثروة والبذخ . كما عثروا على اواني من الفخار والنحاس ، وعلى حمامات ومجار للمياه . ويظهر أن الامطار كانت يومئذ غزيرة ، وانها ظلت غزيرة على مدى بضعة عصور . ومن هـذه المواد والآثار التي وجدت في تل العجول مواد وآثار يظهر انها من أصل عربي ، ولا سيما مطامير الحبوب .

٧ — ومن أهم الآثار التي اكتشفت في تل العجول اساور ذهبية ، واقراط وخواتم يعتقد السر فلندرس بتري انها ترجع الى سنة ١٤٥٠ ق . م . ويستدل منها عـلى انه كان ثمة صلات تجارية بين هذه البلاد وايرلنده . كما وجد خاتم في قبر من القبور الذي يرجع عهده الى زمن رعمسيس الثاني .

وهناك عظام محروقة لطيور وغزلان ؛ وطير موشح بالحبيبات الذهبية يظهر انه اصطيد يومئذ وظلت عظامه مطروحة على الارض حتى يومنا هذا ؛ وكنز طافح بالنحاس القديم وبعض القطع من الذهب والفضة يظهر انها كانت لتاجر من التجار؛ واناء مزخرف للالهه (هاثور) ؛ ونجمتان ذهبيتان كبيرتان ؛ واقراط مرصعة بالذهب؛وخناجر؛وقبور كثيرة فيها عظام بشرية ؛ ونفق طوله ٥٠٠ قدم يبتدىء عند باب المدينة وينتهي في الخلاء ، ويظهر انه حفر خصيصاً ليتمكن السكان بواسطته من الفرار إذا ما ألمت بمدينتهم كارثة ، او حوصرت فعزت عليهم النجاة؛واثنان وعشرون خنجراً نحاسياً ؛ وكثير من اواني الفخار ذوات الكعوب المسطحة .

---

(١) ترجع هذه الآثار الى العهود التالية :
الاسرة الثانية عشرة ٢٥٨٤ ق . م والاسرة الخامسة عشرة ٢٣٧١ ق . م
والاسرة السادسة عشرة ٢١١١ ق . م والاسرة الثامنة عشرة ١٥٧٣ ق . م
وهناك بقايا قصر يعتقد انه شيد بعد العصر النحاسي الخاص بالاسرة الخامسة والسادسة أي انه يرجع الى ٣٠٠٠ عام ق . م .

وقد عثر في القصر على غرفة حمام رحبة يستدل منها على ان حكام ذلك العهد لم يكونوا اقل اهتماماً بالنظافة من أبناء هذا العصر .

وهناك خاتم مبروم ؛ وحلى ذهبية مذابة (وجدت في حفرة فيها بقية رماد اسود اللون) ؛ وقطع ذهبية محطمة ؛ وشظايا رخام ؛ وآنية من العاج المحروق؛واسرة للنوم مصنوعة من الخشب الجميل باتقان ليس بعده اتقان ، ولها مشبكات ملائمة لراحة النائم ، ولها وسادة خشبية ملبسة بالفلين ، ومحفورة بصورة تتناسب مع العنق. وهي مريحة للمتوسد بها ، وملائمة للجو الحار الذي لا يحتمل الوسائد القطنية أو الصوفية .

والأغرب من هذا كله هو انهم وجدوا في القصر اوعية للدهان او المراهم الخاصة بتجميل الوجه ، كتلك التي تستعملها سيدات عصرنا هذا . إن هذه الحلى الذهبية والاواني الجميلة التي وجدت في القصر تدل على انها كانت للملكة الهيكسوس في ذلك العصر . وقد عثروا على ارتفاع ستة اقدام من عرصة القصر على مزار مبني بالآجر مربع الشكل يبلغ اتساعه ١٥ قدماً ، وفيه ٢٥٠ قطعة ذهبية مزخرفة . ووضعت هذه الحلى والأواني في الحجرة لا في القبر خشية ان تسرق .



غزة والفلسطينيون

فتح الفلسطينيون غزة من أقدم ازمنة التاريخ ، ويظن أنها دخلت في حوزتهم قبل زمن ابراهيم ، أي منذ نحو ٤٠ قرناً(١)، واتخذوها حصناً منيعاً ؛ لأنها على حدود فلسطين عرضة لهجمات المصريين من الجنوب ، والعمالقة من الشرق ، والامم الاخرى التي كانت تجاورهم كالآدوميين ، وبني جرم ، وبني كلاب .

٢ — الفلسطينيون هم الذين اعطوا فلسطين لقبها الحالي . كان لهم ملك ضخم، ومدنية زاهرة عاشت ردحاً من الدهر . وقد اشتهروا بتجارتهم البرية والبحرية ، وحروبهم الفنية ؛ إذ كان لجنودهم خوذ فولاذية ، ودروع حديدية ، وسيوف ، ونبال ، وسهام ؛ وكانوا هم يصنعون آلات القتال هذه بأيديهم ؛ كما كانوا في أيام السلم يصنعون المحاريث والآلات المنزلية . وكان بنو اسرائيل يأتون اليهم ويشترون منهم مصنوعاتهم . وكانت لهم مراكب ، وعربات ، وخيول . وكانت لهم ديانة خاصة هي الوثنية وهياكل عظيمة أكبرها (داجون) ، واحتفالات طريفة . ومسكوكات خاصة ....

وما يمكن أن يقال عن الفلسطينيين بوجه عام ، يمكن أن يقال عن غزة بوجه خاص . لأن غزة كانت أهم المدن الفلسطينية الخمس التي ذكرها التاريخ وهي: غزة ، واشدود (٢) ،واشقلون (٣) ،وعقرون (٤) ، وجات (٥) . وكان ثمة اتحاد حكومي مؤلف من هذه المدن الخمس . وكان سلطانهم يمتد من جنوب عكا حتى عريش مصر .

٣ — اختلف في تعيين أصلهم : فمن قائل إنهم أتوا من شمال سوريا ؛ ومن قائل انهم من جزيرة كريت ، أتوا إلى فلسطين عن طريق آسيا الصغرى أو عن

---

(١) مجلة الهلال الجزء ٧ ص ٤٤٢

(٢) هي اليوم اسدود من قرى غزة

(٣) هي اليوم حورة عسقلان من قرى غزة

(٤) هي اليوم عاقر من قرى الرملة

(٥) لا يعرف أحد بالضبط موقعها الحالي ، وانما يظن انها عراق المنشية من قرى غزة او التل الاصطناعي الواقع بغرب من القرية المذكورة وهو الذي يطلق عليها (الجت) من اعمال غزة اليوم.

طريق مصر عندما قاتلهم رعمسيس الثالث وقهرهم (١٣٤٠ ق . م) واسكنهم الساحل ما بين يافا وغزة ؛ ومن قائل إنهم ساميو الأصل ، وأن الساميين جاءوا من الحبشة ، وعبروا إلى جزيرة العرب من باب المندب ، فنزلوا اليمن وهناك تكاثروا وانتشروا إلى الحجاز ونجد والبحرين ، ثم نزحت طائفة منهم إلى فلسطين وفيها الفلسطينيون القدماء .

٤ — ولقد اخضعوا الحيثيين وكان ذلك حوالي عام ١٤٠٠ ق . م . . ولكنهم بعد ذلك ردوا على اعقابهم من قبل المصريين بقيادة رعمسيس الثالث . فاضطروا تحت ضغط جيوشه الجرارة للانسحاب إلى الشمال (سوريا) وكان ذلك حوالي عام ١٣٤٠ ق . م .

٥ — وعندما تضعضع حكم رعمسيس الثالث عاد الفلسطينيون إلى بلادهم وتقدموا حتى تمكنوا من احتلال سهل فلسطين الساحلي كله : من الكرمل إلى غزة.

وقد كانوا في ذلك الوقت ، ينظرون إلى انفسهم كمستعمرين يعيشون في وسط سكان البلاد الأصليين ، كالمعينيين وبني سبأ الذين ذكرناهم قبلا ، وقلنا عنهم إنهم هم الذين انشأوا غزة . ولكنهم مع الزمن تشربوا عوائد هؤلاء السكان ، ولغتهم ، حتى ومعتقداتهم ، فاصبحوا منهم وإليهم ، لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى أن بني اسرائيل كانوا في عهد ملوكهم ، يذكرونهم (أي الفلسطينيين) والعرب معاً كأنهم من أصل واحد .

٦ — عثر المنقبون على جور كبيرة محفورة في الأرض حول غزة ، وفي تل جمة وما حولها من الأراضي ؛ وقالوا أنها حفرت في زمن الفلسطينيين لأجل خزن الحبوب وشحنها إلى كريت والبلاد الواقعة في حوض البحر المتوسط . وهناك بالقرب من تل جمة خربة تدعى (ام الجرار) هي جرار المذكورة في التوراة عاصمة الفلسطينيين القدماء . إن هذه الخربة ملك لعشيرة من عشائر الترابين تدعى الحسنات، وأن فريقاً من هذه العشيرة يكنى بـ (ابي معيلق) . ولا شك عندي انه من أحفاد (ابي مالك) ملك الفلسطينيين الوارد ذكره في الإصحاح ٢١ من سفر التكوين .

٧ — حارب الفلسطينيون بني اسرائيل طويلا . وقد كان بنو اسرائيل في تلك الأزمنة يعيشون في الجبال ، والفلسطينيون في السهول . وكان بين الفريقين

دوماً خصام . وهذا ما حدا بهم للاحتفاظ بقوة عسكرية هائلة لئلا يبطش بهم بنو اسرائيل . وما كان هؤلاء ليستطيعوا أن يسيطروا على المدن الفلسطينية إلا في عهد داود وسليمان ؛ وبالأحرى عندما فقد الفلسطينيون النيء الكثير من سجاياهم الحربية بسبب غزو القبائل التي كانت تغزوهم من الأنحاء الشمالية لجزيرة العرب .

٨ — إنك إذا رجعت إلى أسفار العهد القديم وجدت أمثلة كثيرة تدلك على ما كان بين بني اسرائيل وبين الفلسطينيين من كره وخصام ؛ ولاحظت أن كره بني اسرائيل كان موجهاً بشكل خاص إلى مدينة غزة . وإذا كنت في ريب من قولي هذا فاليك البرهان :

آ — جاء في سفر صموئيل الأول (٦ : ١٧) ما يأتي : — « وهذه هي بواسير الذهب التي ردها الفلسطينيون قربان إثم الرب : واحد لاشدود ، وواحد لغزة ، وواحد لاشقلون ، وواحد لجات ، وواحد لعقرون »

ب — وفي الاصحاح (١٨ : ٨) من سفر الملوك الثاني: — «كان حزقيا بن آحاز ملك يهوذا ... وعمـل المستقيم في عين الرب ... ولم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ... وكان الرب معه... وضرب الفلسطينيين إلى غزة وتخومها... »

ج — وفي الاصحاح (٢٥ : ٢٧) من سفر آرميا : « هكذا قال لي الرب إله اسرائيل : خذ كأس خمر هذا السخط من يدي ، واسق جميع الشعوب الذين ارسلك أنا إليهم إياها . فيشربوا ويترنحوا ويتجننوا ..... فأخذت الكأس من يد الرب ، وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم : اورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤسائها ... وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤساءه وكل شعبه ... وكل ملوك أرض فلسطين واشقلون وغزة وعقرون وبقية اشدود ...... وكل ملوك العرب ...... وكل ممالك الارض التي على وجـه الأرض ...... وتقول لهم هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل . اشربوا واسكروا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا ...... »

د — وفي الاصحاح (٤٧ : ١—٥) من سفر أرميا أيضاً : « كلمة الرب التي صارت إلى أرميا عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة . هكذا قال الرب . ها مياه تصعد من الشمال وتكون سيلا جارفاً فتغشى الارض وتملأ المدينة والساكنين فيها . فيصرخ الناس ويولول كل سكان الارض...

بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور . أتى الصلع على غزة . اهلكت اشقلون مع بقية وطأتهم ..... »

٩ — وليس ثمة برهان أنصع من البرهان الوارد في حكاية شمشون الجبار ودليله الفلسطينية على ما كان بين الفلسطينيين وبني اسرائيل من كره قديم ؛ إذ أن شمشون رضي بالموت ما دام في موته موت لأعدائه الفلسطينيين ، وقال كلمته المشهورة: (بي وبأعدائي يا رب !) تلك الكلمة التي راحت منذ ذلك اليوم مثلا على شدة الكره والحقد الذي ينمو في قلب المرء ضد خصمه ، حتى ليرغب في الموت إذا كان في ذلك هلاك الخصم . وإليك حكاية شمشون منقولة عن سفر القضاة من أسفار التوراة لما لها صلة ببحثنا هذا :

الاصحاح (١٣) : — « ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عين الرب . فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين اربعين سنة . وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد . فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدي . ولكنك تحبلين وتلدين إبناً . والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً . فها إنك تحبلين وتلدين إبناً ولا يعل موسى رأسه . لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن . وهو يبدأ يخلص اسرائيل من الفلسطينيين . فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إلي رجل الله ، ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جداً . ولم اسأله من أين هو ولا هو اخبرني عن اسمه . وقال لي ها أنت تحبلين وتلدين إبناً والآن لا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً . لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم موته . فصلى منوح إلى الرب . وقال اسألك يا سيدي أن يأتي إلينا أيضاً رجل الله الذي أرسلته ويعلمنا ماذا نعمل للصبي الذي يولد. فسمع الله لصوت منوح. فجاء ملاك الله أيضاً إلى المرأة وهي جالسة في الحقل ومنوح رجلها ليس معها . فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها . وقالت له هوذا قد تراءى لي الرجل الذي جاء إلي ذلك اليوم . فقام منوح وسار وراء امرأته وجاء إلى الرجل . وقال له : أأنت الرجل الذي تكلم مع المرأة . فقال أنا هو . فقال منوح : عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنوح:

من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ ، من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل ، وخمراً ومسكراً لا تشرب ، وكل نجس لا تأكل ، ولتحذر من كل ما أوصيتها. فقال منوح لملاك الرب دعنا نعوقك ونعمل لك جدي معزى. فقال ملاك الرب لمنوح ولو عوقتني لا آكل من خبزك ، وإن عملت محرقة فللرب اصعدها . لأن منوح لم يعلم انه ملاك الرب . فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك. فقال ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب . فأخذ منوح جدي المعزى والتقدمة واصعدهما على الصخرة للرب . فعمل عملا عجيباً ومنوح وامرأته ينظران . فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران . فسقطا على وجهيهما إلى الارض . ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته . حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب . فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا قد رأينا الله . فقالت له امرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة، ولما أرانا كل هذه ، ولما كان في مثل هذا الوقت اسمعنا مثل هذه . فولدت المرأة إبناً ، ودعت اسمه شمشون . فكبر الصبي وباركه الرب . وابتدأ روح الرب يحركه في محلة دان بين صرعة واشتاول ... »

الاصحاح (١٤) : « ونزل شمشون إلى تمنة ورأى امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين . فصعد وأخبر أباه وامه . وقال قد رأيت امرأة في تمنة من بنات الفلسطينيين، فالآن خذاها لي امرأة . فقال له ابوه وامه : أليس في بنات اخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى أنك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف. فقال شمشون لأبيه : إياها خذ لي لأنها حسنت في عيني . ولم يعلم ابوه وامه أن ذلك من الرب لأنه كان يطلب علة على الفلسطينيين . وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل .

فنزل شمشون وابوه وامه واتوا إلى كروم تمنة . وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه فحل عليه روح الرب ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء . ولم يخبر أباه وامه بما فعل . فنزل وكلم المرأة فحسنت في عيني شمشون . ولما رجع بعد أيام لكي يأخذها مال لكي يرى رمة الأسد ، وإذا دبر من النحل في جوف الأسد مع عسل فاشتار منه على كفيه ، وكان يمشي ويأكل ، وذهب إلى ابيه وامه ، وأعطاهما

فأكلا ، ولم يخبرهما انه من جوف الأسد اشتار العسل .

ونزل أبوه إلى المرأة ، فعمل هناك شمشون وليمة لأنه هكذا كان يفعل الفتيان فلما رأوه احضروا ثلاثين من الأصحاب فكانوا معه . فقال لهم شمشون لاحاجينكم احجية . فاذا حللتموها في سبعة أيام الوليمة واصبتموها اعطيتكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . وإن لم تقدروا أن تحلوها لي لتعطوني انتم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . فقالوا له حاج احجيتك فنسمعها . فقال لهم من الآكل خرج أكل ، ومن الجوف خرجت حلاوة . فلم يستطيعوا أن يحلوا الاحجية في ثلاثة أيام . وكان في اليوم السابع أنهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك لكي يظهر لنا الاحجية لئلا نحرقك وبيت أبيك بنار . ألتسلبونا دعوتمونا أم لا . فبكت أمرأة شمشون لديه وقالت إنما كرهتني ولا تحبني . قد حاجيت بني شعبي احجية وإي لم تخبر . فقال لها هوذا أبي وامي لم اخبرهما فهل إياك اخبر . فبكت لديه السبعة أيام التي فيها كانت لهم الوليمة . وكان في اليوم السابع أنه أخبرها لأنها ضايقته ، فأظهرت الاحجية لبني شعبها . فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس أي شيء أحلى من العسل وما أجنى من الأسد . فقال لهم لو لم تحرثوا على عجلتي ،لما وجدتم احجيتي. وحل عليه روح الرب ، فنزل إلى اشقلون ، وقتل منها ثلاثين رجلا ، وأخذ سلبهم وأعطى الحلل لمظهري الاحجية . وحمي غضبه ، وصعد إلى بيت أبيه ، فصارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه . »

الاصحاح (١٥) : « وكان بعد مدة ، في أيام حصاد الحنطة ، أن شمشون افتقد امرأته بجدي معزى . وقال ادخل إلى امرأتي إلى حجرتها . ولكن أباها لم يدعه أن يدخل . وقال أبوها إني قلت أنك قد كرهتها ، فاعطيتها لصاحبك . أليست اختها الصغيرة احسن منها ؛ فلتكن لك عوضاً عنها . فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شراً . وذهب شمشون وامسك ثلاثمائة ابن آوى ، واخذ مشاعل ، وجعل ذنباً إلى ذنب ، ووضع مشعلا بين كل ذنبين في الوسط ، ثم اضرم المشاعل ناراً ، واطلقها بين زرع الفلسطينيين ، فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون . فقال الفلسطينيون من فعل هذا. فقالوا شمشون صهر التمني ،لأنه أخذ امرأته ، واعطاها لصاحبه . فصعد الفلسطينيون ، واحرقوها وأباها بالنار . فقال لهم شمشون ولو فعلتم هذا فاني انتقم منكم ، وبعد اكف . وضربهم ساقاً على

فخذ ضرباً عظيماً ثم نزل واقام في شق صخرة عيطم .

وصعد الفلسطينيون ، ونزلوا في يهوذا ، وتفرقوا في الحي . فقال رجال يهوذا لماذا صعدتم علينا . فقالوا صعدنا لكي نوثق شمشون ، ولنفعل به كما فعل بنا . فنزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلى شق صخرة عيطم ، وقالوا لشمشون : أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا ، فماذا فعلت بنا . فقال لهم كما فعلوا بي هكذا فعلت بهم. فقالوا له نزلنا لكي نوثقك ونسلمك إلى يد الفلسطينيين . فقال لهم شمشون احلفوا لي انكم انتم لا تقعون علي . فكلموه قائلين كلا . ولكننا نوثقك ونسلمك إلى يدهم ، وقتلا لا نقتلك . فأوثقوه بحبلين جديدين ، وأصعدوه من الصخرة . ولما جاء إلى لحى صاح الفلسطينيون للقائه . فحل عليه روح الرب . فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان احرق بالنار ، فانحل الوثاق عن يديه .

ثم عطش جداً ودعا الرب . وقال إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم . والآن اموت من العطش ، وأسقط بيد الغلف . فشق الله الكفة التي في لحى ، فخرج منها ماء ، فشرب ، ورجعت روحه فانتعش ، لذلك دعا اسمه عين هقوري التي في لحى إلى هذا اليوم ، وقضى لاسرائيل في ايام الفلسطينيين عشرين سنة . »

الاصحاح (١٦) — « ثم ذهب شمشون إلى غزة ، ورأى هناك امرأة زانية ، فدخل إليها . فقيل للغزيين قد أتى شمشون إلى هنا . فأحاطوا به ، وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة ، فهدأوا الليل كله قائلين عند ضوء الصباح نقتله . فاضطجع شمشون إلى نصف الليل ، ثم قام في نصف الليل ، وأخذ مصراعي باب المدينة ، والقائمتين ، وقلعهما مع العارضة ووضعهما على كتفيه ، وصعد بهما إلى رأس الجبل(١) الذي مقابل حبرون . »

« وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة ، فصعد إليها اقطاب الفلسطينيين ، وقالوا لها تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة ، وبماذا نتمكن منه ، لكي نوثقه لإذلاله ، فنعطيك كل واحد الفاً ومئة شاقل فضة . فقالت دليلة لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لإذلالك . فقال لها شمشون إذا اوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف ، أضعف ، وأصير كواحد من الناس. فاصعد لها

(١) يظن انه (تل المنطار)

اقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تجف ، فأوثقته بها ، والكمين لابث عندها في الحجرة . فقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون . فقطع الأوتار كما يقطع فتيل المشاقة إذا شم النار ولم تعلم قوته . فقالت دليلة لشمشون ها قد ختلتني وكلمتني بالكذب . فأخبرني الآن بماذا توثق. فقال لها إذا اوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف ، وأصير كواحد من الناس . وأخذت دليلة حبلا جديدة ، وأوثقته بها ، وقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون ، والكمين لابث في الحجرة ، فقطعها عن ذراعيه كخيط . فقالت دليلة لشمشون حتى الآن ختلتني ، وكلمتني بالكذب، فأخبرني بماذا توثق . فقال لها إذا ضفرت سبع خصل رأسي مع السدى ، فمكنتها بالوتد ، وقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون . فانتبه من نومه ، وقلع وتد النسيج ، والسدى . فقالت له كيف تقول احبك وقلبك ليس معي . هوذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة . ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه تاقت نفسه إلى الموت . فكشف لها كل قلبه ، وقال لها لم يعل موسى رأسي لأني نذير الله من بطن امي . فان حلقت تفارقني قوتي ، وأضعف ، وأصير كأحد الناس . ولما رأت دليلة انه قد اخبرها بكل ما في قلبه أرسلت ، فدعت أقطاب الفلسطينيين ، وقالت لهم أصعدوا هذه المرة ، فانه قد كشف لي كل قلبه . فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين واصعدوا الفضة بيدهم . وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه ، وابتدأت بادلاله ، وفارقته قوته . وقالت الفلسطينيون عليك يا شمشون . فانتبه من نومه ، وقال اخرج حسب كل مرة ، وانتفض ، ولم يعلم أن الرب قد فارقه . فأخذه الفلسطينيون ، وقلعوا عينيه ، ونزلوا به إلى غزة ، وأوثقوه بسلاسل من نحاس ، وكان يطحن في بيت السجن . وابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حلق .

« وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ، ويفرحوا ..وقالوا قد دفع إلهنا ليدنا شمشون عدونا . ولما رآه الشعب مجدوا إلههم. لأنهم قالوا قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذي خرب أرضنا ، وكثر قتلانا . وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا ادعوا شمشون ليلعب لنا . فدعوا شمشون من بيت السجن . فلعب أمامهم . وأوقفوه بين الأعمدة . فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها ، لأستند إليها . وكان البيت مملوءاً رجالا ونساء.وكان



شمشون الجبار

هناك جميع أقطاب الفلسطينيين ، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون للعب شمشون . فدعا شمشون الرب ، وقال يا سيدي الرب اذكرني وشددني بالله هذه المرة فقط ، فانتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين . وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما ، واستند عليهما بيمينه والآخر بيساره . وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحنى بقوة ، فسقط البيت على الأقطاب ، وعلى كل الشعب الذي فيه . فكان الموتى الذين اماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته . فنزل اخوته وكل بيت أبيه ، وحملوه ، وصعدوا به ، ودفنوه بين صرعة واشتأول في قبر منوح أبيه . وهو قضى لاسرائيل عشرين سنة . »

غزة واليهود

من أيام بني اسرائيل حتى يومنا هذا



موسى (كليم الله)

إن أول كيان قومي لبني اسرائيل أسسه موسى يوم جمع شملهم ، وانقذهم من بطش فرعون وقومه ؛ فأخرجهم من مصر ، وأتى بهم إلى أرض كنعان . وقد ذهب بعضهم إلى أن ذلك حدث عام ١٤٨٦ ق . م ، وقال آخرون انه ١٢٢٧ ق . م وفي عهد فرعون مصر الشهير رعمسيس الثاني . لقد تاه بنو اسرائيل في الصحراء ، إذ أنها جرداء لا زرع فيها ولا ماء(١). وقد زاد في بلوائهم، انهم لم يستطيعوا أن يسلكوا الطريق التي سلكها الفراعنة من قبلهم ، أو المهاجرون والغزاة الآخرون من بعدهم ، تلك الطريق التي تنتهي عند غزة . ذلك لأن فيها (قوماً جبارين) (٢) ؛ بل سلكوا ، بعد أن اجتازوا صحراء(٣) سينا: طريق

---

(١) اقرأ الآية ٦١ من سورة البقرة : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد. فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها. قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير ، اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم . وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله. »

(٢) اقرأ الايات ٢١ — ٢٢ — ٢٤ من سورة المائدة: « قال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم . ولا ترتدوا على ادباركم ، فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فان يخرجوا منها فانا داخلون . إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . »

(٣) تلك الصحراء التي تاهوا فيها اربعين عاماً .

آدوم ، وموآب ؛ ومن هناك دخلوا أرض الميعاد .

وعندما دخلوها رأوا فيهـــا مقاومة شديدة من العمالقة ، والفلسطينيين ، والكنعانيين ، والعناقيين ، والمديانيين ، وغيرهم من سكان البلاد . وقد زاد في بلوائهم تفرق كلمتهم وتشتت أسباطهم .

٢ — ولقد تولى قيادتهم ، بعد موسى ، القائد يهوشع بن نون . وكان هذا أحد الرواد الذين أرسلهم موسى لارتياد البلاد قبل دخولها . فأتاه بأخبارها ، وقال له إن فيها قوماً جبارين . وبعد وفاته تولى قيادة بني قومه؛ فنجح ،وتمكن من إخضاع عدد من المدن الكنعانية (١١٨٩ ق . م) . إن غزة وإن كانت قد اعتبرت في عهد يهوشع بن نون هذا ، من أملاك سبط يهوذا ، إلا أن اليهود لم يتمكنوا يومئذ من اخضاعها وإذلالها ، فظلت بعيدة عن نفوذهم .

٣ — وبعد يهوشع جاء حكم القضاة وعددهم ١٤ . وكان تاريخهم عبارة عن مشاغبات وانقسامات . وظلوا كذلك حتى صار (شاؤول) ملكاً عليهم (١٠٩٥ ق.م) كان هذا يدعى طالوت . وقد حارب الفلسطينيين وانتحر في إحدى معاركه معهم .

٤ — ولما اعتلى داود عرش الملك (١٠٥٥ ق . م) على أثر موت اشبال بن شاؤول؛ حارب الفلسطينيين وانتصر عليهم واستولى على (غات) ، وسار في فتوحاته نحو الشمال . انه من الأنبياء المرسلين . وهو أنبغ رجل قاد اليهود بعد موسى . كان بطلا ، وكان شاعراً ، وكان موسيقياً ملحناً . هذا بالإضافة إلى أنه كان ملكاً .

٥ — وأما (غزة) فانها لم تدخل في حكم بني اسرائيل إلا في أيام سليمان (١) الذي اعتلى منصة الحكم بعد أبيه داود (٩٦٠ — ٩٣٠ ق . م) . فقد كان له جيش جرار (٢)، ودانت له هذه البلاد من الفرات حتى التخوم المصرية . وعلى قول

---

(١) يعتقد الغزيون أن سليمان هذا ولد بغزة . ولم يرد في الكتب والاسفار ما يؤيد ذلك .

(٢) اقرأ الاية ١٧ — ١٨ من سورة النمل : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . » وقد جاء في معجم البلدان أن وادي النمل هذا واقع بين بيت جبرين وعسقلان . وقيل انه بظاهر عسقلان .

أن فرعون أهداها إلى سليمان(١) في عرس ابنته. وقد انشأ في ايلة(٢) المراكب البحرية، فتمت له السيطرة على الطرق التجارية، بين الشام ومصر من جهة، وبين بلاد العرب وغزة من جهة اخرى. لم يحارب كثيراً كما حارب أبوه داود. ولكنه عمر وانشأ وفرض الضرائب الكثيرة. وكانت هذه على عهده تجبى من الماشية والغلال. ويظهر أنها كانت من الكثرة بدرجة جعلت شعبه يتبرم. فكان هناك تبرم، وكان انقسام، وكان ذلك فاتحة تخاذل وانهزام لبني اسرائيل.

٦ — وفي زمن (رحبعام بن سليمان) ضعفت شوكتهم. وما هي إلا برهة، حتى انقسموا إلى شيع واسباط، وانقسمت البلاد إلى مملكتين: «اسرائيل» في الشمال و«يهوذا» في الجنوب. ومع أن غزة كانت من نصيب يهوذا (٣) إلا أنها سرعان ما شقت عصا الطاعة عليهم، فناصبتهم وناصبوها العداء. وعاد الفلسطينيون فاستولوا عليها.

٧ — إن بني إسرائيل وإن كانوا عند احتلالهم هذه الناحية من البلاد، قد تمكنوا من تشتيت شمل الكنعانيين(٤) والعناقيين(٥)، إلا أنهم لم يتمكنوا من قهر المديانيين (٦) والعمالقة والفلسطينيين..

---

(١) «وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر الى أرض فلسطين والى تخوم مصر ..... من تفسح الى غزة على كل ملوك عبر النهر. وكان له صلح من جميع جوانبه، وسكن يهوذا واسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان الى بئر سبع كل أيام سليمان» ملوك الاول ٤ : ٢١ — ٢٥.

(٢) العقبة.

(٣) «وأخذ يهوذا غزة وتخومها، واشقلون وتخومها، وعقرون وتخومها.» قضاة ١ : ١٨

(٤) «وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانيين. وكانت تخوم الكنعانيين في صيدون حينما تجيء نحو جرار الى غزة.» سفر التكوين ١٥ : ١٩.

(٥) «وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل اسرائيل حرمهم يشوع مع مدنهم فلم يبق عناقيون في أرض اسرائيل لكن بقوا في غزة وجت واشدود.» سفر يشوع ١١ : ٢١ — ٢٢

(٦) «وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب. فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزت يد مديان على اسرائيل. واذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق وينزلون عليهم ويتلفون غلة الارض الى مجيئك الى غزة، ولا يتركون لاسرائيل قوة الحياة ولا غنما ولا بقراً ولا حميراً فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين.» سفر القضاة ٦ : ١ — ٦.

ولا سيما الفلسطينيون فقد قاوموهم أشد مقاومة عرفها التاريخ ، وكانت غزة من امهات المدن الفلسطينية التي وقفت سداً منيعاً في وجوههم ، وأبت الخضوع لحكمهم. فكان عداء ، وكان خصام ،وكانت الحرب سجالا بين الفريقين : تارة تغلب غزة وطوراً تغلب على أمرها . وكذلك كان الحال مع اشقلون واشدود وعقرون من المدن الفلسطينية . وكثيراً ما كان الغزيون يحتالون على بني اسرائيل،ويعتدون على أولادهم فيسبونهم ويبيعونهم لعرب الجنوب سكان آدوم . وكان هؤلاء يحملونهم إلى اسواق مصر . ولا عجب إذا غضب بنو اسرائيل على غزة . إذ كانوا يعدونها شوكة في جسم مملكتهم . ولذلك حمل عليها انبياء بني اسرائيل حملة شعواء،وراحوا يصبون عليها جام غضبهم ويتمنون لها الخراب والدمار .

وإذا كنت في شك من قولي هذا فاليك أسفار العهد القديم ، إن فيها من الأمثلة ما يغني عن البيان : —

آ جاء في الاصحاح الاول من سفر عاموس ٦ — ٧ ما يأتي : « هكذا قال الرب. من أجل ذنوب غزة الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه . لانهم سبوا سبياً كاملا لكي يسلموه إلى آدوم . فارسل ناراً على سور غزة ،فتأكل قصورها؛ وأقطع الساكن في اشدود ؛ وماسك القضيب من اشقلون ؛ وارد يدي على عقرون ، فتهلك بقية الفلسطينيين . »

ب وفي الإصحاح الثاني من سفر صفنيا ١ — ٦ : « اجتمعي أيتها الامة غير المستحية قبل ولادة القضاء ... قبل أن يأتي عليكم يوم غضب الرب . لأن غزة تكون متروكة ، واشقلون للخراب ، واشدود عند الظهيرة يطردونها، وعقرون تستأصل . ويل لسكان ساحل البحر امة الكريتيين . كلمة الرب عليكم . يا كنعان أرض الفلسطينيين إني اخربك بلا ساكن ..... »

ج وفي الإصحاح التاسع من سفر زكريا ٣ — ٦ : « وقد بنت صور حصناً لنفسها ، وكونت الفضة كالتراب ، والذهب كطين الأسواق . هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها . وهي تؤكل بالنار . ترى اشقلون فتخاف، وغزة فتتوجع جداً ، وعقرون . لأنه يخزيها انتظارها . والملك يبيد من غزة، واشقلون لا تسكن ، ويسكن في اشدود زنيم ، واقطع كبرياء الفلسطينيين . »

٨ — وقد ظل النضال مستمراً بين بني اسرائيل والفلسطينيين، من زمن شمشون

الجبار (أي حوالي القرن الحادي عشر قبل المسيح) ، إلى عهد المكابيين (أي حوالي القرن الثاني قبل المسيح)

وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى قصة شمشون، هذا الذي كان يكره الفلسطينيين بوجه عام ، وغزة بوجه خاص . تلك القصة التي ذكرناها بحذافيرها في مكان آخر من هذا الكتاب منقولة عن سفر القضاة ، والتي تتلخص في أن شمشون المشهور، ذهب إلى غزة ، ورأى امرأة زانية ، فدخل إليها، فقيل للغزيين: قد أتى شمشون إلى هنا . فأحاطوا به ، وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة ، فهدأ الليل كله قائلين عند ضوء الصباح نقتله . فاضطجع شمشون إلى نصف الليل ، ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعهما على كتفه وصعد بهما إلى رأس الجبل[1] الذي مقابل حبرون .

وقد تمكن الفلسطينيون بعدئذ من أسره بمساعدة (دليلة) الغزية ، إلا أنه قتل نفسه وقتل معه عدداً كبيراً من اعدائه الفلسطينيين تحت انقاض الهيكل. وكان يعرف انه بعمله سيقتل ، لكنه رضي بهلاكه ما دام في ذلك هلاك لأعدائه ايضاً . وراحت كلمته المشهورة يومئذ (بي وبأعدائي يا رب !) مضرب الأمثال ! ...

٩ — ظل اليهود في تشاحن وانقسام ، وظلوا نهباً مقسماً بين الملوك المجاورين لهم من الشمال والجنوب، إلى أن تغلب (سرجون) الثاني الآشوري عليهم سنة ٧٢٢ ق.م. وسبى اسباطهم . ثم تمكن (بخت نصر) الكلداني من اخضاعهم ؛ ففتح القدس ، وخربها . ثم أمر بسبي اليهود إلى بابل . وكان ذلك حوالي عام ٥٨٦ ق . م . وبذلك زال استقلالهم ، وزالت دولتهم .

١٠ — وظلوا على هذه الحال ، من فقدان الحرية والاستقلال ، اثناء الفتح اليوناني أيضاً . لا ، بل قد ازداد يومئذ الاضطهاد الموجه إليهم. ولما بلغ السيل الزبى، وحاول السلوقيون إرغامهم على ترك دينهم ، والتدين بالديانة اليونانية على عهد انطوكيوس الرابع (١٧٤ — ١٦٤ ق . م) ثارت العائلة المكابية . وقامت ، لا لتدافع عن الديانة اليهودية فحسب ، بل ولتسترد استقلال الشعب اليهودي . ذلك الاستقلال الذي فقدوه منذ السبي .

---

(١) يعتقد انه (تل منطار) .

١١ — فاز المكابيون في بادىء الأمر ، واستقلوا (١٦٧ق.م). وقدظهرمنهم خمسة رؤساء وسبعة ملوك ، إليك اسماءهم : —

(آ):الرؤساء		(ب) : الملوك	
١ : متاتياس	١٦٧ق.م	١: ارسطوبولس الاول بن هركانس	١٠٥ق.م
٢ : يهوذا (إبنه)	١٦٦ق.م	٢: اسكندر (اخو ارسطوبولس)	١٠٤ق.م
٣ : يوناثان(أخو يهوذا)	١٦٠ق.م	٣: الكسندرا (امرأته)	٧٧ ق.م
٤ : سمعان (أخو يهوذا)	١٤٣ق.م	٤: هركانس الثاني(ابن اسكندر)	٦٩ ق.م
٥ : هركانس الاول	١٣٤ق.م	٥:ارسطوبولس الثاني(ابن اسكندر)	٦٧ ق.م
		٦:هركانس الثاني أيضاً	٦٢ ق.م
		٧:انتيكانس (ابن ارسطوبولس الثاني)	٣٧ ق.م

١٢ — وقد جاء ذكر غزة في عهد المكابيين مراراً عديدة . ويظهر أنها كانت قوية . وقال بعضهم انها كانت يومئذ أمنع مدائن فلسطين الجنوبية على الاطلاق .

اسمع ما جاء عنها في العهد الجديد : « وخرج يوناثان(١) وطاف في عبر النهر وفي المدن . فاجتمعت لمظاهرته جميع جيوش سوريا . وقدم اشقلون ، فلاقاه أهل المدينة باحتفال .

وانصرف من هناك إلى غزة فأغلق أهل غزة الأبواب فى وجهه ؛ فحاصرها ، وأحرق ضواحيها بالنار ، ونهبها ؛ فسأل أهل غزة يوناثان الأمان ، فعاقدهم ، وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن ، وأرسلهم إلى اورشليم . ثم جال في البلاد إلى دمشق (٢).

ويظهر أن هذه التدابير القاسية لم تجد نفعاً ، وانها لم تكن لتلين من قناة الفلسطينيين ، إذ أنه لم ينقض على ذلك يوم أو بعض يوم حتى احتلها شمعون(٣) وأراد أن يجعلها مدينة يهودية ؛ إلا أنه لم يفلح كثيراً .

إسمع أيضاً ما جاء عن غزة في الاصحاح الثالث عشر ٤٣ — ٤٨ من سفر المكابيين: « نزل سمعان (وهو أخو يوناثان) الكاهن الاعظم لليهود وقائدهم على غزة ،

---

(١) الكاهن الاعظم لليهود فى القدس وقائد الجيش الاسرائيلي فى ذلك الوقت .

(٢) مكابيين ١١ : ٦٠ — ٦٢

(٣) يقول الكاتب الاسرائيلي ويلنائى أن ذلك جرى عام ١٤٥ ق.م.

وحاصرها بجيوشه ؛ وصنع دبابات وأدناها من المــدينة ؛ وضرب أحد البروج ، واستولى عليه ؛ وهجم الذين في الدبابة على المدينة فوقع اضطراب عظيم في المــدينة وصعد الذين في المدينة مع النساء والأولاد إلى السور ممزقة ثيابهم ،وصرخوا بصوت عظيم إلى سمعان يسألونه الأمان؛ وقالوا لا تعاملنا بحسب مساوئنا،بل بحسب رأفتك. فرق لهم سمعان ، وكف عن قتالهم ، واخرجهم من المدينة ، وطهر البيوت التي كانت فيها أصنام ؛ ثم دخلها بالتسبيح والشكر ، وأزال بها كل رجاسة . واسكن هناك رجالا من المتمسكين بالشريعة ، وحصنها ، وبنى له فيها منزلا . »

١٣ — ولما اختلف الاخوان المكابيان (ارسطو بولس وهركانس) من أجل الملك أخذ كلاهما يتقرب من القائد الروماني (بومبي) ويرسل إليه الهــدايا ويقدم له الطاعة على أمل أن يفوز على أخيه . فاهتبل بومبي هذه الفرصة وقضى على استقلالهم (عام ٦٥ ق . م) . ثم جاء إلى غزة التي كانت خاضعة للمكابيين،فأعادإليها حريتها. وبعمله هذا قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاماً تلك الحرية التي لم تدم زمناً طويلا.

١٤ — وكذلك فعل المكابيون في زمن (يوليوس قيصر) فقد قدم إليه (انتيباتر)(١) مستشار هركانس جيشاً ليعاضده في حربه ضد المصريين . ولما انتصر يوليوس قيصر اقامه نائباً عنه في فلسطين سنة ٤٨ ق.م ولكنه قتل بايعاز من هركانس

١٥ — ولما تولى انتيباتر امر البلاد تصرف بها كما شاء . وأقام اولاده حكاماً عليها . ومنهم هيرودوس الشهير .

١٦ — يقول المؤرخ يوسيفوس أن اهالي قيسارية ذبحوا عشرين الفاً من اليهود واخلوا المدينة منهم . فثار ثائر اليهود في الانحاء الاخرى انتقاماً لاخوانهم ، وازدادت نيران غضبهم ،عندما أراد الرومان إلحاق فلسطين بولاية الشام الرومانية . فتمردوا وقاموا ببعض الأعمال التخريبية في بعض المدن ومنها غزة .إلا أن الرومان قهروهم على يد (تيطس) وكان ذلك عام ٦٦ ب . م .

ويقول شورر Schürer مؤلف (تاريخ الشعب اليهودي في زمن المسيح) إنه لم يخرب يومئذ من غزة سوى قسم منها . إذ لا يعقل أن تتمكن عصابة مؤلفة من فلول اليهود من تخريب حصن متين كحصن غزة في ذلك الحين .

(١) كان انتيباتر هذا آدومى الاصل يهودى المذهب .

١٧ — ولما كان قد حظر على اليهود دخول القدس في اواخر حكم الرومان ، فقدجاءوا إلى غزة لتأدية الصلاة(١) . وهناك من يقول انهم كانوا يغشون اسواقها بقصد التجارة . غير أن المؤلف الانكليزي ماير يقول في كتابه (History of the City of Gaza) أن اليهود كانوا في ذلك العهد يتجنبون دخول هذه المدينة بسبب مبادىء سكانها ، وعقائدهم الدينية . إذ كانوا في تلك الأيام لا يزالون يعبدون الأوثان .

١٨ — ولم تقم لليهود قائمة في فلسطين بعد حادث تيطس (٢) المتقدم ذكره . كما أنهم لم يكونوا لهم في غزة كياناً اجتماعياً مستقلا . وكل ما فعلوه بعد ذلك التاريخ ، أنهم كانوا يزورونها افراداً وجماعات منفردة ولمدد قصيرة الأجل ؛ ثم لا يلبثون أن يغادروها إلى مكان آخر .

١٩ — وقد كان الفتح الاسلامي ،عهد سلم وبركة لليهود . إذ ذكر التاريخ أنه كان في غزة، في القرنين السابع والثامن ، يهود كثيرون . ولما كان القرآن قد حظر صنع الخمر وشربه ، فقد احتكر اليهود هذه الصناعة في غزة خلال القرون الوسطى ، وظلت تجارتها بأيديهم زمناً طويلا ، حتى أنه كان لهم (أي لتجار الخمر من اليهود) مستعمرة خاصة في ميناء ميوما .

٢٠ — وفي اوائل القرن التاسع عاش في غزة حاخام يهودي يدعى موسى هنقش الغزاوي משה הנקש وكان هذا رئيساً للطائفة اليهودية ؛ وقد هاجر يومئذ عدد كبير من أفراد هذه الطائفة إلى مصر ، فاستوطنوها . وكان رئيسهم فيها افرايم بن سمحا الغزي .

٢١ — وفي عام ١٠٢٦ م كان يعيش في غزة شاعر يهودي يدعى (يشوع بربي ناتان) ישועה בירבי נתן وقد ألف هذا كتاباً رثى فيه إبنه الذي لاقى حتفه في غزة . ويظهر أنه كان عضواً في محكمة كنائسية شرعية يهودية ،

---

(١) מדריך ארץ - ישראל للكاتب اليهودي ويلنائي .

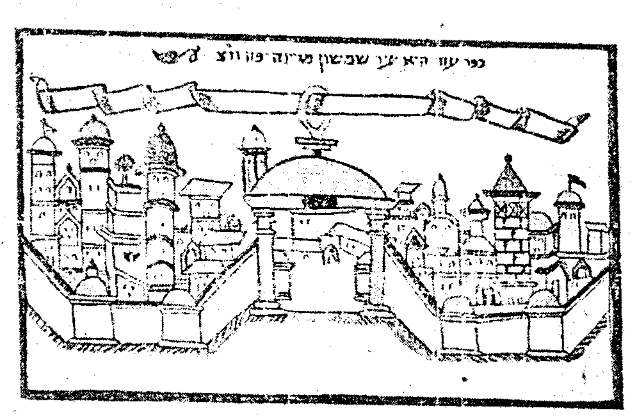
(٢) قال (كارمان غانو): « لما دخل المسلمون أرض اليهودية لم يجدوا فيها يهوداً . لأن حروب فسباسين ، وتيطس ، وتراجان ، وادريانوس ، واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية . وزالت من فلسطين جميع التقاليد اليهودية . »

بدليل أنهم عثروا على كتاب في مصر موقع من قبله ، بصفته عضواً في محكمة . وقد بعث بكتابه هذا إلى الجمعية اليهودية في مصر جاء فيه أن عدداً كبيراً من يهود غزة رحلوا إلى مصر. وتألفت جمعية كبيرة لليهود هناك رئيسها افرايم بن شماريا אפרים בן שמריה الغزي . وقد جاء في الكتاب المذكور أيضاً أن حاكم غزة مستبد ، وأن الغزيين هربوا من ظلمه . وفيه بيان للأسباب التي حدت بالناس ولا سيما اليهود لمغادرة غزة .

٢٢ — وقد مر من غزة عام ١٢١٦م الشاعر اليهودي المشهور يهودا الحريزي יהודה אל-חריזי

٢٣ — قال الكاتب اليهودي ويلنائي انه كان في القرن الرابع عشر في غزة طائفة يهودية ، وان هذه الطائفة هي التي اكتشفت منزل شمشون الذي هدم .

٢٤ — وفي عام ١٤٨١ زار غزة الحاخام ميشولام משולם فقال عنها « إن فيها خبزاً ، ونبيذاً جيداً ؛ وإن اليهود فقط هم الذين يصنعون النبيذ ؛ وإن فيها ستين عائلة يهودية ، وكنيساً صغيرا ، ولكنه جميل للغاية . »



مدينة غزة — عام ١٥٩٨

٢٥ — وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر أيضاً ، كان في غزة طائفة يهودية ، وكان أكثر افراد هذه الطائفة يشتغلون بالصناعة والتجارة، وكانت تجارتهم مع مصر . وهناك في ايطاليا صورة لغزة رسمها باليد رسام يهودي عام ١٥٩٨ ، وقد كتب عليها هذه الكلمات : (غزة بلد شمشون مدينة جميلة) ويظهر أن فئة قليلة

من هذه الطائفة كانت يومئذ تحترف الزراعة ، بدليل أن رجالها سألوا الحاخام الأكبر قائلين: (أيجب علينا أن ندفع ضريبة الاراضي ؟).

٣٦ — وقد مر من غزة عام ١٦٦٠ م شبتاي تسفي שבתי צבי في طريقه من مصر . ورافقه في رحلته تلك ناثان נתן النبي الغزي[١] الذي كان من أخلص تلاميذه . وقد اتخذها شبتاي بعد ذلك مركزاً للدعاية التي كان يقوم بها .

٣٧ — وعندما احتل نابليون غزة عام ١٧٩٩ م ، غادرها الشطر الاكبر من اليهود الذين كانوا فيها ؛ حتى انه لم يبق واحد منهم في عام ١٨١١ . وظل كنيسهم مهجوراً ، ينعق فوقه وفوق المقبرة اليهودية بوم الخراب .

٣٨ — ولما احتل ابراهيم باشا غزة عام ١٨٣١ م أمر بأن يبنى سور عسقلان من أنقاض الكنيس اليهودي المتقدم ذكره .

٣٩ — وفي عام ١٨٨٠ م ابتدأ اليهود يقطنون غزة من جديد .

٣٠ — ولما زارها الحاخام يحي ئيل بريل יחיאל בריל عام ١٨٨٢ م وجد فيها يهوداً تجاراً ؛ وكان أكثرهم يتعاطون تجارة (الحنضل) ، فيصنعون من جذوره الأدوية ، ويصدرونها للخارج . وقد زار هذا حارة اليهود ، ورأى على بعض الأبواب (الكلمات العشرة) وفوقها كلمة (שדי) إشارة إلى الله . ورأى جماعة من الكاثوليك يبنون كنيسة لهم حيث كان الكنيس اليهودي المتهدم[٢] مبنياً من قبل . وقد قرأ على حجر من الحجارة التي رفعها العمال عند حفرهم أساس تلك الكنيسة الكلمات التالية مكتوبة باللغة العبرية :

« ليرسلني الإله الذي أنقذني من كل سوء إلى اورشليم ! »

---

(١) מדריך ארץ - ישראל للكاتب اليهودي ويلنائي

(٢) يقول الكاتب اليهودي ويلنائي ان قسماً من أعمدة المسجد العمري الكبير بغزة من بقايا الكنيس اليهودي المتهدم . ويقول كامل افندي المباشر من أعيان غزة انه كان للكنيس اليهودي المتهدم هذا باب يمكن فكه إلى شقف متعددة . وان اليهود نقلوا هذا الباب الى الخليل وركبوه على باب من أبواب كنيسهم هناك .

وهناك حجر آخر وجدوه في غزة من بقايا هذا الكنيس .



حجر من بقايا كنيس يهودي

٣١ — وقد كان في غزة عند الانقلاب العثماني واعلان الدستور عام ١٩٠٨ م مئة وستون يهودياً ، ثلاثون منهم كانوا من السفراديم .

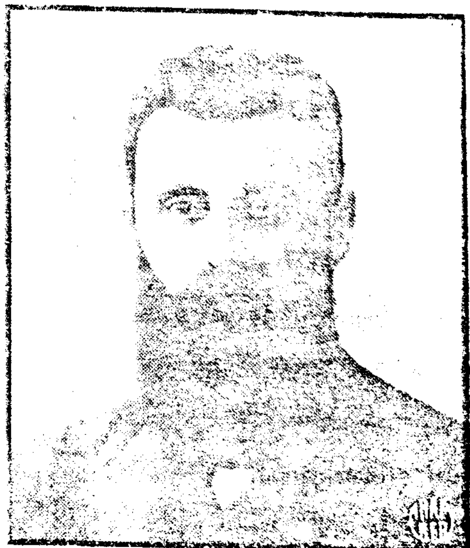
٣٢ — واستوطن غزة عدد قليل من العائلات اليهودية قبيل الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) ؛ وكان فيها ثلاثون(١) عائلة يهودية ، ومدرسة ، وكنيس(٢) ، وحمام ؛ وكان يطلق على شارع البحر (السبتية) . وكانت حارة(٣) من حارات غزة بأسرها تسمى (حارة اليهود) .

---

(١) من هذه العائلات اليهودية (آل الكائيم) **אל-קיים** ، وايسمان **ויסמן** ، آرواس **ארואס** . أما عائلة آل الكائيم فقد كانت تتعاطى تجارة الحبوب ، ثم هاجرت من غزة بعد الحرب . وأما عائلة وايسمان فقد كان لها طاحون لطحن الحنطة والحبوب . وأما عائلة آرواس فانها كانت تتعاطى تجارة الحبوب والصرافة ، ورئيسها اسحق آرواس .

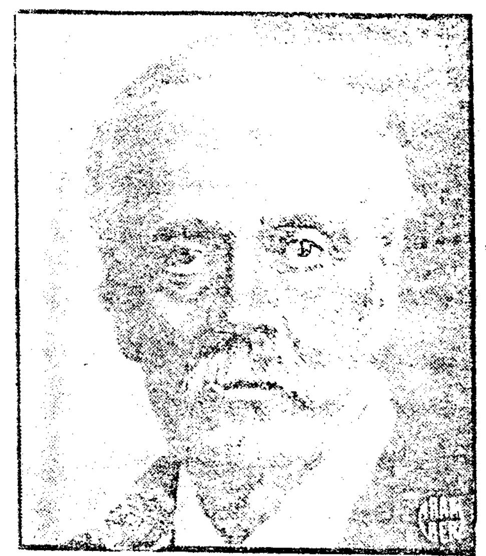
(٢) تقرير ملز عن الاحصاء بفلسطين عام ١٩٣١ .

(٣) قسم من حي الكمالية في الوقت الحاضر ، وهو ملك من املاك عائلة المباشر .



تيودور هرتسل

٣٣ — وقصارى القول ، كان اليهود يعيشون والعرب في حارات غزة جنباً إلى جنب ، إلى أن وضع ثيودورهرتسل الفكرة الصهيونية وأسس الجمعية الصهيونية ١٨٩٧ وأصدراللوردبلفور وزير الخارجية البريطانية وعده المشهور فقال في كتاب أرسله إلى اللورد روتشيلد بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ما يأتي : « عزيزي اللورد روتشلد ! يسرني جداً أن ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضى إلى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك . على أن لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان . »



اللورد بلفور

عندئذ أخذ العرب ينظرون اليهم نظرة بغض وازدراء . وراحوا يفكرون في التخلص منهم ، ومن وعد بلفور . وقامت في البلاد الفلسطينية ثورات عديدة ضد اليهود ، وضد الانتداب . واشتركت غزة في جميع هذه الثورات بقدر ما سمحت به ظروفها الخاصة . ولقد تحرج موقف اليهود في غزة بسبب ثورة عام ١٩٢٩ فغادروها . وعلى قول أن الحكومة ارغمتهم على مغادرتها. وكان فيها يومئذ ستون عائلة يهودية، فغادروها فعلا وبحراسة الجند. ولم يرجع اليها منهم أحد بعد ذلك التاريخ .

غزة
في عهد الاشوريين

استولى الاشوريون على غزة في عهد ملكهم (تيغلات بلازر [1]) الاول، وكان ذلك في سنة ٧٣٤ ق. م. وكانوا يسمونها يومئذ (عزاتو). وقد ضربوا عليها الجزية، فتحالفت مع مصر ضدهم. فعاد فرعون اليها. ثم جاءها (سرجون) بجيوشه الجرارة، فاخضعها، وأسر ملكها (حانون) عام ٧٢٠ ق. م. لانه طلب حماية الفراعنة. وسرجون هذا هو الذي نقل اصنام غزة ووطد سلطة الآشوريين فيها، فأخذت تدفع الجزية بانتظام واستمرار الى آشور. وسميت غزة على عهده (مارنا) او (سيدنا). وظلت راضخة لسلطة الآشوريين في عهد ولده (سنخريب) عام ٧٠٥ ق. م، ثم في عهد ولده (اسرحدون [2]) عام ٦٧٤ ق. م، ثم في عهد حفيده (آشور بانيبال) عام ٦٥١ ق. م. وظلت كذلك حتى عام ٦٠٩ ق. م حيث جاء اليها (نيخو الثاني) واعادها الى حظيرة المملكة المصرية بقوة السلاح.

وبعد ان اخضع نيخو غزة، سار نحو الشمال بجيش جرار. وفاجأ الآشوريين عند الفرات قبل ان يتهيأ هؤلاء ويستعدوا لمقاومته. وبعبارة افصح كان الآشوريون يومئذ من الضعف والانحلال على حال لم تمكنهم من مقاومة المصريين. فانسحبوا من امامه، ولما لم يجدهم، رجع الى مصر بعد ان احتل جميع سوريا وفلسطين، وفرض عليهما الجزية. ولكنه بعد برهة قصيرة اضطر ان يتخلى عن فلسطين وسوريا معاً، فانسحب منهما بالمرة؛ ودخلت هذه البلاد تحت حكم البابليين.

٢ — لم يكن الآشوريون يرمون الى احتلال غزة نفسها. بل كانوا يطمحون الى ما وراءها من البلاد كمصر، وليبيا، والحبشة، والبلاد الواقعة في حوض البحر الأحمر والبحر الابيض المتوسط. ولذلك كان لهم دوماً جيش كبير. وكان جيشهم هذا دوماً على اهبة النزال والنضال. وكان مدرباً، ومساحاً بادوات مصنوعة من

---

(١) ويقال له ايضاً (نحلات فلاصر) الاول.

(٢) غزا هذا قبائل العرب، وقضى على ملك المعينين وسيطر على طرق التجارة.

الحديد . وكان رجاله مزودين بالسيوف ، والنبال ، والتروس ، والاقواس ،والرماح، وكانت لهم مركبات خفيفة ، يجر الواحدة منها حصانان ؛ وكانوا يستعملون هذه المركبات في ميادين القتال ؛ وكانت لهم وسائل نقل منظمة ؛ وكانوا يستعملون اجهزة متينة ومعدات متقنة للحصار كالسلالم والمنجنيقات وغير ذلك من الادوات التي تسهل لهم دك الاسوار ،واختراق الحصون. ولذلك كان الرعب والفزع يسبقهم في حروبهم .

٣ — ولقد فاق الآشوريون البابليين والمصريين من حيث التنظيم الاداري (١) فقد سنوا الانظمة المتقنة للبلاد التي احتلوها ، وكانوا يضيقون نطاق الولايات مخافة أن تتقوى الواحدة فتنفصل عنهم ، وكانوا حين نشوب ثورة في إحدى هذه الولايات يعزلون أميرها الوطني ، وينصبون مكانه واحداً منهم . وكان من واجبات هذا الحاكم أن يحفظ النظام ، ويرسل التقارير عن حالة مقاطعته الى الحكومة المركزية ، وأن يجمع الضرائب ويرسلها الى العاصمة ، بعد أن يبقي منها مقداراً يحتاج اليه في إدارة البلاد التي جمعت منها . ولم يهتموا بترقية الشؤون الصناعية ، والتجارية . وكان كل اهتمامهم معطوفاً نحو سلب هذه البلاد ،وجمع ما فيها من ذهب وفضة وأمتعة نفيسة .



(١) راجع كتاب (العصور القديمة) لبرستد

غزة وبابل

إن أول من اكتسح هذه البلاد من ملوك بابل هو (سرجون الاكاري) ، ثم إبنه (نارام سين) ، وهما من أصل سامي . ولكن حكم هذين الملكين لم يعمر طويلا، إذ لم يكن المصريون ليتركوا لهما مجالا للراحة .

٢ — ولما تضعضع الحكم الفرعوني في البلاد على عهد نيخو الثاني (٦٠٩)ق.م، اقتسم خصومه البلاد التي كان قد احتلها .فكانت سوريا من حق (نابوبولصر)[١] ملك بابل . ولما كان هذا من الشيخوخة بدرجة لا يستطيع معها الحرب ، جاء ابنه(نبوخذرزر)[٢] فتولى الأمر . وقامت بينه وبين فرعون مصر نيخو الثاني،عند الفرات معارك دامية (٦٠٥ ق.م) . فتغلب البابليون ،وقهروا المصريين. وكان نصر البابليين هذا قوياً بدرجة أن نيخو لم يحاول الاشتباك معهم في حرب مرة اخرى . وتخلى المصريون عن سوريا وفلسطين معاً . فدخلت هذه تحت الحكم البابلي.

٣ — أراد نبوخذ رزر أن يوطد أركان حكمه في فلسطين ، فلم يجد ثمةوسيلة لذلك سوى سبي اليهود ، فسباهم ؛ وأقصاهم عنها إلى العراق . ثم هبط غزة (٥٦٨ ق . م) ، وأخذ يستعد لمهاجمة مصر . إلا أنه على ما يظهر ،أحس بالشيخوخة فإنسحب إلى بابل قبل أن ينال بغيته . فانتدب ابنه (بختنصر) ليقوم باكمال هذه المهمة . وأمده بجيش كبير . بيد أن الأب مات قبل أن يبلغ الابن غايته . فاضطر هذا أن يسرع في الرجوع إلى بابل ، على أمل أن يعود لاتمام مهمته في فرصة اخرى . ولقد أعاد الكرة،فاحتل هذه البلاد ، واحتل غزة في طريقه إلى مصر . ثم احتل مصر ، وقتل ملكها ؛ وبعد أن أقام عليها عاملا من امرائه عاد إلى بلاده .

٤ — وبعد وفاة بختنصر خلفه في الحكم(آمل مردوق)عام ٥٦١ ق.م.لكنه خلع بعد سنة ، فتسلم زمام الملك من بعده (نرجال شارورزر) . وظل هذا متربعاً في دست الحكم حتى عام ٥٥٦ ق . م تخلفه إبنه بضعة أيام فقط . ثم ارتقى العرش

---

(١) وهناك من يسميه (نابو لو نصر) ايضاً .

(٢) وهناك من يسميه (نبوخذ نصر) ايضاً .

البابلي (نبونيد) .وكان هذا العرش يضم يومئذ تحت جناحه العراق ، وسوريا ، وشرق الاردن ، وفلسطين إلى التخوم المصرية في غزة . ولكن الفرس داهموه بقيادة ملكهم كورش الفارسي ، وقضوا عليه وعلى امبراطوريته .

٥ — لم يرتق عرش بابل بعد حمورابي[1] حاكم مثل (نبوخذ رزر) . إذ لم تلهه حروبه مع المصريين ، وانتصاراته على الامم المجاورة لبلاده عن واجبه من حيث العمران : فقد فتح الشوارع ، وأنشأ القصور ، وشجع العلوم ولا سيما علم الفلك ، ونشر التجارة والصناعة ؛ ولو لم يكن له من فضل سوى الجنائن المعلقة التي تعد من عجائب الدنيا السبعة ، لكفى .

٦ — لم تكن فلسطين مستعمرة بابلية بكل ما في كلمة الاستعمار من معنى ؛ بل كانت مستقلة استقلالا داخلياً ، تدفع ما عليها من ضرائب لبابل ، ثم تدير نفسها بنفسها كيف تشاء . ولم يدم الحكم البابلي في هذه البلاد سوى بضع مئات من السنين . وكان من آثاره أن ازدادت العوامل التجارية والاقتصادية مع بابل ، وانتشرت الكتابة المسمارية والبابلية ، وشاعت اللغة البابلية في السياسة والتجارة ؛ حتى أن المراسلات التي وجدت على ألواح تل العمارنة بمصر، كتبت باللغة البابلية . وأما اللغة التي كانت دارجة بين سكان البلاد، فقد كانت الكنعانية .

٧ — ولقد كانت غزة في عهد السيطرة البابلية مدينة كبيرة . غير أنها ما كانت يومئذ لتلعب دوراً كبيراً ، كالدور الذي لعبته فيما بعد في السياسة الدولية . وقد ذكرها المؤرخان هيكاتيوس وهيرودوتس فقالا عنها (انها مدينة كبيرة) .تلك كانت حالها قبل أن يحتلها الفرس .

---

(١) انه من حكام بابل، ارتقى اريكة الملك سنة ٢١٠٠ ق . م وهو واضع الشريعة المعروفة باسمه : (شريعة حمورابى) .

غزة في عهد الفرس

استولى الفرس على فلسطين عام ٥٣٨ قبل الميلاد . وأما غزة نفسها فقد احتلوها عام ٥٢٥ ق . م. وذلك في عهد ملكهم (قمبيز)(١) عندما سار هذا على رأس جحافله الجرارة لفتح مصر .

لم يرحب الغزيون بالفرس بادىء ذي بدء ، بل قاوموهم أشد مقاومة . ولكن هذه المقاومة لم تدم طويلا فاضطروا إلى الخضوع . ثم ائتلفوا مع الفرس ائتلافاً عجيباً حتى انهم حاربوا والفرس معاً جنباً الى جنب الفاتح المقدوني العظيم الاسكندر ، عند ما احتل هذا غزة (٣٣٢ ق . م) وانتزعها من يد الفرس .

٢ — وعندما احتل الفرس غزة ، اتخذوها مركزاً حربياً لحركات جيوشهم التي اعدوها لفتح مصر. ويقال إن لقب الثروة والغنى الذي اطلق على غزة يومئذ ، ناشيء عن العقيدة السائدة بأن ملك الفرس قمبيز دفن ثروته فيها .

٣ — قبل أن يغادر قمبيز غزة ، ويأمر جيشه بالزحف إلى مصر ليمتلك وادي النيل ، وطد صلاته مع الغزيين ؛ ثم عقد تحالفاً مع رؤساء القبائل البدوية الضاربة خيامها على الطريق ، ليمدوه بالماء الذي يحتاج إليه . وبهذا تم له عبور البادية وافتتاح مصر .

٤ — وقد تولى الملك بعده داريوس الاول (٥١٣ ق.م) فقام هذا باجراء تشكيلات ادارية جديدة في الممالك والبلاد التي افتتحها ، وجعل فلسطين الخامسة بين هذه الممالك . وكانت غزة يومئذ عامرة ومزدهرة ، فجعلها ذات إدارة مستقلة .

٥ — واصل العرب ارتيادهم لغزة في عهد الفرس كما كانوا يفعلون من قبل(٢)

---

(١) هو ابن كورش . ويقول الاستاذ ماير ان كورش هذا هو المعروف عند العرب بكسرى . وهناك من يقول ان غزة سقطت بأيدي الفرس في عهد كورش ، لا في عهد ولده قمبيز.

(٢) قال هيرودوتس ان العرب كانوا في عهد الفرس ، مستوطنين البلاد الساحلية جنوبي غزة ، وكانت مدينتهم الرئيسية يومئذ (Jenysos) . وقد اشير الى وجودهم هناك اثناء الفتح الفارسي . ولم يؤسس الفرس ، عند احتلالهم غزة ، قشلاقاً فيها . ولكنهم عندما رأوا زحف العرب المستمر نحوها أسسوا قشلاقاً . وبعد أن كانوا يبحثون عن سكان غزة كسوريين صاروا يبحثون عنهم كعرب اقحاح . وكان ذلك حوالي عام ٣٥١ ق.م.

وثاروا على رحلة الصيف التي اعتادوها ، وتجارتهم التي الفوها منذ سنين واحقاب . وكانت غزة لا تزال تعتبر في نظرهم مركزاً تجارياً هاماً يربط جزيرةالعرب ببر الشام وشواطيء البحر الابيض المتوسط . ودامت الحال على هذا المنوال حتى تعربت غزة واصبح المؤرخون يعتبرون الغزيين عرباً اقحاحاً .

إن زحف العرب المستمر من جهة، وثورة الفنيقيين من جهة اخرى، جعلت الفرس يفكرون في تقوية حاميتهم المرابطة في غزة فبنوا فيها قشلاقاً وكانوا يسمونها يومئذ (هازاتو). وكانت غزة في عهدهم مركزاً من المراكز الهامة لتجارة البخور.

٦ — ليس ثمة أي دليل على أن غزة أو أية مدينة من المدن الفلسطينية الاخرى قد اشتركت في الثورة التي اضطرمت نارها ضد الفرس في سوريا عام ٤٤٥ ق . م ؛ وفي قبرص واليهودية وفينيقيا عام ٣٥٣ ق . م . إلا أنها ، على ما يظهر من روايات بعض المؤرخين ، كانت تعطف على تلك الثورة . وكانت البلاد الثائرة تحسب لها حساباً ، وترضى أن تحتفظ بحيادها .

٧ — ذكرت غزة في فتوحات أرتاكسركس الاول (٤٦٦ ق . م) وداريوس الثاني (٤٦٤ ق . م)

وقد ظلت مخلصة لحكامها الفرس خلال حروبهم مع المقدونيين . حتى أن الاسكندر المقدوني عندما حاصرها عام (٣٣٢ ق . م) قاومته وجنده شهرين كاملين . وقد كان المدافعون عنها يومئذ مزيجاً من عرب وفرس .

٨ — كان قائد الحامية التي تولت الدفاع عن غزة في حرب الاسكندر (باتس) أحد قادة الفرس المشهورين . وكان شجاعاً . فعهد إليه ملك الفرس يومئذ داريوس الثالث بالدفاع عن غزة . فاستعد هذا لحصار طويل ، وسلح الغزيين ، وحشد في غزة كميات كبيرة من الذخائر والمؤن ، وعمر سورها ، وقد كانت محاطة بسور مرتفع لا تؤثر فيه المنجنيقات وآلات الحصار . حتى أن مهندسي الاسكندر انفسهم اعترفوا بعجز منجنيقاتهم عن تخريبه .

ولقد كان القسم الجنوبي للسور ضعيفاً فاختاره الإسكندر نقطة مؤاتية لبدء الهجوم الذي أعده . وقد شيد بالقرب منه برجاً كبيراً أعلى من السور ؛ فوضع عليه آلات الحصار ، وأخذ يرمي غزة منه بالمنجنيق . ولكن الفرس وحلفاءهم العرب

المدافعين عن المدينة لم ييأسوا ، بل قاموا بهجمات معاكسة ، وضيقوا الخناق على المقدونيين ، وعلى مهندسيهم . ويقال ان حربة من حراب الغزيين اخترقت درع الاسكندر فجرحته في كتفه ، وعلى قول في ركبته ؛ فانسحب المقدونيون ، ولم يفطن قائد حامية غزة إلى أن انسحابهم هذا كان خدعة حربية .

وقد استحضر المقدونيون من صور عدداً من آلات الحرب ، فاستعملوها . وقد أتموا البرج الذي انشأوه حول المدينة. ثم قاموا بأربع هجمات متتالية، فتمكنوا أولا من هدم جانب من السور ثم احتلوا المدينة بأكملها .

وكان الفاتح المقدوني الكبير على جانب عظيم من الغضب يوم فتح غزة ولا سيما لما أصابه من جرح اثناء الحصار . فلم يكد يدخلها ظافراً حتى أعمل سيفه في حاميتها اولا فذبحها عن بكرة أبيها . وكأن هذا لم يشف منه الغليل ، فقد انتقم لنفسه من السكان . فقتل منهم خلقاً كثيراً . وباع النساء والاولاد في السوق بيع العبيد .

وقد ذكر المؤرخون انه قتل اثناء حصار غزة من الفرس والعرب عشرة آلاف رجل ، جلهم من العرب . ولقد شنع الاسكندر في جسم (باتس) قائد الحامية تشنيعاً فظيعاً ، ثم طعنه بالرمح ، فخر صريعاً .

٩ — لم نعثر فيما عثرنا عليه من اطلال وآثار في هذه البلاد على أثر للفرس إلا الجور والمرابات التي حفروها في بطن الأرض . وإنك لتجد أينما سرت وحيثما حللت ، عدداً من هذه الجور التي وإن كانت محفورة في بطن الأرض ، إلا أنها متقنة الوضع محكمة البناء . والمظنون انهم كانوا يستعملونها كصهاريج لجمع الماء ومطامير لخزن الحبوب.

وأما من حيث السكان فانا لم نعثر، رغم البحث الطويل، على جماعة من السكان أو اسرة من الاسر التي تعيش في غزة أو حولها من بقايا الفرس . إلا في قرية جباليا الواقعة على مسافة ميلين من غزة للشمال، فان أكثر سكان هذه القرية — إن لم يكونوا كلهم — من بقايا الفرس. يدلك على ذلك سحنهم ، وتركيب اجسامهم ، ولا سيما لهجتهم اثناء الكلام . إنهم وإن كانوا يتكلمون اللغة العربية إلا أنهم يمطون الكلام بشكل لا يدع مجالا للريب بأنهم من أصل فارسي .



غزة
فى عهد اليونان



الفاتح المقدوني الكبير — الاسكندر

قلنا في ختام فصل الفرس إن الفاتح المقدوني العظيم (اسكندر الكبير)(١)

---

(١) إنه اسكندر الثالث ابن فيليب الثانى ملك مقدونيا وأوليمبيا . ولد عام ٣٥٦ ق . م . وتعلم على يد الفيلسوف اليونانى المشهور أريسطوطاليس . وقد دخل الحرب لأول مرة عام ٣٣٨ ق . م . عندما قاد جيشاً أرسله أبوه لمكافحة الثوار فى الجبال . وكان يومئذ فى السادسة عشرة من عمره . وقد جاء فى تفسير القرطبي أنه (ذو القرنين) الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم . اقرأ سورة الكهف : « ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم

استولى على غزة عام ٣٣٢ ق . م ، بعد حصار طويل ، وإن حاميتها كانت مزيجاً من العرب والفرس ، وإنه قتل في ذلك الحصار عشرة آلاف رجل جلهم من العرب.

٢ — اختلفت الآراء في مدة هذا الحصار : فمن قائل أنه دام شهرين ؛ ومن قائل اربعة شهور . ويظهر أن هذا الاختلاف في الرأي ناشيء عن الحقيقة التالية :

بدأ الاسكندر حصاره في شهر اغسطس من تلك السنة (٣٣٢ ق . م) ولكنه انسحب في شهري ايلول وتشرين أول إما بسبب الحر الشديد أو لأجل استكمال وسائل الحصار . ثم عاد فضيق الخناق عليها في شهر تشرين الثاني؛ وقد جاءها يومئذ من الناحية الجنوبية الغربية ، فاستولى عليها . ويعتقد السر فلندرس بتري أن الركام الكائن تحت المقبرة من تلك الناحية وحولها هو من بقايا غزة في ذلك العهد ،وأن شظايا الفخار المبعثرة هناك هي من بقايا ذلك العهد أيضاً .

٣ — كانت غزة يومئذ تحت رعاية وال أقامه فيها ملك الفرس داريوس ، واسمه باتس . وكان باتس هذا خصماً عنيداً فلم يشأ أن يسلم المدينة لخصمه ، بل حصنها . فحاصرها الاسكندر . إلا أنه لم ينل منها في بادىء الامر شيئاً . فغضب لذلك غضباً شديداً . وازداد غضبه عندما جرح من حربة اصابته اثناء الحصار في

منه ذكراً . إنا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سبباً . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكني فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً .قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً . »

قال ابن اسحق نقلا عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : « ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب . »

وفى حديث عقبة ابن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سألوه عن ذى القرنين : « إن أول أمره كان غلاما من الروم ، فأعطى ملكا ، فسار حتى أتى أرض مصر ، فابتنى بها مدينة يقال لها الاسكندرية . . »

وأما سبب تسميته (بذى القرنين) فقيل : إنه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بهما . وقيل : إنه رأى فى اول ملكه كأنه قابض على قرنى الشمس فقص ذلك ، ففسر أنه سيغلب ما ذرت عليه الشمس ، فسمى بذلك ذا القرنين . وقيل:لانه ملك فارس والروم.وقيل: لانه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعاً . وقيل . إنما سمى ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أمه وأبيه وهذا هو الارجح

كتفه . وعلى قول إنه أصابه سهم في صدره ، فاخترق الدرع وجرحه جرحاً بليغاً . فتألم ألماً شديداً. ولذلك عندما حمل عليها حملته الاخيرة وافتتحها، فتك فيها وفي سكانها فتكاً ذريعاً ، وباعهم بالسوق بيع العبيد . وأما باتس فقد لاقى منه ومن تعذيبه الأهوال ، مع أن الاسكندر كان قبل حصار غزة معجباً به ، وباخلاصه لمولاه . ويظهر أن السنتين اللتين قضاهما ، والأهوال التي لاقاها ، في الحروب جعلت قلبه كأنه قد من صخر ، فقال له عندما رآه لأول مرة بلهجة القائد المنتصر « إنك لن تموت الميتة التي ترغب فيها . بل ستعذب على أشنع وجه يعرفه الانتقام ، وستذوق الألم الشديد » . ولكن باتس لم يعبأ بهذا الوعيد ، كما أنه لم ينبس ببنت شفة . بل أخذ ينظر إليه نظرات تدل على الشجاعة والانفة ورباطة الجأش . فأمر الاسكندر قواده بأن يثقبوا قدميه ، ففعلوا . ثم ادخلوا في الثقبين حبلا ربطوه بعربة ، وأخذوا يجرونه من شارع إلى شارع ، ويطوفون به أحياء المدينة حتى فاضت روحه .

٤ — كانت غزة يومئذ أعظم مدينة في سوريا على الاطلاق(١) وقد وصفها مؤرخو اليونان (بالمدينة العظيمة) . وإن عظمتها هذه ترجع إلى الطيب واللبان من جهة ، ووقوعها على طرق التجارة والمواصلات من جهة اخرى . أي إن غزة كانت في ذلك الحين مدينة ذات أهمية من جهات عديدة : زراعية ، وتجارية ، وحربية . ولما فتحها الاسكندر وجد في دورها ومخازنها كميات هائلة من الذخائر والمؤن ؛ ووجد فيها أيضاً كنوزاً عظيمة ، وحلى ومجوهرات لا تقدر بثمن؛ ووجد فيها كميات كبيرة من الطيب ، واللبان ، والمرو ، والبخور وما إلى ذلك من المواد الغالية الثمن . فغنمها كلها . وأرسل قسماً كبيراً من غنائمه هدية إلى أصدقائه الكثيرين ، ومنهم اولمبياس ، وكليو بترا ، وإلى استاذه ومهذبه ليونيداس الذي كان ، قبل فتح غزة ، يؤنبه كلما رآه يسرف في استعمال الطيب والبخور . ولما تلقى هديته الثمينة أرسل إليه كتاباً يشكره فيه شكراً جزيلا ، وينصحه في نفس الوقت أن يبذل كلما في وسعه ليظل مسيطراً على بلاد خصبة ذات نتاج قيم كاللبان الذي أرسله له .

---

(١) "The Hand-Book of Palestine by Keith-Roch & Looke"

٥ — أدرك الاسكندر قيمة غزة الحربية والتجارية بعد فتحها، فاهتم بها أكثر من اهتمامه قبل فتحها. وبعد أن كان غاضباً على سكانها، عاد فعفا عنهم وعن الذين هربوا من وجهه منهم، وأمر ببناء مساكنهم التي تهدمت اثناء الحرب، وإعادتها إلى سالف عزها. ثم أحضر على حسب عادته من اليونان وآسيا الصغرى عدداً كبيراً من اليونانيين (١) ليسكنوها، كما أحضر إليها عدداً آخر من سكان القرى المجاورة، وسعى لمزج بعضهم بالبعض الآخر. وكان من عادة الاسكندر أنه إذا امتلك بلداً جعل عليها عمالا من أصحابه، وارفقهم بعدد كاف من الجند.

وبهذه الوسيلة ازداد التعامل بين غزة وبلاد اليونان، ذلك التعامل الذي كان نشيطاً اثناء الفتح الفارسي أيضاً. وأصبحت غزة مركزاً من أهم المراكز في الشرق لثقافة يونانية مزدهرة. واقتبس سكان غزة وباقي المدن الفلسطينية الاخرى الثقافة اليونانية، والفلسفة اليونانية؛ فحلت هذه محل الثقافة السامية، والفلسفة السامية. وراجت بين سكان غزة النقود المسكوكة باسم الاسكندر.



عملة الاسكندر

٦ — ولما هلك الاسكندر (٣٢٣ ق. م). قام قواده يقتتلون من أجل امتلاك فلسطين والسيطرة عليها. وكان كل واحد منهم مدركاً لاهميتها الحربية والاقتصادية. وما كاد ولده (لأنوميدون) يضع يده عليها حتى جاءه سوتر (بطليموس الأول) من مصر فضبطها منه، واحتل غزة. وكان ذلك في عام ٣٢٠ ق. م.

---

(١) المعجم اليوناني



سوتر (بطليموس الاول)

٧ — وفي سنة ٣١٥ ق . م أخذ (انتيغونوس) هذه البلاد من يد بطليموس ، لانه كان يعتبر نفسه الوارث الوحيد للاسكندر. وفي ربيع عام ٣١٢ ق . م . التقى الفريقان المتخاصمان ، بطليموس وانتيغونوس ، بجيشيهما في غزة . وهنا — في غزة — تقرر مصير مصر وسوريا معاً . في الجهة الواحدة (مصر) كان بطليموس ومعه قوة كبيرة من المقدونيين واليونانيين وعدد من السكان الاصليين ، قسم منهم مسلح وقسم غير مسلح؛ وفي الجهة الاخرى (سوريا) ديمتريوس ابن انتيغونوس ، ومعه قوة كبيرة من الجند ، وعدد من الفيلة . وكان الجانب المصري قوياً بدرجة انه استطاع أن يتغلب على خصمه رغم وجود الفيلة في صفوفه . فكان النصر حليفه . وغادر ديمتريوس غزة هارباً نحو الشمال ، بعد أن خسر في هذه المعركة ما يقرب من ٨٠٠٠ جندي .

إن (معركة غزة) هذه جديرة بالذكر والتدوين. لأن القائد المقدوني الذي كان يقود جيش بطليموس وهو الجنرال سيلوقس (Seleucus) أخذ منذ تاريخ تلك المعركة يدون وقائعه وانتصاراته ؛ فراح تدوينه هذا (تاريخاً جديداً) دعي فيما بعد بالتاريخ السلوقي(١) أو اليوناني . وسنأتي على ذكر هذا التاريخ بالتفصيل في مكان آخر من كتابنا هذا .

٨ — ثم عاد انتيغونوس وولده ديمتريوس في خريف السنة نفسها ، فأخرجوا بطليموس منها . ولكنه قبل أن يغادرها ، ويغادر المدن الاخرى التي كان قد امتلكها بحكم السيف مثل عكا ويافا ، خرب حصونها . وفي عام ٣١١ ق . م عقد

---

(١) « The Seleucidan Era » by Professor H. Graetz

الصلح بين الفريقين ، فأصبح انتيغونوس سيد غزة ، وسيد البلاد الساحلية كلها حتى مصر .

٩ — ثم جرت حروب عديدة بين مصر وسوريا ، وبالأحرى بين البطالسة والسلوقيين ، كانت نتيجتها أن اصبحت غزة والبلاد الفلسطينية الاخرى بلاداً مستقلة تابعة للبطالسة في مصر .

١٠ — عرف البطالسة بمراعاة أهل البلاد ، وعدم التدخل في عاداتهم وتقاليدهم . غير انهم اثقلوا كاهلهم بالضرائب . ومما هو جدير بالذكر عن غزة في عهدهم أن بطليموس انتدب[١] رجلا يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجباة [٢] في سوريا والبلاد الفينيقية . وخوله — بناء على طلبه — سلطة واسعة ، وارفقه بألفي جندي مستأجر لهذه الغاية ، ليتمكن من تحصيل الضرائب بالقوة عند اللزوم . فأصبح مدير المال هذا هو الحاكم الفعلي المسيطر على جميع بلاد فلسطين . وظل كذلك مدة (٢٢٢—٢٠٦ ق . م) ذاق الناس خلالها مر العيش . إذ أنه جمع الضرائب بالقوة من جميع البلاد دون أن يجد أية مقاومة ، إلا في غزة ، فقد لاقى مقاومة شديدة . وكان سكانها يومئذ مزيجاً من العرب واليونانيين . فاتحد هؤلاء في العمل ، واجمعوا على كرهه ، وامطروه بوابل من الشتم والأذى . فأمر يوسف بقطع رؤوس عدد كبير من اغنيائهم وزعمائهم ، وصادر اموالهم واملاكهم باسم الملك .

١١ — لم ينازع البطالسة منازع حتى عام ٢١٩ ق . م . عندما جاء ماغنوس (انتيوخوس الثالث) من سوريا ليحاربهم . فاحتل هذا غزة وحصنها تحصيناً منيعاً ، واتخذها مقراً لحركاته الحربية ضد مصر . فجرت معارك دامية بين الفريقين ، (انتيوخوس وبطليموس)، عند رفح . وكان ذلك عام ٢١٧ ق . م وكان النصر في هذه المعركة حليف بطليموس ، فاستولى على غزة والبلاد الفلسطينية كلها .

---

(١) « History of the Jews » by Professor H. Graetz

(٢) وعلى قول المؤرخ يوسيفوس ان يوسف هذا التزم جميع الضرائب من جميع البلاد التزاما ، بعد ان حرض الملك بطليموس على زعماء البلاد وكان كل زعيم ورجل نافذ يلتزم اموال بلده ويقدم للدولة مبلغاً معيناً من المال :

١٢ — وفي عام ٢٠١ ق . م أعاد انتيوخوس الثالث الكرة فقام يسعى لغزو مصر. ولم يلق أية مقاومة في سوريا وفلسطين إلى أن اقترب من غزة . فصدته هذه، وقاومته مقاومة عنيفة ؛ ولم يستطع الاستيلاء عليها إلا بعد حصار طويل .

١٣ — وقد حاول المصريون بعد ذلك بعام واحد أن يستردوا ما فقدوه في العام الذي قبله . ونالوا بعض النجاح ، واستولوا على غزة ، وعلى الشطر الأكبر من فلسطين . إلا انهم بعد حين (١٩٨ ق . م) اصيبوا بالفشل ، فاضطروا الآن يغادروا هذه البلاد ، بعد أن قطعوا كل أمل فيها . واصبحت منذ ذلك التاريخ تابعة لدولة السلوقيين في سوريا .

١٤ — ولقد زوج انتيوخوس بنته كليوبترا إلى ولي عهد المملكة المصرية ، وكان يرمي من وراء هذا الزواج إلى تمهيد السبيل لعهد سلمي ثابت . وكهدية لها في عرسها أعطاها القسم الجنوبي من سوريا ، وكانت غزة أثمن قسم من هذه الهدية .

١٥ — وبعد وفاة كليو بترا قام اخوها ابيفانوس (انتيوخوس الرابع)،الذي كان متربعاً فوق عرش سوريا ، يسعى لاسترداد هذه البلاد من مصر ، وإرجاعها إلى المملكة السورية . فحارب المصريين فعلا في جنوب غزة ، وتغلب عليهم،واصبحت البلاد كلها ، (مصر وسوريا) ، خاضعة له . ولما خلا للسلوقيين الجو،وصفا لهم الامر أخذوا يفكرون في توطيد دعائم ملكهم . وكان هدفهم يومئذ إدخال الحضارة اليونانية للبلاد . فنجحوا في هذا المضمار إلى حد كبير . حتى انهم في عهد انتيوخوس الرابع هذا (عام ١٧٤ — ١٦٤ ق . م) أكرهوا اليهود على أن يتركوا دينهم،وأن يعتنقوا الديانة اليونانية . وعهدوا بتنفيذ هذه السياسة إلى حكام منهم عرفوا بالشدة والبطش.فأدى ذلك إلى ثورة المكابيين التي أتينا على ذكرها في غير هذا المكان .

١٦ — وقد اضطر انتيوخوس الرابع بعد فترة قصيرة من الزمن للانسحاب من مصر ، يوم استولى على الملك بطليموس فيسقون .

١٧ — ظل النزاع قائماً بين أحفاد الاسكندر ، لا يكاد فريق منهم يستولي على البلاد فترة قصيرة من الزمن ، حتى يأتي الآخر فينتزعها منه . ودامت الحال على هذا المنوال إلى أن جاء الانباط وأخذوها منهم . ثم جاء الرومان وضموها إلى امبراطوريتهم المترامية الاطراف .

١٨ — وقبل أن نختم هذا الفصل ، نرى لزاماً علينا أن نقول كلمة في الطابع الذي تركه عصر اليونان في هـــذه البلاد ، والآثار القديمة التي وجدت فيها ، ولها صلة بذلك العصر .

أما مميزات عصر اليونان في هذه البلاد فهي :

آ ظهور العنصر اليوناني وانتشاره في جميع انحاء البلاد بكثرة تلفت الانظار. حتى انهم امتزجوا بسكان البلاد الأصليين ، وناسبوهم .

ب انتشار اللغة اليونانية انتشاراً اصبحت معه لغــة البلاد الرسمية ، ولغة العلم والمدارس . وأما اللغة التي كان يستعملها أهل البلاد الأصليين فقد كانت يومئذ اللغة الآرامية .

ج اقتباس أهل البلاد الصناعات اليونانية ، ولا سيما صناعة الفسيفساء التي انتشرت بكثرة في الأبنية سواء أكانت هذه في المدن أم في القرى .

د انتشار الحضارة اليونانية والثقافة اليونانية . فقد أسس اليونان المدارس ، وبذلوا كل ما في وسعهم لينشروا عن هذه الطريقة آدابهم وافكارهم ومبادئهم وتقاليدهم ، حتى ومعتقداتهم الدينية . وقد ظلت مدارس غزة محتفظة بشهرتها اجيالا طوالا . حتى انها كانت في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد ممتازة في تعليم الفلسفة والبلاغة . وقال بعضهم ان طلاب المدارس في القرن الخامس للميلاد كانوا يتركون مدارسهم في اثينا ، ويأتون إلى غزة ليتموا تحصيلهم في مدارسهـــا . كما وأن الفرس كانوا يستعيرون اساتذتهم من مدارس غزة ومعاهدها . وقد انجبت هذه المعاهد عدداً كبيراً من الفلاسفة ومشاهير العلماء.

هـ إنشاء مرفأ (ميومة) على شاطيء البحر بالقرب من غزة . فقد انشيء هذا المرفأ في عهد اليونان، واتسع نطاقه،وانشئت حوله المباني الجميلة ودور السكن؛ حتى غدا بحد ذاته (مدينة مستقلة) يحيط بها سور كبير .

و وقصارى القول ان عصر اليونان في غزة كان عصرها الذهبي ، وكان الناس يومئذ يسمونهـــا (غزة المقدسة) و (غزة المستقلة) و (غزة المضيئة) و (غزة العظيمة) . وفي الحقيقة كانت يومئذ أكبر مدن سوريا على الاطلاق.

١٩ — يقول الاستاذ (كليرمان غانو) في كتابه (الابحاث الاثرية بفلسطين)(١)

(١) « Archaeological Researches in Palestine »

إن غزة أغنى المدن الفلسطينية بآثارها القديمة ، وكتاباتها المنقوشة على الحجارة والأعمدة والجدران وفي كل مكان . وإن هنالك مجالا للدرس أمام كل من شاء التوسع في هذا البحث.وليس ثمة أية ضرورة للحفر والتنقيب . بل إن نظرة بسيطة على بيوت غزة ومنازلها لتدلك على مبلغ هذا القول من الصحة .

ومما رآه الاستاذ غانو في غزة (عام ١٨٧٠) تمثال صغير من الذهب الخالص في صورة انسان تدل ملامحه على انه ملك ، أو شخص ذو اعتبار ، أو ملك مؤله جالس على عرشه وعلى رأسه خوذة على غرار الخوذ المصرية ، وفي عنقه قلادة ذات صفين، ويداه موضوعتان على ركبتيه . وفي ظهر الصورة حلقة يظهر انها صنعت خصيصاً للتعليق . وأن هذا التمثال الذي لا يزيد طوله عن ٢٥ سنتيمتراً وجده عند صائغ من صاغة غزة ، إلا أنه لم يقدر على شرائه لقلة ما في يده من دراهم.وقد سمع مؤخراً أن المسيو دوصولسي M. de Saulcy اشتراه باسم متحف اللوفر بفرنسا .

وفي دار سليمان ظريفة عثر عـلى قطعة من المرمر منقوشة نقشاً جميلا ، وهي معرقة بعروق خضراء طولها ٥٨ سنتيمتراً . وهي بشكل حيوان وهمي كالحياوين الخيالية التي جاء ذكرها في اساطير اليونان (١).وهذا المخلوق العجيب قائم على عمود قصير لا يمسه منه سوى مخالبه الخلفية . ويقال أن هذه القطعة الأثرية وجدت في الاصل في خربة واقعة على بعد ساعتين من تل المنطار إلى الشرق .

وعثر على مرآة من البرونز في شكل علبة مسطحة مستديرة الشكل . قطرها خمسة عشر سنتيمتراً . وهي مزدانة بدوائر مستديرة ذات قرصين ، الواحد منهما متداخل بالآخر ، ولها حلقة تساعد على حملها . وعـثر على شاطىء البحر بين الرمال وبالقرب من بناء المحجر الصحي على مكان مستدير مبني من حجارة مربعة الشكل ومحكمة الصنع . وفي هـــذا المكان تابوت صغير وحوض لجمع الماء . وهذا التابوت والحوض مصنوعان من صخر كلسي ممزوج بالصدف والرمل المتكتل . ومساحة التابوت متر طولا وأربعون سنتيمتراً عرضاً .

وهناك عند الصاغة وبين أيدي الاهلين قطع أثرية لا تعد ولا تحصى ، بعضها من

---

(١) كثيراً ما ذكرت الاساطير اليونانية حيواناً ظريفاً نصفه أسد ونصفه الآخر عقاب ، أو وحشاً له رأس أسد وجسم عنزة وذنب تنين ، وهـذا كالغول الذى جاء ذكره في الاساطير العربية .

النحاس والبعض الآخر من البرونز الصافي . وهذه القطع إما أن تكون قد وجدت في غزة نفسها أو في الأمكنة المجاورة لها . منها صور صغيرة لحيوان ذي أربعة ارجل رأسه رأس انسان . طول الصورة ستة سنتيمترات . غير أن اليدين والرجلين مهشمة تهشيماً فظيعاً .

وهناك تمثالان لشخصين يمثلان نصف جسدهما الاعلى ، ارتفاع كل منهما خمسة وعشرون سنتيمتراً . وفي رأس كل واحد من التمثالين حلقة صغيرة للتعليق . واحد منهما يمثل بطلا ذا اجنحة مهشمة ، والآخر يمثل آلهاً من الآلهة (إما آرتميس أو عشتاروت) وعلى رأسه تاج .

وقد عثروا في دار عطا الله الترزي على بلاطة من رخام قيل انها وجدت على شاطىء البحر وقد نقش عليها باللغة اليونانية العبارة الآتية :

✝ هذا قبر المرحوم زينو ابن بالس وميكال الذي دفن في اليوم الثاني والعشرين من شهر هيبربريتوس من سنة ٥٦٥ ✝

والكتابات ، من هذا الشكل ، التي وجدت منقوشة على حجارة كانت في المقابر كثيرة لا حد لها ولا حصر ، فلم نر لزوماً لذكرها هنا ، لأنها كلها كالكتابات الموجودة على حجارة القبور ، تدل على الشخص المدفون وتاريخ وفاته . وهذا ليس من الأهمية بدرجة تستحق الذكر .

وهناك كتابة وجدت منقوشة على أحد الاعمدة الاربعة التي كانت قائمة في زوايا ميدان السباق (ميدان أبي زيد) (١) ذلك الميدان الواقع شرقي المدينة . وقد نقش عليه هذه الكلمات :

✝ الارض لله وكل ما فيها ✝ اقيم هذا الرصيف بارشاد الشماس الكسندروس في سنة ٦٠٠ شهر بريتيوس

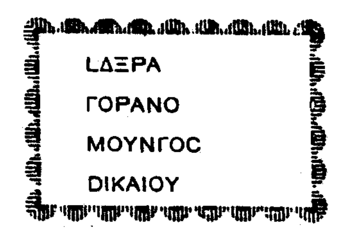
وقد استنسخ هذه الكتابة الليفتنانت كيتشنر الذي صار بعدئذ وزيراً للبحرية

(١) ذكر المقريزي هذا الميدان في الجزء الثاني من خططه ص ٣٩٧ وقال عنه انه اسس عام ٧٢٣ هـ من قبل الامير سنجر الجاولي .

في انـكلترا ، ونشر عنها بعض التفاصيل في إحدى المجلات العلمية عام ١٨٧٨ . وقد ابتاع هذه القطعة بعدئذ المسيو شيفارير Chevarier وأهداها إلى متحف اللوفر بباريس.

وقد عثروا على قطعة رصاصية اللون مربعة الشكل (٦٥×٦٣ س) ، يظن انها عيار للوزن ، منقوش عليها هذه الصورة ┣━┫ وهي عـــلامة فينيقية . والمعروف عنها انها تشير إلى مارنا إله غزة . وعلى وجهها الخلفي كتابة باليونانية على خمسة سطور ، معناها: « من مستعمرة غزة[١] . تحت هيرودس ديوفانتوس. » وقد يكون هذا قاضياً من قضاة الصلح في المدينة . وتحت هذه الـكلمات حرفان بهـــذا الشكل E I . ولا يعلم أحد بالضبط فيما إذا كان هذان الحرفان تاريخاً (السنة الخامسة عشر مثلا) ، أو انهما يعبران عن وزن ذلك العيار . وقد وزنوا العيار فوجدوا انه يساوي ١٧٨ غراماً ونصف غرام .

وعثر المسيو لابه شابوت[٢] (L' Abbé Chabot) في غزة عام ١٨٩٣ على قطع اثرية عديدة ، واحدة منها ، كالسلعة المتقدم ذكرها ، رصاصية اللون مربعة الشكل وزنها (١٤٤) غراماً منقوشاً عليها الـكلمات التالية :—



ومعناها سنة ١٦٤[٣] ديـكايوس . والمعتقد انها وجدت في بيت لاهيا .

وفوق كل ذي علم عليم .

---

(١) ان هذه الصفة (مستعمرة) اطلقت على غــزة فى عهد الامبراطور هادريانوس عند ما زارها هذا عام ١٣٠ م .

(٢) أحد تلاميذ الاستاذ كليرمان غانو .

(٣) لـما كانت السنة الغزية (حسب التاريخ القـديم) تبدأ في ٢٨ اكتوبر سنة ٩١ ق . م . فان هذه السنة (أي ١٦٤) تصادف ١٠٣ أو ١٠٤ بعد الميلاد .

غزة
في عهد الانباط

الانباط خلفاء الادوميين في البتراء، وفي شبه جزيرة سيناء ، وجنوب فلسطين . قهروهم ، واحتلوا بلادهم ؛ ثم انشأوا دولة الانباط العربية (١) . انهم عرب ، لغتهم آرامية ، وعاصمتهم البتراء وهى التي تدعى في يومنا هذا (وادي موسى) .

٢ — استغلت هذه الدولة الفتية الحروب التي قامت بين خلفاء الاسكندر، فقامت تسعى لتمتين بنيانها وتوسيع حدودها . وفيما كان البطالسة (في مصر) والسلوقيون (في سوريا) يتطاحنون من اجل السيادة، قام الانباط فشيدوا دعائم ملكهم ، وساروا بفتوحاتهم حتى امتد سلطانهم من خليج العقبة حتى حدود مصر ، ومنها الى غزة وشواطىء البحر الابيض المتوسط . ثم امتد حتى شمل حوران والعراق. وكان ذلك حوالي القرن الرابع قبل الميلاد .

٣ — كان الانباط مسيطرين على طرق التجارة من الشام الى البحر الاحمر فبلاد العرب ومدائن صالح . وعن طريق هذه التجارة اصبحوا اصحاب الحول والطول في مصر والشام معاً، ردحاً غير قليل من الزمن، وتجارتهم قائمة على الطيب والمر والقار والعطور. ولما كانت بلادهم جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، فقد اشتغلوا من جهة بالتعدين فاستخرجوا النحاس والفيروز ، ومن جهة اخرى بتربية المواشي . وكانوا يقتاتون بلحوم الابل والبانها .

٤ — ومن صفاتهم البارزة الميل الى الحرية . اذا اعتدى عليهم معتد قاتلوه بكل ما أوتوا من قوة . فاذا تمكنوا من ردعه عاشوا فرحين ، والا فروا الى الصحراء القريبة منهم . وقد كانت هذه حصنهم الحصين .

٥ — ضربوا النقود باسماء ملوكهم . ومن الملوك الذين وصلت الينا اخبارهم :— الحارث الاول سنة ١٦٩ ق.م وهو اول من عرف من ملوك الانباط .

(١) (العرب قبل الاسلام) لجرجى زيدان

زيد ايل ١٤٦ ق.م.

الحارث الثاني ١١٠ ق.م.

عبادة الاول ٩٠ ق.م.

الحارث الثالث ٨٧ ق.م. وهو اول من ضرب النقود من الانباط. واتسعت مملكته حتى شملت دمشق، فحصل اول اصطدام بين الانباط والرومان.

عبادة الثاني ٦٢ ق.م.

مالك الاول ٤٧ ق.م. وقد كان هذا معاصراً لهيرودس الكبير؛ وجرت بينهما حروب كان النصر فيها سجالا بين الفريقين.

عبادة الثالث ٣٠ ق.م. وفي ايامه قام الرومان بحملتهم على بلاد العرب، فارسل اغسطس قيصر (عام ١٨ ق.م) عامله على مصر (اليوس غالوس)، واستنصر النبطيين فاظهروا رغبتهم في نصرته على يد وزيرهم (سيلوس). ولكن هذا خدعهم وذهب بهم في طرق وعرة اعجزهم المرور منها. فقضوا اياما قاسوا فيها انواع العذاب.

الحارث الرابع ٩ ق.م وقد اتسعت مملكته في عهده، ونصب على دمشق (٣٩ م) واليًا من قبله يحكمها باسمه.

مالك الثاني ٤٠ ب.م فقد انجد هذا القائد الروماني فسباسيان في حربه مع اليهود سنة ٦٧ ب.م.

ربال الثاني ٧٥ ب.م.

مالك الثالث ١٠١ ب.م. وفي عهده فقد الانباط استقلالهم. واصبحت البتراء ولاية رومانية. وكان ذلك على عهد الامبراطور تراجان (١٠٦ ب.م) فضرب الرومان نقوداً خاصه بذلك الفتح على سبيل الذكرى.

٦ — بقيت البتراء ولاية رومانية، تحرسها حامية من الجند الروماني إلى عهد الامبراطور فالنس (٣٧٨ ب.م). ثم هجرت بالمرة؛ ولم يعد التاريخ يذكرها الا بآثارها القديمة، وقصورها الفخمة التي لا يزال السياح يحجون اليها في كل عام.

٧ — لم يرد ذكر لغزة في عهد الانباط الا عند ذكر طرق التجارة؛ لانها واقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط. وكان لا بد من ارتيادها من اجل تصريف البضائع التي كان الانباط يأتون بها من الهند ومن جزيرة العرب الى مصر وفلسطين والى سوريا. وقد ركض الانباط لنجدة العرب سكان غزة يوم حاصرها الاسكندر.

غزة وتدمر

بينما كانت مملكة الانباط تتراجع وتتقهقر ، كانت مملكة تدمر ترقى وتتقدم . واخذت هذه تنازع الانباط سيطرتهم التجارية . ثم انضمت إلى مملكة الرومان حوالي سنة ٣٦ ق . م . ونالت حقوق (مستعمرة رومانية)

٢ — نجح اذينة في التخلص من ربقة الحكم الروماني ، فاقام دولة مستقلة (٢٥٠ م) . وهذا الرجل هو ابن خيران بن وهبلات بن نصور من بني السميدع . فقتله القيصر الروماني ، وجاء قتله على يد قائده الذي خانه (كاليستوس) .

٣ — وبعد مقتل اذينة تولى الملك زوجته زينب أو الزباء أو زنوبيا . تولته بالنيابة عن ابنها البكر (وهبلات) . فارتقت حاضرة البلاد (تدمر) إلى أوج التمدن في عهدها .

٤ — كان للزباء مجلس شيوخ ترجع إلى رأيه . ويقال ان نفسها كانت تحدثها بالاستيلاء على المملكة الرومانية . فعقدت مع (سابور) ملك الفرس معاهدة. وغصت عاصمتها باجناس الشعوب واكثرهم من العرب والنبط .

٥ — كان بنو السميدع يسكنون بادية الشام في اوائل النصرانية . فظهر بنو غسان بعد خراب سد مأرب وسيل العرم ، واستولوا على جهات فلسطين ودمشق . وكانت سبقتهم قبيلة بني سليح من قضاعة ، وسكنت البلقاء . فانتشروا في البلاد في اواخر القرن الثاني للمسيح . وفي خلال تلك المدة قدمت فرقة من بني لخم إلى جنوبي فلسطين ، وامتدوا إلى غربي بحيرة لوط . وبرز قوم من مضر يعرفون بني كلب فامتدوا من انحاء الحجاز إلى جنوبي بر الشام ونزلوا في جوار دومة الجندل (الجوف) فاذعنت بقايا هذه القبائل لزينب ، فاستأجرتهم وادخلتهم في جملة جيشها .

٦ — خاف غاليانس قيصر عادية زينب فوجه جيشاً لمقاتلتها ، فغلبته جيوشها .

٧ — ولكن الرومانيين عادوا فانتصروا عليها تحت قيادة القيصر اوربايانس حوالي عام (٢٧١) للميلاد .

غزة
تحت سيطرة الرومان


يوليوس قيصر

في سنة ٩٦ قبل الميلاد حمل (اسكندر يانيوس) على غزة حملة شعواء . غير انه لم يستطع فتحها إلا بعد حصار سنة كاملة(١) ، وعندما اكتسحها هذا خربها وجعل عاليها سافلها . فأعاد الرومان بناءها ، ومنحوها إدارة مستقلة على عهد الملك يوليوس(٢) قيصر . فاعطاها إلى هيرودس (٣) . وكان هذا يحب غزة ، ويقول عنها (انها مدينة عظيمة) .

٢ — وبعد وفاة هيرودس اصبحت غزة مقاطعة رومانية ، وازدهرت في العلم والتجارة

(١) مجلة الهلال الجزء ٧ ص ٢٤٣
(٢) المعجم اليوناني
(٣) انه آدومي الاصل . اعتنق الديانة اليهودية ، ثم خرج على المكابيين انتقاماً لابيه الذى قتله هؤلاء . والتجأ الى الرومان ، فنصب في عهد اغسطس ملكا على فلسطين . وقد أمده انطونيوس بالجند ، فقضى على المكابيين، وقتل آخر ملوكهم انتيكانوس بن ارسطوبولس الثاني (٣٧ ق . م) . وكان اليهود يكرهونه بالرغم من انه جدد لهم بناء الهيكل ، وامدهم بالمال والحبوب اثناء المجاعة التي اصابتهم عام ٢٢ ق . م . وقد كانوا يعتبرونه اجنبياً ، ذلك لانه كان يحب التقاليد الرومانية . مات هيرودس (١٠٠ م) وله من العمر سبعون سنة . ففرح اليهود لموته فرحاً عظيما . وفى آخر سنة من سني حكمه ولد السيد المسيح عليه السلام .

والعمران . وقد ظلت مزدهرة ، وعاشت حرة مستقلة طيلة الحكم الروماني ، وكانوا يطلقون عليها إسم (مينوآ) . وكانت عبادة الأوثان منتشرة فيها ، كما كان للفلسفة الافلاطونية فيها مدارس عديدة .

٣ — وقد سك الرومان اثناء احتلالهم لهذه البلاد من زمن اغسطس حتى حكم ثيلا غابالوس نقوداً في غزة ، وكانت لهم فيها مصانع لسك النقود ؛ وعلى هذه النقود ذكروا إسم المدينة غزة ، وعلى الوجه الآخر حرف (M) إشارة للصنم المعبود (مارنا) أو المعبد الذي فيه الصنم مارنيون ، وعلى بعض القطع المسكوكة حفرت صورة القيصر (انطونيوس) ، وعلى الوجه الثاني صنم الحظ (تيخائون) يحمل على رأسه صورة غزة المحصنة ، واسم غزة . وعلى بعض النقود تجد صورة القيصر (هادريانوس) ، واسم غزة ، ومدخل هيكل مارنا ، وما إلى ذلك مما يدل على أن غزة كانت يومئذ تحتل المقام الاول في تاريخ هذه البلاد .

٤ — وقد بقيت غزة والبلاد الاخرى تحت حكم امبراطوريتي الرومان الشرقية والغربية ، وازدهرت على اساس مبادىء الثقافة اليونانية ؛ وظل هذا الازدهار ملازماً لغزة طيلة أيام الحكم الروماني . ولم ينزح إليها في عهد الرومان إلا عدد قليل منهم . وكان هؤلاء من فئة الحكام والموظفين والتجار وأرباب العلم . وكانت اللغة الرسمية هي اللاتينية . وأما لغة الاهلين فكانت الآرامية .

٥ — وقد انقلبت الآية بعد ذلك ، فأصبحت مستعمرة عسكرية للرومان . وكثيراً ما ذكرت بهذا الوصف في الكتب والأسفار التي بحثت عن ذلك العهد . وكانت يومئذ تدار من قبل امبراطور روما رأساً بواسطة مندوب سام ينوب عنه ، ويدير المدينة باسمه . وما كان لمجلس الاعيان في روما أي دخل في هذه الأدارة .

٦ — ويظهر انه كانت هناك مؤسسات[1] قومية محلية مستقلة في داخل المدينة . وكانت هذه التشكيلات معتبرة من قبل الرومان ، فكانوا يلقبونها بـ (Demos) وفي النقود التي سكت في ذلك الحين إشارة إلى بعض هذه المؤسسات . وما كان لاحد ان يعتبر مواطناً في المدينة ، سوى العناصر الوطنية التي كانت تعيش في البلد منذ القديم . حتى ان الامبراطور (بومبى) الذي منح هذا الحق للوطنيين الأصليين ، لم يمنحه اليهود .

(١) Meyer

وقد جاء في بعض الحالات ذكر لمجلس[١] قيل انه كان مؤلفاً من خمسمائة عضو. وكان هؤلاء ينتخبون على أساس المناطق الداخلية : من السكان ، ومن أحسن عائلات المدينة . وكانت العناصر الاريستوقراطية ممثلة في الحكومة ،وكان بالإمكان أن يمنح الاجانب حق التجنس بالجنسية الغزية باقتراع الشعب .

٧ — ويظهر أيضاً انه كان في غزة في ذلك العهد (محكمة بلدية[٢]) .وكرسي القضاء في هذه المحكمة ،كان أعلى منصب يمكن أن يتوصل إليه ابن البلاد في ذلك الحين . وكان فيها موظفون مختصون بالمحافظة على النظام العام ، وصيانة الاخلاق . وكان يطلق على هؤلاء الموظفين Irenarchae أي (حفظة السلام) يقومون بوظائف الشرطة ، وينتخبون من بين عشرة رجال ترفع اسماؤهم إلى رئيس البلدية في كل عام . وكان في المدينة موظف يدعى (Defensor Populi) ، وهو مواطن ينتخبه مواطنوه ليصون حقوقهم في مدينة يسودها حكم الطبقات الممتازة . وفي بعض الآثار ذكر لموظف عهد إليه بحراسة معابد المدينة وامكنتها المقدسة [٣]، كما جاء في غيرها ذكر لموظف صغير كان مسؤولا عن الاسواق[٤]

٨ — وعندما اعلنت (بلاد العرب) ايالة ، شعرت غزة بكثير من الامان وقطعت شوطاً بعيداً في سبيل العمران، واستعادت تجارتها السابقة وصلاتها القديمة مع العقبة والانباط في البتراء .

٩ — وعندما اشتعلت نار الحرب بين الرومان واليهود[٥] ذبح الرومان عدداً كبيراً من اليهود في أكثر المدن الساحلية ، فقتلوا في قيسارية عشرين الفاً،وفي بيسان ثلاثة عشر الفاً ،وفي عكا وعسقلان نحواً من اربعة آلاف نفس . ثم قام اليهود فثأروا لانفسهم وأحرقوا عسقلان وغزة . الأمر الذي جعل (نيرون) يستشيط غضباً فساق عليهم جيشين : واحداً جاءها من الشمال بقيادة (فسباسيان)، والثاني جاءها من الجنوب بقيادة (تيطس) . وجاءت الجيوش العربية حليفة الرومان

(١) لعله مجلس الاعيان .
(٢) Meyer
(٣) كأمور الاوقاف في يومنا هذا .
(٤) كجلواذ البلدية في يومنا هذا .
(٥) بدأت هذه الحرب في ٨ تشرين ثاني ٦٦ م وانتهت في ٨ سبتمبر ٧٠ م .

بقيادة ملكها الحارث . فكانت الغلبة للرومان وحلفائهم العرب (٧٠ م) . ومر منها تيطس في طريقه من مصر إلى فلسطين . وكذلك فعل اثناء رجوعه من القدس بعد سقوطها .

١٠ — اضطهد (تراجان[١]) حوالي سنة ١٠٦ — ١١٤ للميلاد المسيحيين في فلسطين . فاصاب اضطهاده هذا غزة [٢] كما أصاب سائر المدن الفلسطينية .

١١ — زارها الامبراطور (اوريليوس هادريانوس) مراراً عديدة ١١٧ — ١٣٨ ب . م . وكان أكثر الامبراطرة اعتناء بالنقود والمسكوكات التي ضربت باسمه وقد نقش عليها اسم غزة . إذ كان يحبها حباً جماً . وفي زيارته الثانية



النقود الرومانية

التي سكت باسم غزة في عهد الرومان

لها عام ١٢٩ للميلاد [٣] وضع أساساً لتاريخ جديد عرف فيما بعد بالتقويم الغزي أو التاريخ الهدرياني[٤]. وأخذ الغزيون بعد ذلك التاريخ يقيمون في كل سنة عيداً إكراماً له.

١٢ — ولما كان الرومان في عهد هادريانوس هذا قد ايقنوا ، أن الفتن والقلاقل في فلسطين ، انما تنبعث من اورشليم عاصمة اليهود الدينية (إذ

(١) أول من اعتلى عرش الرومان من أهل المستعمرات ، وهو من أصل اسبانى . قام باصلاحات إدارية وترتيبات عسكرية لا عهد للامبراطورية الرومانية بمثلها من قبل. وما كاد ينتهي من هذه الاصلاحات حتى قام يضرب عصا التسيار في ميادين الفتح والاستعمار (تاريخ بئر السبع وقبائلها) .

(٢) Meyer

(٣) هناك من يرتاب فى تعيين التاريخ الذى قام الامبراطور هادريانوس بزيارته الثانية هذه لغزة . ولكن روايات اكثر المؤرخين ولا سيما النقود التي سكت فى ذلك الحين تدل على أن هذه الزيارة وقعت فى عام (١٢٩) للميلاد .

(٤) ان السنة الهدريانية مساوية لسنة ١٩٠ الغزية ، وهذه مساوية لسنة ١٢٩ ب.م.

كلما اجتمع شملهم فيها واعتزت قوتهم تحمسوا للثورة ضد الرومان طمعاً في الاستقلال) فقد عول القيصر هادريانوس علـى قهرهم . وجرت بينه وبينهم حروب وثورات وقلاقل كان النصر فيها حليف هذا مرة وذاك اخرى . وعندما تكون دفة اليهود هي الراجحة كانوا يكرهون المسيحيين على الدخول في دينهم ، والاشتراك معهم في الثورة . إلى أن تغلب عليهم هادريانوس بعد حرب دامت ثلاث سنوات فقتل منهم خلقاً كثيراً . ومات كثيرون . ولم تقم لليهود قائمة بعد ذلك التاريخ (١١٥ م) .

وبعد أن أخمد (هادريانوس) فتنة اليهود ،تلك الفتنة التي اشعلها (باروقوخبا)، سبى نساءهم ، وباع الذين أسرهم من رجالهم بثمن بخس ، هو حصان واحد عن كل رجل ، وأخذ الباقين منهم على قيد الحياة إلى غزة . حيث أقام النوادي والملاعب الرياضية . وفي هذه الملاعب أشار بتمزيق أجساد اليهود الأسرى إرباً إرباً . ومن لم يمزق منهم باعه في سوق العبيد . وقد كان سوق غزة من الاسواق المشهورة ببيع العبيد في ذلك الحين .

١٣ — ولكن هادريانوس هذا كان يكره المسيحيين[١] أيضاً كما يكره اليهود . حتى انه بنى في البلاد هياكل من شأنها أن تغيظ المسيحيين[٢] . فتكونت في البلاد ثلاثة مراكز للديانات المختلفة : (قيسارية) للديانة المسيحية و(طبرية) للديانة اليهودية و (غزة) للديانة الوثنية . وقد كانت غزة يومئذ (وفرضتها ميومه[٣]) من المدن الشهيرة في فلسطين (١٣٤ م) .

١٤ — وكان الامبراطور غورديانوس الثالث عام ٢٣٨ — ٢٤٤ للميلاد شغوفاً بادارة الولايات التابعة له (سوريا ، وافريقيا ، وبلاد العرب) . حتى انه استوطن غزة برهة من الزمن . وقد حفرت على قاعدة النصب الذي أقامه الغزيون تخليداً لذكراه كلمات تدل على حبه لغزة ، وعطفه على آلهتها . وظلت غزة تعامل من قبل قياصرة الرومان معاملة ممتازة حتى سنة ٢٤٤ للميلاد .

---

(١) (٢) راجع الوجه ٧ من تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية .

(٣) على بعد ميلين من غزة على الشاطىء .

١٥ — ومن ملوك الرومان الذين كان لهم شأن في هذه البلاد (قسطنطين)(١) ٢٨٨ — ٣٣٧ م ، و (ثيودوسيوس)(٢) ٣٧٩ — ٣٩٥ م ، وابنه (اركاديوس)(٣) ٣٩٥ — ٤٠٨ م ، و (جوستنيان)(٤) ٤٨٣ — ٥٦٥ م . ويعزى إلى جوستنيان هذا أكثر الابنية والحصون التي شيدت ، والاصلاحات التي تمت في هذه الديار .

١٦ — يظهر أن حبل الأمن في هذه الديار ، كان مضطرباً قبل مجيء الرومان إليها ، وانه استتب في عهدهم . وانه كان لهم في فلسطين إذ ذاك ثلاثة عشر(٥) موقعاً محصناً ، تسكنها وحدات من الجيش الروماني . وان هذه الوحدات كانت تعمل تحت إمرة قائد فلسطين العسكري الروماني (Dux Palaestinae) . ومن الاعمال التي قاموا بها ، في سبيل توطيد الامن في هذه الديار ، انهم استرضوا البدو الرحل ، وحالفوهم ، فمنحوهم الالقاب والرتب ، ثم استخدموهم في سبيل الامن والعمران .

١٧ — وقطع الرومان شوطاً بعيداً في سبيل عمران هذه البلاد . فلا المعابد التي بنوها، ولا المخافر والحصون التي شيدوها، كانت لتلهيهم عن واجباتهم الاخرى . فقد عبدوا الطرق ، وحفروا الصهاريج ، وانشأوا المجاري ، وأقاموا السدود ، وغرسوا الاشجار . فازدهرت التجارة والصناعة في عهدهم . وكان

---

(١) أول من ازاح الاضطهاد عن المسيحيين ، وسمح للنصرانية بالانتشار فى الغرب، بينما كانت هذه مضطهدة فى الشرق . وقد قامت حروب بينه وبين ليسينيوس كان النصر فيها حليفه . وبذلك تم له ما أراد ، وأصبح القائد غير المنازع للمملكة الرومانية فى الشرق والغرب. فأقام على انقاض (بيزانس) القديمة مدينة جديدة(٣٣٠ ب . م) سماها القسطنطينية ، وجعلها قاعدة ملكه . وهو الذى اطلق اسم (قسطنديا) على ميومة ، فرضة غزة فى ذلك الحين.

(٢) أحد قياصرة الرومان فى الشرق . وقد انتصرت العقيدة الارثوذكسية فى عهده انتصاراً باهراً . ولما توفى اقتسم ولداه (اركاديوس) و (هونوريوس) المملكة فجعلاها مملكتين: واحدة فى الشرق ، وعاصمتها بزانس ، واخرى فى الغرب ، وقاعدتها روما .

(٣) فى عهده هدمت معابد الوثنيين بغزة .

(٤) تغلب هذا على الفرس ، واسترد من البرابرة جميع البلاد التي اخذوها من الرومان . ونفخ فى الامبراطورية الرومانية روح الحياة بعد أن اشرفت ، على الهلاك .

(٥) هي غزة ، وعسقلان ، ويافا ، وبيت لحم ، وبانياس ، وبيت جبرين ، وسبسطية، وعكا ، وعمواس ، وجرش ، وبيسان ، وبصرى ، وعمان .

خمر غزة وعسقلان مشهوراً . حتى لقد طار صيت هذا الخمر ليس في روما فحسب ، بل وفي جميع البلاد الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .

وهنا في داخل مدينة غزة عثر رجال البلدية على مجرى قديم لا شك انه من بقايا عهد الرومان ، كانت المياه القذرة تجري فيه . وكم يود المصلحون أن يكون لغزة الحديثة في يومنا هذا مجرى مثله .

١٨ — ولم ينقطع سيل المهاجرين والتجار من العرب في عهد الرومان . فقد ظلوا يفدون إلى غزة من جميع انحاء الجزيرة العربية ، كما كانوا يفعلون في العهود الغابرة . وظلت غزة في عهد الرومان أيضاً ، المدينة التي يؤمها العرب في رحلة الصيف ، ويحملون إليها تجارتهم لتوزع منها إلى البلدان الواقعة في حوض البحر الابيض المتوسط . وقد انضم الرومان إلى هذا التكتل من السكان ، فأصبحت غزة من امهات المدن في الشرق الادنى . وكان الكتاب يومئذ يصفونها بـ (المدينة الشريفة) و (المدينة الجميلة) و (المدينة الغنية) .

١٩ — وفي القرنين الخامس والسادس للميلاد كان في غزة مدرسة كبيرة للخطابة ، ذاع صيتها في فلسطين وسوريا وسائر بلاد الشرق ، وهي أشبه بسوق عكاظ . وكثيراً ما كان يتبارى في هذه المدرسة الخطباء من رومان ويونان وعرب .

٢٠ — وفي عهد (هرقل) ٦١٠—٦٤١ ب . م . الذي استرد فلسطين من الفرس ، لبت غزة وسائر البلاد الفلسطينية التي كانت تحت حكم البيزنطيين دعوة الاسلام . فاحتلها العرب ٦٣٦ ب . م . وأصبحت بعد ذلك التاريخ عربية مسلمة بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى . كما ترى ذلك في الفصول التالية .



غزة الوثنية

كانت غزة في الزمن القديم معقلا للوثنية . ولقد ذكرنا في بحثنا عن غزة في عهد الرومان أن الإمبراطور (هادريانوس) كان يكره المسيحيين(١) كما كان يكره اليهود ، وانه بنى في البلاد هياكل من شأنها أن تغيظ المسيحيين . فتكونت في البلاد ثلاثة مراكز للديانات المختلفة : (قيسارية) مركزاً للديانة المسيحية ، و (طبرية) مركزاً للديانة اليهودية ، و (غزة) مركزاً للديانة الوثنية (١٣٤ م) . ويظهر من هذا أن غزة كانت وثنية قبل أن تكون مسيحية ، وأن الصراع بين هذه وتلك بعد ذاك (٣٩٥ م) كان عنيفاً للغاية .

٢ — كان في غزة يومئذ ثمانية هياكل للوثنيين ، وكان الغزيون يتعبدون آلهتهم في هذه الهياكل عبادة صادقة . ويظهر أن هذا هو سبب آخر من الأسباب التي جعلت العرب بوجه عام وبني قريش بوجه خاص يؤثرون غزة على غيرها من المدن المجاورة للحجاز . إذ كانوا إليها يشدون رحالهم في (رحلة الصيف) المشهورة ، وفيها يبيعون ما تحمله قوافلهم التجارية . ذلك لأنها كانت مركزاً مهماً على طريق القوافل ، وكانت وثنية ؛ كما أن العرب كانوا يومئذ وثنيين(٢)

٣ — وإليك أسماء(٣) الهياكل الثمانية التي كان الغزيون يتعبدون آلهتهم فيها:

١ — هيليوس (Helios) (٤) بعل ، إله الشمس

---

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية .

(٢) إسمع ما يقوله الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) : « كانت للعرب في عبادة الاوثان أفانين شتى يصعب على باحث اليوم أن يحيطها . وكان لهذه الاوثان قبل الاسلام مكانة جليلة ، وكان لكل قبيلة صنم تدين له بالعبادة . ومن هذه الأصنام (اللات والعزى وهبل) . وكان هبل هذا كبير آلهة العرب ، فكان الناس يحجون إليه من كل فج عميق »

(٣) تدل أسماء هذه الأصنام على انها من أصل يوناني .

(٤) جاء ذكر هذا الصنم في الاساطير اليونانية ، يوم كانت الشمس معبودة الجماهير ، وكان لالهتها المقام الاول . ويزعم قوندر (Condor) وسايس (Sayce) أن بعل معبود الكنعانيين والبابليين وبعض الشعوب السامية الاخرى ، ومعناه السيد ، ليس إلا إله الشمس هذا . وانما هي اسماء سميتموها .

٢ — افروديت Aphrodite (١) آلهة الجمال

٣ — أبوللو Apollo (٢) إله النور

٤ — برسيفون (Persephone) (٣) آلهة الخضار

٥ — هيكاته (Hecate) (٤) إله القمر

---

(١) (افروديت) آلهة الحب والجمال . وهي (فينوس) نفسها المعروفة عند الرومان ، و (عشتاروت) المعروفة عند الفنيقيين . وقد وجدت صورة هذه الآلهة، آلهةالحب والجمال ، منقوشة على بعض القطع والنقود القديمة التي وجدت في غزة . ويظهرأن بحارةغزة، وصيادي السمك فيها كانوا ينظرون إلى صنمها كاله البحر أيضاً ، إذ كانوا يضرعون إليه كلما ثار البحر ، ويطلبون منه أن يمنحهم بحراً هادئاً . ويظهر أيضاً أن نفوذ آلهة الجمال هذه كان ظاهراً في حدائق غزة وبساتينها ، وبين اشجارها وزهورها . إذ ما ذكرت الحدائق والبساتين ، ولا ذكرت الزهور والرياحين مرة ، إلا وذكرت آلهة الجمال هذه معها . وكان لها أعياد خاصة يحتفلون بها احتفالات شائقة . ويقال أن صنمها كان منصوباً في أهم بقعة في وسط المدينة ..ولقد ذكره الشماس (مرقس) الذى رافق الاسقف (برفيريوس) في رحلته إلى القسطنطينية ، ورجع معه إلى غزة ، فقال : (دخلنا المدينة ، ووصلنا إلى المكان المسمى (ترامفودوس) ، أى الطريق المربع أو المصلب ، وكان منصوباً فوقه دكة عليها عامود من الرخام هو (عامود افروديت) . وكان على هذا العامود نصب امرأة عورتها ظاهره . وكان أهل المدينة يقدسون هذا النصب ويخفضون الرأس إجلالا له وتعظيما . وكانت النساء يوقدن له المصابيح ، ويحرقن البخور ، وينذرن النذور ، ويعتقدن أنه يوحي لهن في منامهن فكرة الزواج ، فيتزوجن . وكم من زواج عقد على هذه الطريقة واستناداً على هذا الوحي الشيطاني ، فغدا زواجاً تعساً للغاية . وكثيراً ما أفضى بالزوجين إلى الطلاق أو العيشة المعذبة المرة .

(٢) كان الغزيون يعتقدون أن هذا الاله يمنحهم ضياء النفس ، فينير لهم السبيل كلما اعتزموا القيام بعمل جديد . وكانوا يكثرون من عبادته في فصلي الربيع والصيف . إنه في نظرهم إله الفنون الجميلة والعقاب والمواشي . ويقول المؤرخ يوسيفوس انه عندما سقطت غزة في يد (اسكندريانيوس) عام ٩٦ ق . م كان خمسماية من أعيان المدينة مجتمعين في هذا المعبد ، وان اسكندر هذا باغتهم فيه . ويعتقد دولنغ (Dowling) وماير (Meyer) ان السلوقيين هم الذين ادخلوا عبادة هذا الرب معهم، يوم استولوا على غزة . إذ كانوا يعبدونه في بلادهم .

(٣) كان الغزيون يعتقدون أن هذا الرب ذو تأثير في حياة الخضار التي تزدهر وتذبل كلما اختلفت المواسم . وكانوا يعبدونه في الربيع وبعد الحصاد .

(٤) ان آلهة القمر هذه ، وان كانت معروفة في بلاد اليونان ، الا انها ليست من أصل هيليني . وهناك من يقول انها آلهة السماء والارض وما تحتها .

٦ — هيريون (Herion) (١) آلهة البطولة

٧ — تيخائون (Tychaeon) (٢) إله الحظ

٨ — مارنيون (Marneion) (٣) معبد الرب العظيم

وكانت هناك أصنام كثيرة اخرى(٤) في بيوت غزة ومنازلها ، وفي القرى المجاورة لها . وهناك أيضاً « داجون »وهو إله من الآلهة التي كان يعبدها الغزيون في العهود الغابرة ، ولا سيما على عهد الفلسطينيين القدماء.وكان الغزيون يصورون إلههم هذا بشكل أعلاه إنسان له رأس ويدان ، وأسفله سمكة ذات ذنب(٥) .

وكان من هذا الإله انواع كثيرة اشهرها في غزة كما ترى ذلك في سفر القضاة.

---

(١) هيريون رب البطولة ، وكانوا يرمزون إليه كلما داهمهم الموت أو نزل بهم القضاء . وهناك من يسميه (جونو).

(٢) انه إله البخت والحظ ، ويشبه إله السعادة المعروف عند الرومان.و قد وجدت صورة هذا الاله منقوشة على كثير من النقودوالمسكوكاتالغزية القديمةبشكل رأس امرأةمتوجة بتاج ذى ثلاثة فروع .

(٣) هذا هو إله المدينة نفسها . إنه الرب الاكبر الذى كانوا يلجأون إليه فى جميع الاحوال . ويظن انه مشتق من الكلمة السريانية (ميرونا) ،ومعناها أميرنا وسيدناومولانا. ومعبده مارنيون كان أكثر المعابد تقديساً وتعظيماً لدى الغزيين ، إذ كانوا يعتقدون انه (إله غزة) الذي بيده خيرها وشرها ، وكانوا يلجؤون إليه فى جميع الاوقات ولا سيا فى أيام الشدة والقحط والجوع . وكثيراً ما ذكره القديس جروم (St. Jerome) فى كتاباته عن غزة. ولقد وجدت صورة هذا الاله على بعض النقودالتي سكتفى عهدالامبراطور هادريانوس، كما سك عليها إسم غزة . وقصارى القول أن هيكل مارنيونهذا كان ينافس هيكل الاسكندرية . والمعتقد انه كان فى نفس المكان الذي فيه (الجامع الكبير) الآن .

(٤) «ولم يكن العرب ليكتفوا بالأصنام الكبرى،يقدمونلها الصلاة والقرابين، بل كان اكثرهم يتخذ له صنماً ونصباً فى بيته ، يطوف به حين خروجه وساعة اوبته، ويأخذه معه حين سفره إذا أذن له هذا الصنم فى السفر . وكانت هذه الاصنام جميعاً تعتبر الوسيط بين عبادها وبين الاله الأكبر . »(حياة محمد) .

(٥) جاء فى الاصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول ما يأتى: «فأخذ الفلسطينيون تابوت الاله ، وادخلوه إلى بيت داجون ، وأقاموه بقرب داجون . وبكروا صباحاً فى الغد ، وإذا بداجون ساقطعلى وجهه علىالارض أمامتابوت الرب ، ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة. بقى بدن السمكة فقط . »

ولم يقف الباحثون بعد على أثر لهيكل داجون هذا ، غير ان بعضهم يذهب الى الظن بأن قبر شمشون الجبار بين اطلال الهيكل القديم .واما الغزيون فانهم يعتقدون ان المقام المعروف : (ابي العزم) الآن هو قبر شمشون .

٤ — ولما ظهر الدين المسيحي في البلاد ، كان انتشاره في غزة بطيئاً في بادىء الأمر . ولذلك لم يكن الصراع بين النصرانية والوثنية يومئذ عنيفاً . ولكن عندما ازداد عدد المسيحيين في غزة ، ازداد الصراع بينهم وبين الوثنيين ؛ وأصبح الاصطدام عنيفاً ، ودام طويلا . ونزلت بغزة والغزيين من جراء ذلك مصائب وأهوال .

٥ — ولما تولى الأسقفية برفيريوس[١] (Porphyry) عام ٣٩٥ م خلق في غزة جواً مسيحياً جديداً . فناصب الوثنيين العداء ، وكرهه هؤلاء حتى أنهم نسبوا إليه المحل الذي أصاب زروعهم في تلك السنة . فأخذوا يسبونه ، وراحوا يصبون عليه اللعنات ، ويدعون عليه في معبدهم مارنا . ثم تجمهروا ليهاجموا المسيحيين[٢] فالتجأ هؤلاء إلى كنيستهم الواقعة غربي المدينة ، وضحوا الضحايا . ولكنهم عند رجوعهم من الكنيسة صدوا من قبل الوثنيين . ويظهر أن الناس كانوا يومئذ في حاجة إلى المطر ، فهطل مدراراً،فساد الاعتقاد بأن الله أجاب دعوة المسيحيين.عندئذ فتحت لهم الأبواب ، ونادى المنادي في شوارع المدينة : « المسيح وحده هو الرب ! والرب قد انتصر ! »

ويقول الشماس مرقس ، مرافق الاسقف برفيريوس، انه قد تنصر من الغزيين، على أثر ذلك الحادث ،ماية وسبعة وعشرون شخصاً : منهم ثمانية وسبعون رجلا ، وخمس وثلاثون امرأة ، واربعة عشر ولداً وخمس بنات . ثم تبعهم في نفس اليوم ماية وخمسة اشخاص .

٦ — وإذ كان حكام غزة في ذلك الحين وثنيين فقد كانوا يضطهدون المسيحيين، ويؤذونهم . ومن ذلك انه أرسل (باروخاس) تابع القديس برفيريوس يوماً إلى قرية في اقتضاء راتب كنائسي ؛ فمانعه الوثنيون ، وضربوه ضرباً مبرحاً كاد يلقى

(١) راجع ما كتبناه عن هذا الاسقف فى فصل (غزة والدين المسيحى)
(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية

حتفه من ورائه ؛ فمر كرنيليوس الشماس . ورآه بين حي وميت ، فحمله وأتى به إلى المدينة. عندها غضب الوثنيون ، وهجموا عليه ، وضربوه بحجة انه أدخل ميتاً للمدينة. فبلغ الخبر القديس برفيريوس ، فأسرع إلى المكان الذي وقع فيه الحادث ، وأخذ يلاطف الثائرين ، ويتوسل إليهم . وثابر على هذا المنوال حتى تمكن من إخماد غيظهم ، وتسكين خواطرهم . ثم أعادوا الكرة ، فتشددت عزائم باروخاس الذي كانوا يظنونه ميتاً ؛ فتناول قطعة من الخشب ، وهجم عليهم ؛ فتشتت شملهم ، وطاردهم حتى هيكل مارنا .

وفي يوم من الأيام سار المسيحيون في جنازة رجل مات من رجالهم ، فدخلوا المدينة وراء النعش. ويظهر أن ذلك كان مخالفاً لعادات الغزيين في ذلك الحين ، إذ كانت المقبرة خارج سور المدينة . فغضبوا لهذا العمل ، وراحوا يهاجمون المسيحيين . فقام على أثر ذلك (محافظ المدينة)(١) مع عدد من رجال الشرطة ، واثنين من الاعيان . وأنحى هؤلاء باللائمة على المسيحيين لسلوكهم الذي استوجب غضب الوثنيين .

٧ — لم يستطع اسقف غزة (برفيريوس) صبراً حيال الاضطهاد الذي كان يقع في كل يوم على ابناء طائفته ، فأرسل شماسه (مرقس) إلى القسطنطينية . واستصدر هذا أمراً من السلطات العليا لاغلاق جميع المعابد الوثنية في غزة . واستعان على ذلك بكتيبة من رجال الدرك المسيحيين جاءوا لتنفيذ الأمر من عسقلان بقيادة ضابطهم هيلاريوس (Hilarius) . فجاء هذا ونفذ الامر شكلا ولكنه لم ينفذه فعلا . إذ انه اكتفى بتبليغ الامر للوثنيين محرماً عليهم عبادة الأصنام (٣٩٨ م) . ولكن هذا الامر ظل يومئذ حبراً على ورق ؛ فظلت المعابد قائمة ، وعبادة الأوثان جارية ، تارة جهراً وطوراً بالخفاء . وقد قيل يومئذ أن هيلاريوس هذا قبض من الوثنيين مبلغاً كبيراً من الذهب لقاء سماحه للوثنيين بالاحتفاظ بمعابدهم والمثابرة على عبادتهم .

٨ — وما برح اضطهاد المسيحيين قائماً في غزة رغم هذه التدابير كلها ، فاعتزم الاسقف برفيريوس القيام باجراآت اخرى . وقد سافر إلى قيسارية ليستشير رئيس

---

(١) وكان يدعى Defensor Populi أي حامي الشعب

اساقفتها يوحنا ، قائلا له : لم يعد بامكاني الصبر عـــلى ما يجرى في غزة من مظالم ومنكرات . . ثم سافر الإثنان معاً إلى القسطنطينية (عام ٤٠١ م) . وبمعرفة امانتيوس (Amantius) الحاجب تعرفا على الامبراطورة افدوكسيا . فمثلا بين يديها وقد كانت جالسة على سرير من ذهب، وقالا لها إن الغزيين وثنيون ، وانهم يضطهدون المسيحيين من غير خوف ولا وجل ؛ فيستعبدونهم ، ولا يسمحون لهم بتقلد الوظائف والمناصب المدنية . كما انهم لا يسمحون لهم بفلاحـــة اراضيهم التي يدفعون عنها ضرائب الحكومة . وإذ رأياها حاملا تنبئا بأنهـا ستلد غلامـاً ، ففرحت ونذرت أن تبني كنيسة في غزة ، وأن تحرر المسيحيين من اضطهاد الوثنيين إذا تحققت نبوءتهما.

تحققت نبوءتهما ، فولدت الإمبراطورة غلاماً(١) . عندئذ أرادت تنفيذ وعدها، فطلبت من الامبراطور أن يصدر إرادته باغلاق معابد الغزيين كلها . تردد الامبراطور في بادىء الأمر لاسباب تتعلق بالدولة ، وقال لها : « إن غزة وإن كانت وثنية إلا أنها هادئة . وسكانها وإن كانوا يعبدون الاصنام إلا أنهم مسالمون ، يدفعون ما عليهم من ضرائب بانتظام ومن غير تأخير . فلا يجوز لنا أن نزعجهم في معتقداتهم . » ثم أضاف إلى ذلك قوله : « قد يهجر الغزيون مدينتهم بالمرة فنخسر دخلا وافراً فيصيب غزة وتجارتها الخراب والدمار. » هذا كان جواب الامبراطور الذي اقترح على الامبراطورة والقسيسين اللذين توسلا إليهـــا ، أن يلجأ إلى أساليب معتدلة وطرائق معقولة اخرى لاكتساب قلوب الغزيين وتقريبهم إلى النصرانية . وارتأى أن يبدأ قبل كل شيء بنزع الوظائف والخدمات المدنية من أيديهم .

فاستاءت الامبراطورة من هذا الجواب ، وقالت له : « إن الرب يساعد عبيده المسيحيين ، إن شئنا نحن أو لم نشأ » .

وقبل أن يغادر الاسقفان القسطنطينية اغدقت عليهما الامبراطورة المال ليشيدا به كنيسة في وسط المدينة ، ومنزلا للغرباء . فقال قائل انها أعطت كل واحد منهما ثلاث حفنات من الذهب ؛ وقال آخر انها أعطتهما قنطارين . ولم يضن الامبراطور أيضاً عليهما بالهدايا الفاخرة . لأن الامبراطورة كانت قد تغلبت عليه، واقنعته بصواب رأيها . فنزل عند رغبتها .

---

(١) هو ثيودوسيوس الصغير

سلك برفيريوس عند رجوعه من القسطنطينية إلى غزة طريق البحر ، وقد قضى في سيره هذا عشرة أيام (خمسة إلى رودس وخمسة إلى ميومة فرضة غزة) فاستقبله أهل ميومة ، وكانوا كلهم مسيحيين ، والفريق الذي تنصر من أهل مدينة غزة ، استقبالا حسناً . وأما الوثنيون فقد ثار ثائرهم ، ولا سيما عندما اتصل بهم أن الامبراطور احتفى به ، وان الأمر قد صدر بهدم معابدهم .

عهد الامبراطور الى كينجيوس (Cynegius) بتنفيذ إرادته ، فوصل هذا إلى غزة بعد رجوع اسقفها إليها بعشرة أيام ؛ وكان معه حاكم ، وأمير ، واعوان كثيرون ملكيون وعسكريون ، وكتيبة من الجند البيزنطيين ، وعدد من الموظفين ؛ فجمع السكان وقرأ عليهم الامر الامبراطوري القائل باغلاق المعابد الوثنية .

فثار ثائر الوثنيين ،واحتجوا على هذا الامر الذي اعتبروه تدخلا بشؤونهم الدينية. بيد أن مندوب الامبراطور لم يعبأ باحتجاجهم ، بل أمر بضربهم بالعصي والنبابيت ؛ ثم أمر الجند بتنفيذ الامر فقام هؤلاء وهدموا بأيديهم وبمساعدة المسيحيين من سكان المدينة وبحارتها[1] ، معابد الوثنيين كلها .

دامت عملية الهدم عشرة أيام ، لاقى الجند خلالها أشد انواع المقاومة ؛ ولا سيما عند معبد (مارنيون)[2] فقد لاقوا مقاومة عجيبة . إذ سد رؤساء الدين جميع ابوابه ومنافذه بالحجارة الكبيرة . وعندما أيقنوا أن محاولاتهم لا محالة فاشلة ، وان معبدهم لا بد وأن يدوسه الجند فيهدموه ، حفروا حفرة اخفوا فيها الجواهر والكنوز الثمينة التي كانت لديهم ،ثم ولوا هاربين. فاحتل الجند المعبد،وحرقوه. وكان عدد كبير من سكان المدينة قد غادرها قبل وصول جند الامبراطور ، فصادر كينجيوس املاكهم ومنازلهم . وفي نفس المكان الذي كان فيه معبد مارنا هذا انشئت (عام ٤٠٧ م) الكنيسة التي تبرعت بنفقاتها الامبراطورة افدوكسيه ، وسميت على إسمها افدوكسيانة (Fudoxiana) وكانت أعظم كنيسة في ذلك الوقت.

٩ — ويظهر أن روح الكره والعداء قد اشتدت وتأصلت في قلوب

(١) سكان فرضة ميومة ، وقد تنصروا قبل هذا الحادث ، وكان بينهم وبين الغزيين عداء شديداً من جراء ذلك .

(٢) المكان الذى فيه الجامع العمري الكبير فى الوقت الحاضر .

الغزيين بسبب هذا الحادث ، فأخذوا يرتقبون الفرص لايقاع الأذى بالمسيحيين . فحدث مرة خلاف بين ايكونوم[١] الكنيسة وبين الزعيم (سمسيخوس) حول بعض المزارع ؛ فأهان الزعيم الاقنوم ، وشتمه ؛ وشد باروخاس أزر الايكونوم فوقعت مشادة عنيفة بين الفريقين أدت إلى ثورة عامة شملت المدينة كلها[٢]. وراح ضحية هذه الثورة خلق كثير .

١٠ — ولقد اشرف المسيحيون أثناء هذه الثورة الدامية على الهلاك ،إذ أن الغيظ كان قد بلغ أشده في قلوب الوثنيين، الذين حملوا النبابيت واشهروا السيوف ، وحملوا على الاسقفية فحطموا ابوابها . ثم دخلوها قاصدين الفتك بالاسقف برفيريوس، لو لا أن هذا كان قد هرب مع شماسه من الدار قبل مجيء الشعب إليها . فاختفى في دار ارملة فقيرة مجاورة لدار الاسقفية ، واشترت له خبزاً وزيتوناً وجبناً وحبوباً منوعة وخمراً فأكل وشرب . وعندما أسدل الليل ستاره رجع إلى دار الاسقفية ، فوجدها منهوبة ، وباروخاس جريحاً على وشك الموت . ولو لا الشدة التي استعملها الوالي (اكليرس) لما بقي من المسيحيين في ذلك اليوم ديار ولا نافخ نار .

١١ — ولقد تشتت شمل الوثنيين بعد هذه الحادثة وتنصر الكثيرون منهم. والذين بقوا منهم على دينهم غادروا المدينة . ويقال انهم دفنوا في الارض قبل أن يغادروها بعض الاصنام التي تمكنوا من انقاذها من يد المسيحيين بدليل الحادثة التالية:

بينما كان أحد العمال في اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٨٧٩ يحفر في الارض على مسافة أربعة أميال ونصف ميل من غزة ، عثر على صنم كبير من الأصنام التي كان يعبدها الغزيون في عهد الوثنية .

وكان هذا الصنم بشكل آدمي من المرمر حجم رأسه فقط ثلاثة أقدام من قمة الرأس إلى أسفل الذقن ، و٢٧ إنشاً من الاذن إلى الاذن ، وثلاثة عشر إنشاً ونصف إنش من أعلى الجبين إلى الفم ، و ٥٤ إنشاً بين الكتفين ،

---

(١) أي رئيس الدير أو وكيل الخرج. وهي لفظة يونانية أصلها ايكونوم ومعناها المقتصد.

(٢) معظم النار من مستصغر الشرر .

وأربعة وخمسون إنشاً محيط الرقبة ؛ وأما ارتفاع الصنم كله فانه خمسة عشر قدماً ؛ ضفائر شعره مرخية على الأكتاف ؛ ذقنه طويلة ؛ ويفهم منها أنها لرجل متقدم في السن ؛ ذراعه اليمنى مكسورة ، وأما اليسرى فانها ملتفة بالصدر حتى الكتف الأيمن . وعند الكتف تختفي اليد في داخل القماش المسدل عليها . وهذا الهيكل وجد مدفوناً في الرمل على قمة تل قريب من البحر . ويظهر أن الوثنيين دفنوا إلههم هذا ليخفوه عن أعين أعدائهم المسيحيين يوم كان الصراع شديداً بينهم .

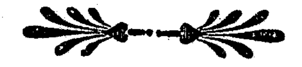
١٢ — إن الوثنية وإن كانت قد زالت من غزة بالمرة ، وعبادة الاصنام وإن كانت قد اختفت — حتى أنك لا تجد لها أثراً فيها ، بدليل أن الغزيين في يومناهذا من التعصب لدينهم الاسلامي بدرجة أنهم يكرهون أن يسمعوا أنهم كانوا في سالف الأزمان وثنيين — إلا أن بعض العادات الشائعة بينهم تدل على انها من بقايا عهد الوثنية . وليس أدل على ذلك من القسم الذي اعتادوه ، والأيمان التي ألفوها كلما أرادوا أن يؤكدوا لك انهم صادقون في اقوالهم . كقولهم مثلا :

(وحياة عين هاالشمس الحرة)(١)

(وحياة هالمسبعة اللي كلمت ربها)(٢)

(وحياة هاالكواكب)(٣)

ومن الحق أن نقول أن الحياة العلمية ازدهرت في غزة على عهد الوثنية ، وأن جامعتها اشتهرت فطار صيتها حتى أصبحت محجاً لطلاب العلم من أثينا وروما. وكان كثيرون يفدون إليها لدرس فن الخطابة .



(١) إشارة إلى معبد الشمس فى زمن الوثنيين .

(٢) إشارة إلى النار . وذلك فى الاصل دلالة على السبعة كواكب التى كانت تعبد من قبل الساميين الاصليين .

(٣) إشارة إلى المشترى الذي كانوا يعبدونه فى عهد الوثنية ، أو الزهراء(فينوس) أو افروديت(نجمة الصبح) و (نجمة المساء أيضاً) . وكان العرب فى جنوب فلسطين حتى القرن السابع يقدمون لها قرابين بشرية .وذلك عند تلألؤ النجمة فى السحر !!

غزة
والدين المسيحي



الاسرة المقدسة

السيد المسيح . . مريم العذراء . . القديس يوسف النجار

كتبت مرة إلى صديقي نيافة المطران بولس سلمان ، رئيس أساقفة شرق الأردن، أسأله عما إذا كانت الاسرة المقدسة مرت بغزة اثناء ذهابها إلى مصر أو عند رجوعها منها . فكتب إلي حفظه الله يقول :

« إن المسيحيين كانوا يكرمون غزة لمرور الاسرة المقدسة بها بعد عودتها من مصر ، وموت هيرودس الملك . والاسرة المقدسة مؤلفة من القديس يوسف والسيد

المسيح والسيدة مريم العذراء.» والاعتقاد سائد في غزة، بأن الاسرة المقدسة قالت[١] تحت شجرة من الجميز لا يزال الغزيون يسمونها (جميزة صالحة) ، وهي كائنة تجاه القلعة القديمة وعلى بعد خمسة كيلو مترات من المدينة إلى الشمال .

٢ — ولقد دخلت المسيحية مدينة غزة في عهد الدولة الرومانية . ولكنها لم تقو على الانتشار إلا بعد تأسيس الدولة البيزنطية . ويقال إن أول من بشر فيها هو الرسول (فيلبس[٢]) تلميذ القديس بولس الرسول ، ثم توالى بعده الأساقفة الذين ناصبوا الوثنية . ومن أشهرهم الأسقف (سلوانوس) ٢٨٥ للميلاد . وعلى قول انه أول أسقف ذكره التاريخ في غزة . وقد استشهد هذا مع تسعة وعشرين مسيحياً آخرين ، وكان ذلك عام ٣١٠ ب . م وعلى عهد الملك غلاريوس . ومن هؤلاء تيموثاوس وامرأته واسكندر وفلانتينا .

٣ — وفي عام ٢٩٠ الميلاد ، اشتهر القديس هيلاريون الذي ولد من أبوين وثنيين في ثافاثا بقرب غزة ، وقد درس الديانة المسيحية ، فتنصر . وصاحب القديس انطونيوس في الاسكندرية ، فتعلم منه طريقة التوحد . وانشأ منسكاً بين غزة وميوما . فكان أقدم دير اسس في فلسطين إلى ذلك الوقت . فاهتدى بوعظه وسيرته الكثيرون من الوثنيين ، وقبائل برمتها من العرب الذين كانوا يقطنون جنوبي غزة ، والتف حوله ألفا ناسك . والذي عمده هو البطريرك الاسكندري الكسندروس . وبعد اعتماده خلع الثياب العالمية ، وارتدى ثوب الرهبنة ، وباشر عمله الديني بحرارة وشوق زائد ، وسكن البرية . ولما بلغه خبر موت والديه عاد إلى بلده ، وأخذ ما تركاه ووزعه على الفقراء والمحتاجين . ثم سافر إلى أديار الشام ، ودخل أحدها ، وصار رئيساً للدير . وقد توفي وله من العمر ثمانون سنة . وذلك في سنة ٣٣٣ م . منها عشر سنين قضاها في منزل والده ، وسبع سنين في الإسكندرية، وثلاث وستون سنة في العبادة . وقد كان ذا شهرة واسعة . ومدحه القديس يوحنا الذهبي الفم في مقالاته وباسيليوس الكبير في نسكياته .

٤ — وأما القديس بطرس الرهاوي، فقداقيم أسقفاً على غزة في اواسط القرن

---

(١) أي نامت في القائلة ، ويقال لها القيلولة وهي النوم عند الظهيرة .

(٢) اعمال الرسل : الاصحاح ٨ العدد ٢٦ .

الثالث . ولد هذا الأب(١) بمدينة الرها في اوائل الجيل الثالث من أبوين شريفي النسب. ولما بلغ من العمر عشرين سنة قدمه أبوه إلى الملك ثاودوسيوس ، ليكون بمعيته . ولميله الفطري للنسك والعبادة ، ترك البلاط الملكي وترهب بأحد الأديار . ثم اقيم أسقفاً على غزة وما يليها من الضياع . ثم ذهب إلى مصر ، وأقام فيها مدة قصيرة . ثم عاد ورجع لغزة . وسمع به الملك زينون . وكان يتمنى أن يراه ، فلم يتمكن لأن هذا الأسقف كان لا يحب مجد العالم . ولذلك مضى إلى وادي الاردن (بين بيت القدس ودمشق) بفلسطين ومات هناك .

٥ — وقد تولى الاسقفية بعد ذلك الأسقف (اسكلبياس)، فحضر هذا المجمع المسكوني الاول المنعقد في نيقيا سنة ٣٢٥ م .

٦ — وأما سكان (ميوما) ، تلك الفرضة التي كانت قائمة على الشاطيء بالقرب من غزة ، فقد اعتنقوا الدين المسيحي قبل غزة (٣٣١ م).ولذلك جعلت اسقفيتهم اسقفية مستقلة ، وسميت مدينتهم (قسطنديا) على إسم الملك قسطنطين . فنشأ بين المدينتين ، على اثر ذلك ، تنافس شديد .

٧ — وفي عهد الإمبراطور جوليان (٢) زاد الخصام (٣٦١ م) . فرفع أهل غزة قضية ضد سكان ميوما طالبين إرجاع المرفأ إلى المدينة . فنظر جوليان في هذه القضية، وأصدر حكمه في صالح الغزيين . ثم حكم بأن تكون المدينتان تابعتين لحكومة مدنية واحدة ، وان بقيتا من الوجهة الدينية منفصلتين . وعبثاً حاول أساقفة غزة أن يسيطروا على ميوما من هذه الوجهة .

لم يقف الخصام في عهد جوليان عند هذا الحد . بل جرى اصطدام شديد في النصف الثاني من القرن الرابع ، بين سكان غزة الاصليين والمسيحيين . ويظهر أن سكان البادية المجاورة اشتركوا في هذا العراك . فهاجموا المسيحيين وقتلوا منهم اوسابيوس ، ونستابوس ، وزينون الاخوة الثلاثة ، بعد أن ابقوهم في السجن برهة من الزمن ؛ ثم جروهم في الاسواق ، وقطعوا رؤوسهم ، وحرقوا

---

(١) راجع كتاب السنكسار القبطي المطبوع بمصر سنة ١٩٣٥

(٢) المعروف عند العرب باسم (يوليانوس الجاحد) .

اجسادهم ؛ ثم دفنوهم في مكان خارج المدينة[1] حيث تدفن الحيوانات النافقة . ولم ينج ابن عمهم نسطور إلا باعجوبة . ولكنه لم يستطع العيش طويلا بعد تلك الحادثة. سجن الحاكم بعض سكان المدينة لفعالهم الارهابية هذه . بيد أن الامبراطور جوليان أقاله من منصبه، بسبب سلوكه هذا ؛ إذ كان الامبراطور يعتقد « ان الحاكم اخطأ في سجنه فريقاً من أبناء الوطن ، لا لسبب سوى أنهم اوقعوا في عدد من اتباع الناصري عذاباً قضت به آلهتهم ! »

٨ — وقد تولى الاسقفية بعد اسكلبيان الاسقف (ايرنيون) . فحضر هذا المجمع الانطاكي المنعقد عام ٣٦٣ م وفي زمنه بنيت كنيسة ايريني .

٩ — وبعد وفاته تولى كرسي الاسقفية (انياس) . ولكنه لم يعش فيها طويلا. إذ ما كاد يتولاها حتى قضى نحبه . فتولاها من بعده (برفيريوس) الذائع الصيت .

١٠ — بقيت الوثنية بطقوسها وعباداتها حتى اواخر القرن الرابع . ولما مات (جوليان) وتوج ثيودوسيوس الاول (٣٧٩ م) خفت وطأة اضطهاد المسيحيين . فحدث بعد ذلك رد فعل . وراحوا هم ينتقمون من خصومهم . فأقاموا الكنائس على انقاض معابدهم ، وشادوا الاديار ، وتنفسوا الصعداء . ولما كان ذلك كله قد جرى (عام ٣٩٥ للميلاد) وفي عهد أسقف غزة (برفيريوس) ،فقد آثرنا أن ننقل فيما يلي نبذة من تاريخ حياته منقولة عن كتيب[2] وضعه شماسه (مرقس) باللغة اليونانية ؛ قال :« ولد القديس (برفيريوس) في سلانيك على عهد الملكين اركاديوس وهونوريوس. وسافر منها إلى مصر،وبعد أن عاش (في دير السيق) راهباً خمس سنوات،رحل إلى اورشليم ليجاور الاماكن المقدسة . كان مصاباً بمرض في كبده ، ولكنه شفي منه بعد حين . وهو يعزو شفاءه للسيد المسيح الذي رآه في نومه وهو نائم في (القيامة) .

---

(١) يقول اوسابيوس فى كتابه (شهداء فلسطين) أن قد بنيت على عظام هؤلاء الاخوة الثلاثة كنيسة فى خارج المدينة .

(٢) عرب هذا الكتيب الاديب وهبة الله صروف ، وطبع فى مطبعة القبر المقدس باورشليم عام ١٩٠٠ للميلاد . وقد أهدانى نسخة عنه قدس الأب الايكونوموس إلياس الرشماوي الرئيس الروحي للروم الارثوذكس .

« كان في بادىء الامر يتعاطى صناعة السكافين : يغسل جلوداً ونعالا ، ويخيطها. ثم أقامه ابرائيليوس بطريرك اورشليم قساً ، وله من العمر خمس واربعون سنة . وكان طعامه الخبز والخضار ، يفطر بها بعد غروب الشمس .

« كان برفيريوس رجلا باراً ، وكان متضلعاً في المعرفة والحكمة ؛ وكان يفحم اليهود واليونان الوثنيين والهراقطة في مناظراته . ويروون عن كيفية اقامته أسقفاً لغزة الحكاية التالية :

« كان (ايرينيون) أسقفاً في غزة ، وكان يسير في أسقفيته سيرة الملائكة . وبعد وفاته تولى كرسي الاسقفية (انياس) . ولكن هذا لم يكد يتولى كرسي الاسقفية حتى قضى نحبه . فاجتمع على أثر ذلك المسيحيون في غزة ، وكانوا اقلاء جداً . ولبثوا أياماً عديدة يتذاكرون في من يقيمون أسقفاً عليها . فلم يتفقوا ، بل انقسموا حزبين : أحدهما أراد ان ينتخب واحداً من الاكليريكيين ، والآخر واحداً من العلمانيين . فانه كان بين العلمانيين رجال ذوو لياقة بسيرتهم الفاضلة . وإذ اشتد الجدال بينهم ، ولم يتموا الانتخاب ، أجمعوا على أن يتوجه خمسة من الاكليريكيين وخمسة من وجهاء العلمانيين إلى رئيس الاساقفة ، ويطلبوا منه اسقفاً . وكان رئيس الاساقفة إذ ذاك يوحنا . فلما حضره وفد غزة ، قالوا له : إنا نريد أسقفاً قادراً على مصادمة عبادة الاوثان قولا وفعلا . فأمرهم هذا بالصيام ثلاثة أيام . وقد ألهمه الله بعد ذلك أن ينتخب برفيريوس أسقفاً لهم . فبعث في الحال بكتاب إلى ابرائيليوس بطريرك اورشليم . وقد تم الامر ، واقيم أسقفاً على غزة بعد مساع جمة . »

القديس برفيريوس

وإليك حديث الشماس (مرقس) عن كيفية دخوله مع الاسقف برفيريوس

إلى غزة ، قال : « سافرنا من اورشليم إلى قيسارية ، ومنها إلى ديوسبوليس [١] ، ومنهــا إلى غزة . فدخلناها بعد الغروب . وقد كابدنا دون الدخول إليها مشقات واكداراً كثيرة . ذلك لانه بالقرب من مدينة غزة ، وعلى الطريق، قرى كثيرة لعبدة الاوثان .فوضع أهلها على طول الطريق عمداً، اكداساً من الشوك والعوسج، كي لا يستطيع المرء أن يجتازها . وصبوا على الاكداس اوخاماً واقذاراً ومواد كريهة الرائحة ، وأشعلوها ؛ فكدنا نختنق من شدة كراهية الرائحة ، وتعمى أبصارنا من كثرة الدخان . ولم نتخلص من ذلك بعد الجهد الجهيد ، إلا نحو الساعة الثالثة بعد الغروب ، فدخلنا مدينة غزة .

« فتوجهنا تواً إلى دار الاسقفية التي كان الاسقف ايرينيون قد بناها هي والكنيسة المدعوة (ايريني[٢]) وقد كانت صغيرة .

« واتفق أن حبست الامطار عن غزة في ذلك العام ، فنسب أهل المدينة ذلك إلى برفيريوس ، وادعوا أن حضوره إليها كان شؤماً عليهــا . وقد حزنوا لذلك واكتأبوا . ثم اجتمعوا في هيكل مارنا ، وقدموا له الضحايا ، وصلوا طالبين الغيث . ومكثوا على هذه الحال سبعة أيام ولكن دون جدوى . وحلت مجاعة في المدينة . ثم دعا برفيريوس المسيحيين، وقد كان عددهم يومئذ مايتين وثمانين نفساً بين رجال ونساء واطفال، فقضوا الليل كله في الكنيسة بين صلاة وترتيل ،وسجود وتسبيح.

« وفي صبيحة اليوم التالي خرجنا قاصدين الكنيسة القديمة[٣] وكانت هــذه غربي المدينة . وبعد أن صلينا هنا أيضاً زرنا مقام الشهيد تيموثاوس . ثم عدنا إلى المدينة . فوجدنا الباب مغلقاً وكانت الساعة التاسعة . وقد اغلقه عبدة الاوثان . وفيما كنا نعالج فتح الباب عصفت ريح قبلية ، تلبدت على أثرها الغيوم في السماء ؛ فقصف الرعد ، ولمع البرق ، وأخــذت الامطار تهطل بغزارة . عندئذ فتحت لنا الابواب ، واستقبلنا سكان المدينة بالسرور والترحاب . » ولقد ذكرنا في موضع

---

(١) اللد .

(٢) أي السلام . ولهذا الاسم سببان : أحدهما زعم أهل غزة انه لما استولى الاسكندر المقدونى على هذه المدينة غضب على سكانها فاعمل فيهم السيف ، ثم اتبع رأي مستشاريه فكف فى هــذا المكان عن القتال ، فسمى المكان (سلماً أو سلاماً) ، فبنى ايرينيون كنيسة فى نفس الموضع . والثانى مجانسة اسمها لاسم بانيها ايرينيون.

(٣) يقال إن الذي بنى هذه الكنيسة هو الاسقف اسكليباس .

آخر(١) من هذا الكتاب كيف سافر الاسقف برفيريوس إلى القسطنطينية ، واستحصل على إرادة ملكية بهدم معابد الوثنيين في غزة ؛ وكيف هدمت هذه المعابد مما لم يكن ثمة لزوم لاعادته هنا . وكل ما نريد أن نقوله الآن : ان حياة هذا الاسقف كانت مليئة بالعمل لخير الكنيسة ، ورفع شأن المسيحيين في غزة . وقد نجح في هذا المضمار نجاحاً كبيراً .

فهو الذي بنى (كنيسة افدوكسية) التي نذرتها الامبراطورة افدوكسية، وانفقت عليها مبالغ جسيمة . وقد بناها بشكل مستدير ، وفقاً للخارطة التي أرسلتها إليه الامبراطورة . وقد أرسلت إليه إثنين وأربعين عاموداً من الاعمدة (٢) الثمينة، وبلاطاً من الرخام ليستعملها في بناء الكنيسة . وقد بنيت في نفس المكان الذي كان فيه معبد مارنا . ورصفت ساحتها بالحجارة التي اخذت من هذا المعبد . حتى أن نساء غزة رفضن أن يدسن بأقدامهن على تلك الحجارة. وتم بناؤها في خمس سنوات. والمهندس الذي أشرف على بنائها (روفينوس) ، وهو انطاكي الاصل .

وقد احتفل برفيريوس بافتتاحها في اليوم الاول من عيد الفصح (٤٠٦ للميلاد). كان هذا الاسقف يعظ أهالي غزة باسلوب بسيط دون أن يلتجيء إلى تنميق العبارات . وقد أوصى بمبلغ معلوم يصرف أيام الصوم الكبير على فقراء غزة (كما كان يفعل ذلك إبان حياته) . وحضر مجمع اللد سنة ٤١٧ م الذي عقد هناك لدحض اعتقادات بلاغيوس الباطلة .

وقد توفى برفيريوس في اليوم الثاني من شهر ديستروس لسنة ٤٨٠ (٣) الغزية، بعد أن أقام في أسقفية غزة أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية أيام .

وبالرغم مما تقدم ، لم تبسد النصرانية في غزة السيادة التي كان يرمي إليها اتباعها.

---

(١) راجع الفصل الذي كتبناه عن (غزة الوثنية) .

(٢) يقال أن هذه الاعمدة جيء بها من مدينة كارستوس فى بلاد اليونان .

(٣) زرت قبره فى فبراير سنة ١٩٤٢ فرأيت مكتوباً عليه باللغة اليونانية أنه توفى فى غزة عام ٤٥٠ للميلاد . وفى كتاب (السواعى) الكبير ما يؤيد هذا التاريخ . غير أن الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف يقول انه توفى عام ٤٢٠ للميلاد . وهذا ما يؤيده (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) ايضاً . ويقول صديقي البحاثة الاستاذ اسطفان انه توفى في ٢٦ شباط سنة ٤٢٠ وهو اليوم المكرس لذكره فى الكنيستين الشرقية والغربية .

بل ظل سهم الاضطهاد مصوباً نحو المسيحيين بعد ذلك التاريخ ، ولـكن بقوة أقل من السابقة ، وبفترات متباعدة . إلى أن زال الاضطهاد بالمرة ، وأصبحت غزة كلها مسيحية . وكان ذلك في اوائل القرن الخامس للميلاد .

١١ — في عام ٤٣١ اقيم (نسطوريوس) أسقفاً على غزة . ولـكنه سرعان ما اقيل من منصبه ، بعد أن أدانه المجمع البطريركي بسبب سوء تصرفاته الدينية .

وفي عام ٤٥١ م اقيم (بطرس ايبروس) أسقفاً على غزة وميوما معاً .

١٢ — وحوالي نهاية القرن الخامس للميلاد، كان اينوس Enos الغزي الاصل أسقفاً في غزة . وكان هذا افلاطوني المذهب ، وكان من اتباع هراقليوس ، ولـكنه انقلب بعدئذ فصار مسيحياً . وقد ألف قصائد بليغة شرح فيها العقائد الدينية .

١٣ — وفي عام ٥٢٥ م اشتهر زخريا الخطيب (Zacharias Rhetor) وهو من ميوما . فكتب كتابه المعروف عن (تاريخ أصحاب الطبيعة الواحـدة) . ثم انتخب أسقفاً لجزيرة مدللي . وله كتاب في تاريخ الـكنيسة حرره بالسريانية .

١٤ — وقد اشتهر بعد ذلك الاسقف مارقيانوس الذي رعى المسيحيين بغزة عام ٥٣٦ م . وكان أخوه والياً على المدينة ، فعاضده في أعماله الدينية . وفي عهده احتلت جنود الامبراطورية الرومانية غزة ، بأمر من الامبراطور جوستانيان . وذلك بسبب ثورة السامريين من سكان القضاء . فانزعج الغزيون بسبب ذلك انزعاجاً كبيراً . الامر الذي حدا بهذا الاسقف إلى تأليف قوة ملية محلية ، عهد إليها بحل جميع المشاكل المتنازع عليها . فاستتب السلم ، وانسحبت جنود الامـبراطورية [١].

وقد شيد مارقيانوس في غزة عدداً كبيراً من الابنية كستها رونقاً وجمالا . ومن أسباب نجاحه أنه كان غزي الاصل ينتمي إلى اسرة كبيرة ، ودرس في المدارس دراسة عالية في الشعر والادب والفلسفة .

انه أعاد بناء سور غزة ، وأضاف إليه بعض الابراج ؛ وأعاد بناء كنيسة الرسل التي كانت على مقربة من السوق ، وأنشأ كنيسة أصغر من هذه في خارج المدينة . كما انشأ كنائس اخرى نذكر منها (كنيسة مار اسطفان) و (كنيسة القديس سرجيوس) وغيرها .

---

(١) Meyer

وقد جرى افتتاح هذه الكنائس والابنية باحتفالات شعبية رائعة ، اضيئت خلالها المدينة، واقيمت في جميع جوانبها أعلام الزينة . وقد دعي إلى هذه الاحتفالات جماعات كبيرة من المدن والدساكر المجاورة . فطار صيت غزة في عالم الادب والعمران والتجارة ، واكتظت شوارع المدينة بالجماهير والخطباء المثقفين الذين اخذوا يلقون من على المسارح ومنصات الخطابة خطباً متنوعة في الشعر والادب والدين والفلسفة.

ولما أمر جوستنيان باغلاق مدارس اثينا سنة ٥٢٩م كانت مدارس غزة مفتحة ابوابها ، تبث تعاليمها . وقد ظلت مبادىء الفلسفة الافلاطونية تعلم في هذه المدارس حتى اواخر القرن السادس .

ومن أساقفة غزة المعاصرين لمارقيانوس (ناتيراس) و (كيريللوس) .

١٥ — كانت اسماء اساقفة غزة حتى ٥٣٩ م تدون في سجلات مجلس القدس. ولكنه تألف في غزة عام ٤٥١ م مجلس حضره الشماس بيلاكيوس (وقد صار بعدئذ بابا) مندوباً عن روما يحمل أمر جوستنيان القاضي باقالة بولس أسقف الاسكندرية. وقد نفذ مجلس غزة هذا الامر .

١٦ — وكان (بروقوبيوس) اكثر الرجال الذين انجبتهم غزة شهرة ونفوذاً في اواخر القرن الخامس . قضى الشطر الاكبر من حياته في مسقط رأسه ، إلا فترة قصيرة من الزمن قضاها في قيسارية ، إذ ذهب إليها ليتبارى مع منافسيه في اكتساب جائزة من الجوائز . وكان مسيحياً مخلصاً ، وله مجادلات عنيفة مع خصومه في صور وانطاكية والاسكندرية . جمع مكتبة كبيرة . وقد راحت اقواله لمن بعده مضرب الأمثال . وقد ألف عدة فصول في تفسير أسفار العهد القديم .

١٧ — واشتهر في غزة نحو منتصف القرن السادس (قومودیان) . إنه كان شاعراً فذاً . إنه وإن كان ولد في غزة إلا أنه قضى الشطر الاكبر من حياته في آرلس بجنوب فرنسا . تهود في بادىء الامر ، ثم عاد فتنصر، وأصبح من أكبر دعاة النصرانية . وقد نشر بريور Brewer مؤخراً كثيراً من اقواله وكتاباته .

١٨ — ومن تلاميذ بروقوبيوس (خوريقيوس) Choricius فقد ولد هذا في غزة وكان أذكى تلاميذ بروقوبيوس . . لم يكن فيلسوفاً عظيماً ، إلا انه كان ممتازاً في الذكاء وصوغ الكلام . وكان ضليعاً بوصف المناظر والأبنية وصفاً يفوق

حد الإتقان . هذا ايضاً من الذين تركوا مذهبهم القـــديم واعتنقوا المسيحية . وقد وصف كنائس غزة وصفاً دقيقاً .

١٩ — ومن شعراء غزة (تيموثاوس) Timotheus فقد نبغ هذا في عهد انسطاسيوس الأول . وكتب مقالات وأشعار في أربع مجلدات ، وله كتاب في (التاريخ الطبيعي) وفي (الحيوانات ذات الأربع أرجل) .

٢٠ — وقد زار غزة خلال عام ٧٥٠ م انطونيوس الشهيد فقال عنها : «إنها مدينة جميلة للغاية . رجالها شرفاء جداً ، واحرار بكل معنى الكلمة ، ومحبون للحجاج . » وقد ذكر هـــذا ميومة غزة ايضاً قائلا عنها : « انها دار الاستراحة للقديس فيكتور الشهيد . »

٢١ — ومن متأخري أساقفة غزة الذين نبغوا في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد (سلمان بن محمد الغزي) العالم الشاعر والعربي الجنس واللغة . وقد كتب ترجمته الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف مقتبساً ذلك من ديوانه الذي نظمه قبل ترقيته إلى درجة الاسقفية .

ويظهر أن ديوانه كبير الحجم. وقد وجدت منه نسخ في حلب كتبت بيد بولس بن الخوري عيسى بن موسى بن حاتم الحمصي عام ١٥٥٧ م ، وفي مكتبة البطريرك غريغوريوس الانطاكي (وفي هذه النسخة ٣٣ قصيدة) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت خمس نسخ كتبت إحداها حوالي القرن الخامس عشر ، وفي مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف نسخة تحتوي عـلى ٦٩ قصيدة فيها ٢٧٧٨ بيتاً ، وفي مكتبة القبر المقدس نسخة نسخت عام ١٦٩٠ م .

ويظهر من ديوانه المخطوط انه كان متزوجاً وانه كان له ولد، وحفيد إسمه ابراهيم، ولما ماتا رثاهما بقصيدة جاء فيها :

أقول للدار والسكان قد رحلوا | والدمع من مقلتي في الخد ينهمل
يا دار هـل لك علم بالذين مضوا | وغيبتهم صروف الدهر ما فعلوا
فالحزن يجرح احشائي ويحرقها | فما تسر وإن طالت بها الطول
أصبحت أسأل ربعاً لا أنيس له | وهـل يجيبك عما سلته الطلل
سقياً لأيامنا والعيش في دعـــة | أيام عهدي بهم والشمل مشتمل

وطالما بت مسروراً بساحتهـــا مــع السعادة والإقبال متصل
أمست منازل خـــلى منه خالية بعد الأنيس عليهـا الذل منسدل
فان خلت وعفاها فقد ساكنها فالدار يوحشها من أهلهـا العطل
يا ليل رد عـــلى عيني نومهـــما إن لذ بالنوم صب هائم وجل
ثكلت من بعد ابراهيم والده فقد نحلت وأضنى جسمي الثكل

والظاهر من ديوانه انه كان ديناً ضليعاً في العقائد المسيحية ، حافظاً لآيات الكتاب المقدس ، حتى أنه رقي إلى أسقفية غزة . والظاهر أن انتقاله إلى الاسقفية كان بمدة قريبة ، لأن ديوانه باسم (الشيخ سليمان بن حسن الغزي) ومقالاته وتحاميده باسم (المطران سليمان الغزي). وقد أشار إلى ذلك بقصيدة مطلعها :

النفس تبـــقى والجوارح تتلف حـــتى يبيد الهيكل المتألف
فيصير كالطفل الذي حركاته وقواه عن دفع المضرة تضعف
وتعود صـــورة وجهه مسودة عن مذهب كانت له تتكلف
حدث عن الفرد الذي أوصافه معـــدودة الفاظهـــا تتضعف
مثل الكتاب حروفه إن صحفت فسدت ومعنى القول لا يتصحف
سبحان من خلق المكان فدلنا إن الاله عن المكان يلطف
طوبى لمن كنزوا كنوزاً في السما والكنز في أرض السما لا يتلف
والكنز في أرض الزوال تزيله أيامهـــا ويخلف المتخلف
والمؤمنون تخيروا بملك الانقضا ملك البقا ولفقرهم لم يأسفوا

ومن قصائده :

توبوا فاني وجـــدت الله توابا ومن ترجاه للغفران ما خابا
يأتيكم القوم في شكل الخراف وهم إذا تكشفت الأستار أذيابا
يعيرونكم بقول لا يصح لهـــم ويجمعون لفعل الشر احزابا
طوبى لكم إن طردتم أو أضربكم سي واعـــدمكم أهلا وأحبابا
ضيق الحيـــاة يؤديـــكم إلى سعة ووسعهـــا قاطـــع للاثم ارقابا
فلا تميلوا إلى عيش يلذ لكـــم فكل إثم يدانيه إذا طابا

٢٢ — ومن متأخري اساقفة غزة (ثيودوسيوس) القبرصي الذي ذكر

في برنامج المخطوطات بمكتبة القبر المقدس صفحة ٢٧ عدد ٢٢ باليونانية ؛ و (بائيسيوس) الساقزي المتوفى في روسيا سنة ١٦٧٨ م وهو مؤلف كتاب الرموز باليونانية ؛ و (خريستوذولوس) أي عبد المسيح مطران غزة والرملة ؛ وآخرهم السيد (صفرونيوس) اقيم في اوائل القرن العشرين ومقره بالقدس الشريف . وله نائب في غزة التي تتبع اسقفيتها البطريركية الاورشليمية .

٢٣ — عاش المسيحيون بعد الفتح الاسلامي ، في غزة وسائر المدن الفلسطينية ، بأمان واطمئنان إلى أن قامت الحروب الصليبية (١٠٩٦ م) . وراح البابا اوريانوس بتشويق من البطريرك سمعان يدعو الناس لانتاذ المسيحيين في الارض المقدسة من ربقة العبودية . ولقد ذكرنا في غير هذا المكان من الكتاب ، نقلا عن (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) [1] « إن الغاية الظاهرة من هذه الدعوة ، (تحرير المسيحيين من ربقة العبودية) ، والغاية الحقيقية هي (إخضاع الكنائس الشرقية للكنيسة الغربية) ، وأن الصليبيين قتلوا يومئذ من أهل القدس المسلمين سبعين ألفاً ، وانهم أتوا فيها بأعمال يتبرأ منها الدين المسيحي الذي يدعون انهم إنما جاءوا لنصرته ، فضلا عن أن هذه الأعمال جعلت روح العداوة والبغضاء تتأصل في قلوب المسلمين ضد مسيحي البلاد التعساء . ولو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة وغزوات الصليبيين المتكررة ، وفظائع هؤلاء بمسلمي البلاد لعاشوا إلى جانب إخوانهم المسلمين عيشة راضية ، لا يتخللها نكد ولا كدر . . . » إلى آخر ما جاء في (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) .

٢٤ — وقد حلت الكنيسة اللاتينية محل الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين باستيلاء الافرنج عليها ، فنصبوا لهم بطاركة على اورشليم . وأما البطاركة الارثوذكسيون فكانوا يومئذ ينصبون في القسطنطينية ويعيشون فيها . وأقام اللاتين لانفسهم اساقفة في جميع المراكز الأسقفية . ولم يبق تحت سيادة البطاركة الاورثوذكسيين سوى اسقفيات اللد والرملة وحبرون . وهؤلاء ايضاً جردوا من كل نفوذ . والحقت بطركياتهم ، من الوجهة السياسية ، بالبطريركية اللاتينية (الصليبية) .

وأما اسقفية غزة فتركت لليونان . لأن أهالي غزة كانوا يوناناً وثنيين فتنصروا .

---

(١) راجع الصفحة ٧٠ منه

وقصارى القول فان النزاع بين الطوائف المسيحية والطوائف الاسلامية من جهة ، وبين الطوائف المسيحية نفسها من جهة اخرى دام طيلة السنين التي كانت نيران الحروب الدينية فيها مشتعلة .

٢٥ — ولما انقشع تأثير تلك الحروب الدينية خفت وطأة الخصام بين المسلمين والمسيحيين . وائتلف الفريقان ائتلافاً عجيباً . وها هم المسيحيون يعيشون وإخوانهم المسلمين جنباً إلى جنب . وأود أن أخص بالذكر مدينة غزة . فانك لا تستطيع أن تميز بين الواحد منهم والآخر هنا : لا في أكله وشربه ، ولا في لباسه (١) ومأكله ، ولا في منامه وعاداته . ولا فرق بين المسلم والمسيحي في هذا المضمار .

كان مجلس الادارة في العهد التركي مؤلفاً من عضوين مسلمين وآخرين مسيحيين . وكان مفتي المسلمين والرئيس الروحي للمسيحيين يعتبران عضوين طبيعيين في المجلس المذكور . وكذلك كان الحال في (محكمة البداية) في العهد التركي . وفي اوائل الاحتلال تألفت في غزة جمعية إسلامية — مسيحية كان قوامها اعضاء من المسلمين والمسيحيين .

وكانت اللجنة القومية التي أشرفت على الاضراب في غزة عام ١٩٣٦م، مؤلفة من أعضاء مسلمين وآخرين مسيحيين . والمظاهرات التي قامت في بدء عهد الثورة الفلسطينية الأخيرة ، اشترك فيها المسيحيون كما اشترك فيها المسلمون . وكانت كل مرة تبتدىء عند المسجد الكبير وتنتهي عند الكنيسة ، أو العكس بالعكس .

وقد حضرت بنفسي استغاثة للمطر قام بها الغزيون عام ١٩٤٠، واشترك فيها المسلمون والمسيحيون معاً . حتى أن المسلمين لم يدخنوا أية سيجارة طيلة الطريق لان المسيحيين كانوا معهم ، ولا يجوز في عرف المسيحيين التدخين أثناء الاستغاثة ، لانها ضرب من ضروب العبادة . ولا يزال عدد كبير من سيدات غزة المسيحيات يعشن في منازلهن كالمسلمات ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ذوي القربى منهن ، كما أن (الحجاب) سائد بينهن .

وكانت قضايا الارث بين المسيحيين تحل وفقاً لقواعد الشرع الاسلامي . كما كان حصر الإرث عندهم ينظم في المحكمة الشرعية . وظل الحال كذلك حتى عام ١٩٢٥

---

(١) تستعمل المرأة المسيحية بغزة (الحجاب) و (الازار) كما تستعمله المرأة المسلمة . ولم يشذ بعض المسيحيات عن هذه القاعدة إلا بعد الاحتلال .

حيث نفذ القانون البيزنطي الذي يقر الانثى كالذكر من حيث الارث . وتألفت محكمة كنائسية في غزة لهذه الغاية .

إنه وإن كان للمسلمين مساجد وللمسيحيين كنائس ، يذهبون إليها متفرقين اثناء الصلاة والعبادة ، إلا أنني كثيراً ما رأيت المسيحيين يشاطرون إخوانهم المسلمين في مساجدهم أثناء قراءة المولد النبوي ، ويغلقون متاجرهم . ليس هذا فحسب ، بل يقوم اثناء الاحتفال بالمولد النبوي شاب من شبان المسيحيين المثقفين تثقيفاً عالياً — ألا وهو حنا افندي بن المرحوم داود افندي فرح الملقب بدهده — ويخطب المسلمين الذين اجتمعوا في دار المجلس البلدي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول لسنة إثنين وستين وثلاثمئة بعد الالف للهجرة (١٩٤٣ م) ويقول :

« إنني باسم العروبة أقف هذه الوقفة في هذا العيد السعيد لأمدح واحيي رسول العرب ، وبطلهم وجامع شملهم ، وموطد كيانهم ، وباني مجدهم ، ومؤسس وحدتهم . وإنني لارجو أن لا يحمل قولي محمل المواربة والمراياة فيقول البعض ما لهذا النصراني يقف وقفة الخطيب بين المسلمين في يوم عيدهم فيمدح نبيهم ؟ أو ليس ذلك استخذاء ومحاباة منه دفعه اليهما غرض في نفسه أو مرض في قلبه ؟ كلا أيها السادة. بل إنها القومية الصرفة ،والعروبة الصرفة المتوطنة في قرارة نفسي ؛ هي المحبة الخالصة لعروبتي، والتي يتبدد أمامها كل إعتبار آخر ، دفعتني لاقول كلمتي هذه.فأنتم مسلمون تحتفلون بهذا العيد من وجهة دينية ، وأما أنا فانني احتفل به من وجهة قومية . إنني بهذا اليوم أحيي البطولة العربية، والعظمة العربية،والنبوغ العربي؛فقبل أن يكون محمد نبياً كان بطلا عربياً،وقبل أن اكون مسيحياً كنت فتى عربياً .وإنني كفتى عربي أقف لأمدح البطل العربي ، إبن جلدتي ودمي ، وباني مجدي وسؤددي. لقد طبع الناس على أن يعظموا البطولة مهما كان شكلها . فاذا كنا من هذه الناحية، نعظم لويس الرابع عشر ونابوليون وباستور وهم فرنسيون ؛ ونكبر موسى وداود وسليمان وهم يهود ؛ ونعظم شكسبير وبيرون وتشرشل وهم إنكليز ؛ ونكبر كونفوشيوس وبوذا الهنديين ، وزرادشت الفارسي ، وهم وثنيون ؛ فكيف لا نعظم ابن الجزيرة الأوحد محمداً البطل العربي . وهو كما تعلمون أعظم الأبطال خطراً وأجلهم شأناً وأسماهم خلقا وأعلاهم قدراً . . . »

ولقد رأيت المسلمين يرتادون الكنيسة في عيد الفصح ، وليلة جناز المسيح ،

وفي صلاة الباعوث المسماة (التقبيلة) . وهل تريد دليلا أقوى على التساهل الكائن بين الفريقين من مأذنة الجامع الملاصقة لجرس الكنيسة في حي الزيتون . ومما يجدر بنا ذكره في هذا المضمار ان المسيحيين ما عادوا يسمون أبناءهم بأسماء افرنجية كما كانت عادتهم من قبل . بل أخذوا يسمونهم بأسماء عربية بحتة كخولة ، وهالة ، وعبلة ، والوليد ، وطارق ، وجلال ، ومي ، وحاتم ، ولميا ، وفاروق ، وهاني .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن قدس الأب الايكونومس إلياس الرشماوي[1] الرئيس الروحي للروم الارثوذكس بغزة(١٩٤٢ م) أهدى مكتبة الجامع الكبير الاسلامية عدداً غير قليل من كتبه . وأن هذا الرئيس الروحي ابرق إلى القائد العام عام ١٩٣٧ برقية طلب فيها العفو عن أولاد شملخ المسلمين الذين حكم عليهم بالاعدام لحملهم السلاح واشتراكهم بالثورة الفلسطينية ، وقد اختتم برقيته بالعبارة التالية :



خوري الروم بغزة
الياس الرشماوي

« طوبى للرحماء ! فانهم يرحمون ! »

ولما عفي عنهم ، أبرق إلى القائد برقية اخرى يشكره فيها ، وقد اختتمها بالقسم الباقي من الآية نفسها كما وردت في الانجيل ، قال : « فطوباكم ! »

(١) تولى هذا الأب رعاية الطائفة الارثوذكسية بغزة بتاريخ ٢٥ إيلول ١٩٢٤ ولا يزال يرعاها فى يومنا هذا . ولد فى (بيت ساحور) وتلقى علومه الأولية فيها . ثم تعلم فى مدرسة مار متري الاكليريكية بالقدس (١٩١٤) ثم اقيم كاهناً على شرق الاردن ، ثم اختير رئيساً روحياً لغزة وهو فى نفس الوقت رئيس المحكمة الكنائسية التي يشمل اختصاصها غزة وبئر السبع والمجدل وسائر انحاء فلسطين الجنوبية . إنه على صلات ودية مع علماء المسلمين ، يزورونه ويزورهم . ويتعاون معهم فى جميع المسائل الاجتماعية والقومية .

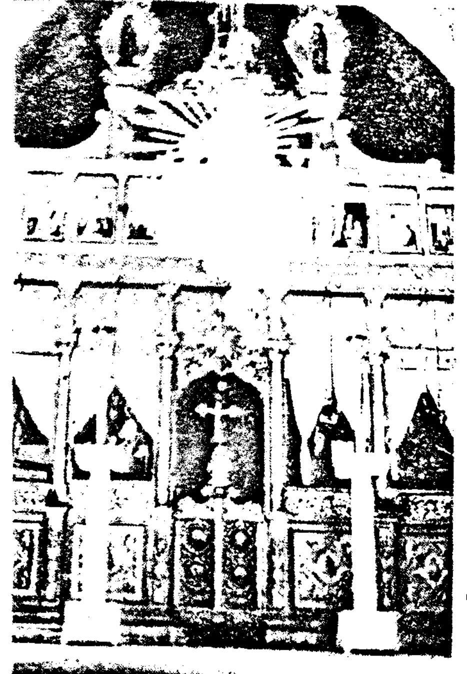
٢٦ — غير أن الاغيار الذين لا يرضيهم هذا الاتفاق ، يحاولون أن يفتحوا ثغرة في جسم هذه الامة. فتراهم يعملون على إحباط هذا الإتحاد، وإيجاد شتى المخاوف في أفئدة الجهلة من الفريقين . ويساعدهم في تنفيذ خطتهم هذه بعض الجهلاء الذين يتخوفون من (استقلال العرب) الذي تنشده الأكثرية ، لظنهم أن المسلمين إذا استقلوا هضموا حقوق المسيحيين في وظائف الدولة ومناصبها ، وفي مصالح البلاد ومرافقها العامة . هكذا يفعل الدساسون للتفريق بين أبناء الوطن الواحد . وفوق كل ذي علم عليم .

٢٧ — وقبل أن اختتم هذا الفصل ، أود أن أقول كلمة في موضوع الكنيسة التي بناها الأسقف برفيريوس ، والتي سماها « افدوكسية » إذ قد اختلف في تعيين موقعها بالضبط. فهناك من يقول : إنها بنيت في نفس المكان الذي بني فيه معبد مارنا ، إذ أن برفيريوس هو الذي استحصل على الأمر الملكي بهدم هذا المعبد ، وهو الذي عمل على إنشاء الكنيسة المذكورة . فلا بد وأن يكون قد بنى الكنيسة على أنقاض المعبد ، واستعمل البلاط والحجارة والأعمدة التي كانت فيه ، مضيفاً إليها الأعمدة التي ارسلت إليه من مدينة كارستوس بأمر من الإمبراطورة. وهناك من يقول : إن برفيريوس بنى كنيسته هذه في المكان الذي فيه كنيسة الروم الارثوذكس في يومنا هذا ، لا في المكان الذي كان فيه معبد مارنا ؛ وإنه نقل البلاط والحجارة والأعمدة التي كانت في المعبد المذكور إلى المكان الذي بنيت فيه الكنيسة ، وهو لا يعد عنه كثيراً . ويستدل على قوله هذا بالكتابة التالية التي يراها الداخل إلى كنيسة الروم، منقوشة على بلاطة من رخام فوق الباب :

« بسم الله الحي الواحد الاله القدوس إبتدأ عمارة الكنيسة بسعي الأب برفيريوس مطران غزة سنة ٤٢٥ بأيام الملك اركاديوس . وقد جرى قصارتها أيام البطريرك الاورشليمي كرالبوس بمسعى الأب فليموس ومناظرة المهندس بلاشوتي بشاريوس . الكاين مصروفها من القيامة المقدسة ومن بعض المسيحيين بغزة سنة ١٨٥٦ مسيحية بشهر آذار » .

وأما الاستاذ كليرمان غانو ، فانه يعتقد أن كنيسة الروم الحالية بنيت من قبل الصليبيين ، وأنها كانت على عهدهم كابلا (أي كنيسة صغيرة) وقد استعمل في بنائها عدد كبير من الأعمدة الرخامية التي كانت في غزة قبل الصليبيين . ويهزأ الاستاذ

غانو بالقول القائل ان الصليبيين بنوا كنيستهم هذه على أنقاض الكنيسة التي بناها برفيريوس بتشويق من الملكة افدوكسيانة . ويقول انه كان في غزة كنائس بيزنطية عديدة قد يكون شكلها تغير في زمن الصليبيين : ككنيسة القديس سرجيوس التي كانت بالقرب من السوق في شمال المدينة ، وكنيسة القديس أسطفان (أول الشهداء) الواقعة شرق المدينة . تلك الكنيسة التي بناها الأسقف مارقيانوس في عهد الملك جوستانيان .



كنيسة الروم الارثوذكسيين بغزة

وإني لعلى يقين بأن كنيسة افدوكسيانه ، بناها برفيريوس على أنقاض معبد مارنا ، وأن كنيسة الروم الحالية الواقعة في حي الزيتون بنيت أيضاً من قبل برفيريوس نفسه. وهي لا تزال تدعى كنيسة القديس برفيريوس إلى يومنا هذا . وقد عمرت بعدئذ مراراً واضيف إليها بعض الأروقة . وأما الكتابة التي وجدت منقوشة على البلاطة فوق الباب ، والتي ذكرتها في الأسطر المتقدمة ، فانها لم تكتب في حياة برفيريوس ولا في عصره ، بل كتبت عندما جرى إصلاحها في عهد البطريرك الاورشليمي كرالبوس، وبمساعي الاسقف فليموس. ولما دخلت غزة في الاسلام، اعتنق قسم كبير من الغزيين الدين الاسلامي، وبقي الآخرون على دينهم . فاقتسموا الكنيستين اللتين كانتا فيها . فأخذ المسلمون وقد كانوا الاكثرين الكنيسة الكبرى ، وهي كنيسة افدوكسيانة التي بنيت على أنقاض معبد مارنا ، وأخذ المسيحيون وقد كانوا الاقلين الكنيسة الصغرى ، وهي كنيسة الروم الحالية . كانت أملاك هذه الكنيسة تسجل باسم وكيلها ، ولا تسجل باسم الكنيسة نفسها . وكان المسيحيون يستعملون

(الناقوس) الخشبي . ولم يستعملوا (الجرس) إلا منذ خمسين عاماً . ولقد أصاب هذه الكنيسة خراب في أواخر القرن الماضي ،فصلحت من أموال القيامة وتبرعات المسيحيين بغزة ، وكان ذلك عام ١٨٥٦ م . وزالت زخارفها أثناء الحرب الكبرى (١٩١٧ م) بسبب القنابل التي كانت تقذفها مدافع الانكليز من البر والبحر على المدينة . فجاء المثري الكبير جورج بك أيوب (١) وأعاد إليها تلك الزخارف وانفق على ذلك ١٨٠٠ جنيهاً فلسطينياً .

٢٨ — ويظهر أنه كان في غزة، في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، طائفة أرمنية الأصل ، وانه كان لهذه الطائفة كنيسة أرمنية باسم القديس آركانجيل، وهذا ثابت من السجلات المحفوظة في دير الأرمن بالقدس . والمظنون أنها قبل أن تصبح كنيسة ، كانت تستعمل كضافة للحجاج الذين كانوا يفدون إلى فلسطين من مصر، وكانت يومئذ تنضوي تحت لواء البطريركية الأرمنية .

إن السجلات المتقدم ذكرها، وإن كانت لا تذكر بالضبط التاريخ الذي انشئت فيه هذه الكنيسة ، إلا أن الذين تتبعوها يعتقدون أنها كانت قائمة فى هذا الوجود قبل سنة ١٦٥٧ ميلادية ، بدليل أن بطريرك الأرمن في القدس يومئذ (اليازار) عمرها في تلك السنة . وهناك قيود اخرى تدل على أن هذه الكنيسة ،كانت لا تزال قائمة في سنة ١٧٣٠ ميلادية . ويظهر أنها هدمت ، أو هجرت هجراً ،فألم بها الخراب بعد ذلك التاريخ .

إن البقعة التي كانت فيها في العهود الغابرة تدعى في يومنا هذا (حاكورة المللك). مساحتها أربعة دونمات وسبعماية متر ، وهي واقعة في حارة الزيتون ، ومسجلة باسم (هاكوب ارسينيان) الوكيل عن وقف بطريركية الارمن بالقدس . ويقال ان بعض الأرمنيات المتدينات كن في الأزمنة الغابرة يعتقدن أن هذه البقعة مباركة ، وأن المريض الذي يعيش فيها أو يغتسل بمائها لا بد أن يبرأ من مرضه .

٢٩ — وأما الآن فانه ليس في غزة سوى ثلاث كنائس مسيحية : كنيسة الروم الارثوذكس (٢) التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة وتسمى كنيسة القديس برفيريوس؛

---

(١) إنه غزي الاصل . يقيم فى مصر . وله فيها تجارة واسعة ، واملاك كثيرة .

(٢) عدد الروم الاورثوذكس فى غزة فى يومنا هذا الف .

وكنيسة اللاتين[1] التي انشأها الراهب النمساوي المرغات قبل ستين سنة تقريباً (١٨٧٩)؛ وكنيسة البروتستانت التي أسستها الارسالية التبشيرية الانكليزية (١٨٩٣). تلك الارسالية التي سنبحث عنها في الاسطر التالية :

٣٠ — زار القس كلاين F. A. Klein غزة في عام ١٨٦٢م ويلوح أنه كان يقصد من زيارته تمهيد السبيل إلى القيام بأعمال تبشيرية . غير أنه لم ينجح يومئذ .

وفي عام ١٨٧٨ قامت الارسالية التبشيرية C. M. S. وعلى رأسها المستر ريتشارد Ritchard الذي استوطن غزة مدة ، بفتح أربع مدارس : اثنتان للذكور واخريان للاناث . وكان عدد طلابها يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ .

ثم استوطنها القس شابيرا A. W. Schapira وافتتح فيها غرفة للقراءة. وكان هذا يهودياً ثم تنصر .

وفي عام ١٨٨٠ م خطب قائمقام المدينة في عدد من سكانها ؛ مشجعاً عمل الارسالية التبشيرية من حيث فتحها المدارس ، فقوبل خطابه بموجة من الاستياء عمت المسلمين.

وفي عام ١٨٨٢ م قامت الارسالية بأول عمل من أعمال الاسعاف الطبي في فلسطين. لكن ذلك بقي ذا صبغة مؤقتة ، إلى أن تبرع له القس جون فن اوف هيرفورد John Venn of Hereford بمبلغ من المال؛ فأخذت أعمال الاسعاف هذه عندئذ صبغة دائمية .

وقد زار غزة الجنرال غوردن عام ١٨٨٣ م ، وحضر مؤتمراً تبشيرياً أقامه في غزة ممثلو جميع الارساليات التبشيرية في الشرق الادنى . ويقال ان الجنرال غوردن هذا ، هو الذي اطلع على مساوىء القس شابيرا المتقدم ذكره. فأشار باقالته من منصبه.

ثم تولى أعمال الارسالية القس اليوت R. Elliot ، وكان ذلك عام ١٨٨٦ م .

وفي عام ١٨٩٠ ، تولاها مؤقتاً الدكتور بيلي H. J. Baily وساعد في أعمال الاسعاف الخارجي .

وفي عام ١٨٩١ م، استأجرت الارسالية التبشيرية داراً من دور غزة وجعلتها مستشفى . وكانت الارسالية تقوم يومئذ بأعمال طبية في المجدل واسدود ايضاً .

وفي عام ١٨٩٣ م توفى القس هوبر J. Huber الألماني الأصل، الذي بنى قسم السيدات ، وبهو الكنيسة . فدفن في المقبرة الواقعة داخل المكان . فتولى أعمال

---

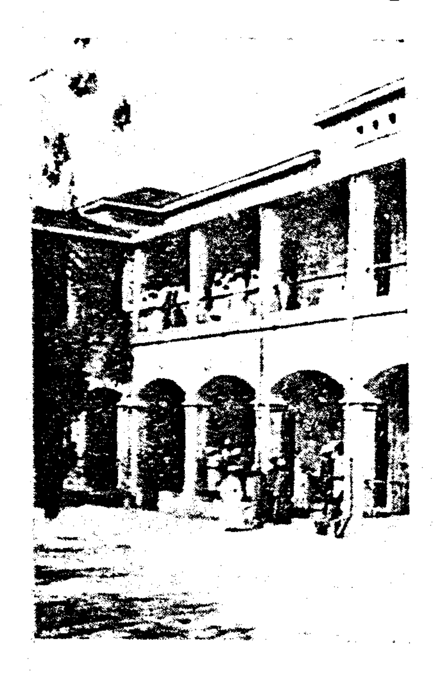
(١) عدد اللاتين الذين يعيشون في غزة في يومنا هذا مئة .

الارسالية من بعده الدكتور ستارلنغ Sterling وسار بها قدماً . فازداد عدد الطالبات في مدرسة الاناث عام ١٩٠٢ من ٦٨ إلى ٣٠٠ ؛ وفي عام ١٩١٣ إلى ٤٠٠ . وكانت المس Smithies هي المسؤولة عن إدارة هذه المدرسة . وكان يساعدها في عملها هذا عدد من المعلمات من بنات المدينة .

وفي عام ١٩٠٧ عين الدكتور برسي بركستوك Percy W. Brigstocke ليكون زميلا للدكتور ستارلنغ ولكنه نقل في عام ١٩١١ إلى الصلت .

وفي اليوم الاول من إبريل لعام ١٩٠٨ ، افتتح مطران القدس المستشفى الجديد ،وكان يحتوي على ٤٦ سريراً.

وفي ٢٢ فبراير عام ١٩١١ افتتحت العيادة الخارجية . وكان عدد الذين التجأوا للعيادة المذكورة في عام ١٩١٢، ٢٩٥٨١ شخصاً ، والذين ادخلوا في المستشفى ٧٠١ ، والذين عولجوا في منازلهم ٤٥٢ ، وقد اجريت عمليات جراحية إلى ٤١١ شخصاً .



مستشفى الارسالية الانكليزية

وبعد الدكتور ستارلنغ المتقدم ذكره،تولى أعمال الارسالية التبشيرية بغزة،ولده روبرت ستارلنغ R. G. Robert Sterling . ومن بعد هذا تولاها في ٢٩/٣/٢٢ الدكتور الفرد هارغريفس Alfred Ridley Hargreaves ولا يزال فيها حتى يومنا هذا (١٩٤٣) .

وهناك مدرسة للأطفال تديرها المبشرة الانكليزية المس ايفانس تحت اشراف الارسالية المتقدم ذكرها .



غزة والسامريون

يجدر بك أيها القارىء الكريم أن تقرأ هذا الفصل بعد انتهائك من قراءة تاريخ اليهود في غزة . إذ أنهم أقرب الناس إلى اليهود ديناً ولساناً .

ولهذا نود ، قبل كل شيء ، أن نلقي نظرة بسيطة على النقط والمبادىء الدينية التي تكون شقة الخلاف بينهم وبين اليهود فنقول :

السامريون لا يقبلون من التوراة التي يعترف بها اليهود سوى أسفار موسى . انهم ينكرون الرواية القائلة بأن (سرجون) ملك آشور عندما نفى بني اسرائيل إلى بلاده ، واسكنهم في ما بين النهرين ، أتى بدلا منهم بقوم من بابل ، وأسكنهم في السامرة ، ولذلك سموا (سامريين) . ويقولون انهم في الحقيقة ليسوا بسامريين وإنما هم شومرونيم (שומרונים) أو شومريم (שומרים) أي المحافظون على الديانة اليهودية القديمة. وقد ظهر الخلاف بينهم وبين اليهود في زمن داود ، لما أراد هذا أن يبني الهيكل ؛ وازداد في زمن سليمان لما بنى الهيكل في اورشليم . واحتدم الخلاف بين الفريقين عندما ألف (عزرا) كتاباً قال فيه: « إن السامريين اميون ، وانهم يعبدون الحمامة » .

٢ — هناك كتابات وآثار تدل على أنه كان في غزة ، من القرن الرابع إلى القرن السابع عشر ، عدد كبير من السامريين . وهذا ما حدا بنا لأن نفرد لهم فصلا خاصاً نذكر فيه طائفة من الاخبار التي اتصلت بنا عن تاريخهم ، ووقائعهم ، وعددهم ، وأمانيهم ، ورجالهم ؛ على أن نحصر بحثنا بما له صلة من هذه الاماني والوقائع بتاريخ غزة ، ذلك التاريخ الذي جعلناه مداراً للبحث في كتابنا هذا .

٣ — ففي القرن الرابع ، اعطيت البلاد الواقعة بين غزة والنهر المصري إلى (اسرائيل بن ماخير)(١) الذي كان قائداً لجيش (بابا رابا) (٢) الذي حارب الرومان. وعين (شالوم) السامري رئيساً روحياً لهذه البلاد . وأما البلاد الممتدة من الكرمل

---

(١) ישראל בן מכיר

(٢) בבא-רבה

إلى غزة ، فقد اعطيت إلى (لايب بن بكر) ، وعين (يوسف) رئيساً روحياً لها .
وجميع السامريين الذين استوطنوا غزة يومئذ ، كانوا من سبط بنيامين ، إلا(مظاف
إبن متباليل) (١) فانه كان من سبط افرايم .

٤ — إن اختلاف العقيدة من جهة،واختلاف الاصل والاسباط من جهة اخرى،
جعلت الخلاف يحتدم بين السامريين واليهود .وقد زاد حكم الفرس في الطين بلة ، إذ
انهم التزموا جانب اليهود أكثر من السامريين . وقد تمكن اليهود من التقرب إليهم،
ولا سيما في عهد كورش ملك الفرس ، بطريق السحر والجمال . إذ كانت (استير)
الجميلة ، ذات نفوذ واسع لديه .

٥ — وفي عهد جوستنيان سنة ٥٢٩ ب . م احتل الرومان غزة؛ بسبب ثورة
اشعل نارها السامريون من سكانها . فأصاب الناس والوظفين انزعاج كبير ؛ إلا أن
الأسقف (مارقيانوس) أنقذ الموقف بحكمته ، وألف حرساً وطنياً عهد إليه بحل
المشاكل المتنازع عليها ؛ فسحب الرومان جندهم من المدينة ، وسادت السكينة .

٦ — ولقد كان في غزة في اوائل القرن السابع عدد كبير من السامريين.
وكذلك كان الحال في ثغرها ميوما ، وفي عسقلان ، ويافا ، وارسوف ، وقيسارية ،
وسائر المدن الساحلية . ويقول المؤرخ السامري (٢) ابو الفتح الذي أشار إلى
وجود السامريين في غزة قبل الفتح الاسلامي: ان المسلمين عند ما حاربوا الروم على بعد
إثنى عشر ميلا من غزة ،وانتصروا عليهم؛ ذبحوا اربعة آلاف من النصارى واليهود
والسامريين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة في غزة . وان ما تبقى منهم (أي من
السامريين)، رأوا من مصلحتهم بعد الفتح الاسلامي (٦٣٤ ب . م) أن يغادروا
هذه البلاد ، فغادروها شرقاً بعد أن عهدوا إلى رئيسهم الديني بادارة املاكهم .
فهناك من يقول: إنهم رحلوا إلى الشام ولم يرجعوا إلى غزة بعد ذلك التاريخ .وهناك
من يزعم انهم رجعوا إليها ، واستوطنوها . وهناك فريق ثالث يقول انهم وإن كانوا
رجعوا إليها؛ إلا أنهم لم يتمكنوا من تأسيس كيان ظاهر فيها . فلنلق إذاً نظرة على

---

(١) מזאף בן מתפלל
(٢) ספר השמרונים - בן צבי

حـوادثهم (١) بعد ذلك التاريخ؛ لنتمكن من استجلاء تلك الناحية التي لا تزال غامضة.

٧ — جاء في بعض الـكتب والاسفار، انه كان يعيش في غزة على عهد بني امية والخلفاء العباسيين، زعيم من زعماء السامريين، ينتمي إلى اسرة سامرية تدعى (هاتـكوى) (٢). وقيل إن زعامة السامريين، انتقلت خلال القرن الثاني عشر إلى اسرة (ابي غالوغه) (٣).

٨ — وفي خلال الحوادث التي وقعت بعد وفاة أبي بكر، ذكر اسم رجل من السامريين يدعى (برد بن شريان) (٤) كزعيم من زعماء عشيرة بني مالك، وبني زهير، وغيرها من العشائر التي كانت تقطن بجوار مدينة غزة. وذكروا عن مؤسس هذه الاسرة (ابي غالوغة) انه كان كريماً للغاية، وكان محباً لبني قومه حتى انه كان يطعمهم ويكسيهم. ولقد أنفق اموالا طائلة في سبيل تصليح الـكنائس القديمة. وانشأ كنائس جديدة في نابلس وغيرها من المدن التي كان يقطنها السامريون.

٩ — وعندما نشبت الحروب الصليبية، كان منهم في نابلس ويافا والرملة وبيت جبرين وجرار ومصر وحلب والشام عدد كبير، وكان منهم في قيسارية ثلاثون ألف سامري، نفاهم كلهم صلاح الدين.

١٠ — وقد انقطعت أخبارهم بعد ذلك حتى كادت تندرس بالمرة لو لا رسالتان: واحدة منهما بعث بها رجل سامري من غزة، والاخرى من القاهرة. وظلت هاتان الرسالتان عماد الباحثين عن تاريخ (السمرة) مدة جيلين ونصف جيل. إلى أن عادوا فاستوطنوا غزة، وكان ذلك عام ١١٣٧ للميلاد، فنزلها يومئذ خمسماية سامري. وقد أشار إلى ذلك (بنيامين توديلا) الذي زار غزة عام ١١٦٣ م.

١١ — هنالك آثار (٥) تدل على وجود عدد من السامريين في غزة بعد انقضاء

---

(١) ספר השמרורים - בן צבי
(٢) התקוי
(٣) אבגלוגה
(٤) ברד בן - שריאן
(٥) ספר השמרונים

الحروب الصليبية . وقد عثروا على هذه الآثار خلال القرن الرابع عشر (١٣٥٩م). إذ وجدوا سفراً من أسفار التوراة كتب في غزة، ارسله (يعقوب بن يترونة) (١) من بني فوكه لامرأته (سمحة بنت إبراهام)(٢) من بني رميح .

وفي سنة ١٣٦٢ م ذكر اسم إسحق بن شلومو بن يعقوب . فقيل عنه: إنه هو وأولاده وأحفاده، ينتمون إلى جماعة يدعون (بني الشبورائي)(٣) .

وفي سنة ١٣٦٤ م ذكر اسم إبراهام بن أبي نصعنة(أو نصحنة) (٤) . فقيل عنه : انه كتب توراة في غزة .

وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاماً ذكر اسم (يعقوب الكاهن) الذي كتب توراة في ١٣٨٩ م .

وفي عام ١٣٩٨ م بيعت في غزة توراة قديمة العهد، قيل إنها كتبت حوالي عام ١٢١١ م .

وفي القرن الخامس عشر (١٤٠٧ م — ٨١٠ هـ)، ذكر اسم رجل سامري يدعى (عبدالله بن صهبا طابا سعده) (٥) كواحد من سكان غزة .

وفي عام ١٤٣٢ م زار غزة السائح الافرنسي المشهور بترودون دولا بروكيرى Betraudon de la Brocquerie ، فوجد فيها طبيباً سامرياً طاعناً في السن ، قال عنه: انه داواه فوصفه علاجاً ضد الملاريا .

وفي عام ١٤٨١ م هبط غزة سائح يهـــودي يدعى ميشولام اوف فولتيرا Meshullam of Volterra ، فقال : انه كان يعيش فيها يومئذ ستون عائلة يهودية ، وأربع عائلات سامرية .

وفي سنة ١٤٩٧ م ذكر على إحدى نسخ التوراة إسم يعقوب بن سعد الدين ، وإسحق بن إسماعيل ، وابراهام الكاهن ، وصادق بن يوسف ؛ كلهم من السامريين الذين ينتمون إلى سبط منشه .

---

(١) יעקב בן - יתרונה
(٢) שמחה בת אברהם
(٣) בני השבוראי
(٤) נצענה = נצחנה
(٥) עבדלה בן סהבה טבה סערה

وفي عام ١٤٩٩ م (٩٠٥ هـ) ، مات في غزة الكاهن الأكبر العازر بن أبي يشوع ، فصادر حاكم المدينة أمواله .

وفي عام ١٥٢٠ م ذكر اسم صدقة بن ابراهام بن عوبيدياهو[١] (صادق بن ابراهيم بن عبد الإله) ، ويوسف بن ابراهام بن صدقة (يوسف بن ابراهيم بن صادق). فقيل انهما من بني إقره[٢] ، وانهما كانا يعيشان في غزة .

وفي عام ١٥٣٠ م أذاع السامريون الذين يعيشون في غزة كتاباً وصفوا فيه احوالهم .

وفي عام ١٦١٦ م هبط السائح الافرنسي المشهور (بياترو دي لافال) هذه البلاد؛ وزار (السمرة) المقيمين في غزة، والقاهرة ، ونابلس ، ودمشق . وابتاع نسخة من التوراة السامرية ، وبحث في تاريخ السامريين؛ فأثارت كتاباته عاصفة من البحث والجدل في اوربا .

وفي القرن السابع عشر (١٦٢٣ م) حدثت حادثة الكاهن شلميه بن بنحاس الذي ذهب من نابلس ليخطب في سكان غزة ، وعند وصوله لحي وادي النمل طلب من الله أن يقبض روحه، فاستجاب الله دعاءه واختنق .

وفي عام ١٦٧٤ م أرسل السامريون الذين يعيشون في غزة كتاباً إلى(روبرت هانتنغتون) ، وكان هذا يعطف عليهم وعلى لغتهم وآدابهم ودياناتهم عطفاً شديداً .

وفي عام ١٧٠٨ م ذكر سكان غزة السامريون في تحرير حرره شلومو بن ابسكوح الدنفي من سبط افرايم (٣).

وفي عام ١٧٦٦م (١١٨٠ هـ) ذكر تاريخ حياة طابيا الكاهن الذي انتقل من نابلس الى يافا ، ومنها الى غزة ؛ فتزوج دبه بنت يعقوب هد صالح السرور ابزهوته المطري[٤] واقام في غزة سنوات عديدة .

---

(١) צדקה בן אברהם בן עובדיהו

(٢) מבני איקרא

(٣) שלמה בן אבסכוה הדנפי מן שבט אפרים

(٤) דבה בת יעקב הד צאלה אלסרור אבזהותה המטרה

وفي سنة ١٨٧٤م وجد كليرمونت غانو رسالة في أحد بيوت غزة ، نشر مضمونها الباحث التاريخي تيلور Taylor في J. P. O. S. سنة ١٩٣٠ صحيفة رقم ١٨ . ورسالة اخرى من ميومة نشرها غانو سنة ١٨٩٦ م . وهي تتضمن (العشر كلمات).

وقد بحث الاسقف البروتستانتي الدكتور طومسون Dr. E. H. Thomson عن السامريين عندما زار نابلس وغزة (عام ١٨٩٨ م) فقال عنهم: انه لم يبق منهم في غزة ديار ولا نافخ نار .

١٢ — ويقول الاستاذ بن زفي (١) أن السامريين اضطروا لمغادرة غزة هرباً من العذاب الذي أذاقهم إياه الباشوات من آل رضوان ، وانهم قبل أن يغادروها أوصوا بأموالهم للوقف الاسلامي ، وأن ذلك جرى قبل فتح نابليون لغزة .

١٣ — وليس في غزة في يومنا هذا سامري واحد ، ولم يبق من آثارهم فيها سوى (تربة السمرة) الواقعة في حي الصبرة بالقرب من ملك الشحابرة ؛ و (حمام السمرة) الواقع في وسط المدينة ، وفي الزقاق المؤدي لدار خليل افندي البورنو . وهناك حمام آخر في الشجاعية يعرف بحمام السمرة . وقد عثر بعضهم على آثار سامرية بالقرب من غزة ، وفي حانوت بداخل المدينة يشغله في يومنا هذا بائع الحلوى فائق ساق الله ، بالقرب من حمام السمرة المتقدم ذكره . ويقول الاستاذ غارستنغ الذي أشار إلى ذلك في مقال له عام ١٩٢٠ : انها آثار دور ومنازل ، لا آثار كنيس.

وفي دار المستر بيكارد الذي كان مستخدماً في مصلحة التلغرافات المصرية،والذي كان يعيش في غزة عام ١٨٧٠؛ بلاطة من الرخام الأبيض نقشت عليها كتابة باللغة السامرية ،استنتج منها الاستاذ كليرمان غانو ، انه كان في غزة قبل الفتح الاسلامي وبعده (طائفة سامرية) وان السامريين كلهم ، خلا فئة قليلة منهم ، ينتمون إلى سبط بنيامين.وأما البلاطة المذكورة، فقد وجدت في الأصل على شاطيء البحر ، ويظن انها من بقايا آثار (ميومة) القديمة . والكتابة المنقوشة عليها ذات خطوط قصيرة ، عددها تسعة عشر . وهناك في المتحف الفلسطيني بالقدس بعض هذه المكاتبات والنقوش الأثرية التي قيل انها من أصل سامري .

---

(١) ספר השמרונים

التقويم الغزى

هناك تقويم خاص بغزة يدعى (التقويم الغزي) . وهذا التقويم ذو صلة وثق بغزة ووقائعها كما هي الحال في التقاويم الاخرى . فكما أن المسلمين وضعوا (التقويم الهجري) الذي يبتدىء يوم حدثت أهم حادثة من حوادث التاريخ الاسلامي ، ألا وهي هجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، ليتخلص من أذى قريش ، ويبث الدعوة المحمدية ؛ وكما أن المسيحيين اعتبروا ميلاد السيد المسيح مبدءاً لتقويم أسموه (التقويم الميلادي) ؛ فان الامم التي فتحت غزة ، وقضت فيها أجيالا اتخذت من وقائعها التاريخية مبدءاً لتقويم جديد أسمته (التقويم الغزي) . وإنك لواجد في بعض الكتب والاسفار التاريخية التي تحدثك عن وقائع تلك الأيام، ارقاماً تاريخية يجب أن تفطن إليها لتعرف متى وقعت تلك الوقائع . وكما انه كان للتقويم الهجري ، أو التقويم الميلادي ، أو التقويم الشرقي ، أو التقويم القبطي ، أو التقويم اليهودي وما إلى ذلك من التقاويم الموضوعة الاخرى مبادىء وأسباب حملت المؤرخين على الاعتراف بها ؛ فان للتقويم الغزي ايضاً مبادىء وأسباب هي التي سنقصها عليك في الاسطر التالية :

٢ — لقد مر بك في الفصل الذي خصصناه لغزة في عهد اليونان ، أن القائد المقدوني الجنرال سيلوقس الذي كان يقود جيش بطليموس (مصر) التقى بديمتريوس الذي كان يقود جيش انتيغونوس (سوريا) عند غزة . فاشتبك الفريقان في حرب لا هوادة فيها ، وكان النصر في هذه المعركة حليف الجنرال سيلوقس، رغم وجود عدد كبير من الفيلة في صفوف خصمه . فاندحر الخصم تاركاً وراءه ثمانية آلاف قتيل . وقلنا ايضاً عند ذكر هذه الحادثة، أن الجنرال سيلوقس اتخذ (معركة غزة) هذه التي وقعت سنة ٣١٢ قبل الميلاد ، مبدأ لتاريخ جديد دعي فما بعد بالتاريخ السلوقي أو اليوناني . وقلنا انه أخذ بعد تلك المعركة يدون وقائعه وانتصاراته ، ويذكرها بالنسبة للسنة التي وقعت فيها .

٣ — وقد مر بك ايضاً في الفصل الذي خصصناه لغزة في عهد الرومان ، أن الامبراطور هادريانوس الذي قهر اليهود ، وشتت شملهم ، وسبى نساءهم ، وباعهم في

سوق غزة بيع العبيد كان يحب غزة حباً جماً ، وكان يعطف عليها عطفاً شديداً ؛ وانه زارها مراراً عديدة ؛ وانه في زيارته(١) الثانية لها (عام ١٢٩ للميلاد) أسس فيها عيداً سمي فيما بعد (عيد غزة الكبير) ووضع مبدءاً لتقويم جديد عرف فيما بعد بالتقويم الغزي أو التقويم الهدرياني . ان السنة الهدريانية مساوية لسنة ١٩٠ الغزية ، وهذه مساوية لسنة ١٢٩ الميلادية . وان في بعض النقود والمسكوكات التي سكت على عهد هادريانوس، إشارة إلى هذه السنة التي هبط فيها غزة وأسس فيها عيدها الكبير . كما أنه في البعض الآخر إشارة إلى سنة اخرى، هي التي سنذكرها في الاسطر التالية(٢).

٤ — ان (السنة الغزية) التي نحن في صددها الآن تبتدىء حوالي سنة ٦٠ قبل الميلاد . نقول (حوالي سنة ٦٠) ولا نقول (في سنة ٦٠) قبل الميلاد . ذلك لأن علماء التاريخ والآثار ، ولا سيما اولئك الذين درسوا تاريخ غزة ، وعثروا على بعض النقود والمسكوكات الرومانية التي سكت في غزة، أو التي سكت باسمها ؛ لم يهتدوا إلى نتيجة حاسمة رغم البحث الذي قاموا به خلال القرنين الآخرين . والفرق بين آرائهم كان يصل إلى أربع سنين في بعض الأحايين .

٥ — واليك اسماء (٣) الاشهر الغزية ، وعددها ، وعدد الايام في كل شهر ، ومبدأها كما جاء ذكر ذلك بالتفصيل في كتاب عنوانه فلورنس هيميرو لوجين (Florence Hemerologion)، ذلك الكتاب النادر المثال والذائع الصيت في عالم الأدب والتاريخ :

---

(١) على قول ان هذه الزيارة وقعت بين ٢٨ اكتوبر سنة ١٢٩ و ٢٨ اكتوبر سنة ١٣٠ بعد الميلاد .

(٢) « Archeological Researches in Palestine. » by Charles Clermant Ganneau

(٣) ان التقويم الغزي يشابه التقويم الاسكندري في كل شيء الا في الاسماء . فقد احتفظ الاخير بالاسماء القديمة المصرية ، بينما اقتبس الاول الطابع البيزنطي .

ترتيب الشهور	عدد ايام الشهر	اسمـــاء الشهور		بداية كل شهر
الشهر الاول	٣٠	ديوس [١]	Dios	٢٨ أكتوبر
« الثاني	٣٠	ابيللوس	Apellaeos	٢٧ نوفمبر
« الثالث	٣٠	اودينوس	Audynaeos	٢٧ ديسمبر
« الرابع	٣٠	بيريتيوس	Peritios	٢٦ يناير
« الخامس	٣٠	ديستروس	Dystros	٢٥ فبراير
« السادس	٣٠	كسانتيكوس	Xanthikos	٢٧ مارس
« السابع	٣٠	ارتيميزيوس	Artemisios	٢٦ ابريل
« الثامن	٣٠	ديسيوس	Daesios	٢٦ مايو
« التاسع	٣٠	بانيموس	Panemos	٢٥ يونيو
« العاشر	٣٠	لوئوس	Lôos	٢٥ يوليو
« الحادي عشر	٣٠	غوربيوس	Gorpiaeos	٢٩ اغسطس
« الثاني عشر	٣٠	هيربريتايوس	Hyperberetaeos	٢٨ سبتمبر

٦ — استنتج الاستاذ كلرمان غانو من جميع ابحاثه ، ان السنة الغزية الاولى بدأت في ٢٨ اكتوبر من سنة ٦١ ق . م ، وانتهت في ٢٧ اكتوبر من سنة ٦٠ ق . م . وأضاف الى ذلك قوله : انك اذا وجدت تاريخا غزيا وأردت أن تعلم التاريخ الميلادى الذى يقابل ذلك التاريخ ؛ فاطرح منه ٦١ إذا كان اليوم من الشهر الوارد ذكره في التاريخ يقع بين ٢٨ اكتوبر و ٣١ ديسمبر ؛ واما اذا كان ذلك اليوم من الشهر الوارد ذكره في التاريخ يقع بين ١ يناير و٢٧ اكتوبر فيجب أن تطرح منه ٦٠ .

ومن بعد هذا الاستقراء والاستنتاج استطاع الاستاذ كليرمان غانو أن يقرأ التواريخ التي عثر عليها في بعض النقود والمسكوكات والكتابات المنقوشة على الحجارة والآثار الغزية ، وأن يفسرها كما يأتي :

---

(١) ان الشماس ماركوس الذي كتب (تاريخ حياة القديس برفيريوس) ذكر فى كتابه هذا أن ديوس وابيللوس هما الشهران الاولان للسنة الغزية .

التاريخ الميلادى			التاريخ الغزى		
اليوم	الشهر	السنة	اليوم	الشهر	السنة
١٦	اكتوبر	٥٠٥	٢٢	هيبربريتايوس	٥٦٥
١٥	اغسطس	٥١١	٢٢	لوئوس	٥٧١
٤	ابريل	٥٢٩	٩	كسانتيكوس	٥٨٩
٢	يونيو	٥٣٩	٨	ديسيوس	٥٩٩
١٤	اغسطس	٥٤١	٢١	لوئوس	٦٠١
٢٧	اغسطس	٥٤١	٤	ايباغومين	٦٠١
١	سبتمبر	٥٤١	٤	غوربيوس	٦٠١
١٢	مايو	٥٤٨	١٧	ارتيميزيوس	٦٠٨
٥	يونيو	٥٦٣	١١	ديسيوس	٦٢٣
٣٠	مايو	٦٠٢	٥	ديسيوس	٦٦٢
١٩	اكتوبر	٦٠٩	٢٢	هيبربريتايوس	٦٦٩

٧ — وبهذه المناسبة نقول : انه كان لعسقلان ايضاً تقويم خاص . وان السنة العسقلانية كانت تبدأ في ١٠٤ بعد الميلاد . ولكن هذا التقويم مشابه كل الشبه لتقويم غزة من حيث عدد الاشهر والأيام واسماء الشهور وتعاقبها . والفرق الوحيد بين التقويمين هو أن السنة العسقلانية تبدأ في اليوم الأول من شهر هيبربريتايوس، بينما السنة الغزية تبدأ في اليوم الاول من شهر ديوس .



غزة
والفتح الاسلامي

قبل أن نذكر لك كيف ومتى فتح العرب غزة، نرى لزاماً علينا أن نحيلك على ما كتبناه في الفصول السابقة عن علاقة غزة بالعرب، وبشبه جزيرة العرب قبل الاسلام ، لنعلم منها العوامل التي سايرت العرب في الاستيلاء على غزة .

لقد مر بك أن غزة كانت منذ قرون وأحقاب على اتصال وثيق بالعرب وشبه جزيرة العرب . وان الذين أسسوها (المعينيين وبني سبأ) عرب اقحاح أتوا إليها (٣٧٥٠ ق . م) من قلب الجزيرة . وان أحفاد هؤلاء كانوا يفدون إليها أكثر مما يفدون إلى أي بلد آخر . وانهم كانوا يقصدونها بقوافلهم بقصد التجارة ، لانها واقعة عند ملتقى عدد كبير من الطرق التجارية ؛ أضف إلى ذلك انها كانت الهدف لاحدى الرحلتين :رحلة الشتاء إلى اليمن،ورحلة الصيف إلى غزة ومشارف الشام. ولا غرابة في ذلك ؛ اذ انها باب الصحراء ، ونقطة الاتصال بين شبه جزيرة العرب وحوض البحر الابيض المتوسط .

٢ — هنا في غزة مات هاشم[١] بن عبد مناف جد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام . مات أثناء إحدى رحلات الصيف وفيها قبره . ولذلك سميت من بعده (غزة هاشم)[٢] . وفي ذلك قال ابو نواس :

---

(١) كان هاشم كبير قومه بني عبد مناف من قريش. وهو الذي أسس رحلة الشتاء والصيف . وكان ذا يسار فتولى رياسة مكة ، وولي السقاية والرفادة من مناصب الكعبة . وقد عقد مع الامبراطورية الرومانية ومع أمير غسان معاهدة حسن جوار ومودة ، وحصل من الامبراطور على إذن لقريش بان تجوب الشام فى أمن وطمأنينة . وقد تزوج أسماء بنت عمرو الخزرجية فولدت له ولداً دعته (شيبه) وهو عبد المطلب ومات بعد سنتين من ذلك وبغزة (حياة محمد للاستاذ محمد حسين هيكل) .

(٢) يقال أنه سمي (هاشم) لأنه كان يهشم الثريد إلى قومه فى أيام القحط والجدب. وقيل سمي كذلك لأنه كان يهشم العظم أثناء تقطيع اللحم ليطعم الضيوف. وقد ورث الغزيون عنه هذا الكرم .

وأصبحن قد فوّزن من أرضِ فُطرُسٍ　　وهنّ عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم　　وبالفرّ ما من حاجهن شقور

وقال أحمد بن يحيي بن جابر ان هاشم مات بغزة وله من العمر خمس وعشرون سنة . ورثاه مطرود بن كعب الخزاعي فقال :

مات الندى بالشام لما أن ثوى　　فيه بغزة هاشم لا يبعد
لا يبعدن رب القناء بعوده　　عود السقيم يجود بين العوّد

وهناك من يقول : ان هاشم غير مدفون في الموقع الحالي المعروف بـ (سيدنا هاشم) من حارة الدرج ، وانما هو مدفون في قبة الشيخ رضوان ؛ بدليل ما جاء في قول أحد أصحابه الذين كانوا يرافقونه في رحلاته بين مكة وغزة » :

وهاشم في ضريح وسط بلقعة　　تسف الرياح عليه بين غزاة

ومن يدري ؟ لعل رفاته نقلت من موقع الشيخ رضوان إلى حيث هي الآن .

وله مقام وجامع معروف بـ (جامع السيد هاشم) (١) وفيه مدرسة انشأها المجلس الاسلامي الأعلى من مال الوقف . وقد أصابت الجامع قنبلة اثناء الحرب الكبرى (عام ١٩١٧ م) فخربته . ولكن المجلس الإسلامي الاعلى عمره وأرجعه إلى أحسن ما كان .

وهنا في غزة عاش أيضاً عمر بن الخطاب ردحاً من الزمن . وقد كان تاجراً في الجاهلية ، وعلى قول انه اثرى فيها عن طريق تجارته ، فقال كلمته المشهورة : « لا يغلبنكم الروم في التجارة ، فانها ثلث الأمارة » .

---

(١) يعتقد المرحوم كامل افندي المباشر أن هذا الجامع بني فى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة (١٢٦٨ هـ) من قبل السلطان العثمانى عبد المجيد ، وكان ذلك بطلب من الحاج أحمد بن محى الدين بن عبد الحى الحسيني مفتي الأحناف بغزة ، وانهم عندما بنوه استعملوا الحجارة الباقية من انقاض جامع الجاولي والبيمارستان وغيرهما ، حتى أن الحكومة التركية أمرت بتحويل أوقاف جامع البيمارستان إلى جامع السيد هاشم لتقام فيه الشعائر الدينية فى كل سنة . وقد صدرت إرادة السلطان بأن يتولى هو (أي المفتي) صلاة الجمعة فى الجامع المذكور والخطبة.

٤ — وقد هبطها أيضاً عبدالله(١) والد النبي عليه الصلاة والسلام يوم خرج في تجارة إلى الشام .

٥ — ولا شك عندي أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم جاء إلى غزة قبل أن ينزل عليه الوحي ، ويدعو الناس للاسلام . وقد كانت في زمنه عامرة مزدهرة ، وكانت لا تزال ذات أهمية لتجار مكة . حتى انه قال عنها في حديث له : « طوبى لمن سكن إحدى العروسين ، غزة وعسقلان » . ويقول شمس الدين في كتابه (قاموس الأعلام) ان إحدى النساء اللواتي صحبن النبي وهي تدعى (غزيلة) أو (غزية) — وكانت تكنى بام الشريك — وهبت نفسها إليه ، وكانت تبغي من صميم فؤادها أن يتزوجها . وكثيراً ما روى الرواة الأحاديث النبوية نقلاً عنها .

وعندي انه ما كان هرقل قيصر الروم ليبحث عن محمد في غزة ، ويرسل إليها صاحب شرطته ليأتي به إليه ، أو يأتي إليه منها برجل من قومه ؛ لو لا انه كان يعلم حق العلم أن محمداً لا بد وأن يهبط غزة كما هبطها من قبله أبوه عبدالله ، وجده هاشم ، وعمه ابو سفيان ، وصحبه عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وغيرهم . وإنك لواجد في كتاب (الأغاني) الشيء الكثير عن هذا الموضوع ، وعن قدوم أبي سفيان إلى غزة في نفر من قريش في تجارة ، واجتماعه بعد ذلك بهرقل ، والتحقيق الذي قام به هذا عن النبي وصفاته وأخلاقه .

٦ — إذاً يجب أن نعتبر أن غزة كانت على مر الدهور (مدينة عربية)(٢) لا شك في عروبتها ، وان الفتح الاسلامي لغزة ، لم يكن سوى تأييد جديد للفتح العربي الذي سبقه . ولم يكن الجنود المسلمون الذين احتلوها ، سوى اولئك العرب الذين كانوا يترددون إليها من جميع انحاء الجزيرة العربية قبل الفتح .

---

(١) كان عبدالله بن عبد المطلب في الرابعة والعشرين من سنه عندما تزوج آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، وقد أقام معها في بيت اهلها ثلاثة أيام على عادة العرب حين يتم الزواج في بيت العروس . فلما انتقل وإياها إلى منازل بني عبد المطلب لم يقم معها طويلا . إذ خرج إلى الشام وتركها حاملا . ومكث عبدالله في رحلته هذه الاشهر التي يقضيها الذاهب إلى غزة والعودة منها . ثم عرج على اخواله بالمدينة يستريح عندهم من عناء السفر ليقوم بعد ذلك في قافلة إلى مكة . لكنه مرض عند اخواله وتوفي في المدينة ودفن بها . وتقدمت بآمنة اشهر الحمل حتى وضعت النبي محمداً عليه الصلاة والسلام (سنة ٥٧٠ م) .

(٢) History of the City of Gaza

٧ — وانها لفكرة ثاقبة تدل على دهاء حربي ممتاز أن يفكر العرب في الاستيلاء على غزة والشاطىء الفلسطيني قبل أن يحتلوا مصر . ولما جاءوا إلى غزة بعد أن قطعوا المسافات الشاسعة عبر الصحراء، وجدوها محاطة بالأسوار والحصون المنيعة ، ولكنهم احتلوها سنة ٦٣٤ م (١٣ هـ) وكان احتلالهم لها أول نصر نالوه في هذه الديار .

ولما فتحت غزة سادت كلمة العرب ، ورفرفت رايتهم فوقها . وما هي إلا برهة حتى أخذت هذه ترفرف فوق البلاد الاخرى الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .

٨ — في هذه المدينة حدث اصطدام عنيف بين العرب والبيزنطيين : أما الجيش العربي ، فقد كان على رأسه ذلك البطل المغوار (عمرو بن العاص)(١) وأما جيش الروم، فقد كان يقوده (بطريقيوس) أحد رجال هرقل وأكبر قائد في جيش الروم.

وإليكم تفاصيل الفتح الإسلامي :

عندما اعتزم أبو بكر فتح الشام ومقاتلة الروم ، استنفر العرب : فلبوا دعوته ، وخفوا سراعاً من جميع انحاء الجزيرة العربية . فجهز منهم أربعة جيوش ، وعقد الألوية لأربعة من كبار القواد ، ثم سيرهم إلى الشمال بعد أن عين لكل واحد منهم وجهته فجعل :

ليزيد بن أبي سفيان	:	دمشق
ولشرحبيل بن حسنه	:	الاردن
ولأبي عبيدة بن الجراح	:	حمص
ولعمرو بن العاص	:	فلسطين

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن السهمى القرشي . رجل ربعة، قصير القامة ، وافر الهامة ، أدعج ، أبلج ، عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق . عليه حلة وعمامة وجبة . كان من أشراف مكة ، وكان فى الجاهلية تاجراً ، وكانت السلع التى يتجر بها الأدم والعطر ، والطيب ، والجلد ، والزبيب ، والتين . وبسبب تجارته هذه كان يختلف إلى مصر واليمن والحبشة والشام . ولما كانت (غزة) واسطة عقد التجارة بين تلك البلدان فقد عرفها حق المعرفة واختبر منافذها . ولذلك اختاره ابو بكر لهذه الجبهة .

وعندما سلم أبو بكر الراية إلى عمرو بن العاص قال(١)له : « قد وليتك هذا الجيش (يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب) فانصرف إلى أهل فلسطين وكاتب أبا عبيدة وانجده إذا أرادك ولا تقطع أمراً إلا بمشورته . اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك . وقد رأيت تقدمتي لك على من هم أقدم منك سابقة وأقدم حرمة ، فكن من عمال الآخرة وارد لعملك وجه الله . واسلك طريق إيلياء ، حتى تنتهي إلى أرض فلسطين . وإياك أن تكون وانياً عما ندبتك إليه وإياك والوهن . وإياك أن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به . واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر . فاكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول إنما ولاني أبو بكر لإني خيرهم . وإياك وخدائع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك . والصلاة ثم الصلاة ، أذن بها إذا دخل وقتها . واحذر من عدوك وامر اصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعاً عليهم . واطل الجلوس بالليل مع اصحابك وأقم بينهم واجلس معهم. واتق الله إذا لاقيت العدو وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك .

«وإذا وعظت فاوجز. وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك. وإذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك نخراً منك. والزم اصحابك قراءة القرآن ، وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان فيها فان ذلك يورث العداوة بينهم . واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك . وكن من الأئمة المدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » .

ثم قال لعمرو : « امض بارك الله فيك وفيهم» فساروا في سبعة آلاف يريدون أخذ فلسطين .

٩ — عمل (٢)عمرو بن العاص بما رسم له أبو بكر في وصيته التي كانت أشبه شيء بالخطة الحربية ، فسار لتنفيذها . وسلك الطريق الساحلية إلى العقبة

---

(١) فتوح الشام للواقدي .

(٢) تاريخ عمرو بن العاص .

وطريق غزة . ونزل بغمر العربات(١) .

ويظهر أن العرب اصطدموا بمقدمة جيش الروم هنا في وادي العربة . وكانت مقدمتهم هذه مؤلفة من ٣٠٠٠ فارس وستة قواد . وكان حاكم قيسارية على رأس هذه القوة التي رابطت في وادي العربة جنوبي البحر الميت .

فرتب عمرو بن العاص جنده ، وجعل في الميمنة الضحاك ، وفي الميسرة سعيد ابن خالد ، وعلى الساقة أبا الدرداء ، وثبت هو في القلب ومعه أهل مكة ؛ وأمر الناس أن يقرأوا القرآن ، وجعل يحببهم في القتال ، ويرغبهم في ثواب الله وجنته . وقد حملوا على الروم وبطريقهم حملة نكراء حتى تم لهم النصر وولى الروم منهزمين . فارتدوا إلى غزة . وكان ذلك في شهر شباط سنة ٦٣٤ م .

١٠ — وقد اتصل بعمرو بن العاص وهو في قرية (تادون) أو (داثن) من أعمال غزة أن جيش هرقل يتجمع بكثرة في غزة ، وأن هذا الجيش مؤلف من عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس ، الأمر الذي أدخل الفزع والحيرة في قلبه . وما هي إلا بضعة أيام حتى أتته النجدة فانضم المنجدون إلى القواد والصحابة الذين اشتركوا في المعركة الاولى وهم سعيد بن خالد،(٢) وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وأبو الدرداء ، والضحاك ، وربيعة بن قيس ، وعدي بن عامر ،وعكرمة بن أبي جهل ، وسهل بن عمرو ، والحرث بن هشام،ومعاذ بن جبل ، وذو الكلاع الحميري ، وغيرهم . وأخذ العرب يتقدمون نحو غزة .

١١ — فسمع الروم بتقدمهم ، وراحوا يرسمون الخطط لصدهم . وكان عليهم (بطريقيوس) وقيل (تزارق) أخو هرقل لأبيه وامه ، وقيل (روبيس) ، وقيل (ارطبون)(٣) وقيل كان عليهم رجل منهم يقال له (القبصلار) استخلفه هرقل حين سار إلى القسطنطينية .

وقبل أن يصطدم الجيشان، أرسل بطريقيوس إلى قواد المسلمين كتاباً طلب فيه

---

(١) يقصد (الغمر) وهو موقع فى وادى العربة فيه ماء .

(٢) اخو عمرو بن العاص لامه .

(٣) كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يصف عمرو بن العاص بارطبون العرب. ويقول (بتلر) ان العرب يطلقون هذا الاسم خطأ وان اسم هذا القائد الحقيقي هو(اريطيون).

منهم أن يرسلوا له من ينوب عنهم في التفاوض لتسليم المدينة (١) فتكلم عمرو وقال : « ما لهذا أحد غيري ! » (٢) فخرج حتى دخل على العلج فكلمه . فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله . فقال العلج حدثني : هل في اصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! إني هين عليهم ؛ إذ بعثوا بي إليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه . فخرج من عنده . فمر برجل من نصارى غسان ، فعرفه . فقال : يا عمرو ! قد أحسنت الدخول فاحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أراده ؛ فرجع إلى الملك فقال له : ما ردك إلينا ؟ قال : نظرت فيما اعطيتني ، فلم أجد ذلك يسع بني عمي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ؛ عجل بهم ! وبعث إلى البواب : أن خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا امن قال : لا عدت لمثلها أبداً ! . فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج قال له :

أنت هو ؟ قال : نعم ! على ما كان من غدرك ! وعلى هذا النمط فشلت المفاوضة ونشب القتال (٣) فتقدم العرب ، واحتلوا غزة سنة ١٣ هـ ، ٦٣٤ م . ولقد تغلب (علقمة بن مجزز) على الجنرال (فقار بن ناطوس) (٤) في غزة ، فقتله . وكان فقار هذا أحد قادة جيش هرقل فيها .

١٢ — احتل المسلمون غزة ، فدخلوها مهللين مكبرين . وكان جيش الروم قد انسحب منها بالمرة ، وانسحب معه المسيحيون . إلا أن هؤلاء عادوا إليها ، فدخلوا في دين الاسلام . ثم مثلوا بين يدي عمرو بن العاص طالبين (٥) اقتسام الكنائس مع اخوانهم الذين بقوا على دينهم . ولقد حكموه في الامر ، فحكم للذين أسلموا

---

(١) Meyer

(٢) ابن الكلبي . والعقد الفريد الجزء الأول ص ٦٤ .

(٣) يقول البلاذرى ان هذه المعركة جرت فى داثن (اوتادون) على مقربة من غزة .

(٤) هذا ما قاله الطبرى . وأما مؤرخو الفرنجة فانهم لا يذكرون إسماً كهذا بين قادة جيش هرقل . ويقولون انه قد يكون (بطريقيوس) القائد الذى عهد إليه هرقل بمهمة الدفاع عن غزة .

(٥) Meyer

منهم — وقد كانوا أكثر عدداً من الآخرين — بالكنيسة الكبرى، فاتخذوها مسجداً واحتفظ المسيحيون الذين بقوا على دينهم — وقد كانوا أقلية — بالكنيسة الصغرى.

١٣ — ذكرت مجلة (المشرق) في سنتها الثانية : أن أول مدينة فتحت من قبل العرب في فلسطين كانت غزة . ثم ذكرت سبب فتحها مستشهدة بأقوال بعض المؤرخين الغربيين والشرقيين فقالت : « وكان يسكن وقتئذ في جنوب غزة قوم من قبائل العرب المتنصرين . وكان قد أصابهم من قبل ولاة الروم عسف وجور في المعاملات ؛ فالتجأوا إلى عساكر المسلمين ودعوهم إلى فلسطين ، فلبوا دعوتهم وزحفوا على غزة في اليوم الرابع من شهر شباط لعام ٦٣٤ م ، وظفروا بجيش الروم وفتحوا المدينة . وبعد أيام قليلة أتموا فتح بقية مدن فلسطين[١] » . وقد مر عمر بن الخطاب بغزة بعد فتح القدس سنة ٦٣٨ م متفقداً جيش المسلمين ، كما زارها عام ٦٣٩ م باحثاً عن انجع الوسائل لاتقاء خطر المجاعة التي كانت تتهددها .

١٤ — وظل [٢] عمرو بن العاص مع جيشه بفلسطين ردحاً من الزمن للقضاء على القوة التي كانت لا تزال مع (قسطنطين بن هرقل) فسار إلى قيسارية فافتتحها وقد هرب قسطنطين مع اسرته الى القسطنطينية. وهكذا اضمحل سلطان الروم في هذه البلاد سنة ١٧ هـ (٦٣٩ م) بعد حروب طويلة لاقى المسلمون في غضونها الشدائد والأهوال ، وخسروا من أجلها خمسة وعشرين ألف رجل. وعندما تم للعرب فتح فلسطين كلها قسموها إلى ولايتين :

آ — شمالية وعاصمتها طبرية .

ب — جنوبية وعاصمتها الرملة (وكانت بيت المقدس خاضعة لها) .

وكانت لغة البلاد آنئذ :

آ — اليونانية في الأرياف .

ب — العربية في عبر الاردن وفي غزة وانحائها الجنوبية .

ج — الآرامية في اواسط البلاد .

١٥ — وقد استوطن غزة بعد الفتح الاسلامي عدد كبير من رجال العرب

---

(١) راجع كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٠٩

(٢) (تاريخ عمرو بن العاص) لحسن إبراهيم حسن .

والاسر العربية التي جاءت مع الفاتحين ، وأصبحت مدينة عربية إسلامية ، ونبغ فيها ومن رجالها عدد كبير في الأدب والشعر والتاريخ والفقه والفلسفة. ولم يمض على الفتح الاسلامي سوى فترة قصيرة حتى أصبحت هذه البلاد عربية بكل ما في كلمة (العروبة) من معنى . عربية بعمالها ولغتها ونقودها وكل شيء فيها .

١٦ — ومن التدابير التي اتخذها العرب لتوطيد أقدامهم في البلاد (الحصون) التي انشأوها على السواحل ، وكانوا يسمونها (الرباطات) . فقد انشأوا في غزة (رباطاً) من هذا النوع ، الغاية منه مراقبة السواحل . والرباط ليس في الحقيقة سوى مركز للمراقبة، يجتمع فيه الجند ليراقبوا سفن الروم التي تأتي إلى الساحل حاملة أسرى المسلمين . اولئك الأسرى الذين كان الروم يغنمونهم من حروب الثغور . وكانوا يعرضون في الرباط للفداء : كل ثلاثة أسرى بمئة دينار . وكان المسلمون يتسابقون في تقديم الأموال لانقاذ الأسرى . وكان في رباط غزة عدد من المسلمين يعرفون لغة الروم . فاذا اوقفت سفينة رومية أمام الرباط قرعت الاجراس . فاذا كان الوقت ليلاً اضيئت ساريتها . وإذا كان نهاراً أوقد عليها نار لها دخان . وفي الرباط مئذنة عالية فيها نفر من الرجال يضيئون المئذنة عند وصول السفينة . فينتشر الخبر ، ويهرع الناس إلى الرباط باسلحتهم ، وينقذون الأسرى بأموالهم .

١٧ — وقبل أن نختم هذا الفصل نرى لزاماً علينا أن نقول انه من دواعي فخر غزة أن يكون الامام الشافعي ، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين في الاسلام ، قد ولد فيها . ولذلك لا بد من ذكر نبذة من تاريخ حياته هنا فنقول :

انه[1] الامام الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم[2] بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

حدث الشافعي عن نفسه فقال : ولدت بغزة سنة خمسين ومئة ، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين . وكانت امي من الأزد. وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل».

(١) معجم الادباء لياقوت الحموي .

(٢) ليس المقصود هنا هاشم جد النبي .

وقد انتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع . وأما طلبه للعلم لحدث(١) الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير، انه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن ادريس الشافعي وهو مجد في طلب الشعر والنحو . قال فقلت له أي كم هذا ، لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك . وانصرفت به معي إلى المدينة ، فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به . قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل ، ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا وجمعه . ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن . ثم جاء إلى المدينة بعد سنتين قال : فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفه حاله الذي صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

إن الامام الشافعي أنبغ من أنجبت قريش بعد عصر الصحابة : حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وكان واسع العلم بالكتاب والسنة ، وكلام الصحابة وآثارهم ، واختلاف آراء العلماء ، وبكلام العرب واللغة العربية والشعر . وهو مستنبط علم اصول الفقه وواضعه . وله مؤلفات عديدة أشهرها : كتاب (الام) في الفقه مطبوع في سبعة مجلدات .

قال المزني : « ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي إذا قبض على لحيته » . وقال الزعفراني : « كان خفيف العارضين ، يخضب بالحناء . وكان حاذقاً بالرمي يصيب تسعة من عشرة » .

وقال أبو ثور الفقيه : « ما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى مثل نفسه » .

وقال أبو داود : « ما أعلم للشافعي حديثاً خطأ » .

وقال السيوطي : « كان الشافعي شاعراً مفلقاً مطبوعاً » .

ويروى أنه كان بين كل آونة واخرى يذكر غزة ، حتى انهم قالوا عنه انه حن إليها يوماً فقال :

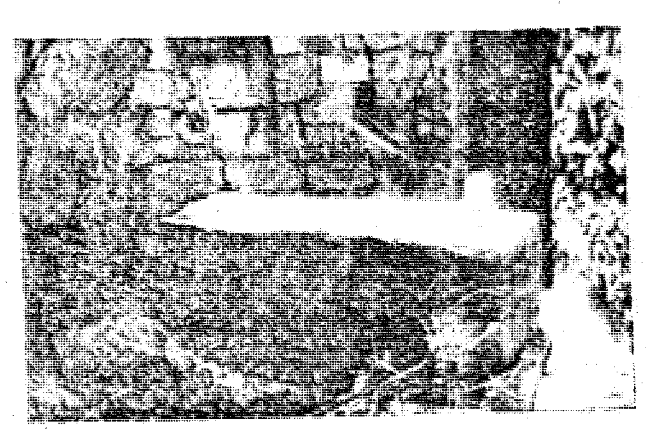
وإني لمشتاق إلى أرض غزة ... وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها ... كحلت به من شدة الشوق اجفاني

---

(١) معجم الادباء لياقوت الحموى .

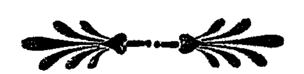
كان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة أي سنة خمسين ومئة . ومات الشافعي في رجب سنة أربع ومئتين وهو ابن أربع وخمسين سنة . وهنا في غزة دفنت بنته .



قبر آسيا بنت الامام الشافعي

ودفن خادمه (الشيخ عطية) ، وقبرهما في دار للوقف بحارة الزيتون تجاورها في الجانب الواحد اسرة مسيحية تدعى (دار قبيع الترزي) ، وفي الجانب الآخر (دار الطحلة) . ويعتقد الغزيون أن الامام الشافعي رضي الله عنه قد ولد في هذه الدار . ولبنته آسيا وخادمه الشيخ عطيه فيها مقام ولكن الدار والمقام في حال من الخراب تفتت الاكباد .

لحبذا لو فكر الغزيون بمواطنهم الذي رفع قدرهم وقدر مدينتهم ، ومجدوا الدار التي ولد فيها . فصانوها كما تصان دور العظماء ، وجعلوها بهجة للناظرين . فتراها الأجيال القادمة وتقول : « هنا ولد الامام الشافعي ، الرجل العبقري الغزي ، الذي كان إماماً من الأئمة المجتهدين ، وعلماً من الاعلام الراسخين » .



غزة في عهد الدولة الطولونية

ضعف العباسيون بعد الخليفة المعتز . وأخذ الخلفاء يشتغلون بأنفسهم ، وأصبحت سلطتهم على البلاد اسمية ، وخلافتهم دينية لا دنيوية . فتغلب كثير من الامراء على الاطراف ، وأصبحت البلاد رهن أيدي المتغلبة من العمال . وأخذ عمال فارس ومصر والشام يقطعون الخراج عن دار الملك . وليس للخليفة العباسي سوى الخطبة والسكة . بل ان المتغلب على قطر قد يقرن اسمه إلى اسم الخليفة في كل شيء.

ووصل هذا الضعف الذروة في عهد المعتصم وابنه الواثق . إذ اختص هذا الأتراك ، وقربهم إليه ؛ ووضع من العرب ، وأبعدهم عنه .

٢ — وكان من أهم المتملكين التواقين للمجد في مصر والشام (أحمد بن طولون)وهو تركي الأصل.حاول العباسيون محاربته،فعجزوا. ثم اضطروا إلى مصانعته.

٣ — تولى أحمد بن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ وذلك في زمن الخليفة المعتز. ثم سار لفتح الشام سنة ٢٦٤ هـ وقد مر بغزة ، فبلغ الرملة .ثم سار الى دمشق ، فتلقاه (على بن ماجور) ، واقام له الدعوة بها . وقد استولى على الشام اجمع حتى حكم من مصر الى الفرات ، ومنها الى المغرب . وبهذا يكون اول من جمع بين ملك مصر والشام في الاسلام . ودام ملكه فيهما اثنتي عشرة سنة .

٤ — خلف احمد بن طولون ابنه ابو الجيش خمارويه . وقد بلغ جيشه في الشام ومصر نحو ٤٠٠ الف فارس . وهو اول جيش جعل على الدوام تحت السلاح. وكان قصده من ذلك أن يتغلب على البلاد وان ينتزع الخلافة عند سنوح الفرصة .

٥ — وفي سنة ٢٨٢ هـ ذبح ابو الجيش خمارويه في دمشق على فراشه . فخلفه ابنه جيش بن خمارويه . ثم هارون بن خمارويه .

٦ — وما زال الحكم في الشام ومصر في أيدي بني طولون فعلاً ،وفي يد بني العباس اسماً حتى عام ٢٩٢ هـ ، يوم قام المكتفي العباسي فاستولى على الشام .ثم سار إلى مصر ، وذبح ابناء طولون وقوادهم . فانقرضت بذلك الدولة الطولونية . وأصاب غزة في هذه الاثناء وبسبب هذا المد والجزر من حركات الجيوش المتحاربة ضرر عظيم.

غزة
في عهد الدولة الاخشيدية

ظن بنو العباس انهم نجوا ممن يناصبهم العداء في الشام ومصر يوم قضوا على أبناء طولون . ولكن ظهرت لهم (الدولة الاخشيدية) أو (دولة بني طغج). ورأس هذه الدولة هو محمد الاخشيد (الملقب بابي بكر) بن طغج بن جف بن بلتكين بن فوري بن خاقان .

٢ — مات طغج في حبس العباس بن الحسن وزير العباسيين . ونجا من محبسه ابنه محمد الاخشيد ، فهرب إلى الشام . فولاه الخليفة المقتدر مدينة الرملة اولا (٣١٦هـ) ثم الشام . ثم ولاه الخليفة الراضي مصر (٣٢٣ هـ) فأصبح الآمر الناهي في مصر والشام معاً .

٣ — ولكن الخليفة العباسي محمد بن رائق أراد أن ينتقذ الشام ومصر من الاخشيد محمد بن طغج . فقامت بينهما حروب في الفرما ، وفي العريش . كانت نتيجتها أن ترك الخليفة للأخشيد مصر حتى الرملة بفلسطين (٣٢٩ هـ) وقعد هو في الشام حتى طبرية .

٤ — وقام بالشام ناصر الدولة بن حمدان (٣٣٠ هـ) . ثم قام بها اخوه سيف الدولة، فقاتل الاخشيد وانتزع مصر من يده ، واصبح الآمر الناهي في مصر والشام معاً .

٥ — وفي سنة ٣٣٤ هـ تفرد كافور في الحكم. وكان آخر ملوك الدولة الاخشيدية .

٦ — ولما مات كافور ٣٥٦ هـ وقع الخلاف بين الاخشيديين ، فأخذ كل واحد منهم يدعي الأمارة لنفسه . وكتب جماعة منهم إلى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعونه إلى مصر . وانتهت بذلك الدولة الأخشيدية ، وحلت مكانها الدولة الفاطمية .

وفي خلال هذه الفترة من الزمن ، هجعت غزة فما عدت تسمع عنها شيئاً يستحق الذكر .

غزة
في عهد الدولة الفاطمية

كان كافور آخر ملوك الأخشيديين . ولما أذنت شمس الدولة الاخشيدية بالافول ، رأى عقلاء مصر انه لا ينجيها من الفوضى التي انتشرت فيها، إلا القاؤها في حضن دولة قوية . فكتبوا إلى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعونه إلى مصر . فجهز هـذا جيشاً من مئة ألف محارب ، وألف وخمسمئة جمل تحمل الذهب والفضة . وأرسله إلى مصر بقيادة (جوهر) . فهربت العساكر الاخشيدية . وأقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمي . ولم يدخل هـذا تحت طاعة الخلفاء العباسيين . بل ادعى الخلافة لنفسه بمصر ، قائلاً : « نحن أفضل من بني العباس ، لأننا من ولد فاطمة بنت رسول الله » .

٢ — ولما استقرت قدم جوهر بمصر ، سير جمعاً كثيراً مع (جعفر بن فلاح) إلى الشام . فمر هذا بغزة ، وبلغ الرملة وكان بها يومئذ (الحسن بن عبد الله بن طغج) فقاتله . واستولى على فلسطين كلها وجبى أموالها . ثم ملك الشام بعد فتن وحروب ، وأقام الخطبة للمعز (٣٥٩ هـ) وقطعت الخطبة العباسية ، وأصبح الفاطميون خلفاء مصر والشام والمغرب معاً .

٣ — وبعد وفاة المعز الفاطمي تولى ابنه العزيز (٣٦٥ هـ) . فقامت بينه وبين (افتكين) صاحب الكلمة العليا في الشام حرب دامت شهرين ، وقتل فيها عدد كبير من الطائفتين ؛ وقد استعان أهل الشام على المغاربة بالقرامطة . فجاء ملك القرامطة (الحسن بن أحمد القرمطي) من بغداد ، واجتمع إليه من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألف مقاتل . فرحل جوهر قائد العزيز الفاطمي من دمشق ، وتبعه افتكين والقرمطي واتباعهما فحصروه في عسقلان سبعة عشر شهراً ، ذاق خلالها الامرين من الجوع . ولكنه تمكن بعد جهد جهيد من الخلاص .

٤ — عندما رجع جوهر إلى مصر ، واخبر العزيز بما جرى ، سار العزيز بنفسه إلى الشام في سبعين ألف مقاتل . ولقد مر بغزة ، ووصل إلى الرملة . وفي ظاهر الرملة ، جرى قتال شديد بينه وبين افتكين والقرامطة كان النصر حليفه . فقتل

من المغاربة الذين كانوا قوام الجيش الفاطمي نحو من عشرين ألفاً ؛ واسر افتكين، فاخذ إلى مصر ومات بها .

٥ — وقد جاء العزيز إلى فلسطين مرة اخرى عندما ثار (مفرج بن الجراح) أمير بني طيء وسائر العرب في فلسطين . خشي العزيز يومئذ عاقبة الامر ، فجهز العساكر لمحاربته . وأرسلهم بقيادة قائده التركي (بلتكين). فسار هذا إلى الرملة. واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم . ولقي ابن الجراح ، فهزمه .

٦ — وقد ثار (منجوتكين) أحد قواد الدولة الفاطمية على دولته ، فعصا خليفته ، واستنجد الروم . إلا أنهم لم ينجدوه . فندب الخليفة العساكر من مصر لقتاله، وكان هؤلاء بقيادة (أبي تميم بن جعفر). فسار أبو تميم من مصر ، ورحل منجوتكين من الرملة ، والتقى الجيشان بعسقلان ، فانهزم جيش منجوتكين ، واخذ هو أسيراً إلى مصر .

٧ — وقد أمر الحاكم ، (باروح تركي) الملقب بعلم الدولة على جيوشه ، ولقبه أمير الامراء ، وولاه الشام ، وسيره إليها . فحمل باروح معه زوجته وهي ابنة الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس ، وحملا معهما اموالهما في قافلة مع التجار . فاعترضهم بالقرب من غزة (المفرج بن دغفل بن الجراح) وأولاده ، فأوقع بهم ، وحاز جميع ما كان معهم ، وأخذ باروح أسيراً وقتله . وسار ابن الجراح إلى غزة ، فدخلها ، ، وأباح للعرب نهبها ، وأقام الدعوة لأبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني أمير مكة يومئذ ، وأسماه أمير المؤمنين ، ولقبه الراشد لدين الله ، وضرب له السكة. وظل الشام تحت سيطرة ابن الجراح سنتين وخمسة شهور ، إلى أن سير الحاكم عليه عسكراً (٤٠٤ ه) بقيادة (علي بن فلاح) الملقب قطب الدولة. واتفق أن مات ابن الجراح قبل أن تصل العساكر إليه، فتشتت أولاده في البرية، بعد أن تخلوا عن البلاد التي دانت لأبيهم .

٨ — لم تذكر غزة إلا عرضاً في عهد الفاطميين . ويظهر أن المصائب التي ألمت بها بسبب الحروب الكثيرة قد افقدتها شطراً كبيراً من أهميتها السابقة . حتى كاد الخراب يخيم عليها ، فأصبحت قرية بسيطة من أعمال الرملة . وكانت هذه في زمن الفاطميين عاصمة فلسطين .

غزة في عهد الدولة السلجوقية

الدولة السلجوقية ، دولة تركمانية جاءت من الشرق ؛ لتقضي على الدولة الفاطمية العربية عندما دب في هذه الضعف ، ونزل بها الهرم . والسلجوقيون ينسبون إلى سلجوق من صغار امراء الترك في ارجاء بخارى . انهم أصل الترك العثمانيين ، وهم ينقسمون إلى عدة فروع . وقد استولوا على العراق والجزيرة ، ثم على الشام والحجاز واليمن . واعتنقوا الدين الإسلامي ، وخدموا الخلفاء من بني العباس . وهم على جانب عظيم من الشجاعة والفروسية .

٢ — ازدادت شوكة السلجوقيين في عهد مليكهم (السلطان آلب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق) . فسار هذا بجيوشه إلى الشام . وافتتح الرملة والقدس . وملك ما يجاور ذلك ما عدا غزة وعسقلان . وفي هذه البلاد التي افتتحها كان يخطب باسم بني العباس .

٣ — ولما مات ورثه (ملكشاه بن آلب ارسلان) فتغلب هذا على الشام (٤٦٥ هـ) . ثم سار إلى مصر ليفتتحها (٤٦٩ هـ) ولكنه رجع خائباً .

٤ — يظهر أن اندحار ملكشاه هذا ، وفشله في فتح مصر أهاج الشام عليه . فخرجوا عليه ، وأعادوا خطبة صاحب مصر (الخليفة العلوي) في جميع الشام . ففتك بهم . وأغار على أهل القدس ، فنهب أموالهم ، وسبى نساءهم ، واستعبد احرارهم ، وقتل منهم ثلاثة آلاف انسان . ثم سار إلى الرملة ، فلم يجد فيها أحداً . ثم جاء إلى غزة ، فقتل كل من كان فيها ، ولم يدع بها عيناً تطرف .

٥ — لم ينقطع أمل الفاطميين من ملك الشام بعد أن قطعت خطبتهم من أهم مدنها . فبعثوا عام ٤٨٢ هـ جيشاً من مصر فتحوا به صور وصيدا وعكا وجبيل . وفي عام ٤٩٠ هـ قدم على الافضل بمصر الرسل من عند فخر الملوك (رضوان بن تتش) صاحب انطاكية يبدون له الطاعة .

٦ — و بينما كان النزاع بينهم و بين الفاطميين قائماً — السلاجقة يميلون إلى الخلافة العباسية والفاطميون إلى الخلافة العلوية — جاء الصليبيون . فافتتحوا بمجيئهم عهداً جديداً هو الذي سنذكره في الفصل التالي .

غزة

في أيام الصليبيين

في عام ١٠٩٣ م زار بيت المقدس عدد من الزائرين بينهم راهب افرنسي يدعى (بطرس الناسك) . ولما رجع هذا الى بلاده أخذ معه رسالة استغاثة من البطريرك (سمعان) للبابا (أربانوس الثاني). وراح يدعو الناس لانقاذ المسيحيين في الارض المقدسة من ربقة العبودية . وانتشرت الفكرة بمساعي البابا الذي منح غفراناً كاملا لمن يتطوع للخدمة في تلك الحرب الدينية .



البابا أربانوس الثاني

الغاية الظاهرة من هذه الدعوة (تحرير المسيحيين من ربقة العبودية) والغاية الحقيقية هي (اخضاع الكنائس الشرقية للكنيسة الغربية)(١)

٢ — جندت ممالك الغرب — ما عدا جرمانيا واسبانيا — اربعماية ألف جندي سنة ١٠٩٦ م ومشى هؤلاء إلى فلسطين ، ففتحوا في طريقهم (انطاكيا) ، وقتلوا كل من لم يقبل النصرانية من أهلها . ثم ساروا إلى اورشليم فدخلوها عنوة ١٠٩٩ وقتلوا من أهلها المسلمين سبعين ألفاً . ولجأ كثيرون إلى الحرم الشريف، فذبحوهم فيه عن آخرهم ذبح الأغنام . وأخذ اليهود قسطهم من هذه المجزرة التي دامت سبعة

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الاورثوذكسية ص ٧٠

أيام ، فجمعوهم في كنيسهم ، وحرقوهم ، وامروا الذين بقوا احياء من العرب أن يجمعوا جثث موتاهم أكواماً ويحرقوها بالنار . وبعد ذلك قتلوا هؤلاء أيضاً .«وهي قسوة يتبرأ منهـــا الدين المسيحي (١) الذي يدعون انهم انما جاءوا لنصرته ؛ فضلاً عن أنها جعلت روح العداوة والانتقام تتأصل في قلوب المسلمين ضد مسيحي البلاد التعساء ، فسببوا ضرراً عظيماً لهم لم يكن أخف وطأة من اضرار ملوك الروم . فلو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة ، وغزوات الصليبيين المتعددة ، وفظائع اولئك وهؤلاء بمسلمي البلاد ؛ لعاشوا إلى جانب اخوانهم المسلمين (٢) عيشة راضية لا يتخللها نكد ولا كدر » .

٣ — وقد حلت الكنيسة اللاتينية محل الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين باستيلاء الأفرنج عليها ، فنصبوا لهم بطاركة على اورشليم . وأما البطاركة الارثوذكسيون فكانوا في تلك المدة ينصبون في القسطنطينية ، ويعيشون فيها . لأن اولئك احتلوا وظائفهم واحتلوا دار البطريركية الأرثوذكسية المعروفة الآن (بالخانكة) . وأقام اللاتين لأنفسهم أساقفة في جميع المراكز الأسقفية . ولم يبق تحت سيادة البطاركة الأرثوذكسيين سوى أسقفيات اللد والرملة وحبرون .

وأما أسقفية غزة (٣) فتركت لليونان ؛ لأن الشطر الأكبر من مسيحي غزة كانوا يونان وثنيين فتنصروا . والظاهر انهم ظلوا زمناً طويلا محافظين على لغتهم .

٤ — لقد كانت الصدمة الاولى عنيفة . وما كان الصليبيون لينالوا هذا النصر عندهـا لو كانت في البلاد حكومـة قوية وشعب رزين متحد ، ولم يكن قد انقضى على الحكم السلجوقي في سوريا وفلسطين سوى عشر سنوات . ولم يكن السلجوقيون بقادرين على أن يتحدوا . إذ قد انقسمت مملكتهم بعد مقتل الوزير (نظام الملك) ١٠٩٢ م ، وكثر التنازع بين الرقباء الطامعين في العرش ، ونشبت في سوريا وفلسطين حروب أهلية واضطرابات داخلية أهلكت الحرث والنسل . ولم تكن بقادرة على صد تيار الصليبيين . فتمكن هؤلاء عند أول حملة قاموا بها من

---

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(٣) راجع الصفحة ٣٨٣ من تاريخ خريسوستومس .

الاستيلاء على قسم كبير من البلاد . ولم ينتبه المسلمون إلا عندما احتل الصليبيون بيت المقدس ١٠٩٩ م .

٥ — إن الحملة الصليبية الاولى (١٠٩٦—٩٩ م) لم تشمل جنوب فلسطين إلا قليلاً . وكانت أقصى نقطة توصل إليها الصليبيون في الجنوب هي (عسقلان) حيث تغلبوا على المصريين ، فرجع هؤلاء إلى بلادهم .

وأما غزة فقد بقيت وراء ساحة القتال في هذه المرة .

٦ — وعندما توطدت اقدام الصليبيين في البلاد عام ١١٠٠ م تقدموا نحو غزة ، فحملوا عليها بقيادة (جود فريد) ، وأعادوا فيها بناء القلعة على التل ، تلك القلعة التي وجدوها مهجورة ينعق فوقها بوم الخراب .

انهم لم يرجعوا لغزة اهميتها التجارية السابقة وقد كانوا يومئذ يسمونها Gadres بل جعلوا عسقلان[1] المركز الرئيسي للنصرانية في فلسطين . كما انهم لم يعتنوا بها من جهة عسكرية ، ولا جعلوها مركزاً حربياً رغم انها كانت يومئذ مسورة ، بل رجحوا عليها من هذه الناحية الداروم[2] الواقعة في جنوبها ، وجعلوها مخفراً أمامياً لهم في اتجاه مصر .

٧ — وفي عام ١١١٨ م قام الصليبيون بفتح الشرق تحت قيادة بلدوين الثاني . ووصلوا حتى أقصى البلاد .

٨ — وفي ١١٣٦ م غلبوا على امرهم من قبل (زنكي). وقد وحد هذا المسلمين وجمع شملهم.وعند وفاته ترك لابنه نور الدين مملكة قوية في سوريا وما بين النهرين.

٩ — وفي الحملة الصليبية الثانية ١١٤٩ م جاء (بلدوين الثالث) وأخذ يعيد قسما من سور غزة ، وانشأ حصناً فيها . وانتهى من بناء هذا الحصن عام ١١٥٠ م والغاية منه مراقبة المخفر المصري في الجوار ، ووضع حد لتعدياته المتكررة على الاراضي التابعة لمملكة القدس وعلى طريق القوافل التجارية .

١٠ — وقد استأنف عمله أخوه (آلماريخ آموري) فأتم هذا إنشاء المدينة

---

(١) Meyer

(٢) دير البلح .

وتحصينها . ثم عهد بها إلى فرسان الهيكل ، وكان نظام هؤلاء عسكرياً بحتاً . فبنوا فيها كنيسة القديس يوحنا [١] . وكانت غزة يومئذ آخر ملجأ للنصارى في جنوب الشاطيء البحري باتجاه مصر .

١١ — وقد زارها يومئذ السائح الإسلامي والبحاثة المعروف في علم الجغرافية الادريسي عام ١١٥٤ م فقال عنها انها مدينة مقدسة ، وانها آهلة جداً بالسكان ، وانها بيد الروم [٢] . ومما قاله الإدريسي ان لها مرفأ يدعى Taïdâ أو Tida .

١٢ — وفي آذار عام ١١٥٨ م [٣] تغلب المصريون بقيادة (ضرغام) على الافرنج في غزة أو بالقرب منها .

١٣ — وفي عام ١١٦٥ م اعلن الجهاد على الصليبيين من قبل الخليفة العباسي في بغداد ، فأمر شيركوه وصلاح الدين من قبل سيدهما نور الدين بالتوجه إلى مصر . ولما أخذ شاور الوزير المصري هذا الخبر أبلغه إلى (آموری) ، فأرسل هذا الجيش الصليبي إلى غزة ليرقب حركات السوريين وتقدمهم ، إذ كان الصليبيون قد عقدوا تحالفاً مع مصر .

١٤ — افتتح صلاح الدين مصر ، ثم أخذ يهتم بسوريا ، فهاجم غزة في شهر ديسمبر لعام ١١٧٠ م ، وهدم قسماً من المدينة وهدم الأحياء المجاورة لها ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة التي كان يدافع عنها يومئذ (ميلون دى بلاوزى) تلك القلعة التي كان بلدوين الثاني قد أعاد بناءها في سنة ١١٤٩ م وكانت يومئذ محصنة للغاية .

١٥ — وفي عام ١,١٧٣ م اغتنم صلاح الدين فرصة الخلاف الناشب بين الصليبيين؛ فأعلن سيادته على سوريا ايضاً ، وبهذا أصبح يهدد مملكة القدس النصرانية . ويقول السائح ثيودوريك الذي زار غزة في ذلك الحين : انها كانت تدعى يومئذ Gazara .

---

(١) يقول ماير انها المسجد الحالي (؟)

(٢) يقصد الصليبيين .

(٣) وعلى قول عام ١١٦٠ للميلاد .

١٦ — وفي كتاب أرسله جوبرت القائد الأعلى لفرسان المستشفى الذين احتلوا بفيالقهم غزة وأخذوها من فرسان الهيكل ، إلى ميلاتوس الأسقف الارثوذكسي السوري في غزة عام ١١٧٣ م، قيل عن غزة انها كانت بيد المسلمين وان الصليبيين كلما احتلوا مدينة استبدلوا الرهبان والقسس الارثوذكسيين برهبان لاتين ، وان عدداً كبيراً من أساقفة الروم كانوا يقومون بوظائفهم في غزة والقدس بصورة شكلية . وأما ميلاتوس فبعد أن اتفق مع فرسان المستشفى على أن يحتفظ بأسقفية غزة على مدى الحياة ، عاد هؤلاء فاستردوا مواقفهم .

١٧ — وفي عام ١١٨٧ م (٥٨٣ ﻫ) قهر صلاح الدين الصليبيين في حطين. وقد تتبع انتصاراته حتى احتل جميع فلسطين بما فيها القدس ، ففتحت غزة له ابوابها وكان عليها يومئذ ريكاردوس قلب الأسد .

١٨ — وقد قامت خلال الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩ – ١١٩١م) على أثر احتلال القدس هذا، معارك عصيبة بين المسلمين والصليبيين بقيادة فريدريك بارباروسا ، وفيليب اوغستوس اوف فرانس ، وريكاردوس قلب الأسد . وكان النصر الذي ناله النصارى في هذه المعارك ضئيلاً ، وهو السماح للحجاج بزيارة القدس وامتلاك شقة ضيقة من الأراضي الساحلية .



ريكاردوس قلب الاسد يحتل غزة

١٩ — ولما كان قسم كبير من جيش صلاح الدين قد تحطم بعد احتلال عكا عام ١١٩١ م فلم يستطع هذا الدفاع عن المدن الساحلية ومن جملتها غزة ، فاحتلها ريكاردوس قلب الأسد وعمرها ، ثم اعطاها إلى فرسان الهيكل

الذين تعهدوا بالمحافظة عليها . وقد قضت المعاهدة التي امضيت بين ريكاردوس قلب الأسد وصلاح الدين(١١٩٣ م)بتجريد غزة من حصونها ووسائل الدفاع عنها.وقد نفذت شروط المعاهدة بحذافيرها . ويظن أن الأكوام الكبيرة التي نراها اليوم حول المدينة القديمة ليست إلا بقايا السور الذي بني في عهد الصليبيين .

٢٠ — وقد زار غزة في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر عدد كبير من الحجاج والسائحين ، منهم ابو الفداء فقال عنها انها مدينة متوسطة الحجم ذات حدائق واسعة ، وقد ذكر اشجار النخيل والعنب ، وذكر الرمال الكائنة بين المدينة والبحر ، وقال ان فيها قلعة حاكمة على المدينة .

٢١ — لم تتأثر غزة ، حتى ولا البلاد الفلسطينية كلها من الحملتين الصليبيتين اللتين ارسلتا بعد ذلك : — الرابعة (١٢٠١ — ١٢٠٤ م) ، والخامسة (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م) . ولم تضف هاتان الحملتان إلى مجد الصليبيين أو إلى قضية الصليب شيئاً يذكر .

٢٢ — وفي عام ١٢٣٩ م قام الصليبيون بحملة جديدة كان أشهر قوادها ثيوبالد ، وكونت اوف شمبانيا ، وثيباوت الأول ملك نافار ؛ وكان القصد من هذه الحملة اكتساب مركز لفرنسا في الشرق . فقامت معركة بين الصليبيين والمسلمين بجوار غزة (١) انكسر فيها الصليبيون وتشتت شملهم (١٣ نوفمبر ١٢٣٩ م) . فخسروا عدداً كبيراً من جندهم ، وثلاثة من القواد هم : الكونت اوف بار ، والدوق اوف بورغندي ، وآموري دومونت فورت؛ كما أسر منهم عدد كبير من الامراء والاعيان. وفي هذا الوقت كانت نجدة جديدة قد ارسلت إليهم . فوصلت هذه ولكن حين لا ينفع الوصل . . .

(١) هناك على باب ضريح النبي حانون بقرية بيت حانون من أعمال غزة بلاطة كتب عليها الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله ... انشأ هذا المسجد المبارك الأمير الأجل الأسفهسلار الكبير الغازي المجاهد المرابط شمس الدين سنقر الملكي الكاملي العادلي عند كسرة الافرنج خذلهم الله تعالى ببيت حانون يوم الأحد النصف من ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ وبناه مسجداً للنصر وفقد من استشهد من أصحابه في الوقعة . »

٢٣ — وقد جاء بعدئذ الخوارزميون وهم من أصل تاتاري ، واستولوا على سوريا عام ١٢٤٠ م ، ثم احتلوا القدس . وقد كانوا من الشدة والبطش بدرجة عظيمة . حتى أن المصريين استعانوا بهم ليساعدوهم في حروبهم ضد السوريين ، فالتقى الجمعان في غزة : فرسان الهيكل وجيش المنصور أمير حمص في جانب ، والمصريون وحلفاؤهم الخوارزميون في الجانب الآخر . وجرت بينهما في اليوم السابع عشر من تشرين الأول عام ١٢٤٤ م معركة حامية الوطيس ، وكان ترتيب صفوفها كما يأتي :

فرسان المستشفى بقيادة والتر اوف بريان ، والكونت اوف جافا في الميسرة ؛ وفرسان الهيكل مع البطريرك والصليب المقدس في المركز ؛ والمسلمون بقيادة منصور في الميمنة .



الملوك والامراء الصليبيون يتشاورون

وبعد قتال شديد دام يومين غلب المسيحيون وحلفاؤهم على امرهم .فارتدوا على اعقابهم ، بعد أن خسروا ثلاثين ألف رجل قتيل وقد ذبح قائد كبير واسر آخر . ولم يسلم في هذه المعركة من القتل سوى البطريرك ، وأمير صور ، وثلاثة من الامراء التوتونيين و ٢٦ من فرسان المستشفى ، و ٣٣ من فرسان الهيكل . فاستولى المصريون على جميع فلسطين . وأما الخوارزميون فقد خربوا وادي الاردن وسهول عسقلان .

وقد اتفق بعدئذ ملك فرنسا لويس التاسع مع امراء المماليك على أن يطلق هؤلاء سراح الأسرى الذين اسروا في هذه المعركة . ولم تقم للصليبيين ومملكتهم اللاتينية قائمة بعدها .

غزة

فى عهد صلاح الدين (واحفاده)



هو الذي قضى على الفاطميين ، وحطم سلطانهم وخلافتهم فى مصر ١١٧١ م

دخل صلاح الدين الأيوبي غزة مرتين : الاولى عندما تم له فتح مصر ، وشرع يفكر في سوريا ؛ فسار إليها وهاجم غزة ، وقد كانت يومئذ بيد الصليبيين ، وكان يدافع عنها (ميلون دوبلاوزي) . فأغار صلاح الدين على المدينة بشدة في ديسمبر عام ١١٧٠ م (٥٦٦ هـ) ، وهدم قسماً منها وحطم الأحياء المجاورة . إلا أنه لم يتمكن

من الاستيلاء على القلعة ، تلك القلعة التي كان بلدوين الثاني (١١٤٩ م) قد أعاد بناءها ، وحصنها تحصيناً تاماً .

٢ — ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في حطين عام ١١٨٧م (٥٨٣هـ) تابع انتصاراته حتى احتل جميع فلسطين . وفتحت غزة له ابوابها وكان عليها يومئذ ريكاردوس قلب الأسد .

إلا أن هذا عاد فاحتلها عام ١١٩١ م (٥٨٧ هـ) ، إذ كان القسم الأكبر من جيش صلاح الدين قد تحطم بعد احتلال عكا ، فلم يستطع الدفاع عن المدن الساحلية.

وقد قضت المعاهدة التي امضيت بين ريكاردوس قلب الأسد وبين صلاح الدين عام ١١٩٣ م (٥٨٩ هـ) بتجريد غزة من حصونها ووسائل الدفاع عنها . وقد نفذت شروط المعاهدة بحذافيرها . ويظن أن الأكوام الكثيرة التي نراها اليوم حول المدينة القديمة ليست إلا بقايا السور الذي هدم في ذلك الحين .

وقد تهادن صلاح الدين والافرنج ، في البر والبحر ، هدنة عامة مدتها ثلاث سنوات وثلاثة اشهر وثلاثة أيام . ومات بعد ذلك بقليل .

٣ — خلف صلاح الدين سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة واحدة . فاقتسم اولاده واخوته ملكه [١] ، وقامت بينهم حروب وفتن . وفيما كان أبناء البيت الواحد يقتتلون قامت الحملة الصليبية الخامسة . انه وان كان لا مجال لذكر الحروب والفتن التي قامت بين أولاد صلاح الدين واخوته وأحفاده كلها هنا إلا أنه لا مناص لنا من ذكر بعضها[٢] لما له من صلة بتاريخ غزة فنقول :

٤ — حصلت فتنة بين الملك الأفضل بدمشق والملك العزيز بمصر . واستحكم النفور (١١٩٤ م — ٥٩٠ هـ) بينهما . فسار العزيز في عسكر مصر ، وحاصر أخاه الأفضل بدمشق عشرة أشهر قطع خلالها الماء عنه ثم اصطلحا .

---

(١) استقر أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين في دمشق . والملك العزيز عماد الدين عثمان بالديار المصرية . والملك الظاهر غياث الدين غازي في حلب . والملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين بحماة . والملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ببعلبك . وشيركوه بن محمد بحمص . والملك الظافر خضر بن صلاح الدين ببصرى . والملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب (أخو صلاح الدين) بالكرك والشوبك والبلاد الشرقية .

(٢) لأجل التفصيل راجع (كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك) .

٥ — وقد صفا الزمان للملك العادل (١) فأصبح ملك الشام ومصر معاً ، وخضع له أولاد أخيه صلاح الدين (١٢ رجب ٦٣٥ هـ) ، إلا ابن عمه الناصر داود . فقد خرج هذا عن طاعته، وسار من الكرك، فاستولى على السواحل ، وعلى غزة(٦٣٥ هـ) وخطب لنفسه فيها . ثم تحالف مع الملك الصالح نجم الدين : على أن تكون ديار الشام والشرق له (أي للناصر) ، وديار مصر للصالح . ولما وصل الخبر إلى الملك العادل انزعج . فأمر بخروج الدهليز السلطاني والعساكر . وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج من دمشق بعساكره ، فخرج . وخاف الملك الصالح والملك الناصر من التقاء عساكر مصر والشام عليهما . فرجعا من غزة إلى نابلس ومنها سارا إلى الكرك ليتحصنا فيها .

وكاد الملك العادل يتغلب على الاثنين معاً ، لو لا انه وقع نفور شديد بينه وبين امرأته ، بسبب سوء تدبيره ؛ فتآمروا على خلعه ، وخلعوه .

فصفا للملك الناصر والملك الصالح الجو ، واقتسما البلاد كما تحالفا . غير أنهما عادا فاختلفا . وجرت وقعة بين امراء الملك الصالح أيوب المقيمين في غزة وبين الناصر ، كسر فيها أصحاب الملك الصالح . ولكنهما عادا فاصطلحا ، ورحل الناصر عن غزة .

٦ — وفي سنة ٦٣٩ هـ قدم الأمير ركن الدين الطون بغا الهيجاوي من القاهرة إلى دمشق . وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود؛ ليصلح بينه وبين الملك الجواد ، حتى يبقى على طاعة الملك الصالح نجم الدين . فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق ، وأخذ معه جماعة من العسكر ؛ ولحق الجواد بالفرنج ، وأقام عندهم .

٧ — ثم اصطلحت الحال بين السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبين المنصور صاحب حمص ، والناصر صاحب حلب ، واتفقت كلمتهم . فبعث السلطان إلى الناصر صاحب حلب رسالة (٢) طلب فيها منه تسليم الصالح اسماعيل ، فلم يجب إلى تسليمه . وأخرج السلطان عسكراً كبيراً قدم عليه الأمير فخر الدين يوسف بن

---

(١) سيف الدين ابو بكر بن ايوب أخو صلاح الدين . وقد اشترك معه في أكثر فتوحاته ، ولا سيما في حصار عسقلان وغزة .

(٢) إن الذي حمل تلك الرسالة هو بهاء الدين زهير الكاتب الشاعر المشهور .

شيخ الشيوخ وسيره لمحاربة الكرك . فسار إلى غزة ، وأوقع بالخوارزمية ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت ؛ وكسرهم ، وشتت شملهم ؛ وفر الناصر إلى الكرك .

وسار فخر الدين عن الصلت بعد احراقها ، واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولى عليها النواب ؛ ثم نازل الكرك وخرب ما حولها ؛ واستولى على البلقاء ؛ وأضعف الناصر حتى سأله الأمان .

٨ — وعندما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، واتفق امراء المماليك على إقامة (شجرة الدر) في مملكته بمصر ، قامت قيامة الشام ومن فيها . وقد كان فيها الأمير جمال الدين محمد بن ابراهيم بن عمر الاسعدي والامراء القيمرية ، فلم يستحسنوا الخبر . فاستولى الملك السعيد(١) حسن ابن عبد العزيز عثمان بن العادل أبي بكر أيوب على مال مدينة غزة ، وسار إلى قلعة (الصبيبة) فملكها . وثار الطواشي بدر الدين لؤلؤ الصوابي نائب الكرك والشوبك، فأخرج الملك عمر بن العادل من الحبس، وملكه الكرك والشوبك وأعمالهما.

وقام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب — بناءً على تشويق الامراء القيمرية في دمشق — فخرج من حلب في عساكره ، وفتح دمشق بغير قتال .

وقبض على عدة من الامراء المماليك التابعين لمصر ، وسجنهم . ثم سار إلى غزة. وفي غزة جرت بين الفريقين موقعة كان النصر فيها حليف المماليك الذين جاءوا من القاهرة بألفي فارس ، وكان عميدهم الأمير فارس الدين اقطاي الجمدار (٦٤٨ هـ).

٩ — ولكنه لم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام الملك الناصر صاحب دمشق يتأهب لأخذ مصر . وخرج من دمشق بعسكره ، ومعه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب ، والملك الأشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن شيركوه ، والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين الكبير ، وأخوه نصرة الدين ، والملك الظاهر شادي بن الناصر داود ، وأخوه الملك الأمجد حسن، والملك الأمجد تقي الدين عباس بن العادل ، وعدة ملوك .

(١) كان الملك السعيد هذا قد هرب إلى غزة ، على اثر قتل السلطان الملك المعظم تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب .

ولما وصل هؤلاء إلى غزة اضطربت الدولة ، وقامت قيامة الامراء والمماليك الموجودين في مصر ، وأخذوا يتهيأون للحرب .

وكان على رأس المماليك الذين جاءوا من مصر الملك المعز ايبك ، والأمير حسام الدين ابو علي ، والأمير فارس الدين اقطاي الجمدار ، وعدد كبير من العسكر الترك.

فكان النصر في هذه الموقعة بادىء ذي بدء حليف الشاميين ، ثم صار للمصريين. وتمزق أهل الشام كل ممزق .

١٠ — وفي ١٧ من ذي الحجة ٦٤٨ ﻫ سار الأمير فارس الدين اقطاي الجمدار من القاهرة في ٣٠٠٠ إلى غزة ، واستولى عليها .

١١ — وفي سنة ٦٤٩ ﻫ سير الملك الناصر عسكراً من دمشق إلى غزة ليقيموا بها ، فأقاموا على (تل العجول) . فخرج المعز إيبك ، ومعه الأشرف موسى والفارس اقطاي وسائر البحرية ، ونزل بالصالحية . فأقام العسكر المصري بأرض السانح قريباً من العباسة ، والعسكر الشامي قريباً من غزة سنتين ، وترددت بينهما الرسل .

١٢ — وفي سنة ٦٥٠ ﻫ قدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبدالله بن محمد بن الحسن بن أبي سعد البادرائي رسولا من الخليفة للاصلاح بين الملك المعز ايبك والملك الناصر . فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر ، فلم يرض الملك المعز ؛ وزاد بأن طلب أن يكون بيده — مع مصر — من غزة إلى عقبة فيق .

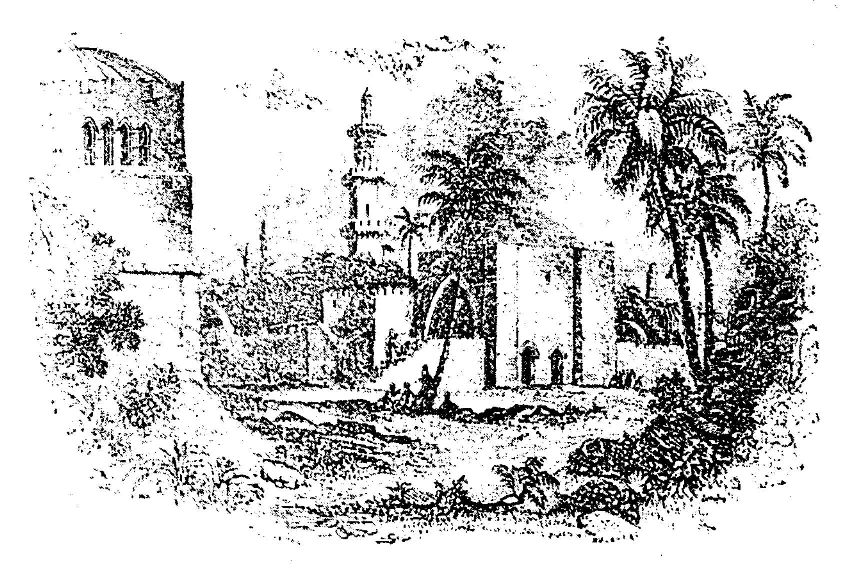
١٣ — وفي نفس السنة (٦٥٠ ﻫ) وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سيرأخاه هولاكو لأخذ العراق ، وانه فتح قسماً كبيراً من تلك البلاد ، وان التتر قتلوا الشيوخ والعجائز ، وساقوا النساء والصبيان .

فعزل الملك المعز عندئذ الملك الأشرف موسى ، وانفرد بالسلطنة ، واستولى على الخزائن ، وفرض الضرائب . ثم رتب مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائباً للسلطنة في مصر ، وأخذ يتأهب لمقاتلة الملك الناصر .

وانتهت السنة والملك المعز مع عساكره بالسانح ، وعساكر الشام بغزة ، والملك الناصر مقيم بدمشق ، والملك المغيث عمر بالكرك .

١٤ — وفي سنة ٦٥١ ﻫ تقرر الصلح بين الملك المعز ايبك صاحب مصر ، وبين الملك الناصر صاحب دمشق بسفارة الأمير نجم الدين البادرائي : على أن يكون للمصريين إلى الاردن ، وللناصر ما وراء ذلك ؛ وان يدخل فيما للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله .

غزة
في عهد المماليك



غزة في عهد المماليك

كانت هناك جارية تركية ، وعلى قول أرمنية ، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم تزوجها . إسمها عصمة الدين ، وتلقب بام خليل أو(شجرة الدر). وكانت هـذه تتمتع بمكانة ممتازة في قصر الملك الصالح . غير انها ما كانت لتحلم انها ستصبح الآمرة الناهية في مصر ، إلى أن قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه إبن الملك الصالح نجم الدين أيوب . فقد اجتمع امراء المماليك على أثر ذلك الحادث واتفقوا على اقامتها في مملكة مصر . فأصبحت سيدة البلاد . وأقاموا الأمير(عزالدين ايبك) التركماني على رأس جيشها .

٢ — عندما وصلت هذه الأخبار (أي قتل الملك المعظم وإقامة شجرة الدر) إلى دمشق ، وكان فيها الأمير جمال الدين محمد بن ابراهيم بن عمر الأسعدي وفريق من الامراء القيمرية ، لم يستحسنوها . بل ثار ثائرهم ، وأخذوا يعملون على إحباط

مساعيها . واستنكر الخليفة المستعصم بالله من بغداد هذا الخبر .

٣ — ثم جاءت أنباء اخرى تقول ان شجرة الدر قد تزوجت الأمير عز الدين ايبك ، وأنها خلعت نفسها ونزلت له عن الملك ، فأصبح ملكاً باسم :

« الملك المعز عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني »

٤ — أسس ايبك [١] العائلة المملوكية الاولى (١٢٥٠ م) ، فعرف بلقب المعز ؛ واختلف مع الملك الناصر في دمشق ، وكان الخلاف يحوم حول سوريا . فأخذ الفريقان : (مماليك مصر ومماليك الشام) يستعدان للقتال . وفي اغسطس (١٢٥٠ م) حاصر الناصر (غـزة) . فأرسل ايبك جنراله (اقطـاي) لينقذ المدينة . فنجح هـذا ، وتمـكن من ارجاع (غـزة) وجميع شواطيء فلسطين إلى سيده المعز (١٢٥٠ م — ٦٤٨ هـ)

٥ — ثم ان ابن الناصر صلاح الدين يوسف حاول أن يملك مصر ، فتمكن من احتلال الساحل حتى غزة . ولـكنه هنا (أي في غزة) التقى بجيوش ايبك التي يقودها اقطاي ؛ فارغم على مغادرة غزة ، وغادرها مدحوراً .

٦ — وكاد الخلاف يدوم لو لا أن الخليفة تدخل في الامر ، وأصلح بين المتحاربين ، لافتاً نظرهما إلى الخطر الذي كان يدنو منهما شيئاً فشيئاً : ألا وهو خطر المنغوليين الذين سيطروا على الخليفة في بغـداد (١٢٥٣ — ٥٨ م) ، وأخـذوا يهددون سوريا بقسميها الشمالي والجنوبي . فاستجابا طلبه ، وعقدا صلحاً في نيسان ١٢٥٣ م على أن يحتفظ كل منهما بما لديه .

٧ — وفي ٢٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ جلس على سرير الملك الملك المظفر سيف الدين قطز ، وهو ثالث ملوك الترك بمصر . وفي زمنه سار هولاكو من بغداد وأخذ حلب بعد أن حاصرها سبعة أيام . فاضطرب الملك الناصر بدمشق ، وكتب إلى الملك المغيث صاحب الـكرك ، وإلى الملك المظفر قطز يستنجدهما لنصرته .

فركب الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وسار إلى غزة ، وكان بها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية ، فتلقاه ، وانزله ؛ كما أن الناصر نفسه سار إلى

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

غزة (٦٥٨ هـ) دون أن يهيء وسائل الدفاع عن دمشق . وبالرغم من أنه اجتمع حول الناصر ما يقرب من مئة ألف رجل بين عرب وعجم إلا أن النصر كان حليف التتر . فدخل هولاكو دمشق ظافراً ، وأغارت جيوشه على بر الشام كله ، وظلوا يمعنون فيه نهباً وسلباً إلى أن وصلوا إلى اطراف بلاد غزة .

٨ — وفي سنة ٦٥٨ هـ سافر رسل هولاكو إلى مصر ، ناقلين إلى الملك المظفر نبأ اعتزام هولاكو فتح مصر. فجمع قطز الامراء ، واستشارهم؛ ثم قطع رؤوس رسل هولاكو .

ثم أمر الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري بالتقدم . فسار هذا إلى غزة وامتلكها من التتر . ثم تبعه الملك وأقام بها يوماً . ثم رحل الإثنان معاً في إثر التتر إلى أن التقيا بهم عند (عين جالوت) . فقامت بين الفريقين معركة كان النصر فيها حليف المماليك . وأبلى الأمير بيبرس بلاءاً حسناً بين يدي السلطان .

٩ — ثم انكسر التتر كسرة ثانية عند بيسان ، وانهزموا إلى دمشق . ثم تخلوا عنها أيضاً ، فاحتلها الملك المظفر ، وخلا له الجو ، واستولى على سائر بلاد الشام من الفرات إلى مصر .

عندئذ اقطع الامراء الصالحية والمعزية وأصحابه اقطاعات الشام فاناب عنه :

الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق

والملك المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ في حلب

والملك المنصور في حماة وبارين والمعرة

والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب في السلمية .

والأمير شمس الدين اقوش البرلي(١) العزيزي أميراً بالساحل وغزة .

وكان هذا قد فارق الناصر يوسف ، وسار إلى القاهرة ، فأكرمه السلطان ، وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت .

---

(١) جاء في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول الصفحة ٤٣٣ ، أن لفظة البرلي هذه محرفة من الكلمة التركية برنولو ومعناها ذو الأنف الكبير . راجع ايضاً كتاب (المختصر في أخبار البشر)لأبي الفداء(ص ١٤٤ ، ١٤٦ ؛ ١٤٨) . والامير شمس الدين هذا هو جد آل البورنو من الاسر المعروفة بغزة .

١٠ — ولما قتل قطز سار الامراء الذين قتلوه إلى الدهليز السلطاني ، وأقاموا على العرش بدلا منه الأمير ركن الدين بيبرس [١] ١٩ ذي القعدة ٦٥٨ هـ . ولقب بالملك الظاهر . وأبطل جميع الضرائب التي أحدثها قطز من قبله .

هبط الملك الظاهر بيبرس غزة مراراً عديدة . تارة في حرب وطوراً في قنص . فقد حدثنا التاريخ انه سار في ١١ ربيع الآخر ٦٦١ هـ من مصر إلى بر الشام بقصد الصيد . وظل يتصيد حتى دخل غزة ، وقد نال فيها وفي العريش صيداً كثيراً .

وقدم عليه وهو في غزة [٢] جماعة منهم ام الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل بن بكر بن أيوب صاحب الكرك ، فأنعم عليها انعاماً كثيراً ، وعلى سائر من كان معها . فعادت إلى ابنها بالكرك . ونظر السلطان في أمر التركمان ، وخلع على امرائهم ، وعلى امراء العربان من العابد وجرم وثعلبة ، وضمنهم البلاد ، والزمهم القيام بالعداد ، [٣] وشرط عليهم خدمة البريد ، واحضار الخيل برسمه . وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار ، وإلى عرب خفاجة يستحثهم على قتال هولاكو ملك التتر . ثم رحل السلطان من غزة ، ورجع إلى مصر عن طريق الساحل .

وفي سنة ٦٦٣ هـ ورد الخبر إلى الملك الظاهر بأن التتر نزلوا على البيرة . فأرسل من فوره الأمير بدر الدين الخازندار إلى الشام . فأتاه منها بأربعة آلاف فارس . وركب هو ومعه ٤٠٠٠ آخرون لملاقاة التتر . وكان معه يومئذ من الامراء مقدم الجيش الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت ، والأمير فخر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بيليك الايدمري ، والامير علاء الدين كشتندي الشمسي وغيرهم . وجاء مع الأمير جمال الدين المحمدي والأمير جمال الدين ايدغدي الحاجي أربعة آلاف فارس آخرون .

هبط السلطان غزة في العشرين من ربيع الآخر من تلك السنة . ثم رحل عنها لملاقاة التتر . وفيما كان بيني جاءه الخبر بانهزام التتر في البيرة . فسر لذلك سروراً

---

(١) انه تركي الأصل . اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وترقى في خدمة الدولة . واشترك مع الملك المظفر قطز في قتال التتر ، إلى أن أصبح ملكاً . ويقال انه هو الذي قتل قطز .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٤٨١ من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٣) زكاة مفروضة للسلطان سنوياً على قطعان القبائل العربية والتركمانية .

كبيراً . وفي اليوم الثالث من شعبان لسنة ٦٦٤ ﻫ هبط غزة مرة اخرى وسار منها إلى الخليل ، ثم إلى القدس ، فعكا . وقاتل الفرنج في كثير من انحاء فلسطين وتغلب عليهم .

وفي سنة ٦٦٥ ﻫ استدعى السلطان امراء غزة وأحسن إليهم . ثم سار في محفة على اعناق الامراء والخواص إليها . فقاتل الفرنج الذين أغاروا يومئذ على طبرية . وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفي ١٧ جمادى الآخرة لسنة ٦٦٥ﻫ توجه السلطان مع جماعة من امرائه إلى الشام . فهبط غزة . وقدم عليه وهو فيها رسل الفرنج ومعهم الهدايا وعدة من أسرى المسلمين . فكسا الأسرى وأطلقهم ثم رحل إلى صفد . ولكن الفرنج خانوه . فسار إلى عكا ، ووضع السيف فيهم ؛ فطلبوا الصلح ، ولكنه لم يجبهم لطلبهم . ثم عاد فعقد معهم هدنة لعشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات .

وفي ١٢ جمادى الآخرة لسنة ٦٦٦ ﻫ هبط غزة مرة اخرى . فأنعم على جندها وامرائها . ثم سار إلى الشام .

وفي سنة ٦٦٨ ﻫ بلغ السلطان حركة التتر ، وانهم اتفقوا مع فرنج الساحل ، فأغاروا على الساجور بالقرب من حلب ؛ فجرد عليهم جيشاً بقيادة الأمير علاء الدين البندقدار ، وسار هو من قلعة الجبل في ليلة الإثنين ١١ من ربيع الأول ومعه نفر يسير . فوصل إلى غزة . وبعد أن قضى فيها يوماً أو بعض يوم سار إلى دمشق فدخلها . ولما بلغ التتر حركة السلطان انهزموا .

مات الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ ﻫ (يوم الخميس ١٧ محرم) بعد أن ملك مصر والشام سبع عشر سنة . كانت عدة عسكره اثنى عشر ألفاً : ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . وكان كثير السفر خفيف الحركة حتى قال فيه سيف الدولة المهمندار من أبيات يمدحه فيها :

يوماً بمصر ويوماً بالحجاز وبالـ ... شام يوماً ويوماً في قرى حلب
تدبر الملك من مصر إلى يمن ... إلى العراق وأرض الروم والنوبى

وتزوج بيبرس من النساء — وهو ببلاد غزة قبل أن يلي الملك — أمرأة من الشهرزورية ، ثم طلقها بالقاهرة . وقد اهتم بمساجد غزة وجوامعها اهتماماً كبيراً . ويقال انه كان في غزة على عهده مكتبة قيمة احتوت على عشرين ألف كتاب .

١١ — وبعد وفاة بيبرس تولى السلطنة ابنه سنتين .

١٢ — ثم تولاها (١٢٧٩ م) الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفي وأصله من مماليك آق سنقر الكاملي . وقد سار هذا بجيشه في ١٩ حزيران عام ١٢٨٠ م لمحاربة المنغوليين ، وخيم في غزة خمسين يوماً . كانت غزة في ذلك العهد قرية من أعمال الرملة . فجعلها الملك قلاوون حكومة مستقلة (١٢٩٣ — ١٣٤٠ م) . وأقام فيها نائباً ينوب عنه في الحكم . وكان نائبها هذا يلقب بملك الامراء . وقد حفر اسمه (قلاوون) على بلاطة وضعها على الباب القبلي للجامع الكبير (١) في غزة .

١٣ — ولقد هبط الملك قلاوون غزة مراراً : تارة بقصد الزيارة وطوراً لتسكين الفتن . في عام ٦٨٧ هـ كان نائب دمشق الامير سنقر الأشقر قد رفع راية العصيان ، ودعا الناس إلى طاعته ، ولقب نفسه بالملك الكامل . وخطب باسمه في دمشق. فأرسل إليه السلطان يقبح عمله . كما نصح إليه امراء مصر بأن يترك الفتنة . إلا انه لم يذعن. عندئذ سار السلطان لمحاربته . ونزل غزة . فانهزم سنقر إلى الرملة. وانهزم معه الامراء الذين حالفوه. فتبعهم السلطان وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمي ، والأمير بدر الدين بيليك الحلبي، وبهاء الدين يمك الناضري، وناصر الدين باشقرد الناصري، وعلم الدين سنجر التكريتي ، وسنجر البدري ، وسابق الدين سلمان صاحب صهيون. وغنم منهم مالا وخيولا ومهمات كثيرة . عندئذ بعث سنقر الأشقر إلى امراء غزة يسترضيهم ويعدهم ويستميلهم . فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن صبحي أمير العربان بالبلاد القبلية ، والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية . وأتته النجدات من حلب وحماة وبعلبك . . .

فجرد السلطان من القاهرة أربعة آلاف فارس بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير السلاح ، والأمير بدر الدين الأيدمري ، والأمير حسام اتيمش بن اطلس خان . فساروا كلهم إلى غزة ، حيث اجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم ، فسار الجميع بقيادة علم الدين سنجر الحلبي لملاقاة عسكر سنقر الأشقر في الرملة . فرحل هؤلاء إلى دمشق ؛ فتبعهم علم الدين ؛ وعندما تلاقى الجمعان بالقرب من دمشق كان النصر حليف عسكر السلطان . وانهزم الأشقر .

---

(١) راجع ما كتبناه عن هذا الجامع في الفصل الذى خصصناه لجوامع غزة ومساجدها.

وفي ٦٧٩ هـ توجه السلطان الملك المنصور قلاوون من مصر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتر . فسار إلى غزة ، وفيها وافاه من كان في البلاد الشامية من عساكر مصر . وقدم عليه ايضاً طائفة من امراء سنقر فأكرمهم . ومكث في غزة حتى اليوم العاشر من شهر شعبان. وفي هذه الاثناء (١) جاءته الأخبار قائلة ان التتر رجعوا إلى بلادهم . فرجع إلى القاهرة .

ثم جاءت الأخبار برجوع التتر إلى حلب . فخرج السلطان إليهم ثانياً . وجد في السير ، فتلاقى معهم عند (المرج الأصفر) ٦٨٠ هـ فكان النصر حليفه .

وفي سنة ٦٨٠ هـ ثار العشير (٢) ، ونهبوا مدينة غزة ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وعتوا في الأرض فساداً . فأرسل السلطان لمقاتلتهم جيشاً من الشام بقيادة الأمير علاء الدين ايدكين الفخري ، وآخر من القاهرة بقيادة الأمير شمس الدين سنقر البدوي ؛ وأدبهم .

وفي شهر رجب من سنة ٦٨٠ هـ ثار العشير مرة اخرى ، ونهبوا نابلس ، وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها . فركب الأمير علاء الدين ايدكين الفخري من غزة ، وقبض على جماعة منهم ، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم ، وسجن كثيراً منهم بصفد . ثم أقام الأمير علاء الدين ايدغدي الصرخدي نائباً على البلاد الغزية والساحلية لردع العشران .

وقد أمر السلطان قلاوون ايضاً بأن يكون الأمير علم الدين سنجر الدواداري شاداً ومديراً من غزة إلى الفرات .

وقد مر السلطان قلاوون بغزة بعد ذلك مرتين : مرة في طريقه من الشام إلى مصر ، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٣ شعبان ٦٨٠ هـ ؛ واخرى في النصف من جمادى الاولى في طريقه من مصر إلى بلاد الشام .

وفي يوم الخميس ، الخامس من شهر ربيع الأول من سنة ٦٨٢ هـ (٣ يوليو ١٢٨٣ م) جرت الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الحكام الفرنج بعكا ، ومدتها عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة أيام وعشر ساعات : على أن يكون للسلطان الملك المنصور وولده جميع البلاد التي في تملكهما وتحت حكمهما

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس .

(٢) إسم يطلق على البدو .

وطاعتهما وهي : مملكة الديار المصرية ، والبلاد الحجازية ، وثغر غزة المحروس وما معها من الموانيء والبلاد ؛ والمملكة الكركية والشوبكية والصلت وبصرى؛ومملكة بلاد الجليل ؛ ومملكة القدس الشريف ، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها ؛ ومملكة يافا والرملة وقيسارية وبيت جبريل ؛ ومملكة نابلس واعمالها ؛ ومملكة الاطرون واعمالها ؛ وارسوف وقاقون ، ولد ، والعوجاء ، وما معها من الملاحة ، وبيسان ، والطور ، واللجون واعمالها ، وجنين،وعين جالوت ، والمملكة الصفدية؛ والنصف لمملكة عكا ، والمملكة الدمشقية ، ومملكة حمص ، ومملكة حماة ، والمملكةالحلبية . وأما القسم الباقي من البلاد فاما أن يكون قد ترك للفرنج كله، أو تقاسمه الفرنج مع السلطان .

وفي سنة ٦٨٤ هـ نقل السلطان قلاوون عزالدين ايبك الموصلي من نيابة الكرك إلى نيابة غزة . وجعله في مقدمة العسكر بغزة والسواحل . وقد أصدر مرسوماً سلطانياً ألا يستخدم أحد من أهل الذمة — اليهود والنصارى — في شيء من المباشرات الديوانية ، فصرفوا عنها .

وفي سنة ٦٨٥ هـ خرج السلطان من قلعة الجبل بمصر ، سائراً إلى الشام . فأقام بتل العجول ظاهر غزة .

وفي يوم الاربعاء الموافق ١٧ من شهر رجب سنة ٦٩٢ هـ ركب السلطان في خواصه ، فهبط غزة . وسافر منها إلى مصر .

١٤ — كان حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير من مماليك الملك المنصور علي بن الملك المعز ايبك . فلما خلع ، اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون ، وترقى في خدمته . ثم أمره قلاوون، واستنابه بدمشق لما ملك . ولما صار زين الدين كتبغا سلطاناً أستقر لاجين في نيابة السلطنة بديار مصر . والتف حوله الامراء ، واجتمعوا في يازور ، واتفقوا على سلطنته ، وتلقب بالملك المنصور . وفي صبيحةاليوم التالي (الأربعاء ١٨ محرم ٦٩٦ هـ) رحل إلى سكرير ، ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية . فلما دخل غزة خطب له فيها وفي باقي البلدان .

هذا وقد ركب البريد من غزة ، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الامراء . ورسم السلطان لاجين في غزة بمسامحة أهل

مصر والشام بالبواقي . ثم سار منها في يوم الخميس أول صفر . ونزل بظاهر بلبيس . وقد خرج إليه امراء مصر وحلفوا له . وتسنم عرش السلطنة .

ويظهر أن السلطان لاجين أيضاً كان كثير الاهتمام بمساجد غزة وجوامعها . وإنك لترى على أحد شبابيك الإيوان القبلي للجامع الكبير كلمات (١) تدل على ذلك.

١٥ — وفي سنة ٦٩٧ هـ بلغ الأمير سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين الجناحي نائب غزة ، وديعة عند رجل ؟ فاستدعاه بعد موت الجناحي وطالبه ، فقال : (قد أخذ الوديعة قبل موته) . فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين الاعزازي أحد تجار دمشق ، وقال : (ان هذه الوديعة أخذها الجناحي من هذا الرجل ، وجعلها تحت يدي) . وأحضر صندوقاً . فوجد الأمير جاغان فيه إثنين وثلاثين ألف دينار وأربعة وثلاثين ديناراً عيناً . ووجد فيه حلى قيمتها خمسون ألف دينار .

١٦ — وفي سنة ٦٩٩ هـ توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعساكر مصر إلى الشام، وكان امراؤه كثيري التحاسد والتنافس في تلك الأيام . فلما وصلوا (٢) غزة ، أقبلوا على الصيد والاجتماع والتنزه . فلما رحل السلطان بعسكره من غزة وتل العجول ، ركب الامراء للخدمة على العادة . وفي الطريق هجم برنطاي أحد المماليك السلطانية على الأمير بيبرس ، وأراد قتله . إلا أنه لم يفلح . بل قتل هو . فساد الهرج بين الجند . وساد الاعتقاد أن المؤامرة مدبرة من السلطان . فرجع الامراء إلى المخيم . ولكن السلطان حلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر . وقد شنق في الغد نحو الخمسين من المتآمرين . وطلب الأمير قطلو برس ، فلم يوجد . وكان قد فر إلى غزة ، واختفى بها . فنهبت أثقاله كلها . ثم رحل السلطان بعد عشرة أيام إلى قرتيه . ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو . وبعثوا القصاد للكشف عن ذلك . وفيما كانوا هناك سالت الأودية . ثم عقب هذا السيل جراد كثير بحيث حجب السماء عن الأبصار . وبعد بضعة أيام وقع الرحيل إلى دمشق .

وعندما اهلت سنة ٧٠٠ هـ ورد الخبر بحركة غازان قائد التتر إلى بلاد الشام .

---

(١) راجع ما كتبناه عن جوامع غزة ومساجدها في مكان آخر من هذا الكتاب.

(٢) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

فاستدعى السلطان امراءه ، وأمرهم بجمع الأموال من الناس . وألزم أرباب العقارات والأغنياء بمال تقرر على كل منهم . فنزل بالناس ضرر عظيم . وكذلك وقع في الشام . وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم ومن القرويين قسماً من غلالهم .

وقد هرب عدد كبير من التركمان والأكراد الذين استخدمهم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما علموا بعبور التتر الفرات . فخرج السلطان من القلعة بمصر في يوم السبت ١٣ صفر ، وتبعه الامراء والعساكر . فسار الجميع إلى غزة ، وأقاموا بها يومين . فورد الخبر بمسير غازان بعد عبوره الفرات نحو انطاكية . فجفل الناس بين يديه ، وخلت حلب . ثم أمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة ، فرحلوا إلى العوجاء . وأصاب العسكر مطر شديد ، واشتد الغلاء ، وأضعف البرد الدواب والغلمان ، وبلغ ثمن الحمل من التبن أربعين درهماً ، والعليقة الشعير ثلاثة دراهم ، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم ، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. ووقع الراحلون في الأوحال العظيمة .

ولكن بالرغم من هذه الضائقات كان النصر في المعارك التي وقعت وقتئذ بين الفريقين حليف السلطان وعساكره ، وانهزم التتر . وسرحت الطيور بالنصر إلى غزة . وأمر نائب غزة جندها بمنع المنهزمين من عساكر السلطان من التوجه إلى مصر . فتتبعهم نائب غزة ، وتتبع من نهب الخزائن السلطانية فأخذها منهم واحتفظ بها . وأدركت عربان البلاد التتر وأخذوا في كيدهم . فدخل السلطان دمشق ظافراً.

وفي سنة ٧٠٢ هـ عاد التتر للتحرش بالبلاد السورية . فاستشار الملك الناصر محمد بن قلاوون الأميرين سلار النائب والأتابك بيبرس الجاشنكير فنودي بالنفير العام . وخرج السلطان مع عسكره . ومعه الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ، وسائر الامراء . فالتقى مع التتر في (مرج راهط) . وكان على رأسهم (جاليش غازان) أحد أحفاد هولاكو. وكان مع الملك الناصر مايقرب من ٢٠٠٠٠٠ انسان من العساكر المصرية والشامية وعربان غزة وجبل نابلس . فكان النصر حليف الملك الناصر . وقتل من المماليك والامراء نحو ١٥٠٠ مملوك عدا العربان والمشاة والعبيد والغلمان .

١٧ — ولقد نبغ من المماليك يومئذ رجل يدعى الجاولي . ولما كان لهذا الرجل شأن كبير في غزة ، فقد آثرنا أن نقتبس من تاريخ حياته(١) الأسطر التالية :

---

(١) الانس الجليل .

إنه الأمير الكبير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبدالله الجاولي . ولد سنة ٦٥٣ ﻫ بآمد . ثم صار لأمير من الظاهرية يسمى جاولي . وانتقل بعد موته إلى بيت المنصور . ثم صار من المقربين إلى الأمير سالار . ويظهر أن الجاولي كان من الذكاء في درجة ظهر له معها في القاهرة حساد كثيرون ، ومن هؤلاء الحساد كاتب الأمير بيبرس (التاج بن سعيد الدولة) . فقد ظل هذا يوغر صدر الأمير بيبرس على الجاولي حتى انقلب حبه إلى بغض . ولم يقف البغض عند هذا الحد . فقد تعداه إلى ما هو أدهى وأمر . إذ التجأ الجاولي إلى الأمير سالار . وكان هذا شديد المحبة له منذ القديم . فكان بين الأميرين بيبرس وسالار عتاب ، وكان جفاء . ولم يجد نصح سالار نفعاً . إذ كان بيبرس يعتقد أن الجاولي ينهب أموال الناس ، ولو لا ذلك ما قام بما قام به من المبرات التي لا تحصى . ولذلك ظل يحط من كرامة الجاولي ، ويؤذيه بالشتم والتهديد . واشتدت الأزمة بين بيبرس وسالار من أجل الجاولي حتى أخذ الناس يتوقعون حدوث فتنة لا قبل للبلاد بها . إلى أن توسط العقلاء فتم الإتفاق بينهما على أن : « يرفع الترسيم عن الجاولي بشرط أن يخرج إلى الشام بطالا . » فسافر هذا من يومه بعد ما قطع خبزه عنه . ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بامرة طبلخاناة (٧٠٦ ﻫ) . وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولي نظارة الحرمين الشريفين ، ونيابة القدس الشريف . وقد انشأ وهو في القدس مدرسة . ثم تولى نيابة الخليل ، وانشأ وهو في الخليل المسجد المعروف بالجاولية بالقرب من مسجد الخليل . ثم تولى نيابة غزة [1] (٧١١ ﻫ) ، فنال من الشهرة والنفوذ حداً لم يصله أحد من قبله ممن تولوا نيابة غزة . حتى انه هاجم وهو قائم عليها قلعة (سلع) [2] . وكان معه عشرة آلاف فارس . وحاصرها مدة عشرين يوماً إلى أن أخذها سنة ٧١٧ ﻫ وقتل من أهلها ستين رجلا ، وغنم العسكر منها شيئاً كثيراً . وقد رتب الجاولي بها رجالا ، ثم عاد إلى غزة .

---

(١) أى انه صار خلفاً لنائب غزة الأمير قطلوقتمر الذى قبض عليه يومئذ (٧١١ ﻫ) ، وكان الأمير قطلو قتمر قد تسلم النيابة من سلفه الأمير بكتمر الحاجب الذى صار وزيراً فى القاهرة (٧١٠ ﻫ) ، والأمير بكتمر خلف بلبان البدرى فى نيابة غزة (٧١٠ ﻫ) . وهذا استقر فى النيابة بدلا من الأمير بيبرس العلائى الذى تولى نيابة غزة ثم عزل فى عام ٧٠٩ للهجرة .

(٢) قال ياقوت فى معجمه ان هذا الموضع بوادى موسى قرب بيت المقدس . وعندى انها هي البتراء .

وفي سنة ٧٢٠ هـ قبض عليه ، وسجن بالإسكندرية . وحجزت أمواله كلها . وكان ذاك لقلة اكتراثه بالأمير تنكيز نائب الشام ، وموافقة بعض مماليكه (على ما قيل فيه) انه يريد التوجه إلى اليمن .

ثم اطلق سراحه وجعل أميراً مقدماً بمصر . فبنى وهو في القاهرة خانقاه . ثم ولي نيابة حماة مدة يسيرة . ثم اعيد إلى نيابة غزة . لأنه كان يحبها حباً جماً ، وكان يعطف على الغزيين عطفاً كبيراً .

وقد بنى وهو في غزة مسجداً ، وحماماً ، ومدرسة ، وخاناً ، وحصناً ، ومارستاناً ؛ كما انشأ فيها ملعباً لسباق الخيل ؛ وقد أوقف لجميـــع هذه المنشآت والمؤسسات أوقافاً كثيرة .

وقد توفي في شهر رمضان سنة ٧٤٥ هـ ، ودفن بالخانقاه بالقاهرة بالقرب من جامع ابن طولون .

١٨ — كان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار والأمير سالار صديقين حميمين ؛ حتى انهما تآمرا معاً واتفقا على خلع السلطان المالك الناصر محمد بن قلاوون، وإجلاس بيبرس على عرش الملك . وقد تولى هـذا الملك بالفعل (٧٠٨ هـ) ولقب نفسه (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري) . ولـكنهما عادا فتجافيا واختصما بسبب حادثة الجاولي التي أوردناها في الأسطر المتقدمة . وظل سالار يدس على بيبرس ، ويحرض الامراء عليه حتى نجح ، بخلعه .

وإليك تفصيل تلك المؤامرة (١) ، ونبأ ذلك الخلع :

كان الملك المظفر (بمصر) يكره الملك الناصر (بدمشق) . فبعث إليه (٧٠٩ هـ) الأمير (مغلطاي) ليأخذ منه الخيل والمماليك التي عنده . وتغلظ مغلطاي في القول فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً وقال له : « أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ؛ وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي ، ومملوك لي ، ويكرر الطلب. إرجع إليه وقل له : والله لئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر . واعلمتهم أني قد تركت ملك أبي وأخي وملكي لمملوكي ، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخذته » . ثم طرد الأمير مغلطاي . فامتعض هذا مما حل به .

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

وأخذ الناصر يسترضي نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد ، ويكتب إلى من يثق به من امراء مصر ، ويهيجهم على الملك المظفر . فصادف ذلك هوى في نفس سالار ، واعتزم مناصرته ، كما ناصره عدد كبير من الامراء ، وقدموا له الهدايا . ثم شرع الملك الناصر في النفقة على الامراء ، والعساكر الواردة مع النواب . فلما انتهى أمر النفقة قدم السلطان بين يديه الأمير (كراي المنصوري) من القدس على عسكر يسير إلى غزة،فسار إليها . وصار كراي يمد في كل يوم سماطاً عظيماً للمقيمين والواردين وأنفق في ذلك أموالا جزيلة من حاصله . واجتمع عليه بغزة عالم كبير . وهو يقوم بكلفهم ، ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم . ولما قدم الخبر (أي اجتماع الامراء والجند في غزة وتحالفهم) إلى مصر قلق الملك المظفر ، واضطربت الدولة . وانفض عساكر مصر من حوله حتى لم يبق بديار مصر إلا خواصه . ثم ثار الناس عليه ، فهرب من قصره .

وسار إلى مكان قريب من غزة ، فجهز السلطان (استدمر كرجي)وعدداً من الامراء لاحضاره مقيداً . فاتفق دخول الامراء إلى غزة قبل المظفر . ولما بلغهم قربه ركب منهم قرا سنقر ، وسار النواب والامراء ولقوه شرقي غزة . وقد بقي معه عدد من مماليكه ، فتأهبوا للحرب ، ولبس الامراء السلاح ليحاربوهم . فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال ، وقال : « أنا كنت ملكاً وحولي أضعافكم ، ولي عصبة كثيرة من الامراء ، وما اخترت سفك الدماء . » وما زال حتى كفوا عن القتال . وسار بنفسه حتى صار مع الامراء ، وأسلم نفسه إليهم . فسلموا عليه ، وساروا به إلى معسكرهم ، وانزلوه بخيمة ، وأخذوا سلاح مماليكه ، ووكلوا بهم من يحفظهم .

١٩ — وهنا في غزة بويع الملك الناصر للمرة الثالثة بالسلطنة (٧٠٩ هـ) فصار يطلق عليه (السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد بن الملك المنصور قلاوون). ولما مات (٧٤١ هـ) تألم الناس لموته لأنه أبطل المكوس ، وعمر البلاد ، وانشأ الجوامع والمدارس .

٢٠ — وقد تولى الملك بعده ثمانية من أولاده : اولهم ابنه السلطان الملك المنصور أبو بكر . وقد بايع هذا الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بمصر .

٢١ — وعندما خلع السلطان الملك المنصور أبو بكر ، وقتل ؛ تولى الملك أخوه الملك الأشرف كجك وهو ابن ثماني سنين . فقامت الفتن من جديد في مصر والشام . ومن هذه الفتن تلك التي حصلت بين الأمير قطلبغا الفخري الناصري وبين الطنبغا نائب دمشق . وقد اقتتلا فكان النصر حليف الأمير قطلبغا الفخري . فخطب له بدمشق وغـزة(١) والقدس .

٢٢ — ومن أولاد قلاوون الذين تولوا السلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح . ولكن الهرم كان قد دبّ في دولة المماليك ، وخرج أكثر الامراء والنواب على طاعة السلطان ، وخلعوه (٧٨٤ هـ) .

٢٣ — نصب المماليك سلطاناً عليهم ، بعد خلع الملك الصالح ، الأتابك برقوق. وهو أول ملوك الشراكسة بمصر والشام، والخامس والعشرون من المماليك الأتراك. أي أن دولته كانت تركية شركسية . وفي عهده خرج نائب حلب (يلبغا الناصري) عن طاعته ، وملك الشام.. وتلاقى مـع عسكر السلطان فغلبهم . ولما وصل الخبر إلى القاهرة ارتج الأمر عـلى السلطان ، وأخذ يسترضي الامراء بالرتب والخلع السلطانية . ثم أرسل (تمربغا الفخاري) ليستطلع أخبار (يلبغا الناصري) . ولما وصل إلى غزة وجد رجال يلبغا قد دخلوها ، وان نائبها (الأمير حسام الدين بن باكيش) قد أنزلهم في الميدان الكبير . فلما باتوا تلك الليلة انقض عليهم انقضاض الصاعقة ، وقبض عليهم عن آخرهم ، وقيدهم ، وسجنهم في دار السعادة .وكانوا نحو مئة إنسان وفيهم ثلاثة من امراء حلب . فلما سمع السلطان بالخبر ، فرح وخلـع على تمربغا الفخاري كاملية بسمور .

٢٤ — بعدموت الملك الظاهر برقوق تولى الملك ابنه الملك الناصر فرج(٨٠١هـ) وقد خرج في عهده (تنم) نائب الشام عن الطاعة ، وأظهر العصيان ، ووضع يده على البلاد الشامية . ووافق على العصيان نواب حلب وحماه وصفد وطرابلس.والتف حوله من العسكر والعربان ما لا يحصى عددهم ، وعدد كبير من الامراء والنواب . عندئذ قاد السلطان الملك الناصر فرج جيشاً إلى الشام . ولما وصل إلى غزة كان (اقبغا اللكاش) نائب غزة قد انضم إلى الثائرين . إلا أنه (أي الملك) استولى على

---

(١) خطط الشام .

غزة . فاجتمع النواب الثائرون (وهم نواب دمشق وطرابلس وحماة وصفد وغزة) ومعهم كثيرون من العربان في الرملة . ووقعت بين الفريقين معركة في مكان يسمى (الجتين) كان النصر فيها حليف الملك الناصر فرج . فدخل هذا دمشق ظافراً (٨٠٢ هـ) .

وفيما كانت امور الدولة في الشام ومصر مختلة ، والامور فيها فوضى لا سائس لها ولا زاجر . جاء تيمورلنك [١] (٨٠٣ هـ) وغزا الشام . وقد أتى إليها بجميع انواع المظالم . فحل بأهلها ما لا يوصف . وفي بحر مدة قصيرة أصبحت البلاد أطلالا بالية ورسوماً خالية . وقد هرب كثيرون من أهل الشام إلى الديار المصرية . ولكن العربان والعشائر نهبوهم في الطريق فجرى عليهم منهم ما لم يجر عليهم من عسكر تيمور لنك . حتى انه لم يبق للسلطان قيمة . وأصبحت البلاد بلا راع يرعاها .

لم يتمكن تيمورلنك من احتلال فلسطين . ذلك لأن الجراد كان قد انتشر فيها حتى أكل الناس أولادهم . فأصبح من المتعذر عليه تموين جيشه العظيم .

وقيل أن تيمور لنك أراد أن يفتح مصر . فأرسل جماعة من قواده يكشفون له الطرق ، ووصل هؤلاء القواد إلى غزة ، بل إلى أبعد من غزة . ولما عادوا قصوا عليه ما رأوه فقال لهم : « إن مصر لا تفتح من البر ، بل تحتاج إلى اسطول لتفتح من البحر » . ولذلك صرف النظر عن فتح مصر . ونجت غزة من شره .

وقد هبط السلطان (فرج بن برقوق) بعدئذ غزة ، ومكث فيها بضعة أيام . وخلع اثناء وجوده فيها [٢] على :

المقر السيفي تغرى بردى بن يشبغا	واستقر به نائب الشام
المقر السيفي اقبغا الجمالي	واستقر به نائب طرابلس
المقر السيفي تمربغا المنجكي	واستقر به نائب صفد
الأمير صدقة بن الطويل	واستقر به نائب القدس الشريف
المقر السيفي طولو بن علي شاه	واستقر به نائب غزة

(١) انه تيمورلنك ابن ترغاى بن ابغاى مؤسس مملكة المغول الثانية . معنى (تيمور) الحديد و (اللنك) الأعرج أو الكسيح . ولد في قرية (خواجه ايلغار) من أعمال كش من مدن ما وراء النهر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ومات في ٨٠٧ هـ — ١٤٠٥ م ودفن في سمرقند . وكان عهده كله عهد فتن وحروب . وكان سفاكاً للدماء .

(٢) ابن اياس .

ثم رحل من غزة في يوم الاثنين خامس عشر ربيع الآخر (٨٠٣ هـ) قاصداً الشام لمقاتلة جيش المغول ، ووقعت معركة بين طلائع الجيشين عند جبل الثلج . قتل فيها ابن تمرلنك وصهره ، واسر عدد من امرائه ، ومات خلق كثير من جماعته بسبب الثلج . وفي جمادى الآخرة من السنة المذكورة رجع السلطان إلى مصر . ورافقه في رحلته هذه الخليفة وجماعة من النواب منهم نائب الشام ونائب صفد ونائب غزة وغيرهم من الامراء . وحضر معه نحو ألف مملوك . وحضر مع كل أمير مملوكان من مماليكهم .

ويقال ان السلطان خرج من دمشق بسبب أن العسكر قد تغلبوا عليه ، وان جماعة من الامراء كانوا قد انسحبوا من دمشق تحت ستر الليل . فخاف عاقبة الامر ، وخرج من دمشق . ولما وصل إلى غزة وجد الامراء الذين انسحبوا من دمشق هناك . وسبب انسحابهم انهم أرادوا أن يرجعوا إلى مصر قبل رجوع السلطان إليها ليسلطنوا فيها الأمير لاجين الجركسي .

وفي عهد الملك الناصر (فرج بن برقوق) خامر الأمير صرق الظاهري نائب غزة ، وخرج عن الطاعة (٨٠٤ هـ) . فلما بلغ السلطان الخبر خلع على الأمير الطنبغا العثماني ، واستقر به نائب غزة عوضاً عن صرق . ثم بعد أيام حضر مقدم البريد ومعه سيف صرق ، وأخبر بأن أمير جرم مع عربان نابلس اوقعوا مع صرق ؛ فانكسر صرق ، وقتل في المعركة ، فأرسلوا سيفه إلى السلطان ، وصادروا أمواله .

٢٥ — وفي سنة (٨١٠ هـ) خلع الملك الناصر على :

الامير حكم العوضي	واستقر به نائب حلب
الامير نوروز الحافظي	واستقر به نائب الشام

لكن هذين الاثنين ما كادا يصلان إلى مقر الحكم حتى أعلنا العصيان . فتسلطن العوضي في حلب ، ولقب نفسه بالملك العادل ، وصار يحكم من الشام إلى الفرات . وانتزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية وصار حكمه لا يجاوز غزة . ولكنه قتل بعد برهة فخلفه في العصيان نوروز نائب الشام . ووافقه في عصيانه الأمير المحمودي نائب طرابلس . والتف حولهما جماعة من النواب ، فسيطروا على البلاد الشامية كلها من غزة إلى الفرات . وصار بيد الملك الناصر مصر وأعمالها

فقط . وفي مصر ايضاً كان على اختلاف دائم مع مماليك أبيه . فكان يسلي همومه بكثرة السكر ولا يصحو منه ليلاً ولا نهاراً .

٣٦ — ثم زادت شوكة الأمير نوروز والأمير شيخ المحمودي فاتفقا مع باقي امراء الشام على خلع الملك الناصر من السلطنة ، وخلعوه . ثم تشاوروا فيمن يولونه السلطنة . فقال نوروز لشيخ : « لا أنا ولا أنت نتسلطن . ولكن اجعلوا الخليفة العباسي هذا هو السلطان . ويكون الأمير شيخ اتابك العسكر ومدير المملكة بمصر . ويكون الأمير نوروز نائب الشام ويحكم في البلاد الشامية من غزة إلى الفرات . يولي بها من يختار ويعزل من يختار . » فتراضوا ، وحلف جميع الامراء على ذلك . تعاهد الأمير شيخ ونوروز على ذلك وان الخليفة إذا بقي سلطاناً بمصر لا يعزل ولا يولي حتى يراجع في ذلك الأمير شيخ والأمير نوروز . وقد قتل الملك الناصر من قبل جماعة من الفدائية في دمشق ليلة السبت سادس صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة .

٣٧ — ولقد اعتلى أريكة الملك السلطان الجديد الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس ابن الامام محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله ابن المستكفي بالله ابن الامام أحمد الحاكم بامر الله . تسلطن بدمشق بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق وكان ذلك في يوم الاثنين سابع عشر من المحرم من سنة خمس عشرة وثمانمائة. وقد وقد خلع هذا ، عندما تسلطن ، على :

المقر السيفي نوروز الحافظي	فأقامه نائباً على الشام . وأضاف إليه جميع خراج البلاد الشامية .
والمقر السيفي شيخ المحمودي	واستقر به اتابك العسكر بمصر ومدير المملكة ونظام الملك .

وصار نوروز يحكم من غزة إلى الفرات ، والخليفة والاتابك شيخ يحكمون من قطيا إلى أقصى بلاد الصعيد والديار المصرية .

٣٨ — ثم خلع الاتابك شيخ الخليفة من السلطنة ، وأبقاه في الخلافة . ثم خلعه من الخلافة (والحكم للقوة) وولى أخاه داود . وتلقب بالمعتضد بالله . واستولى الملك المؤيد شيخ على بر الشام . وقطع رأس نوروز . وأصبح الآمر الناهي في مصر والشام معاً (٨٢٤ هـ) .

٢٩ — وتولى بعد الملك المؤيد شيخ ابنه الملك المظفر ابو السعادات أحمد وهو في القماط . فثار ثائر جميع النواب في الشام . وحصلت فتن واضطرابات عظيمة في جميع البلاد . وأصبحت الامور في غزة أيضاً فوضى لا سائس لها ولا زاجر .

٣٠ — ثم خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة . وتسلطن عوضه بدمشق (الاتابكي ططر) . فخطب باسمه على المنابر ، وكان معه الخليفة المعتضد بالله داود . وكان مثله في هذه الحيلة مثل أكثر عمال هذه السلطنة الشركسية متى اشتد ساعدهم استأثروا بالملك والسلطان .

٣١ — ولما هلك ططر ، بعد أن ملك ثلاثة أشهر وبضعة أيام ، خلفه في السلطنة ابنه الملك الصالح محمد ؛ ولم يكن له من العمر يومئذ سوى احدى عشرة سنة . فعز ذلك على الامراء . وقام من بينهم واحد يدعى الأمير (برسباي الدقماقي) فقيده، وسجنه، ثم خلعه .

٣٢ — وقد تولى هو السلطنة من بعده (٨٢٥ هـ) ولقب نفسه (الملك الأشرف برسباي) . وظل ملكاً إلى أن توفاه الله عام ٨٤١ للهجرة . قال السخاوي : « انه ساس الملك ، ونالته السعادة ، فذانت له البلاد » . وأما المقريزي فانه يقول : « إنه كان من الشح والبخل والطمع والجبن على جانب عظيم ، وانه أصاب مصر والشام في عهده الخراب ، وساءت سيرة الحكام والولاة » .

٣٣ — تولى الملك بعد الملك الأشرف برسباي ابنه يوسف وقد سمي الملك العزيز .

٣٤ — ثم خلع الملك العزيز (٨٤٢ هـ) وجعل جقمق سلطاناً ولقب بالملك الظاهر . وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة إلا قليلاً . ولم تقم في البلاد على عهده فتن ولا تجاريد . ويقال أن (بئر الاجمقية) المعروف بغزة حفرت على عهده . وكانت تسمى في بادىء الأمر الجقمقية فأصبحت مع الزمان تدعى بالأجمقية .

٣٥ — وبعد الملك الظاهر جقمق تولى الحكم الملك المنصور فخر الدين عثمان . ولكنه لم يبق في السلطنة سوى بضعة أيام . فخلعه المماليك ، وسلطنوا من بعده الملك الأشرف (اينال العلائي) . فتوفى هذا سنة ٨٦٥ هـ وخلفه الملك المؤيد[1] أحمد ،

---

(١) ملكه لم يطل سوى اربعة اشهر وثلاثة ايام .

فالظاهر خوشقدم ابو سعيد سيف الدين (١) ، فالظاهر بلباي (٢) ، فالاتابكي تمربغا (٣) فالملك الأشرف قايتباي (٤) .

وقد وقعت خلال هذه الفترة من الزمن (أي بين سلطنة الملك الظاهر جقمق والملك الأشرف قايتباي) فتن كثيرة نقتصر هنا على ذكر ما أصاب غزة (٥) منها فنقول :

آ في سنة ٨٧٧ هـ وقعت فتنة بين طائفة الدارية وطائفة الأكراد في مدينة الخليل ، قتل فيها من الفريقين ١٨ نفراً . فاستنفر كل من الطائفتين من ينتصر لها من العشير . فجرى نهب في المدينة ، وخربت أماكن . وكانت حادثة فاحشة لم يسمع بمثلها في ذلك الزمن .

رفع الأمر للسلطان فسير الأمير (علي باي الخاصكي) للكشف . وكان هذا امياً لا يقرأ ولا يحسن التكلم بالعربية . وكان فضلاً عن ذلك ظالماً عسوفاً جباراً عنيداً . وقد سار إلى القدس . ثم سار في جمع من العلماء والقضاة إلى الخليل . وكتب الجميع محضراً بما وقع من النهب والقتل والسبي.

ثم قبض الخاصكي على أكابر الخليل من قضاة ومشايخ ، وطلب منهم اثني عشر ألف دينار . وتوجه وهم معه معتقلين إلى أن وصل إلى مدينة غزة . وهنا قتله (يشبك العلائي) نائب غزة بمرسوم شريف ورد عليه من السلطان خفية . وأشاع انه دخل إلى الاصطبل ليأخذ فرساً طلبها من النائب ، فوقع عليه حائط فمات . فثارت فتنة بسببه في القاهرة من المماليك الجلبان . واعتذر لهم السلطان . وأنكر أمره نائب غزة بقتله . وحلف على ذلك .

ب وفي ٨٩٢ هـ مر بغزة في طريقه إلى القدس الشريف الأمير جان بلاط . وعلى يده مرسوم شريف بالكشف على الأوقاف وتحرير امرها . فاستصحب

---

(١) مدته طالت ست سنين ونصف .

(٢) سلطنته دامت سنة وخمسين يوماً .

(٣) حكمه دام ثمانية وخمسين يوماً .

(٤) دامت سلطنته في مصر والشام تسعاً وعشرين سنة وبضعة شهور .

(٥) كتاب الانس الجليل .

معه إلى القدس ملك الامراء اقباي نائب غزة المحروسة . وبعد أن أتم ما امر به توجه وصحبته ملك الامراء بغزة وشيخ الاسلام الكمالي بن أبي شريف وجلسوا على تل الغول وأجروا الصلح بين نائب القدس (السيفي خضر بك) وشيخ جبل نابلس (خليل بن اسماعيل) وكتب الجواب للسلطان بذلك .

ج وفي سنة ٨٩٦ هـ في شهر ربيع الآخر برز الامر الشريف باخراج مدينة الرملة عن نائب الشام الأمير قانصوه اليحياوي وإضافتها إلى ملك الامراء اقباي نائب غزة المحروسة . ولم تجر بذلك عادة قبل هذا التاريخ .

د وفي سنة ٨٩٩ هـ حصل التنافر بين الأمير جان بلاط نائب القدس وملك الامراء اقباي نائب غزة. إذ أن نائب القدس أدب قرية القباب من أعمال الرملة محتجاً بأن أهلها عصوا عليه ، مع أن القرية المذكورة في معاملته ، ودخل إليها بغير إذنه . وعلى أثر هذه الحادثة ورد مرسوم شريف بطلب الأمير جان بلاط إلى القاهرة ، فسافر إليها وغرم مالا ورسم له بالاستمرار في وظيفته .

هـ وفي نفس السنة (أي ٨٩٩ هـ) استقر ملك الامراء اقباي نائب غزة في نيابة صفد ، وتوجه إليها في ربيع الآخر. واستقر الأمير قاني بك في نيابة غزة ، وقدم إليها في جمادى الآخرة . واضيف إليها كشف الرملة في شهر رجب بعد استيلاء نائب الشام عليها (٨٩٩ هـ) .

و وفي سنة ٩٠٠ هـ برز الأمر الشريف باخراج مدينة الرملة عن الأمير قاني بك نائب غزة . فتسلمها الأمير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس . ففرح أهل الرملة وحصل تنافر شديد بين نائب القدس ونائب غزة على اثر ذلك .

ز وفي سنة ٩٠٠ هـ وقعت فتنة بين الأمير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس والرملة، وبين الأمير قاني بك نائب غزة بسبب الزيت . إذ صدر مرسوم شريف برمي الزيت المتحصل من جبل نابلس على أهل القدس الشريف والخليل وغزة والرملة على ما جرت به العادة . فرمى عليهم (السيفي علان) المرسل من الأبواب الشريفة كل قنطار بالكيل الرملي بخمسة عشر ديناراً ذهبياً . فانزعج الناس لذلك ، وحصل لهم ضرر عظيم .

قدم الأمير جان بلاط إلى الرملة ، وأمر كاشفه بها وهو (الجمالي يوسف) أن

يمشي معه هو وجماعته في معاملة الرملة لحفظها من المناحيس والذب عن الرعية . وكان جماعة من العرب نهبوا أبقار الرملة .

فركب الكاشف بجنده ، وركب ناظر الحرمين وصحبته دواداره (برسباي) ومعهما أربعة انفس ، وخرجوا إلى ظاهر الرملة . فخرج على الكاشف جماعة من العرب، وطردوه إلى أن حصروه بالبرج الكائن بقرية خلدا ، وقتل برسباي والذي معه . ولم يبق منهم سوى جان بلاط بمفرده . فثبت لهم ، وقاتلهم أشد قتال .

اتهم جان بلاط نائب غزة بترتيب هـذا الحادث . وكتب إلى الابواب الشريفة يقول ان هذا الفعل باشارة نائب غزة . وهو الواقع . لأن نائب القدس اخذ كشف الرملة وانتزعه من نائب غزة فتأكدت العداوة بينهما . وكان نائب غزة يسلط العرب والمفسدين ويغريهم عليه .

اخذ الاثنان يتشاكيان للسلطان . فأصدر السلطان امره بتجهيز (السيفي قانصوه الخاصكي) ، وعلى يده مرسوم شريف لشيخ الاسلام الكمالي ابن ابي شريف وقضاة غزة والقدس والرملة ، بالتوجه إلى المكان الذي وقعت فيه الفتنة واجراء التحقيق . وزار هـــذا الوفد القدس والرملة والخليل وغزة . ونزل الوفد وفي مقدمته شيخ الاسلام الكمالي بالجامع المنسوب لمولانا السلطان الملك الاشرف . وكان السلطان رجلا عظيم الشأن . وكان عالماً ، وكبيراً في السن وبنيته ضعيفة . والسفر شق عليه فكلف إلى ما لا طاقة له به في زمن الحر الشديد . وقد حمل في محارة على جمل .

وهناك اجتمع بقانصوه الخاصكي وقضاة غزة والقدس والرملة ، وكتبوا محضراً بالذي جرى امضوه كلهم ، وارسلوه للابواب الشريفة . واستمر الخاصكي بغزة ينتظر الجواب . وعاد شيخ الاسلام وقضاة القدس الى اوطانهم . وكان سفرهم من غزة في ليلة الاثنين خامس ذي القعدة . وكانت النتيجة ان عزل السلطان نائب غزة ونائب القدس معاً .

٣٦ — وبعد الملك الاشرف قايتباي تولى الملك ابنه الملك ناصر الدين محمد. وكان هـذا صغير السن . فانتشر الفساد في طول البلاد وعرضها ، واصابها خراب كبير ؛ وقطعت الطرق ، وكثر ظلم الحكام والامراء . وقامت في البلاد خلال هذه الفترة من الزمن ايضاً قلاقل وفتن . وخرج الامراء هنا وهناك عن طاعة السلطان . فـي سنة ٩٠٣ هـ عصى (اقبردي الدوادار) فاستولى على غزة ،وسيطر على جانب عظيم من بر الشام .

٣٧ — وقد تسلطن بعده (الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه) . ولكن حكمه لم يطل أكثر من سنة وثمانية شهور . إذ خرج قصروه نائب الشام عن الطاعة (٩٠٥ هـ) ، وأظهر العصيان ؛ واستولى قصروه على غزة وأعمالها ، وعلى القدس ونواحيها . فاختفى السلطان .

٣٨ — وتسلطن بعده (الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط) بن يشبك الأشرفي . فثار عليه الأمير طومان باي ، وخلعه من السلطنة ، وتسلطن عوضه في مصر والشام ، وسمي بالملك العادل طومان باي بن قانصوه أبي النصر الأشرفي قايتباي .

إلا أن الضعف كان قد تمكن من جميع البلاد . فاغتنم العثمانيون الفرصة ، واحتلوا البلاد من أقصاها إلى أقصاها . فزالت دولة المماليك من الوجود ، وقام مقامها دولة بني عثمان .

٣٩ — الآن وقد انتهينا من ذكر الوقائع والحروب التي جرت في عهد المماليك وما الم بهذه البلاد من جراء هذه الوقائع والحروب نود أن نأتي في الأسطر التالية على وصف موجز للحياة الاجتماعية التي كانت عليها غزة في ذلك العهد من جميع نواحيها الإدارية والعسكرية والمالية والاقتصادية والعمرانية فنقول :

جاء في كتاب (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) ص ١٣٤ لمؤلفه غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري[١] انه كان في البلاد يومئذ ثماني ممالك :

الاولى	المملكة الشامية
الثانية	المملكة الكركية
الثالثة	المملكة الحلبية
الرابعة	المملكة الطرابلسية
الخامسة	المملكة الحماوية
السادسة	المملكة السكندرية
السابعة	المملكة الصفدية
الثامنة	المملكة الغزية

وكافل المملكة الغزية يطلق في حقه (مقدم العسكر) . وأما السادة القضاة

(١) توفي سنة ٨٧٢ هـ

ففيها أربعة على المذاهب الأربعة ولكل منهم نواب . وأما الامراء ففيها أمير كبير ، وحاجب الحجاب، وثلاث طبلخانات (١) وبها عشرينات وعشروات وخموسات . وطرائقهم في الأمرة مثل امراء صفد . وأما أرباب الوظائف فمملكة على العادة . وأما أجناد الحلقة فعدتهم ألف جندي .

وقد زارها (الدمشقي) يومئذ فقال ان البلاد التي كانت تابعة للمملكة الغزية هي عسقلان ، وقيسارية ، وارسوف ، والداروم ، والعريش ، وتل الصافي ، وكراتيا ، وبيت جبرين ، والخليل ، ويافا ، وبيت المقدس .

وبالرغم من انه كان على رأس كل مدينة من هذه المدن نائب أو أمير فان نائب غزة كان يدعى (ملك الامراء) .

وقد أيد صاحب (مسالك الأبصار) هذا الكلام في ١٣٠١ م وأضاف إليه أن نائب غزة كان يدعى في بعض الأحيان (قائد الجيش) . وكانت له ثياب خاصة ، وراتب خاص . ومن الموظفين العسكريين الذين كانوا يقيمون في غزة الحاجب الكبير(٢) ، والمهمندار (٣) ، ونقيب النقباء (٤) ، وشادالدواوين (٥)، وأمير البريد. ومن الوظائف الدينية قاضي الشافعية ، وقاضي الحنفية ، وقاضي المالكية . وهناك وكيل بيت المال (٦) ، والمحتسب (٧) . وكان فيها من الوظائف الديوانية كاتب الدرج (٨) ، وناظر الجيش ؛ وولايتهما من الأبواب السلطانية .

وكانت غزة في عهد المماليك من أهم مراكز البريد . وكان فيها ابراج للحمام لتوزيع البريد . فيحمل الحمام الزاجل رسائل الملوك والامراء . وكانت هذه الرسائل

---

(١) من الرتب العليا فى عهد المماليك . صاحبها يحمل رتبة أمير اربعين . وافرادها يؤلفون الجوقة العسكرية . واقطاعه ثلاثين ألف دينار .

(٢) هو الذى ينصف بين الامراء والجند .

(٣) وعلى قول انه كان فى غزة اثنان يحملان هذا اللقب : احدهما يسميه السلطان ، ومهمته تلقي الرسائل الواردة .

(٤) هذا كان يسميه السلطان رأساً .

(٥) رئيس الديوان أو المنشىء الأول .

(٦) كالمحاسب أو مدير المال فى يومنا هذا .

(٧) المفوض المسؤول عن الأسواق والموازين والمقاييس والآداب العامة .

(٨) أمين السر .

تأتي من مصر إلى غزة عن طريق رفح ، ودير البلح . ومن غزة توزع إلى المدن الاخرى ، وبواسطة الحمام أيضاً . فتتشعب مسارح الحمام إلى الخليل ونابلس والقدس والكرك وصفد ودمشق . وكان موزع البريد في ذلك العهد يحمل على صدره لوحاً من الفضة نقش على أحد وجهيه إسم السلطان الذي يجري البريد في عهده ، وعلى الوجه الآخر هذه الكلمات : (لا إله إلا الله محمد رسول الله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وكان في غزة فلوس (١) كل ثمانين منها بدرهم . ويعبر عن كل أربعة منها بحبة . ثم راجت بها فلوس اخرى في اوائل الدولة الناصرية (فرج بن برقوق) ، ولكن كل ستة وثلاثين فلساً منها بدرهم . معاملاتها بالدنانير ، وبالدراهم النقرة ، وصنجتها في الذهب والفضة كصنجة الديار المصرية ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً بالدرهم المصري . وأواقيه اثنتا عشر اوقية ، كل اوقية ستون درهماً . ومكيلاتها معتبرة بالغرارة . وكل غرارة من غرارها ثلاثة ارادب مصرية . وقياس قماشها بالذراع المصري . وأرضها معتبرة بالفدان الإسلامي والفدان الرومي . جيوشها مجتمعة من الترك ومن في معناهم ، ومن العرب والتركان . وقائد العسكر فيها مقدم ألف . وكان فيها نائب عن السلطان وكان هذا النائب برتبة أمير . وأكثر النواب كانوا من الامراء العسكريين . في بعض الأحيان كان نائب غزة برتبة (مقدم عسكر) فقط . وكان على هذا أن يأتمر بأمر نائب السلطنة القائم بدمشق ، بالرغم من أن ولايته كانت من الأبواب السلطانية رأساً . وفي هذه الحالة كانت وظائف القاضي الشافعي ، والمحتسب ، ووكيل بيت المال ، ومن في معناهم تدار بطريقة النيابة أيضاً . أي أن الأشخاص الذين على رأس هذه المناصب كانوا يديرونها بالنيابة عن نائب السلطان بدمشق . ونائب السلطان هذا كان الآمر الناهي بعد السلطان . وفي كثير من الأحيان كانت غزة تستقل (٢) عن دمشق فتصبح نيابتها مستقلة . فيضاف إليها الصفقة الساحلية بكاملها ، ويكون لها حكم النيابات ، ويكون نائبها من الامراء المقدمين . يركب في المواكب بالشبابة السلطانية (٣) ومعه أجناد الحلقة المرتبون بها ؛ فيخرج

---

(١) صبح الأعشى .

(٢) ان الذى جعل غزة مستقلة هو الملك الأشرف . وكان ذلك عام ١٢٩١ م .

(٣) صبح الأعشى .

في موكبه ، ويجتمع إليه الامراء المسيرون بها هناك . ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة . ويمد السماط السلطاني ، فيأكل عليه الامراء والأجناد ، ويحضره القضاة ، وتقرأ القصص على عادة النيابات ؛ ثم ينصرفون .

٤٠ — وإليك اسماء نواب السلطنة ، والامراء الذين تولوا الحكم في غزة على عهد المماليك :

	الاسم	التاريخ
١	الأمير نور الدين بدلان	٦٥٧ هـ في عهد الملك المظفر سيف الدين قطز
٢	الأمير علاء الدين ايدكين الفخري	٦٧٨ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون
٣	الأمير علم الدين سنجر الدواداري	٦٧٩ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون
٤	الأمير علاء الدين ايدغدي الصرخدي	٦٨٠ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون
٥	الأمير عز الدين ايبك الموصلي	٦٨٤ هـ نقل إليها من نيابة الكرك
٦	الأمير عز الدين الجناحي	٦٩٧ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون
٧	الأمير بيبرس العلائي	٧٠٨ هـ اقيل من النيابة
٨	الأمير بلبان البدري	٧٠٩ هـ في عهد الملك المظفر بيبرس
٩	الأمير بكتمر الحسامي	٧١٠ هـ في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون عين بدلا من بلبان البدرى ، ثم اقيل واحضر إلى القاهرة فصار وزيراً
١٠	الأمير قطلو قتمر	٧١٠ هـ في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون
١١	الأمير علم الدين سنجر الجاولي	٧١١ هـ في عهد الملك الناصر محمد
١٢	الأمير حسام الدين باكيش	٧٨٤ هـ في عهد الملك الظاهر برقوق
١٣	اقبغا اللكاش	٨٠٢ هـ في عهد الملك الظاهر برقوق
١٤	علاء الدين الطبلاوى	٨٠٣ هـ (مات مخنوقاً في غزة)
١٥	المقر السيفي طولو بن علي شاه	٨٠٣ هـ في عهد الملك الناصر فرج بن برقوق
١٦	الأمير صرق الظاهري	٨٠٤ هـ ثار على الملك واعلن الاستقلال
١٧	الأمير الطنبغا العثماني	٨٠٥ هـ عين بدلا من الثائر صرق
١٨	الأمير أحمد بن الشيخ علي	٨١١ هـ نقل من غزة إلى صفد
١٩	الأمير يقجاه طيفور	٨١٢ هـ نقل إليها من صفد
٢٠	حطط الناصري	٨٥٧ هـ في عهد الملك الظاهر سيف الدين جقمق العلائي
٢١	خاير بك النوروزي	٨٥٩ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين اينال العلائي
٢٢	خاير بك القصروي	٨٧٥ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباي

٢٣ — ارغون شاه ٨٧٦ هـ فى عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباى

٢٤ — يشبك العلائى ٨٧٧ هـ فى عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباى

٢٥ — سيباى الظاهرى ٨٨٠ هـ فى عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباى

٢٦ — دولات باى بن مصطفى ٨٨٦ هـ فى عهد الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي

٢٧ — دولات باى الاينالي ٨٨٧ هـ فى عهد الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي

٢٨ — ابراهيم بن عبد الرحمن ٨٨٩ هـ فى عهد الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي

٢٩ — اقباى الطويل ٨٩٢ هـ كان يدعى ملك الامراء

٣٠ — الأمير قانى بك ٩٠٠ هـ فى عهد الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي

٣١ — قايتباى الشرفى ٩٠١ هـ قتل فى غزة

٣٢ — قراكز البهلوان ٩٠٢ هـ فى عهد الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قايتباى

٣٣ — اقبردى الدوادار ٩٠٣ هـ فى عهد الملك الناصر. وقد عصا على الملك وفر من مصر واستولى على غزة وبر الشام

٣٤ — جان بلاط الغورى ٩٠٤ هـ فى عهد الملك الناصر

٣٥ — قراجا ٩٠٥ هـ فى عهد الملك الظاهر قانصوه الأشرفى. تغير خاطر السلطان عليه فأحضره إلى القاهرة مكبلا بالحديد

٣٦ — قانصوه قرا بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا ٩٠٦ هـ فى عهد الملك الأشرف جان بلاط

٣٧ — علي باى السيفي بن يشبك ٩٠٧ هـ عين بدلا من قانصوه قرا

٣٨ — الأمير صلاح الدين ٩١٢ هـ فى عهد الملك قانصوه الغورى. كان نائب القدس فصار نائب غزة

٣٩ — ازبك الصوفى ٩١٤ هـ فى عهد الملك قانصوه الغورى

٤٠ — اقباى ٩١٦ هـ فى عهد الملك قانصوه الغورى

٤١ — دولات باى الأعمش ٩١٨ هـ فى عهد الملك قانصوه الغورى. كان نائب غزة والكرك والقدس معاً.

٤٢ — دوادار علي بك الأحدب ٩٢٢ هـ فى عهد السلطان طومان باى

٤٣ — الأمير دولت باى ٩٢٢ هـ فى عهد السلطان طومان باى

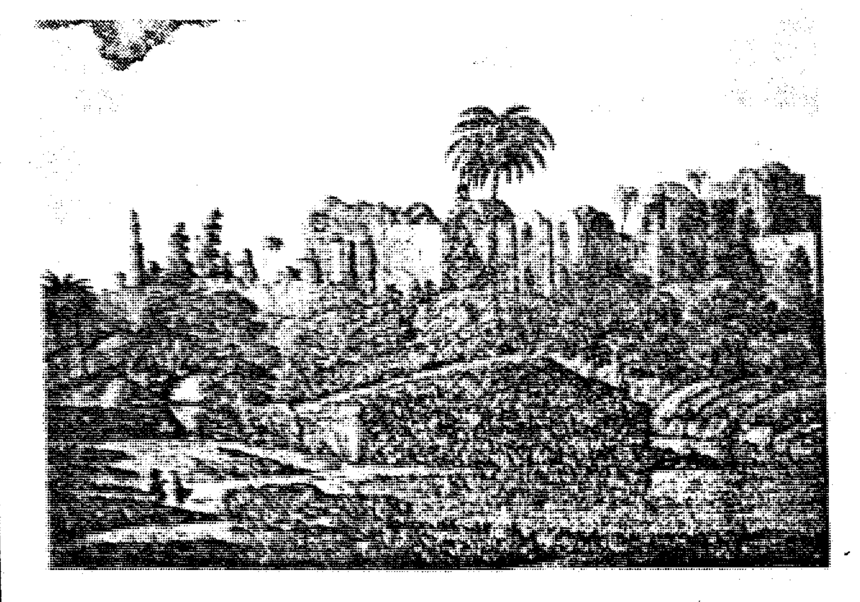
٤١ — ومن الانصاف أن نقول أن عهد المماليك عهد طافح بالمتناقضات: فيه عز، وفيه ذل؛ فيه ارتفاع، وفيه سقوط. فيه عظمة ومجد كالعظمة والمجد اللذين وصفناهما لك في الاسطر المتقدمة، وفيه فتن يندى لها جبين الدهر. إذ لا يكاد يعتلي منصة الحكم ملك منهم حتى يقوم أمير من امرائه فيحيك المؤامرات لخلعه. ويظل يحفر له حتى يوقعه في الهاوية، ويخلفه في الحكم. ولطالما رأينا رجالا كانوا بالأمس خداماً ومماليك، فاصبحوا ما بين طرفة عين وانتباهتها وزراء وامراء ونواباً وملوكاً. وأكثر الذين تسلطنوا عن هذه الطريق كانوا ويا للأسف اميين. لا يفقهون من معاني الملك والعدل والحزم والتدبير شيئاً. وكان هؤلاء تارة يلجئون إلى الشدة والقسوة في معاملاتهم، فيفتكون في اعدائهم ومناوئيهم ليخلو لهم الجو؛ وطوراً يلجئون إلى الهوادة واللين فيتقربون إلى الرعية بالمناصب الكبيرة والهدايا الفاخرة؛ أو يقربونهم إليهم بشتى الوسائل ليغطوا عن أعين الناس عيوبهم. وفي بعض الأحايين كانوا يتوسلون لاسترضاء الشعب بانشاء المساجد والزوايا، ولكن ليس من أموالهم الخاصة بل من الاموال التي كانوا يبتزونها من الناس ظلماً وعدواناً. إن من يقرأ تاريخ غزة في عهد المماليك قراءة سطحية يعتقد انها كانت مدينة عظيمة. إذ أنه كان يقيم فيها نائب السلطان، ومن حوله الامراء على اختلاف رواتبهم. وكثيراً ما كان يزورها السلطان بنفسه، فيخلع على نائبها وامرائها ورجالها الرتب الرفيعة والهدايا الثمينة والملابس الفاخرة، ويؤدب المآدب. وقد جاء على غزة زمن كانت فيه القدس وأكثر المدن الفلسطينية تابعة لها كما قدمنا. أقول أن من يقرأ ذلك قراءة سطحية يعتقد أن غزة كانت طيلة عهد المماليك تنعم في بحبوحة من هناء البال ورغد العيش. والحقيقة غير ذلك. نعم أتى على غزة زمن كانت تنعم فيه في بحبوحة من العز والمجد. وقد بني فيها عدة مساجد ومباني لا تزال حتى يومنا هذا قائمة. ولكن غزة خسرت مقابل ذلك الشيء الكثير. وكانت الخسارة تأتيها عن طريق الضرائب التي تجبى لأجل الحروب، والاعانات التي تجمع لبنايات المساجد والمباني الضخمة؛ ثم عن طريق الامراء الذين كانوا يتولون الحكم فيها ويعيشون عيشة البذخ والترف. وهذا النوع من انواع المعيشة يحتاج إلى انفاق، والمبالغ اللازمة لهذا الانفاق لا تأتي إلا من عرق الفلاح والطبقة العاملة. وما عمل القائمون على رأس الحكم شيئاً لأجل تعليم الامة وانهاض الفلاح والطبقة العاملة.

والأهم من هذا كله الحروب العديدة التي كان يثيرها المماليك ضد بعضهم البعض . فقد كانت الجيوش تجتاز غزة وتعسكر فيها في كل حرب وقعت سواء أتاها المهاجمون من مصر في طريقهم إلى الشام ، أو من الشام في طريقهم إلى مصر . إذ كانت غزة محطة الرحال ، ونقطة الاتصال . وانها كانت المخفر الامامي لـكلا الجانبين . وهي فضلاً عن ذلك محطة التموين من حيث الأكل والشرب واللحوم والخضار وما إلى ذلك . ذلك لانها على طرف البادية . ولا بد للجيش من أن يقضي فيها ردحاً من الزمن بقصد التموين والتأهب للحرب . فذاقت غزة من جراء هذه الحروب والفتن الأمرين. وكم كانت في غنى عن أن تـكون مركزاً لنائب السلطان ، وإن شئت فقل في غـنى عن أن تـكون عاصمة السلطان نفسه ، من أن تذوق المرارة التي وصفناها لك في الأسطر المتقدمة .



غزة في عهد الاتراك

كان السلطان (قانصوه الغوري) آخر من ملك هذه البلاد من المماليك. وكان



غزة في اوائل العهد التركي

هذا السلطان الشركسي على شيء من الدهاء ؛ إلا أنه كان هرماً ، وكان داء الهرم هذا قد استحكم من دولته وجيشه أيضاً.

٢ — وفي هذه الآونة صحت عزيمة السلطان سليم العثماني(١) على أخذ الشام ،

---

(١) هو التاسع من آل عثمان الملقب (ياووز) أى الجبار . وقداختلف المؤرخون في وصفه : فنهم من قال انه كان قوي البطش ، كثير الفتك ، عظيم التجسس . ما جلس على سرير الملك جلوساً عاماً ، ولا رآه أحد ، ولا انصف ظالماً من مظلوم . وانه كان شغوفاً بلذته وسكره ، واقامته بين الصبيان المرد . وما كان له أمان إذا أعطاه لاحد من الناس ، حتى انه خنق اخوته وكثيرين من أهل بيته . وانه أخذ الخلافة غصباً من الخليفة المتوكل على الله محمد ابن المستمسك بالله يعقوب آخر خلفاء بني العباس بمصر ، وأخذه معه إلى الآستانة ، وبعد أن أعطاه الأمان خانه فنفاه إلى مكان بعيد . ومن قائل انه نابغة بني عثمان بلا مراء ، وانه كان رجلا نافعاً ، وانه كان ينوي أن يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية بدلا من التركية يوم افتتح مصر والشام وخطب له في الحرمين الشريفين .

والقضاء على دولة المماليك . وكان ذلك عام ١٥٠١ للميلاد (٩٢٢ هـ) .

٣ — عندما خرج السلطان قانصوه الغوري لمحاربة ابن عثمان ، أناب عنه في مصر أبا النصر طومان باي (١) . وسار بجيشه حتى التقى بالسلطان سليم . فقامت بين الفريقين معركة عند (مرج دابق) كان النصر فيها حليف العثمانيين . وقتل فيها من الجانبين خلق كثير .

٤ — كانت قوة الاتراك في تلك المعركة مؤلفة من ثمانين ألف مقاتل ، وأما عساكر الغوري فقد كانوا خمسين ألفاً . وقد مات الغوري كمداً . وعلى قول انه مات تحت أرجل الخيل . فدخل السلطان سليم حلب من غير حرب . ومنها سار إلى حمص وحماه ، ثم إلى دمشق . ففتحت هذه المدن كلها ابوابها له .

٥ — وفي يوم الإثنين الثامن من شوال ٩٢٢ هـ ذهب دوادار (٢) نائب غزة المسمى علي بك الأحدب إلى مصر ، وأخبر السلطان طومان باي بان ابن عثمان منذ دخل الشام وهو في ضيق شديد من جراء الوخم الذي أصاب عسكره ، والموت الذي حل بهم ، وقلة الاقوات من الغلال والعلف ، وتضييق العربان . فابتهج السلطان لهذا الخبر . غير أن ابتهاجه لم يدم طويلا إذ حملت إليه الأخبار بعد بضعة أيام أن عساكر ابن عثمان ما برحوا في تقدم ونشاط ، وانهم تمكنوا من الاستيلاء على الشطر الأكبر من البلاد ، وأخذوا يتقدمون نحو غزة . فعين السلطان الأمير (دولات باي) نائباً على غزة ، فتسلمها هذا ، وأخذ يراقب حركات ابن عثمان . ويظهر انه كان بينه وبين بعض (أجناد الحلقة) بغزة نفور ؛ فقد اتهمهم بالتآمر على سلامة الدولة ، وزعم (٣) انهم كاتبوا ابن عثمان طالبين إليه الحضور إلى غزة واستلامها من غير حرب . فاستحضرهم السلطان ، وسألهم عن حقيقة الحال ، فحلفوا له أن هذا الأمر ما وقع منهم ، ولا كاتبوا ابن عثمان ، وان ما قيل عنهم ليس إلا كذب وافتراء .

---

(١) أصله من مماليك قايتباي . ثم اشتراه الملك الأشرف قانصوه الغوري . وظل يترقى في مناصب الدولة حتى ناب عن السلطان يوم خروجه لمحاربة ابن عثمان كما تقدم . وساس الناس ، فرضوا عنه ، وأطاعه الجند . ولما مات السلطان الغوري وقع اختيار الامراء عليه ، فسلطنوه (٩٢٣ هـ) .

(٢) ابن اياس .

(٣) ابن اياس .

فصدقهم السلطان ، وعفا عنهم ، وفكهم من الحديد .

٦ — ما كاد ينقضي على ذلك يوم أو بعض يوم حتى جاءت رسالة من نائب غزة يقول فيها : (أدركونا بالعسكر ، قبل أن يملك ابن عثمان مدينة غزة وتتعبوا في خلاص البلاد من يده) . فأخذ السلطان طومان باي يستعد للخروج من مصر . وقد استحضر إليه نائب الشام (ملك الامراء) جان بردي الغزالي فخلع عليه ، وجعله باشا على العسكر المعينين للتجريدة . غير ان التجريدة لم تخرج في الميعاد المضروب . بل جاء المماليك إلى السلطان وقالوا له : (نحن لا نخرج ، ولا نسافر حتى تنفق علينا ثمن جمالنا ، وتصرف لنا العليق ، وثمن اللحم المنكسر) . فاضطربت مصر لهذه الاخبار ، وتنكد السلطان للغاية .

٧ — وفيما هو في حيرة من أمره اشيع أن السلطان سليم أرسل إلى غزة عسكراً جراراً بقيادة (سنان باشا) و (يونس باشا) و (اسكندر باشا) و (داود باشا) وعدد آخر من امرائه ؛ كما اشيع انهم ملكوا مدينة غزة ، وأحرقوا منازلها ، وان نائب غزة هرب ، وان عسكر ابن عثمان زاحف إلى مصر . فنادى السلطان امرائه إليه وقال لهم : (اخرجوا ، قاتلوا عن انفسكم وأولادكم وازواجكم ! لم يبق في بيت المال درهم ولا دينار . وأنا واحد منكم . إن خرجتم خرجت معكم . وإن قعدتم قعدت معكم . وما عندي نفقة انفقها عليكم) . ثم نادى المنادي قائلاً : (الزعر والصبيان الشطار والمغاربة وكل من كان مختفياً لجرم اقترفه فليظهر ، وعليه أمان الله) .

٨ — رفض المغاربة هذا التكليف ، وأبوا أن يقاتلوا السلطان سليم ، قائلين : (نحن مالنا عادة نخرج مع العسكر . ولا نقاتل المسلمين . بل نقاتل الأفرنج) . فهددهم السلطان قائلاً : (إذا لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان ، فان المماليك الجلبان يقتلون كل مغربي في مصر ، حتى لا يدعوا فيها مغربياً يلوح) .

ويظهر أن هذا التهديد من جهة ، واستعراض السلطان لجيشه [1] من جهة اخرى كان لهما تأثيرهما المطلوب ؛ فتقوت قلوب العسكر على القتال ، وغادروا مصر ، وحاصروا جماعة ابن عثمان الذين بغزة .

---

(١) قال ابن اياس : « كان مع الجيش يومئذ عجلة من خشب تجرها أبقار ، وفيها رماة بالبندق الرصاص . وكانوا نحو ثلاثين عجلة أو فوق ذلك . وعرض جمالا فوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل . وعرض طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب » .

٩ — سار السلطان سليم عن طريق البر إلى غزة فعصت عليه ، ففتحها حرباً وكان ذلك عام ١٥٠١ للميلاد (٩٢٢ هـ) . وكان جان بردي الغزالي (١) قائداً عاماً للجيش الذي أرسله طومان باي لمقاتلة السلطان سليم كما قدمنا . فغلب هذا على أمره في المعركة التي جرت بينه وبين الاتراك في غزة ، وفرّ .

١٠ — أرسل السلطان سليم إلى السلطان طومان باي بعد فتح غزة الأنذار التالي : (أما بعد فان الله قد أوحى إليّ بأن أملك البلاد شرقاً وغرباً ، كما ملكها الإسكندر ذو القرنين . إنك مملوك تباع وتشرى ، ولا تصح لك ولاية . وأما أنا فاني ملك ابن ملك إلى عشرين جد . وقد توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة . فاذا أردت أن تنجو من سطوتي وبأسي فاضرب السكة في مصر باسمي وكذلك الخطبة . وتكون نائبي بمصر ، ولك من غزة إلى مصر ، ولي من الشام إلى الفرات . وان لم تدخل تحت طاعتي أدخل إلى مصر ، واقتل جميع من بها من الجراكسة . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

١١ — بكى السلطان طومان باي عندما تلقى رسالة السلطان سليم ، وخشي عاقبة الأمر ، ولم يدر ماذا يفعل . ولكنه ، بعد امعان النظر ، اعتزم القتال وعدم الاستسلام . ورأى بعين ثاقبة انه لا بد من استرضاء العسكر الموجودين في القاهرة قبل كل شيء ليرسلهم نجدة للذين سبقوهم ، فانفق عليهم بنسبة ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً لكل مملوك . فرموا تلك النفقة في وجهه ، وقالوا له : (ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار كل مملوك . فانا لم يبق عندنا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح) . فحنق عليهم ، واسودت الدنيا في وجهه .

١٢ — وفيما هو حائر لا يدري ماذا يصنع تساقطت الأخبار إلى القاهرة قائلة أن الجنود الذين توجهوا إلى غزة قد انكسروا في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة ، ذلك لأن جان بردي الغزالي خرج إلى التجريدة قبل العسكر بعدة أيام . وصار الامراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين ، وبتكاسل زائد . فلما ابطأوا على الغزالي

(١) اختلفت الآراء في هذا الرجل : فهناك من يقول انه حارب السلطان سليم عن عقيدة ، وانه كان مخلصاً لسلطان مصر طومان باى . وهناك من يعتقد انه (أى جان بردى الغزالي) كان منذ أيام الغورى متواطئاً مع ابن عثمان فى الباطن ، وانه كان السبب فى انكسار الجيش المصرى في مرج دابق ، وفي غزة ايضاً .

جمع بعض العربان وتقدم إلى غزة هو والأمير (ارزمك الناشف) أحد المقدمين و (دولات باي) نائب غزة وأصله من مماليك السلطان الغوري وجماعة من المماليك السلطانية . فقاطعوا على عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطاني ، وتلاقوا معهم على الشريعة بالقرب من بيسان . وكان باش عسكر العثمانية سنان باشا ، ومعه آخرون من امرائه ومن العسكر العثمانية الخلق الكثير . وكان جان بردي الغزالي ومن معه من الامراء في فئة قليلة من العسكر . فوقع بين الفريقين هناك معركة هائلة تشيب منها النواصي ، فانكسر الأمير جان بردي الغزالي ومن معه من الامراء والعساكر ، وجرح الأمير جان بردي نفسه . ولم ينج من عسكر مصر في هذه المعركة إلا من طال عمره . ورجع إلى مصر الأمير دولات باي نائب غزة ، ورجع معه سائر الامراء والعسكر الذين كانوا توجهوا إلى غزة . رجعوا كلهم مكسورين بعضهم راكباً على حمير وبعضهم على جمال . وقد نهبت اقمشتهم واسلحتهم وخيولهم . وذكر الجنود المغلوبون أن مع عسكر ابن عثمان رماحاً بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الأرض . وقيل عنهم أنهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم ، وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها أبقار وجواميس في أول العسكر . واشيع ايضاً أن عسكر ابن عثمان يقتلون الناس من غير شفقة ولا رحمة ، وانهم يتجاهرون بالمعاصي والفسوق ، وانهم لا يصومون شهر رمضان ، ويشربون فيه الخمر والبوزة ، ويستعملون فيه الحشيش ، ويفعلون الفاحشة في الصبيان المرد في شهر رمضان ، وان ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة إلا نادراً .

١٣ — قال ابن اياس الذي نقلنا عنه هذا الخبر : « أن الغزالي لما تلاقى مع سنان باشا على الشريعة اشيع في غزة أن الغزالي قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشا وعسكر ابن عثمان . فبادر (علي باي دوادار) نائب غزة وأجناده فنهبوا وطاق العثمانيين ، وأحرقوا خيامهم ، وقتلوا من كان في الوطاق والمدينة من العثمانية نحو اربعمائة إنسان ما بين شيوخ وصبيان وممن كان بها مريضاً . فلما ظهر أن الكسرة على عسكر مصر ، وقتل من قتل من الامراء ، رجع سنان باشا إلى غزة فوجد من كان بها قد قتل ، ونهب الوطاق . فجمع أهل غزة قاطبة وقال لهم : من فعل ذلك بنا ؟ قالوا : علي باي دوادار نائب غزة وأجناد غزة ، ولم نفعل نحن شيئاً من ذلك . فأمر سنان باشا بكبس بيوت غزة فوجدوا فيها قماش العثمانية ، وخيولهم ،

وخيامهم . فقال لهم سنان باشا : نحن لما دخلنا غزة هل شوشنا على أحد منكم . قالوا : لا . فقال لهم : كيف فعلتم بعسكرنا ذلك ؟ فلم يأتوا بجواب ولا عذر ولا حجة . فعند ذلك أمر عسكره أن يلعبوا فيهم بالسيف . فقتلوا ما لا يحصى عدده . وراح الصالح بالطالح » . وقال ايضاً : إن ما فعله عسكر ابن عثمان بأهل غزة من القتل والنهب والسبي كان له تأثير على العربان في البلاد التي بين غزة ومصر . وأخذ الناس يتخوفون ، والمماليك يهربون . فنادى السلطان إليه المماليك الذين حضروا إلى غزة ووبخهم بالكلام وقال لهم : (كيف هربتم حتى كسرتم الامراء ولم تقاتلوا ، وبقي وجهكم أسود بين الناس) .

١٤ — وقد التقى جيش العثمانيين مع جيش المصريين في خان يونس ايضاً ، فشتته . ثم صار إلى مصر فافتتحها . ولم يجد السلطان سليم في طريقه أية صعوبة (١) في اجتياز الصحراء الواقعة على بعد بضعة أميال من جنوب غزة إلى وادي النيل ؛ إلا من القبائل البدوية التي كانت تغزو الغازين ، فتقلقهم (٢) . بيد أن السلطان سليم تمكن من تشتيت شمل هذه القبائل ايضاً .

ولما دخل مصر قتل مليكها (طومان باي) الذي قلنا انه تولى الملك فيها بعد موت السلطان غوري . قتله شنقاً ، كما قطع رؤوس عدد كبير من المماليك الشراكسة ، ورؤوس الكثيرين من العربان الذين كانوا معهم .

١٥ — ولما تم احتلال مصر ، وصفا للسلطان سليم الجو اعتزم الرجوع إلى القسطنطينية . فجعل يونس باشا نائباً عنه في مصر . وخلع على شخص من جماعته فقرره نائباً عنه في غزة . وخلع على شخص آخر فقرره نائب القدس . ثم انتدب

---

(١) كان السلطان سليم قد أعد خمسين ألف جمل ، أخذ الشطر الأكبر منها من غزة وما جاورها ، وذلك لحمل المياه في الصحراء . إلا أن السماء جادت عليه بالمطر الغزير فاستغنى عن قسم كبير منها .

(٢) كان عدد الغزاة من البدو في بعض الأحيان كبيراً بدرجة أن اقلقت بال سنان باشا قائد جيش العثمانيين . وظن مرة انهم الجيش النظامي المصري زاحف بقيادة (طومان باى) وان عددهم يفوق عدد العثمانيين . فرفع الأمر إلى السلطان . وأمر هذا بأحضار جواده ، لئلا يقع في أسرهم . ولكن سرعان ما انكشف الغطاء وفهمت حقيقة الأمر . ويقول المؤرخ التركي (ابو الفاروق) الذي نقلنا عنه هذا الخبر أن السلطان سليم غضب حتى انه كاد يقطع رأس سنان باشا لأنه لم يبحث الخبر جيداً ، ولم يترو في نقله إليه .

شخصاً من امرائه يقال له (علي بك) وصحبته جماعة من العثمانية لأجل اصلاح الآبار في طريق غزة ، وتنظيف الطرق من الوعر . وبعد أن استكمل تدابيره هذه غادر القاهرة . وكان ذلك في اواخر شهر ربيع الأول سنة ٩٢٣ للهجرة .

١٦ — وفي اثناء رجوعه إلى القسطنطينية عرج السلطان سليم على غزة ، فمكث بها يوماً أو بعض أيام . ورأى وهو فيها ما لها من الأهمية التجارية والعسكرية ، فأقام عليها نائب الشام سابقاً وقائد الجيش الذي كان يحاربه بالأمس الأمير جان بردي الغزالي . ثم أقامه نائباً عنه في الشام . وجعل له التحدث من غزة إلى الشام واعمالها ، يولي من يختار ويعزل من يختار .

١٧ — وفي ذهاب السلطان سليم إلى مصر وعودته منها قاسى(١) أهل البلاد من اعتداء جنده كثيراً . فقطع الأجناد الأشجار ، ورعوا الزروع ، واخرجوا الناس من بيوتهم في البلاد التي احتلوها فكان الضرر عظيماً .

١٨ — ولما توفى السلطان سليم شاه تولى السلطنة ابنه السلطان سليمان القانوني . وكان ذلك عام ١٥٠٥ للميلاد (٩٢٦ هـ) . وقد انشغل هـذا بفتوحاته الواسعة وحروبه الكثيرة حتى انه لم يجد الوقت الكافي للعناية (٢) بأية ناحية من انحاء بلاده . بل اكتفى بأن تضرب السكة وأن تقام الخطبة باسمه . ولم تنل غزة في عهده شيء من الاصلاح ، ولا عمر جانباً من الخراب الذي أصابها من الجند في عهد أبيه.

ويظهر أن الاستياء كان قد شمل البلاد بسبب هذا الاهمال من جهة ، وانشغال السلطان سليمان بفتوحاته من جهة اخرى ؛ فثار نائب الشام (جان بردي الغزالي) على الدولة . وأرسل كتاباً إلى ملك الامراء خاير بك يقول له فيه : (تسلطن أنت بمصر ، واستمر أنا بالشام ، واحكم من الفرات إلى غزة ، ونطرد هذه العثمانية عن مملكة مصر) . فأطلع خاير بك السلطان سليمان على هـذه المؤامرة . فأرسل إليه هذا تجريدة نحو ١٤ ألف . وظل يحاربه ، حتى تغلب عليه . فانكسر جنده ، وقتل هو ؛ وخلع ملك الامراء على (قره موسى) أحد امراء بني عثمان ، وقرره في نيابة غزة . فسافر إليها هذا في الحال ، وتسلم امورها .

---

(١) خطط الشام

(٢) خطط الشام

١٩ — ولقد تولى الملك من بعده سلاطين من بني عثمان ، نذكر منهم : السلطان سليم الثاني ، والسلطان مراد الثالث ، والسلطان مراد الرابع ، والسلطان ابراهيم الأول ، والسلطان أحمد الأول ، والسلطان مصطفى الأول ، والسلطان عثمان الثاني ، والسلطان محمد الرابع ، والسلطان سليمان الثاني ، والسلطان أحمد الثالث . غير أن البلاد العثمانية لم تتقدم كثيراً في مدارج الحضارة والرقي على عهد هؤلاء السلطان . إذ كان بعضهم منهمكا في فتوحاته ، والبعض الآخر في تدبير المؤامرات لاغتيال خصمه ، أو في رد عاديات المتآمرين على ملكه . والذي يصفو له الجو منهم يقضي وقته بين الكؤوس والغواني . وكم حدثنا تاريخهم عمن مات منهم ضحية المدام ، وعمن راح شهيد الجمال الفتان . حتى قيل انه جاء زمن على الدولة العثمانية كانت الواردات التي تجبى من قضاء من الأقضية أو ايالة من الآيالات تخصص لاحدى نساء السلطان أو لحظية من المحظيات اللواتي يعشن في قصره . وان هاته النسوة كن ينتدبن من يقوم بجباية هذه الواردات من القضاء المخصص لهن بالنيابة عنهن.

٢٠ — قال المؤرخ التركي جودت في تاريخه : « ان الدولة العلية لما انتقلت من دور البداوة إلى دور الحضارة لم يتخذ رجالها الاسباب اللازمة لهذا الانتقال . فحصروا اوقاتهم في حظوظ انفسهم وشهواتهم ؛ يقيمون في العاصمة القصور الفخمة ، ويفرشونها بأنواع الأثاث والرياش مما لا يتناسب مع رواتبهم . فاضطروا إلى الارتشاء ، وبيع المناصب بالمال ، وتلزيم البلاد واقطاعها بالأثمان الفاحشة .

« والفساد الذي كان منتشراً في البلاد العثمانية ، ومنها غزة ، كان ينبعث من العاصمة . إذ كان يقبض فيها على زمام الاحكام غالباً جهلاء ظلام . وقد تولى الصدارة ندماء سخفاء ، بل طبالون وطباخون وغيرهم من المقربين لا إلى الملوك فحسب بل إلى نساء القصر الملكي ، أو الزنوج والخصيان الذين كانوا يولون ويعزلون كما يشاؤون وتشاء اهواؤهم » .

٢١ — وعندما تبدو علائم الاستياء من جراء هذه الحالة في ناحية من انحاء البلاد ، كان السلاطين يعملون على إلقاء الفساد والشغب بين الرؤساء والزعماء . وذلك برتب يخترعونها لهم ، وجرايات يدرونها عليهم . وكانت المناصب والرتب تباع في الآستانة بيع السلع بسوق المزاد . وعندما لا تجدي هذه التدابير كانوا يفتكون بالابرياء . وكان من السهل عليهم أن يستصدروا من المنافقين فتاوى تبرر

أعمالهم هذه . وكلما ازداد فساد السلاطين في عاصمة الملك ، ازداد الولاة والحكام الجاهلون عنتاً وظلماً . وكلما ازداد هؤلاء ظلماً ازدادت شوكة المتغلبين ، وأرباب النفوذ في المدن والقرى . فعم الظلم ، وانتشر الفساد ، وكثرت الضرائب والمكوس بدرجة لا تطاق . وأما عن جيش الدولة ، وعن الفساد الذي انتشر فيه فحدث ولا حرج . الأمر الذي حدثت من جرائه حروب وفتن كثيرة : تارة بين السباهية والانكشارية ، وبين هؤلاء والقبوقول ، وطوراً بين الجيش والسلطان . ولو لا ذلك ما اجترأ الولاة والحكام وأرباب الاقطاعات في كثير من الحالات على العصيان.

٢٢ — وقد تولى الحكم في غزة آل رضوان . وكان ذلك عام ١٥١٠ للميلاد (٩٣١ هـ) . وعلى قول أن آل رضوان منحوا هذا الحق وتولوا الحكم الوراثي في غزة منذ أيام السلطان سليم الأول . ومهما كان الأمر فان عهدهم كان معروفاً في هذه البلاد بعهد الباشاوات. ومنهم الأمير أحمد باشا بن رضوان باشا بن مصطفي باشا[١].

ومنهم الأمير بهرام باشا[٢] وقد كان والياً على حلب . ولبهرام هذا أراضي واملاك كثيرة في غزة اوقفها كلها لفعل الخير .

ومنهم الأمير حسين باشا بن الأمير حسن باشا بن الأمير أحمد باشا آل رضوان (١٦٦٠ للميلاد) . فقد أحب هذا غزة ، واتخذها عاصمة لفلسطين . وقد ذكره الاستاذ (ماير) في تاريخه ، فأطنب في وصفه وقال : « إن قصره كان مزداناً بالأثاث والرياش الفاخرة ، وانه كان قائماً في وسط حديقة غناء . وان القائمين بترتيب حديقة الباشا كانوا ينتمون إلى عائلة تدعى الأفرنجي وهي من بقايا الصليبيين . فاعتنق افراد هذه العائلة الاسلام في عهد آل رضوان ».

وقد تملك آل رضوان أملاكاً كثيرة منها (الدبويا) ، وعلى قول انهم هم الذين بنوها ، وأن الذي بناها منهم هو حسن باشا بن أحمد آل رضوان . وكان ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة. وفي زمنهم بنيت مئذنة الجامع الكبير ، ومئذنتان اخريان من مآذن الشجاعية . وعدد كبير من المنازل الجميلة ، والأبنية الضخمة . منها جامع القلعة [٣]، ودار المباشر ، والبناء الذي اتخذه المجلس البلدي في يومنا هذا

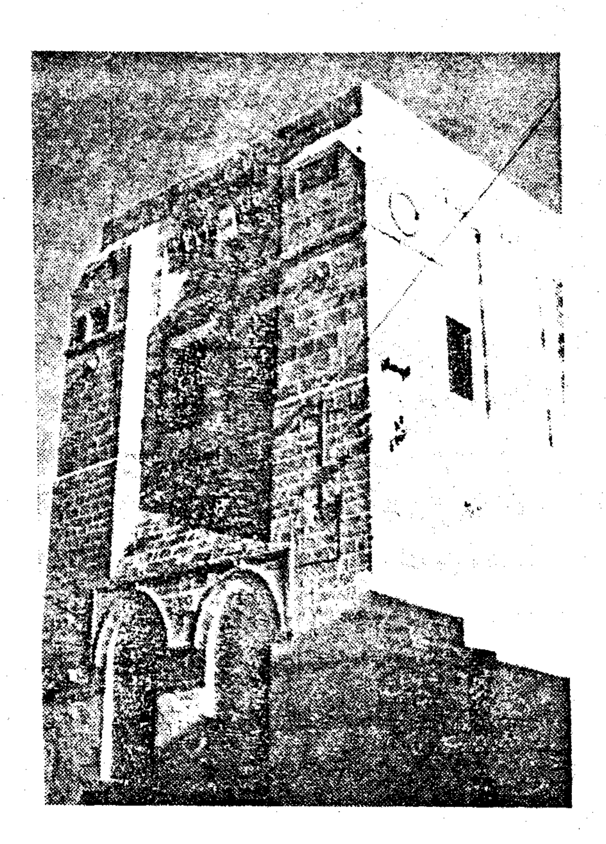
---

(١) كان وزيراً من وزراء تركيا فى الآستانة .

(٢) انه ابن مصطفى باشا .

(٣) دائرة الاوقاف فى يومنا هذا .

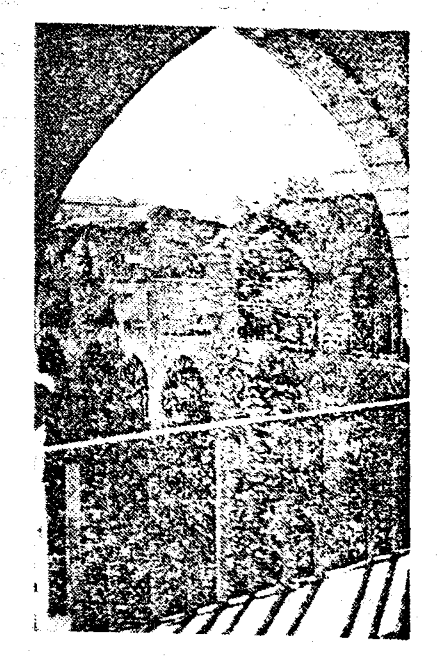
مدرسة للاناث ، والقيسارية (سوق التجار القديم) ، وخان الزيت ، وحمام السمرة، وقصر الباشا وما إلى ذلك . وعلى هذا المنوال استعادت غزة في عهد آل رضوان بعض ما فقدته من مكانتها السابقة في عهد المماليك . وقد وصلوا من السيطرة والنفوذ الى حد بعيد .



الدبويا — قصر آل رضوان

حتى ان الحجاج الذين كانوا يسافرون من يافا إلى القدس كانوا يرغمون على الحصول على إذن بالسفر من الباشا في غزة .

وكان لهؤلاء الباشاوات مقابر خاصة في غزة ، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا . وهي التي تراها شرقي الجامع الكبير .



٢٣ — وما دمنا في صدد البحث عن آل رضوان فلنبحث عن السائح التركي المشهور (اوليا جلبي) الذي زار غزة في ذلك العهد (١٦٤٩ م). وكتب عنها وعنهم الشيء الكثير من كتابه الذي أسماه (اوليا جلبي سياحتنا مه سى)(١) قال :.

« . . . استأنفنا السفر جنوباً حتى وصلنا إلى مدينة (غزة هاشم)التاريخية. ان هذه المدينة واقعة على حدود عسقلان في منطقة جاسان (؟)

« فما كدت اهبطها حتى توجهت إلى منزل حاكم الولاية حسين باشا .فسلمت **خان الزيت — من املاك آل رضوان** عليه ، وقدمت له احترامي . ثم ناولته رسالة مـولاي مرتضى باشا (٢) والثياب الحريرية والهدايا الفاخرة الاخرى التي احملها إليه منه . فسر بها كثيراً . وقال : « أجل . إنه لفرض علينا إن شاء الله . ولا بد أن نرسل معك من يساعدك في تحصيل البقايا ، وان ندفع نحن ما علينا من دين » .

« ولم يضن الباشا عليّ بشيء من لطفه وكرمه . فأعدّ لي منزلا خاصاً من منازله نزلت به . وقضيت الوقت كله معه في حديث وبحث وتدوين . فأيقنت أن الباشا صديق صادق قولا وفعلا .

« إنه خفيف الروح ، لطيف المعشر ، أكرم من حاتم طيء ، أديب ، شاعر ، ومؤرخ . وعندما علم الباشا أنني ميال للأسفار جمعني مع عدد كبير من علماء المدينة

---

(١) في المتحف الفلسطيني بالقدس نسخة بالانكليزية من هذا الكتاب ترجمها عن التركية باسم مصلحة الآثار الاستاذ حنا اسطفان . وكلماتي هذه نقلتها عن النسخة الانكليزية .

(٢) يظهر أن هذا كان رئيس الوزراء في ذلك العهد .

ومؤرخيها . فقضينا الوقت كله ، ليلاً ونهاراً ، في تتبع آثار المدينة وأخبارها .
وعلمت منهم أن مدينة غزة أيضاً كانت إحدى المدن التي عمرت وازدهرت بعد الطوفان . فقد ذكرها ابن صولاق ، وواضع خطط القضاعي ، ومؤلف التجويد في الصحافة ، والذهبي ، فقالوا ان أول من بناها (مرمشم) (؟) ابن سام ابن نوح عليه السلام ؛ وان هذا بنى ، على بعد ثلاثة أميال منها ، مدينة اخرى أسماها (مرمش)؟ وقد خربت هذه وهجرت منذ أيام نبوخذ نصر . إلا أن بقاياها تدلنا على ما كانت عليه من عظمة في العهود الغابرة .

« وان الطبيب الشهور غالينوس زار تلك المدينة في عهد ازدهارها ، ومات فيها .

« وأما الآن فان غزة عامرة ، ولها مستقبل زاهر . فقد انتقلت عام ٩٢٢ للهجرة من يد السلطان الغوري إلى يد السلطان سليم الأول . وهي الآن مركز لسنجق غزة التابع لولاية سوريا . والضرائب الأميرية المعينة لأمير اللواء فيهاهي(٥٠٨٣٢٨) من الفضة . ولها سبع زعامات ، ومئة وسبع تيمارات (؟) ، وفيها ، بموجب القانون ، ١١٥٠ عسكرياً بينهم من يحملون رتبة (جبه لو) . كما أن الباشا (والآلاي بك) فيها يسيران تحت لوائها .

« وأما منصب القاضي ، ذلك المنصب النبيل ، فقد خصص له ثلاثمائة من الفضة . وعلاوة على هذا فان مبلغاً قدره أربعة آلاف قرش يجمع من قراها لأجل القاضي ، وآخر قدره ثمانون ألفاً لأجل الباشا .

« ان هذا السنجق مأهول بالسكان ، ومزدهر بالعمران . وهناك شيخ للاسلام ملم بالفقه على المذاهب الأربعة الكبرى ، ونقيب للأشراف ، وأعيان ، ونبلاء عظام ، ورجال أفاضل ، وكوكبة من السباهي المحترمين ، ورجال ماهرون في مختلف الحرف والصنائع .

« وهناك ، فضلاً عن ذلك ، نائب المدينة ، وصوباشي ، ومحتسب ، وباجدار ؟ ولما كانت هذه المدينة قد منحت منذ أيام السلطان سليم الأول إلى حسين باشا وأولاده من بعده واسرته على مدى الحياة فان جميع الضرائب التي تجبى فيهاشخصية تخص الباشا .

« إن قلعة غزة التي بنيت في العهود الغابرة دمرها نبوخذ نصر . وأما حصنها الحالي فقد بني في وقت بعد ذلك التاريخ . إنه لحصن صغير ، مربع الشكل ، مبني

من الحجارة الرملية في وسط الرمال علـى مسافة ساعة من شاطيء البحر للشرق . وقد شيدت جدران هذا الحصن على ارتفاع عشرين ياردة من الارض . وله باب من حديد متجه نحو القبلة . ويترتب على الدزدار والجنود أن يظلوا دوماً مرابطين في الحصن على أهبة الاستعداد . إذ أنه حصن من الخطورة بمكان لوقوعه على تخوم العشائر والقبائل البدوية . والاعداء كثيرون . وان السلع القيمة ، والأشياء الثمينة التي يقتنيها الوجوه والأعيان بوجه خاص ، وسكان المدينة بوجه عام ، تحفظ في داخل القلعة . وفيها أيضاً منازل الجنود ، مستورة بالتراب . وفيهـا أيضاً مسجد ، وعنابر للحنطة ولسائر انواع الحبوب والمؤن ، ومخازن للأسلحة والمهمات الحربية . كما انفيها مدافع ملكية من الطراز البديع ، مجهزة بكل ما تحتاج إليه من ذخائر ومهمات . إن الناحية المواجهة للقبلة من نواحي القلعة شبيهة بمدينة كبرى . وأمام مدخل القلعة في الناحية الاخرى من الشارع ، مسجد يصلي الناس فيه الأوقات الثلاثة في النهار . ويؤم هذا المسجد عدد كبير من المصلين .

« غزة مدينة تاريخية قائمة فوق سهل وسيع منبسط . ولها ستة احياء . وفيها ألف وثلاثمائة منزل . وجميع منازلها مبنية من الحجر . وأسطحتها مستورة بالطين والكلس . وفيهـا عدة سرايات وقصور ، وان اللسان ليعجز عن وصف سرايـ حسين باشا . هذا الباشا الكريم الذي يزوره لا يقل عن مئتين من الضيوف في كل ليلة بين مشاة وفرسان .

« وفي المدينة سبعون مسجداً ذوو محاريب . وفي احد عشر مسجداً منهـا تقام صلاة الجمعة . وفي القرب من السوق مسجد يقال له (مسجد الجمعة) ، ويصلي فيه حاكم الولاية حسين باشا ، وهو يتسع لعدد كبير من المصلين . وانه لبناء جـديد وجميـل . ليس له نظير . إذ تسابق البناؤون والمهندسون من القاهرة ودمشق والقدس الشريف فأبدوا كل ما لديهم من فن ومقدرة ، وابدعوا في بنائه ما شاء الابداع أن يكون . والبناء الخبير الذي تولى بناء هذا المسجد بنى له في نفس الوقت مئذنة عالية متقنة الصنع ، لها أروقة ثلاثة ، بشكل منقطع النظير . حتى أن مسجد الجمعة الذي بناه سنان باشا فاتح اليمن لم يكن على هذه الدرجة من الاتقان . وفي وسط المدينة تكية عبد العظيم ، وبالقرب منها تكية مرغان . وفيها مئتا سبيل يرتوي من مائها العطشان .

« ولما كانت المدينة واقعة على طرف البادية فليس فيها انهار جارية . وكل ما هنالك مياه أرضية . إن ماء الحياة يحمل إليها من الخارج على ظهور الإبل .

« ومن الحمامات العمومية الكائنة في غزة يجدر بنا أن نذكر حمام الباشا ، وحمام العسكر ، . فانهما لطيفان ومنعشان للغاية .

« وفي غزة ستمائة دكان . وهي وإن لم تكن ميناء بكل ما في هذه الكلمة من معنى إلا انها مدينة تجارية تستطيع أن تجد في سوقها بضائع واشياء ذات قيمة . وان مصانع الزجاج والسروجية فيها رائجة . كما أن سوق التجار المبني من الحجارة مزدهر للغاية .

« لسكان غزة نوع من الخال يعرف (بخال غزة هاشم) . وهو طريف للغاية ويليق بهم جداً ، وهم يلبسون السمور والفراجية وثياب اخرى غير مزخرفة . وأما الطبقة الوسطى فانها تكتسي ثوباً بسيطاً أبيض اللون . وأما العمال والطبقة الفقيرة من السكان فانهم يلبسون (سرتية كراكة ؟) ولهذا الثوب اشكال مختلفة . وهؤلاء يلبسون ايضاً العباءة . والغزيون بوجه الإجمال بيض الوجوه ، ذوو حواجب قاتمة وهناك فئة منهم سمر اللون كأنهم مدبوغون بالشمس .

« إنهم ذوو عزم واحساس ونشاط ، وهم أحرار وكرام ومحبون للضيف ، ولا سيما إذا كان هذا غريباً . يعيشون على التجارة والأعمال اليدوية .

« وللمدينة جو بديع وهواء عليل . وهي واقعة في الاقليم الرابع . تكثر فيها الحنطة . وهذه معروفة ببياض لونها ، وكبر حجمها ، ويسمونها (سن الجمل) . وأما شعيرها فانه مشهور ، وكذلك قل عن قطنها ، وحريرها . والكراكة التي تصنع من الصوف في غزة ، وكذلك المحارم ، والبشاكير ، والفوط الصغيرة والكبيرة ، فان هذه كلها تصنع في غزة وهي مشهورة .

« وفيها سبعة آلاف كرم يغرس فيها العنب . وعنبها مشهور . وكذلك قل عن زيتونها ، وتوتها ، وليمونها ، وكبادها ، وتينها ، وشمامها ، ورمانها ، وبلحها ، وعن فواكهها الاخرى ، فانها مشهورة في اسواق العالم . إن زيتها يصدر لمصر محملا على مئات من الجمال . ويروج في اسواق مصر رواجاً غريباً لجودة صنعه .

« إن (عين السجان) احدى المحلات التي يطرقها الغزيون للنزهة ؛ بالقرب من غزة وفي مكان يدعى (إبلة) حيث ينبسط سهل غير متسع ، فيه خمسة ينابيع

جارية . منها (عين السجان) . التي يزداد ماؤها في فصل الشتاء ، ويقل في فصل الصيف . والمياه التي تنبع منها تجري على وجه الأرض ، ثم تغور في حفرة من الأرض . لو شرب جيش برمته من ماء هذه القرية وظل يفعل ذلك مدة عشرة أيام وعشر ليال متواصلات لما نقصت كمية المياه التي فيها . والغريب في الأمر أن ماءها لا يفيض ، ويعتقد الأهلون انه إذا شربت الطيور والحيوانات الداجنة والوحوش من مائها فان شعرها ووبرها يزول فوراً . وأما الانسان فلا . إنه (أي الانسان) إذا شرب من مائها يجد فيه العلاج الشافي للكثير من أوجاعه وآلامه » .

٢٤ — وفي أيام السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٤٧ م (١١٦٨ هـ) حكم غزة الحاج حسين باشا مكي(١) وقد صار حاكماً فيها . ثم صار حاكماً في القدس (١١٦٩ هـ) وفي صيدا . ثم صار أميراً للحج ووالياً في الشام . إنه وان لم يكن شرهاً في جمع المال كغيره من الحكام ، إلا أنه كان بطيء الحركة . ولذلك حصل في زمنه تطاول من اليرلية (٢) والقبوقول (٣) . وحدثت فتن لا عهد للبلاد بمثلها من قبل . وقد ظهر غلاء شديد . فضجت الرعايا ، وحصل ضيق ، واشتدت الامور . وقد اعتدى بنو صخر على الحجاج في عهده ، فنهبوهم وقتلوا أمير الامراء موسى باشا المعراوي وقد كان أمير الجردة ، وفر هو (أي حسين باشا مكي) إلى قلعة تبوك ، ومنها جاء مختفياً إلى غزة . وبقي في غزة حتى أتته رتبة الوزارة مع منصب مرعش ، فتوجه إليها . وبعد أن حكمها سنة أقيل منها ، فعاد إلى غزة . ومات فيها .

٢٥ — وقد ألم بغزة شيء من العناء اثناء الحروب التي قامت بين كبير الزيادنة

---

(١) هو حسين باشا بن محمد بن الحاج محمد بن الحاج مكي المعروف بالفخر الغزى . جاء فى (سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر) انه نشأ فى غزة ، وتوجه الى اسلامبول مع أبيه محمد مكي عندما أخذ هذا بلاد غزة اقطاعاً له بطريق المالكانة . وبينا كان أبوه كتخدا لاسعد باشا العظم حاكم دمشق ، كان حسين باشا حاكماً فى غزة . راجع ما كتبناه عنه فى الجزء الثانى الذى خصصناه لتاريخ عائلات غزة ورجالها الأقدمين .

(٢) الجند الوطني .

(٣) الحرس المحلي

(ظاهر العمر) (١) وبين (عثمان باشا الصادق) الكرجي الذي ولي الشام من قبل الدولة التركية عام ١٧٦٤ م (١١٨٥ هـ) . وبالرغم من أن الدولة وسعت سلطة عثمان باشا إلى تخوم غزة ، إلا أن النصر كان حليف ظاهر في المعارك التي جرت بين الفريقين . ذلك لأن (علي بك الكبير) حاكم مصر كان أصدق صديق لظاهر وقد أرسل لنجدته جيشاً بقيادة (محمد بك أبي الذهب) . فمر هذا بجيشه بغزة ، وسار إلى دمشق . أضف إلى ذلك أن ظاهراً استعان بكاترين امبراطورة الروس ، فأمرت هذه سفنها التي كانت راسية في ميناء حيفا ، فضربت بيروت وأمنت له النصر.

٢٦ — ومن رجال الدولة العثمانية الذين اشتهروا سنة ١٧٧٥ م (الدنكزلي). كان هذا حاكماً في صيدا فحدثته نفسه بعصيان دولته . فأرسلت لمحاربته ومحاربة صديقه ظاهر العمر سفناً بقيادة حسن باشا قبطان . فجاء حسن باشا وحاصر صيدا أولا . ففر الدنكزلي حاكمها إلى عكا . وكان من رأي الدنكزلي ارضاء حسن باشا بالمال . فعارضه ابراهيم الصباغ في رأيه وعمل ظاهر برأي الصباغ ، فخرج الدنكزلي غاضباً . وخرج معه رجال المغاربة وكانوا ركن الشيخ ظاهر في الدفاع .

ولما قتل الشيخ ظاهر بعيار ناري من أحد أتباعه المغاربة قتل حسن باشا قاتله ، ونفى ابراهيم الصباغ إلى الآستانة حيث شنقه . وارسل الدنكزلي والياً على غزة . وارسل معه من دس له السم في الطريق فمات .

٢٧ — ومن رجال الدولة العثمانية الذين اشتهروا سنة ١٧٧٦ للميلاد (أحمد باشا الجزار) (٢) . فقد صادق هذا عثمان باشا والي دمشق ، وخاصم ظاهر العمر .

---

(١) يقال لاسرته (الظواهر) أو (الزيادنة) نسبة إلى زيدان جد ظاهر . وزيدان هذا من قبائل عرب الطائف فى الحجاز . غادرها عام ١٦٩٠ م على أثر محل أصاب الزرع . وكان له ، ولأولاده من بعده ، شأن يذكر فى بلاد الشام وفى صفد وشمال فلسطين . حتى انه لم يرق في عين الدولة نفوذهم هذا ، فجهزت جيشاً لمحاربتهم . ولكنها عادت فاعترفت لظاهر ولأولاده من بعده بالولاية على جميع بلاد الجليل . فمد رواق الأمن ، وحالف قبائل البادية . وظل مسيطراً على أكثر انحاء البلاد حتى شاخ وقتله رجل من اتباعه المغاربة (١٧٧٤ م) .

(٢) ولد سنة ١٧٢٠ م فى إحدى قرى البوسنة . وهرب من بلاده إلى الآستانة. ثم بيع فى مصر بيع العبيد . وصار مملوكاً في قصر (أحمد بك أبي الذهب) . فتوسم هذا فيه الخير والمقدرة على الفتك فاستخدمه لاتمام مقاصده و لنيل من اعدائه . وكان فعلا عند ظنه . ففتك بعدد كبير منهم . ولذلك لقب بالجزار وقد توفى سنة ١٨٠٤ ودفن فى عكا .

فعين والياً على بيروت . وما كاد يتسلم زمام الأمر فيها حتى بدت عليه علائم العصيان . إلا أنه لم ينجح . فخرج من بيروت مدحوراً .

وقد تقرب بعدئذ إلى ظاهر العمر ، فسلمه هذا قيادة فرقة من جيشه وأرسله في مهمة إلى غزة . وفيما كان فيهـا يقوم بقضاء تلك المهمة فر إلى معسكر عثمان باشا عدو ظاهر العمر ، فلم يحتفل به . لأنه علم انه ذو وجهين .

وقد التحق بعدئذ بالاسطول العثماني الذي كان معقود اللواء إلى حسن باشا . ثم عاد فانقلب عليه . ويظهر أن الدولة رأت من مصلحتها ، رغم اخلاقه هذه ، أن تستميله إلى جانبها . فجعلته وزيراً . ووسعت سلطته حتى امتدت من الشام إلى غزة وعريش مصر . الأمر الذي اتخذه نابليون ذريعة لفتح هذه البلاد ، كما سترى ذلك في الفصل الذي خصصناه لغزة في عهد نابليون .

وبعد أن احتل نابليون غزة والرملة ويافا وحيفا حاصر عكا إلا انه فشل أمام اسوارها فارتد عنها مدحوراً . عندئذ ازداد الجزار ختلا وكبرياء . فعاد يمثل مظالمه[١] ويحمل على الناس مغارمه ، لا فرق في ذلك بين مسلم أو مسيحي أو يهودي .

٢٨ — وكأنه لم يكف البلاد ما أصابها من ظلم الجزار ، وما ألم بها من خراب اثناء زحف نابليون ؛ فقد قام (محمد باشا ابو المرق)[٢] يسومها الخسف والعسف . ويجور على أهل بيت المقدس والخليل والرملة واللد ، ولم يكن الظلم الذي نزل بغزة يومئذ بأقل مما نزل باخواتها من المدن الفلسطينية مما لم يقع مثله . حتى اضطر السادات الأشراف الابرياء لكثرة مظالمه أن يبيعوا أولادهم في السوق بيع الجواري والعبيد .

٢٩ — وفي عام ١٨١٤ م (١٢٣٠ ﻫ) كانت غزة تدار من قبل متصرف تركي يدعى (حسن درويش باشا) . وكانت القدس يومئذ تابعة له .

وبعد حسن درويش باشا أصبحت غزة (متسلمية)[٣] وكان متسلمها (عيسى آغا المشعلجي)[٤] .

---

(١) خطط الشام . الجزء الثالث ص ١٨

(٢) خطط الشام

(٣) أى مركز لنائب المتصرف .

(٤) إن هذا الحاكم المتنفذ يمت بالنسب لآل البورنو الموجودين بغزة في الوقت الحاضر .

٣٠ — ومن الولاة الأتراك الذين دانت لهم غزة بالحكم وصار لهم شأن كبير فيها (عبدالله باشا) . فقد اطلعت على أمر أصدره بتاريخ (١٢ مايس ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م) وقع عليه بصفته (والي صيدا ومصر والعريش وغزة والقدس ونابلس وجنين) وكان ذلك في عهد السلطان العثماني محمود الثاني .

ويظهر أن الغزيين ثاروا على الدولة العثمانية في عهده ، واتفقوا مع عرب التياها والترابين ، وطردوا الموظف الذي نصبه متسلم غزة يومئذ حسين آغا وكيلاً على الجمرك . فأرسل إليهم كتاباً يسترضيهم فيه وينذرهم في نفس الوقت بسوء العاقبة إذا هم تمادوا في عصيانهم . ويظهر أن الذي كان يقود الثورة يومئذ رجل منهم يدعى مصطفى الكاشف .

ولقد اطلعت في (المحفوظات الملكية المصرية) التي نقلها الاستاذ أسد رستم على الكتاب الذي أرسله عبدالله باشا يومئذ إلى أهالي غزة ، وقد جاء فيه ما يأتي :

« من عبدالله باشا إلى أهالي غزة :

« قدوة النواب المتشرعين نائب غزة هاشم حالا افندي زيد فضله ، وافتخار العلماء الكرام المأذون بالافتاء افندي زيد علمه ، وفرع الشجرة الزكية قائمقام نقيب السادات الأشراف افندي زيد شرفه ، وقدوة الأماثل والأقران ميرالاي زيد قدره ، ومفاخر اقرانهم علماء وخطباء وأئمة وسائر وجوه البلدة وأرباب التكلم بوجه العموم يحيطون علماً : طرق مسامعنا بأن بهذه الاثناء تظاهرتم بالعصيان لطرفنا ، وصار بينكم وبين عرب التياها والترابين اتفاق . وبذلك الوقت كان افتخار الأماجد والأعيان متسلمنا في لواء غزة والرملة ويافا ولد حالا حسين آغا زيد مجده مرسل لطرفكم وكيل من طرفه على الجمرك ، فطردتموه . وسحبتم اعناقكم من قلادة الاطاعة . فقد استغربنا هذا الحال . كان ايالة يافا وغزة والرملة وتلك النواحي مالكانه لنا ببراءة مخلدة بيدنا بمدة حياتنا . كذلك لله تعالى الحمد ما وقع عليكم ظلم وتعدي يوجب منكم هذا الفساد الذي وقع منكم . بل أموال الميرية المرتبة من قديم الأيام وسالف العصر والأوان وبورود جناب شيخنا الشيخ محمد افندي سكيك المحترم لطرفنا سمحنا منها بمقدار وافر مرحمة للفقراء وتلطفاً للرعايا . وبعد هذا كله لله تعالى الحمد عساكرنا وافية . وكما تعلمون وتتحققون أن لواءهم دائماً منصور ، ولا يمكن يتوجهوا إلى المحل إلا والنصرة أمامهم . وربما بلغكم ما حصل في الخاسر درويش

باشا وأعوانه بالوقعات المتعددة وهي وقعة راشيا ، ووقعة جسر بنات يعقوب ، ووقعة المزة التي في ابواب الشام ؛ وحصره داخل قلعة الشام — والمولى تعالى كان عاطينا الشام — وأسره وأسر من يلوذ به . ولكن مرحمة للفقراء ، وصيانة للعرض ولئلا تتعطل مصلحة الحج الشريف عدلنا عن دخول عساكرنا للشام ، وأمرناهم بالقيام والرجوع إلى جسر بنات يعقوب . هذه المادة ما حصلت منكم إلا من عدم تبصركم بالامور ، لكونها مادة تصير سبباً لإباحة دمكم وعرضكم ومالكم ، وتصيروا عبرة لمن اعتبر . فلزم الآن اخباركم بذلك لكي تعلموا وتتحققوا أن عساكرنا بحوله تعالى وافرة ، مكملين العدد والعدد ، ومتأهبين بهذه المرة للانتقام من كل طاغي وباغي متعدي الحدود ، وايديهم على براجق السيوف . وعلى الخصوص الاتحاد والاتفاق الواقع الآن بيننا وبين سعادة والدنا الدستور الوقور الأكرم والآصف المشير الأفخم والي الديار المصرية حالا الحاج محمد علي باشا الأعظم وإظهار زيادة ميله وحبه القلبي لطرفنا . فتأكيداً لذلك قبل تاريخه أرسل طلب توجه كتخدانا لعنده ، لأجل يوقفه على زيادة ميله وحبه الأكيد لطرفنا ، ويحقق لنا ذلك بالمواجهة . ومن بعد الاتكال على واحد أحد قبل تاريخه بيومين سيرنا ولدنا كتخدانا المومى إليه لطرف سعادة المشار إليه . إن شاء الله تعالى قريباً يحضر كتخدانا من ذاك الجانب ، ويتضح للجميع اتحاد الحال بيننا وبين سعادة المشار إليه . ومن المعلوم مهما طلبنا عساكر من جانب سعادته فلا يمنع تسيارهم ، وتصبحون انتم فما بين أرجل عساكر سعادة المشار إليه وأرجل عساكرنا ، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم . فها نحن عاملناكم بالرفق والرحمة لقول القائل من حذر فقد انذر . المراد تجمعوا كباركم وعقلاكم وافنديتكم وعلماؤكم واختياريتكم وتتلوا مرسومنا هذا علناً ، وتمعنوا النظر به ، وبالحال ترموا القبض على الشقي الخائن مصطفى كاشف ، وترسلوه ليافا لعند متسلمنا المومى إليه تحت الحفظ وتقدموا مراسم الاطاعة لطرفنا ، وتتعاطوا اشغالكم وأعمالكم ، وتكونوا براحتكم . وبهذا تغتنموا دماءكم وأموالكم وأعراضكم . فان فعلتم ذلك وهو المتقدم ذكره برمي القبض على الخائن مصطفى كاشف ، وقدمتم انفسكم للاطاعة لطرفنا ، وتركتم هذا الحال فعليكم أمان الله ورأي الله ورأي جدنا الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأينا ؛ وإن أبيتم وعلى غيكم تماديتم فها هي عساكرنا المنصورة مهيأة للقتال كما ذكرنا وعساكر سعادة والدنا المشار إليه تحت طلبنا ، وحينئذ لا أمان عليكم ولا

رأي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان دار الجهاد محروسة عكا المحمية بوصوله تدققوا في معناه ، وتتجنبوا مخالفته ، وتعتمدوه غاية الاعتماد » .

٣١ — وقد شق محمد علي باشا والي مصر في ذلك الحين عصا الطاعة ، واتخذ خلافه مع عبدالله باشا والي عكا حجة فرمى إلى احتلال سوريا . وأرسل جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم باشا . وقد احتلت جنوده العريش وغزة (١٨٣١ م) وظل يتوغل في البلاد إلى أن افتتح عكا ، وامتلك الشام ، ودان له قسم غير قليل من بر الاناضول، وكاد يهدد الآستانة . فتداخلت الدول ، وانسحب بعد أن خصصت مصر له ولذريته من بعده . وقد جرت له في هذه البلاد وقائع سنأتي على ذكرها بالتفصيل في فصل آخر من هذا الكتاب .

٣٢ — ومن الحوادث التي جرت في ذلك العهد ، وكان لها بعض المساس بغزة تلك التي كان بطلها (عقيلة آغا) الحاسي [١] .ولد هذا بغزة ثم رحل عنها(١٨٤٥م) إلى الناصرة فالتحق بحاشية (محمود آغا عون الله) . وقد اختلف مع حاكم الناصرة (محمد باشا سواري) ، وأقام عند بني صخر ، وانتدب للمحافظة على الغور من جهة جبل عجلون من قبل والي القدس وسر عسكر اوردو الشام (قبرصلي باشا) ، فقام بمهمته حق القيام ، واشتهر ؛ ولكن شهرته عادت عليه بالوبال . إذ أن محافظ عكا (مصطفى رشيد باشا) ألقى القبض عليه ، وأرسله إلى عكا مخفوراً ، ثم نفاه إلى بلاد الصرب (١٨٥٣ م) . لكن عقيلة تمكن من الهرب من منفاه ، وجاء إلى حلب . فخشيت الدولة نفوذه ، فأوعزت إلى (وامق باشا) والي بيروت كي يتلافى الأمر بالتي هي أحسن . فتلافاه وأرجعه إلى سابق عهده في خدمة الدولة .

ازداد عقيلة شهرة بين العرب . ولكن الأكراد كانوا يكرهونه . فجمع حوله

---

(١) الحاسي ، والحرابي ، والبراعصة فروع لقبيلة من القبائل العربية النازلة في الجبل الأخضر من بلاد المغرب . وقد كان موسى آغا والد عقيلة آغا من رجال قبيلة الحاسي . فهجر وطنه على أثر قتله لرجل من أقاربه ، وجاء إلى غزة هاشم . وكان ذلك عام ١٨١٤ م (١٢٢٩هـ) وقد حل ضيفاً على الحاج محمد نجا من البراعصة ، وكان هذا قد جاء إليها قبله ، وعظم فيها شأنه . وقد ترأس موسى عند البرعصي على خمسين خيالا . وبعد موت الحاج محمد ترأس مكانه . وقد تزوج امرأة من عرب التركمان تدعى (خضرة الشقيرى) فولد له منها ثلاثة أولاد هم عقيلة وصالح وعلي .

أتباعه وهم البراعصة والحرابي والحاسي والهوارة وفريق من الصبيح والصقر ، وحارب الأكراد . فانتصر عليهم (١٨٥٧ م) .

فطار صيته أكثر من ذي قبل . الأمر الذي جعل ولاة الامور من الأتراك يحقدون عليه . وقد تآمر عليه كل من والي بيروت المشير قيولي باشا ، وقائمقام عكا حسن تحسين بك ، وأخذا يدسان الدسائس ضده .

ثم جاء هولو باشا (١) حاكم نابلس ، فجرد على عقيلة حملة من الجند ، فكبسوه في غور بيسان . وقد فرّ إلى الصلت ، ثم ذهب إلى الحسى ، ومنها جاء إلى غزة .

وفيما كان يعيش في غزة أخذ يستنجد بخديوي مصر سعيد باشا ، فأشار عليه هذا بالرجوع إلى الشام ؛ وقد حمله رسالة خاصة إلى الأمير عبد القادر . فتوفى (٢) في قرية عبلين في ١٠ شوال سنة ١٢٨٥ للهجرة (١٨٧٠ م) .

٣٣ — إن الحوادث التي ذكرناها في الأسطر المتقدمة ليست إلا جزءاً من كل من حوادث الفتن والقلاقل التي حدثت على عهد الأتراك العثمانيين في هذه البلاد . ولقد رأيت مما تقدم أن البلاد ما كانت لتنجو من ثورة حتى تقع في اخرى أشد منها ، وما كانت لتخرج من فتنة حتى تسقط في اخرى أفظع منها . كل ذلك ناشيء عن إهمال السلاطين والولاة لواجباتهم الحقيقية . وإذا قدّر الله وتولى الأمر رجل صالح منهم فان الدهر ما كان ليجود عليه بالعمر الطويل أو الأعوان الصالحين ليشدوا أزره ويحققوا أمله في الاصلاح. هذا من الوجهة السياسية.وأما من الوجهة الاقتصادية فإليك بيان الحال التي كانت عليها غزة في ذلك الحين .

٣٤ — كان في غزة يومئذ (أي في اواخر القرن الثامن عشر للميلاد واوائل القرن التاسع عشر) ما لا يقل عن أربعة آلاف منزل ، وخمسمائة دكان ، واربعين نولا للنسيج ، ومصبنتين ، وأربع معاصر للسيرج ، وستة بدود للزيت ، ومطحنة واحدة تدار بالفحم الحجري (٣) ، ومعمل واحد للبلاط ، ودباغة واحدة ،

---

(١) انه من عرب الموالي . وهو والد عزة باشا العابد صاحب النفوذ المشهور على عهد السلطان عبد الحميد .

(٢) إن ذريته تقيم الآن فى الدلهمية فى غور بيسان .

(٣) كانت هذه المطحنة فى بادىء الأمر حجرية تدار بالدواب . وكان فى كل دار من دور غزة طاحون صغيرة مؤلفة من حجرين مستديرين .

ولم يكن فيها سوى خمارة واحدة وستة مقاه. كما لم يكن فيها فنادق. وانما كان فيها عدد غير قليل من الخانات يأوي إليها المسافرون . واحد هذه الخانات كان (خان الزيت) المشهور الملاصق للجامع العمري الكبير من القبلة . وهو من املاك آل رضوان . وقد كان فيها مسلخ واحد . ولم يكن فيها صيدلية . وانما كان فيها دكاكين للعطارة تباع فيها بعض الأعشاب والعقاقير . ومع ذلك فقد كانت غزة من الوجهة الاقتصادية ترتع يومئذ في بحبوحة من العيش والرخاء . إذ كانت نفقات العيش فيها رخيصة للغاية . وكان بامكان الاسرة ذات الخمسة أفراد من الطبقة المتوسطة أن تعيش باثني عشر قرشاً تركياً في اليوم ، أو ما يقرب من الليرتين في الشهر . وكان لكل غزي دار يقطنها. إلا أن الموظف الغريب فانه كان يستأجر أحسن دار بعشر ليرات في السنة على أكثر تقدير . وكانت اجرة العامل في الحقل لا تزيد عن ثمانية قروش أي بنسبة قرشين ونصف قرش من عملة هذا اليوم . وأما خادم المنزل فانه كان يخدم من غير اجر ، بل كان يكتفي بما يقدم إليه من منام وطعام ولباس . وكان بامكان المرء أن يكسي عائلته ويطعمها بأرخص الأثمان . إذ كان رطل اللحم (٩٠٠ درهماً) يباع بثمانية قروش تركية ، وكذلك قل عن صاع (ستة أرطال) القمح . وأما السمنة فرطلها بنصف ريال تركي. والزيت فالجرة منه (٦٦ اوقية) بنصف ليرة فرنسوية. وكذلك قل عن السيرج. وقد كان حمل البندورة (صندوقان) يباع بأربعة قروش، والباذنجان بثمانية، ورطل السمك بعشرة قروش، والخاروف الكبير بمجيديين، والصغير بمجيدي واحد.

وعلى ذكر الأوزان والمكاييل التركية نقول أن الوحدة المعترف بها في الأوزان كانت (الرطل) . وهو مؤلف من اثنى عشر اوقية ، أو تسعماية درهم . وأما الحبوب فقد كانت تكال بـ (الصاع) وهو عبارة عن ستة أرطال ، و (المسحة) وهي عبارة عن خمسة أرطال .

وعلى ذكر العملة التركية نقول : أن هذه كانت تضرب في دار اعدت لضرب المسكوكات في القسطنطينية . وهي ذات انواع عديدة . ما ضرب على عهد السلطان محمود منها سمي (محمودية) ، وما ضرب على عهد السلطان عبد المجيد سمي (مجيدية) . وكذلك قل عن (العزيزية) التي ضربت في زمن السلطان عبد العزيز، و(الحميدية) التي ضربت في زمن السلطان عبد الحميد، و(الرشادية) التي ضربت في زمن السلطان رشاد.

أما (العملة المحمودية) ، فانها نوعان : (عملة مغشوشة) وهي عبارة عن البشلك (قرشان ونصف) والوزري (خمسة قروش) والعشراوية (متاليك) . وأما (العملة الذهبية) فانها عبارة عن خيرية ، ومحمودية . والحقيقة أن العملة

المغشوشة فقط هي التي كانت رائجة في اسواق التجارة بغزة ، وهي التي كانت تتداولها الأيدي في كل مكان . وأما العملة الذهبية فقد كانت تباع وتشرى بقصد الزينة فقط .

وكان على عهد السلطان محمود نوع من العملة يسمى (القبق) وهو خمس نحاسات ، و (النحاسة) وهي بارة واحدة ، و (المتاليك) وهو عشر نحاسات ، و (القرش) وهو اربعة متاليكات ، و (المجيدي) وهو تسعة عشر قرشاً .

أما (المتاليك) فقد كان يصنع من النحاس الأحمر ، ويطلى بالفضة . وهو أصغر من النحاسة . وأما (القبق) فانه عبارة عن نصف متاليك (أي خمس بارات) وقد كان يصنع من النحاس الأحمر ، ولكنه لا يطلى بالفضة ، وهو أكبر من النحاسة . وأما (النحاسة) فانها كانت تصنع من النحاس الأحمر ، وهي أصغر من القبق . وأما (البشلك) و (الوزري) فإنهما كانا يصنعان من النحاس ويطليان بماء الفضة . وهذا — على ما اعتقد — هو السبب في تسمية هذا النوع من العملة بـ (العملة المغشوشة) .

وفي زمن السلطان عبد المجيد ظلت المحمودية المغشوشة سائدة وهي النحاسة والقبق والمتاليك والبشلك والوزري . غير انه اضيف إليها (المجيدي) وهو مصنوع من الفضة الزباص الصافي . والمجيدي كان عبارة عن تسعة عشر قرشاً ، ثم صار عشرين قرشاً . ونصف المجيدي تسعة قروش ونصف . وربعه خمسة قروش إلا ربع . والليرة العثمانية الذهب وهي عبارة عن مئة قرش .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بقيت العملة المحمودية (أي البشلك والوزري والمتاليك والنحاسة والقبق) ، وكذلك العملة المجيدية (أي المجيدي والنصف مجيدي والربع مجيدي والليرة الذهب) سائدتين .

وكذلك في زمن السلطان عبد الحميد . فإن العملة المتقدم ذكرها كلها ظلت سائدة . ولم يزد عليها سوى أن (المجيدي) طبع من جديد . وكذلك قل عن (الليرة الذهب) . وقد طبع عليها إسم السلطان عبد الحميد ، والتاريخ الذي ضربت فيه.

وفي زمن السلطان رشاد ظلت جميع انواع العملة المتقدم ذكرها سائدة . إلا انه اضيف إليها عملة (النيكل) وهي عبارة عن :

قرش واحد	=	٤٠ بارة
نصف قرش	=	٢٠ بارة
ربع قرش	=	١٠ بارات

وكلمة (قرش) هذه كانت مستعملة أكثر من كلمـــة (بارة) في ذلك العهد. وكانت الليرة العثمانية يومئذ تساوي ٢٥٥ قرشاً والفرنسوية ٢٢٢ قرشاً والانكليزية ٢٩٧ قرشاً . وأما المجيدي فقد كانت قيمته ٤٧ قرشاً ونصف قرش .

واضطر الأتراك في غضون الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٧) إلى إصدار نقد من الورق لا يستند على الذهب ولا على الفضة . وطبعت الأوراق النقدية هـذه بقيم مختلفة فرض على الناس قبولها . إلا انها كانت أكثر من النقود المستعاض عنها . ولذلك تضررت البلاد وتضررت غزة معها من جراء هذا التضخم الذي أدى إلى هبوط قيمة النقد هبوطاً مريعاً . حتى أن قيمة الليرة التركية من الورق أصبحت تساوي أقل من ١٠ بالماية من قيمتها المرسومة عليها . وكان من جراء ذلك أن ارتفعت الاسعار وصعدت نفقات المعيشة بدرجة لا تطاق .

وأما من حيث النظام المالى فقد كانت مالية سنجق القدس (وهو يتألف من اقضية القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع) تدار مباشرة من قبل وزارة المالية في الآستانة . بينما كانت ماليه سنجق عكا ونابلس وما يتبعهما من أقضية تدار من بيروت . وإليك بيان الضرائب التي كان يجبيها الأتراك من الاهلين في ذلك الحين :

ا الويركو والمسقفات

ب الأعشار

ج الاغنام

د التمتع

هـ الكروسة (أو العملة المكلفة)

و المعارف

اما (الويركو) فقد فرض بموجب القانون العثماني المؤرخ في ٥ آب ١٨٨٦ م . وكان يجبى من اصحاب الاملاك بنسبة اربعة في الالف عن الاراضي وخمسة في الالف عن الدور المعدة للسكنى اذا كانت قيمتهـا دون العشرين الف ، وثمانية في الالف اذا كانت هذه فوق العشرين الف ، وعشرة في الالف عن الدكاكين والدور المعدة للايجـار . ثم اضيف الى ذلك ٦٠ ./. باسم (تجهيزات عسكرية) وكان ذلك قبيل اعلان الدستور (١٩٠٨ م) .

وبعد حرب البلقان (١٩١٢ م) اضيف اليه ٥٠ ./. عن الاراضي لاجل تغطية العجز الذى طرأ على موازنة الدولة. ثم اضيف اليه ٢٥ ./. عن المسقفات باسم الاسطول.

وعلى ذكر (المسقفات) نقول انها ضريبة فرضها الأتراك بموجب القانون العثماني المؤرخ ١٤ حزيران ١٣٢٦ (١٩١٠ م) وهي بدلا من الويركو على المباني . وكانت تبنى على مجمل الدخل من الاملاك المبينة .

وأما الويركو الذي فرض على قضاء غزة في العهد التركي فقد كان يتراوح بين ثلاثة عشر ألف وعشرين ألف ليرة تركية .

وكانت قيمة الانشاءات تقدر من قبل لجنة قوامها مدير المال أو مساعده الذي كان يطلق عليه (كاتب الويركو) ، ومأمور التحصيلات وعضو من قومسيون التحصيلات وآخر من أعضاء المجلس البلدي ، وآخر من السكان . وتطرح الضريبة على أساس هذه القيم المقدرة بالبينة المتقدم ذكرها . فيجبيها الجابي وكانوا يسمونه يومئذ (تحصيلدار الويركو) (١) .

وأما ضريبة (العشر) فقد كان الأتراك يجبونها من أصحاب الأراضي بنسبة ١٠ بالمائة من حبوبهم وسائر حاصلاتهم الزراعية حتى (الحنضل) فان الحكومة التركية كانت تفرض عليه ضريبة العشر ثم زيدت هذه النسبة فجعلت ١٢ ونصف بالمائة. وكانت الحكومة التركية تجبيها بواسطة (الملتزمين) . وكان أكثر هؤلاء من طبقة الأفندية الذين أثروا عن هذه الطريق . فقد كان الواحد منهم يتعهد بدفع مبلغ من المال لصندوق الحكومة عن مدينة غزة ، أو عن قرية من قراها . ثم يجبي من أهل المدينة ، أو القرية اضعاف ذلك المبلغ . وكانت الحكومة في بعض الأحايين تضيف إلى بذل الالتزام ٦ بالمائة باسم (التجهيزات العسكرية) ومع ذلك فان ضريبة(العشر) التي كانت تجبى من مدينة غزة ما كانت لتزيد في سنة من السنين عن ضعفي ضريبة (الويركو) . اي انها كانت في أكثر الأحايين حول اربعة آلاف ليرة . هذا من المدينة . وأما من القرى فان الاعشار كانت ضعفي الويركو بالوجه التقريبي أي ٤٢ ألف ليرة . وكانت الحكومة التركية تخصص ١٢ بالمائة من هذا المبلغ للبنك الزراعي الذي عهدت إليه إقراض المزارعين ومدهم بالمال اللازم لتقويتهم وتحسين زراعتهم ، و ٤ بالمائة للطرق والأشغال العامة ، و ٥ بالمائة للمعارف والباقي وقدره ٧٩ بالمائة كان

---

(١) هذه كلمة تركية مؤلفة من كلمتين : إحداها (تحصيل) عربية ، والاخرى (دار) فارسية . ومعناها الماسك أو القابض . وأما كلمة (الويركو) فهي مشتقة من (ويرك) التركية ومعناها العطاء .

يدخل الخزينة لينفق في سبيل مصالح الدولة ومرافقها العامة .

واما ضريبة (الاغنام) فانها ضريبة قديمة العهد . فقد كانت الحكومة التركية تجبيها عن الاغنام والجمال المعدة للنقل بنسبة : اربعة قروش (١) (أي أربعين بارة) عن كل رأس من الغنم . ثم اضيف إلى ذلك ٢٥ بارة باسم التجهيزات العسكرية (١٩٠٨ م) ، وعشر بارات باسم الاسطول (١٩١٢ م) إلى أن أصبحت خمسة قروش و ٢٥ بارة عن كل رأس من الغنم . وكان عدد الاغنام التي يدفع عنها ضريبة في مدينة غزة يتراوح في اواخر العهد التركي بين اثنى عشر وخمسة عشر ألفاً .

واما عن الجمل المعد للنقل فقد كانت الحكومة تحصل عشرة قروش تركية . ثم اضيف إلى هـذا المبلغ قرشان باسم التجهيزات العسكرية ، وقرشان ونصف باسم الاسطول . إلى أن أصبح ثلاثة عشر قرشاً و ٢٠ بارة عن كل جمل . وكان عدد الجمال التي يدفع عنها ضريبة في مدينة غزة يتراوح في ذلك العهد بين ثمانمائة وألف .

واما الجمال المعدة للحراث فقـد كانت معفاة من الضرائب . وكذلك قل عن الاغنام المولودة في بحر السنة .

يفهم مما تقدم ان الحكومة التركية كانت تجبي باسم (الاغنام) أو (ضريبة الحيوانات) مبلغاً يقرب من سبعة وسبعين ألف قرش تركي عن مدينة غزة نفسها ، وثلاثة اضعاف هذا المبلغ عن قراها .

واما ضريبة (التمتع) فانها كضريبة الدخل الـتي تجبى في يومنـا هـذا . وقد كانت هذه على عهـد الأتراك ضئيلة للغاية . فقد كانوا يحصلونها من التجار وأرباب الصناعات واصحاب المهن بنسبة ارباح كل واحد منهـم . فالتاجر والنجار والحداد والبقال حتى والفواخيري كان يدفع ضريبة بنسبة ربحه وتمتعه . وكانت هذه الضريبة تتراوح بين العشرة قروش والخمسين أو المئة في السنة . ولكنها ما كانت في حال من الاحوال لتجتاز المئة .

والذي كان يقدر قيمة الدخل الناجمة نفسها التي قلنا في الاسطر المتقدمة انها كانت تقدر قيم الاملاك من أجل ضريبة (الويركو) . ولقد احصي عدد الذين كانوا تابعين لهذه الضريبة في اواخر العهد التركي فبلغوا الفي شخص ، وبلغت ضريبة الدخل

---

(١) كانت هذه في بداية الأمر قرشاً ونصف ، ثم زيدت فأصبحت قرشين ونصف ، ثم صعدت إلى ثلاثة قروش ، فأربعة .

(التمتع) التي جبيت منهم ستين الف قرش تركي اي ما يعادل ستمائة ليرة تركية .

واما ضريبة (العمال المكلفين)[١] فقد كان الاتراك يفرضونها على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر . وكان على المكلف ان يدفع ستة عشر قرشاً في السنة او يشتغل في تعبيد الطرق ثلاثة ايام على ان لا تقل مدة العمل في اليوم الواحد ثماني ساعات .

ومن الغرائب ان لا نرى في غزة طريقاً عبدت في العهد التركي سوى طريق البحر تلك الطريق التي عبدها (١٣٢٢ رومي) ابراهيم لطفي باشا وكان ذلك في زمن السلطان عبد الحميد الثاني ،مع ان الضرائب التي كانت تجبى من الغزيين كانت تبلغ في بعض الاحايين مبلغاً لا يستهان به . ولما كان عدد سكان مدينة غزة في اواخر العهد التركي قد بلغ ستة وعشرين الفاً ، وكان عدد المكلفين بدفع هذه الضريبة لا يقل عن ثمانية آلاف نسمة فاني اقدرها بما لا يقل عن الف ومائتي ليرة .

واما (ضريبة المعارف) فقد كانت تجبى بنسبة ٥ بالمائة من قيم المسقفات . وكانت تضاف إلى ضريبة الويركو وتجبى معها . وكانت الحكومة تسلمها إلى النافعة (مصلحة الاشغال العامة) لتنفقها في سبيل المدارس .

يبدو مما تقدم ان مجموع الضرائب التي كانت تجبى من مدينة غزة في اواخر العهد التركي كانت تتراوح بين الاثنى عشر والخمسة عشر الف ليرة تركية في السنة وان حصة الخزينة من هذا المبلغ كانت ٩٢ بالمائة والباقي ٨ بالمائة ينفق في سبيل الجباية باسم (عائدات تحصيل الاموال) . وكانت هذه العائدات توزع كما يلي : ٢٥ بالمائة رسم اعانة (؟) والباقي (٧٥ بالمائة) يقسم إلى ثلاثة اقسام : النصف يتناوله القائمقام ، وخمسة اثمان النصف الثاني يتناوله مدير المال ، وثلاثة اثمانه يأخذه معاونه .

ولقد عثرنا على الكشف التالي وهو يبين الضرائب التي جبيت من قضاء غزة في سنة ٣١٠ رومية [٢] (١٨٩٤ م) :

---

(١) كان الناس يسمون هذه الضريبة (الكروسة) . لأن القصد منها كان تعبيد الطرق وتمهيدها لسير العربات ذوات العجلات ، أو ما يسمونها (الكروسة) .

(٢) كانت الحكومة التركية تعتبر التقويم الشرقي (أو الرومي) وظلت كذلك حتى عام ١٣٣٢ رومي (١٩١٧ م) إذ أمرت باستبداله بالتقويم الميلادى . فأغلقت حساباتهـا فى ١٥ شباط ١٣٣٢ وفتحت فى اليوم التالي حساباتها الجديدة مؤرخة ١ آذار ١٩١٧

بارة	قرش تركي	
٢٦	١١٩٧٧٠٤	ويركو
١٠	٩٩٢٨٢	تمتع
٢٠	١٧٠٠٠	تجهيزات عسكرية
	٩٥٧٥	تذاكر ويركو
٢٠	١٧	ثمن طوابع
٣٥	٩٦٥٧	معارف
٣١	١٣٣٣٢٣٧	

		بارة	قرش تركي		
		١٠	١٧٣٩١	درج	اعشار
			٣٤٧٨٤	زيتون	اعشار
			٢٤٦٥٢	جديدة	اعشار
			٢٦٥٢٢	تركمان	اعشار
			٢٦٢٦١	تفاح	اعشار
		١٠	١٢٩٦١٠		
	١٤٤٧٥١٩	٣٠	١٣١٧٩٠٨	قرى غزة	
٣١	٢٠٧٨٠٠٧٥٦				

وقد ارتفعت هـذه الضريبة بعد ذلك بعشرة اعوام فبلغت في سنة ٣٢٠ رومية (٩٠٤ م) ثلاثة ملايين وثلاثمائة وتسعة وثلاثين الف وثمانمائة قرش وقرش واحد ، وعشرين بارة بالتمام . كما ترى ذلك في البيان (١) التالي :

بارة	قرش تركي	
٥	١٢١٣١٨٣	ويركو الاملاك والعقارات
٢٠	٧٤٨٧٩	ويركو التمتع

(١) عثرت عـلى هذا البيان بين اوراق المرحوم دهده فرح أحد موظفي المالية فى العهد التركي . ولقـد آثرت نقله بحذافيره دون تحريف في كلماته .

	قرش تركي	بارة
بدلات عسكرية (١)	٢٠٣٣٤	١٠
رسوم الاغنام	٨٥٢٠٠	
بدلات الاعشار (٢)	١٥٧١٥٢٢	٣٥
حاصلات الاعشار (٣)	١٣٣٦٠	١٥
رسوم متنوعة (٤)	٦١٨٣٥	
بدل اجارات	٦٤٨٠	
أثمان تذاكر (٥)	١٨٠٠٠	
معارف	١٠٥٦٦	١٥
تجهيزات	١٧٨٣٨٠	
حيوانات	٨٦٠٦٠	
٣٣،٣٩٨ ليرة عثمانية =	٣،٣٣٩،٨٠١	٢٠

٣٥ — وأما من الوجهة الادارية فقد كانت غزة يومئذ مركزاً لقائمقامية تابعة لسنجق القدس المستقل وكان في هذا المركز قائمقام تابع للمتصرف المسؤول عن سنجق القدس المذكور. وكان هذا المتصرف يخابر وزير الداخلية في استانبول رأساً. ومن قائمي المقام الذين تولوا ادارة غزة في زمن السلطان العثماني عبد الحميد: حسن بك بدرخان وهو تركي من استانبول، وخلوصي باشا، وجمال بك وهو الذي اضطهد المفاتي ونفاهم الى الاناضول، وابراهيم لطفي باشا.

---

(١) كانت هذه الضريبة تجمع من مسيحي غزة ومن يهود قطرة وبيار تعبيا بدلا من الخدمة العسكرية، وذلك عند بلوغ الواحد منهم سن العشرين.

(٢) كانت هذه الضريبة تجبي من (الملتزمين) تلقاء العشر الذى يجمعونه من المزارعين.

(٣) هذا هو العشر الذى كان يجبي عن الزيت والزيتون.

(٤) لست أدرى القصد من هذه الرسوم. وانما اظن أنها الغرامات التي تفرضها المحاكم وأثمان الاموال المصادرة. ومن يدرى؟ لعلها تشمل ايضاً ضريبة الكروسة أو اجور البرق والبريد، لأنها لم تذكر في موضع آخر من هذا البيان.

(٥) ان المبالغ التي تجبى من هذا البند كانت تخصص للبارجة (حميدية) والخط الحجازى الحديدى.

كان عدد السكان في مدينة غزة في ذلك الحين ٢٦٠٩٩ نصفهم ذكور والنصف الآخر اناث . واما من حيث الديانة فاكثرهم (٢٥٠٠٠) مسلمون ، والباقون روم (١٠٥٥) ولاتين (٣٦) ويهود (٣٣) . واما القرى التابعة الى غزة (بما فيها المجدل والفالوجة وخان يونس) فانه كان يعيش فيها ٥٦٥٨٨ نسمة . اي ان مجموع نفوس القضاء كان ٨٢٦٨٧ نسمة .

وكان عدد القرى المعتبرة من اعمال قضاء غزة ، في العهد التركي ، سبعاً وستين تقسم إلى اربعة مراكز (او نواح) بالشكل الآتي :

آ. مركز غزة	ب. مركز خان يونس	ج. مركز المجدل	د. مركز الفالوجة
١ غزة	١ خان يونس	١ المجدل	١ الفالوجة
٢ جباليا	٢ بني سهيلة	٢ حمامة	٢ كرتيا
٣ النزلة	٣ عبسان (١)	٣ الجورة	٣ حتا
٤ بيت لاهيا	٤ دير البلح	٤ الخصاص	٤ صميل
٥ بيت حانون		٥ نعليا	٥ جسير
٦ دير اسنيد		٦ بيت عفا	٦ بعلين
٧ دمرة		٧ عبدس	٧ عراق المنشية
٨ نجد		٨ عراق سويدان	٨ حليقات
٩ سمسم		٩ كوكبا	٩ تل الترمس
١٠ برير		١٠ بيت طيما	١٠ ياصور
١١ بيت جرجا		١١ جولس	١١ القسطينة
١٢ هوج		١٢ بيت دراس	١٢ المسمية
١٣ بربرة		١٣ سوافير عوده (٢)	١٣ ادنبة (٤)
١٤ هربيا		١٤ سوافير مبالقة (٣)	١٤ بيار تعبيا

---

(١) شطرت عبسان في عام ١٩٣٣ إلى شطرين : عبسان الكبير، وعبسان الصغير.

(٢) هي (السوافير الشرقية) في يومنا هذا .

(٣) هي (السوافير الغربية) .

(٤) فصلت هذه القرية عن قضاء غزة، والحقت بقضاء الرملة. وكان ذلك بتاريخ ١٩٣٣

آ . مركز غزة ب. مركز خانيونس ج. مركز المجدل د . مركز الفالوجة

آ . مركز غزة

١٥ التفاح (١)

ج. مركز المجدل

١٥ سوافير الوقف (٢)
١٦ برقا
١٧ اسدود
١٨ بطاني شرقي
١٩ بطاني غربي
٢٠ سكرير واللالحه
٢١ الجية
٢٢ يبنا (٣)
٢٣ بشيت (٤)
٢٤ قطرة (٥)
٢٥ المغار (٦)
٢٦ زرنوقة (٧)
٢٧ قبية (٨)
٢٨ اشراف (٩)

د . مركز الفالوجة

١٥ برج الحمام (١٠)
١٦ جليا (١١)
١٧ التينة (١٢)

ه . الجفتلك

١ رفح
٢ المحرقة
٣ الكوخة
٤ الجلدية

---

(١) يظهر أن حي التفاح لم يكن يومئذ معتبراً من الأحياء التي تتكون منها مدينة غزة . بل كان يعتبر ، من الوجهة المالية ، وحدة قائمة بنفسها .

(٢) هي (السوافير الشمالية) .

(٣) — (٨) ان هذه القرى الستة فصلت عن قضاء غزة ، والحقت بقضاء الرملة . وكان ذلك بتاريخ ١٩٣٣ .

(٩) ليس ثمة قرية بهـذا الاسم . وانما هى قطعة من الارض تابعة لقرية هربيا . اعتبرت فى العهد التركي وحدة مستقلة من وجهة مالية .

(١٠) ليس ثمة قرية بهـذا الاسم . وانما هي قطعة من الأرض تابعة لقرية المسمية الكبيرة . اعتبرت فى العهد التركي وحدة مستقلة من وجهة ماليـة . ذلك لأن اراضيها اميرية . مع أن المسمية من الاراضي الموقوفة .

(١١) — (١٢) ان هاتين القريتين فصلتا عن قضاء غزة والحقتا بقضاء الرملة عام ١٩٣٣ .

وكانت الآلة الحكومية في غزة مؤلفة من عدة مصالح ، منها : الادارة (الداخلية) ، والمالية ، والعدلية (المحاكم النظامية) ، والشرعية ، والمعارف ، والطابو ، والنفوس ، والبرق والبريد ، والجمارك ، والبنك الزراعي ، والديون العمومية ، والعسكرية وهي ثلاثة فروع : النظامية ، والضبطية ، والجندرمة . ويمثل هذه الدوائر عدد من الموظفين منهم واولهم القائمقام . فقد كان هذا المثل الأعلى للحكومة . وكان رئيساً لمجلس الادارة . وعليه ترتكز جميع الاعمال والمشاريع الحكومية . وهو من الدرجة الثانية . وراتبه سبع عشرة ليرة ونصف في الشهر . وكان في ديوانه كاتب او كاتبان فقط .

وكان فيها مدير للمال وراتبه ثمانمائة قرش تركي ، ومعاون لمدير المال ، ورفيق للمعاون ، وكاتب لويركو القرى . وكانت الجباية في بادىء الامر من وظائف الجندرمة ، ثم احيلت إلى «التحصيلدارية» . فعين لغزة تحصيلداران (١١ ربيع الاول ٣٠٩) واحد من المشاة (بيادة) وآخر من الفرسان (سواري) .

وكان راتب (التحصيلدار) ثمانين قرشاً ثم ارتفع إلى مئة وثلاثين . وكان الخيال يتقاضى تسعين قرشاً لقاء علف حصانه .

وقد زيد عدد الجباة عام ٣١٦ رومي فأصبحوا ثمانية . ثم زيد عددهم عام ٣١٨ رومي فأصبحوا اربعة عشر (ثمانية فرسان وستة مشاة) . وكان في المدينة بضعة افراد من الشرطة للتحقيق في القضايا ، وقومسير واحد برتبة ضابط . واما افراد الجندرمة فقد كانوا تسعين : ستون منهم فرساناً وثلاثون مشاة . وكان على رأسهم ثلاثة ضباط : واحد برتبة يوزباشي والثاني ملازم اول والثالث ملازم ثان . ومهمتهم تعقيب الاشقياء وتوطيد الأمن .

وكانت في غزة محكمة شرعية يرأسها قاض شرعي . وكان هذا ينقل من قضاء إلى آخر مرة في كل سنتين . كما كانت فيها (محكمة بداية) يرأسها القاضي الشرعي . وفيها عضوان ينتخبهما السكان : احدهما مسلم والآخر مسيحي . وكان على هؤلاء السكان ان يختاروا هذين الاثنين من ستة يرشحهم القائمقام : ثلاثة مسلمون وثلاثة مسيحيون . وكان من اختصاص هذه المحكمة ان تنظر في القضايا التي ترفع اليها سواء أكانت هذه جزائية ام حقوقية بحتة . وكانت احكام هذه المحكمة تستأنف إلى محكمة اعلى منها وهي محكمة الاستئناف بالقدس .

وكانت فيها دائرة للبوسطة والتلغراف (البريد والبرق) على رأسها مدير ، وله ثلاثة

مساعدين : موزع ، وموظفان لتعمير الخطوط البرقية .

ودائرة للجمرك تابعة للخزينة ، يرأسها مأمور . ولديه كاتب وغفيران يطلق على الواحد منهما لقب (ورديان) .

وكان فيها مأمور طابو مهمته تسجيل معاملات البيع والانتقال في الاراضي والاملاك . ومأمور نفوس مهمته تدوين الولادات والوفيات ، ويساعده في مهمته هذه رفيق . ولديهما كاتب لتدوين الوقائع .

ومأمور للبنك الزراعي ، وله رفيق ايضاً .

وكان فيها مجلس للمعارف يرأسه المفتي او احد وجهاء المدينة . ومعه اربعة اعضاء نخريين من الاهلين وكاتب . وقد عهد لهذا المجلس بادارة الشؤون المدرسية . وعلى ذكر الشؤون المدرسية نقول انه كان في غزة يومئذ مدرسة ابتدائية يقال لها (مكتب رشدية) وهى ذات اربعة صفوف . وفيها معلمان واحد لتعليم اللغة العربية والثاني لتعليم اصول الدين . كما كان فيها عشرة كتاتيب ابتدائية لتعليم القرآن والحساب ومبادىء العلوم .

وكانت في غزة دائرة عرفت باسم (الديون العمومية) وعلى رأسها مأمور عهدت إليه مهمة إصدار رخص الصيد في البر والبحر ، والملح، والطوابع بجميع انواعها. وتحت امرته كاتب وثلاثة محافظين (ورديانية) اثنان منهم من الفرسان وواحد من المشاة .

وكانت فيها دائرة اوقاف يرأسها احد الوجهاء وكاتب وبعض الاعضاء .

وجميع الدواوين والمصالح المتقدم ذكرها كانت تعمل بارشاد مجلس كان يدعى (مجلس الادارة) . وهو مؤلف من القائمقام رئيساً ، ومن كاتب التحريرات سكرتيراً ومن القاضي والمفتي ورئيس الطائفة المسيحية ومدير المال اعضاء طبيعيين ، ومن اثنين مسلمين وآخرين مسيحيين اعضاء منتخبين من الاهلين . وكانت مهمة هذا المجلس تتلخص في مراقبة الاعمال والمصالح العمومية، وتقرير الالتزامات، وانشاء الطرق والمدارس ، وتنظيم الميزانية ،وصيانة الأمن ،والبحث في كل ما يعود على المدينة والقضاء كله بالخير والنفع .

وإليك مجموع الرواتب الشهرية التي تقاضاها (١) موظفو الحكومة في غزة من الخزينة خلال عام ٣٢٠ رومي (١٩٠٤ م) :

---

(١) عثرنا على هذه الارقام بين مذكرات المرحوم دهده فرح .

بارة	قروش	
	٢٣٢٦	رواتب القائمقام وموظفي الادارة المركزية
	١٤٤٠	رواتب مديري النواحي
١٠	١٩٢٣	رواتب المالية
	٥٦٠٠	رواتب محصلي الاموال
٢٠	١٧٣٤	رواتب العدلية
٢٠	٩١٦	رواتب الشرعية
١٥	٢٢٢٧٢	رواتب النظامية
٢٥	٨١١	رواتب الضبطية
	١١٠٣٥	رواتب الجندرمة
	٧٧٦	رواتب الذاتية
	٨٧٠	رواتب المعارف
	٤٠٠	رواتب الموقوفين والمحبوسين
	٢٨٠٠٠	مخصصات العقبة
	٨٣١	مخصصات المتقاعدين الملكيين
١٥	٧١١٠	مخصصات المتقاعدين العسكريين
١٠	٩٥١	معاشات الارامل والايتام
٣٥	٨٦٩٩٧=٨٦٩ ليرة عثمانية	

٣٦— ولم يكن في غزة يومئذ نواد ولا جمعيات . ولا كان فيها من يفكر بالسياسة قط . وكان الحكم في البلاد مطلقاً ، لا يستند على اساس من الشورى . وظلت الحال على هذا المنوال الى ان نمت في البلاد العثمانية كلها فكرة الاصلاح .

ونضجت هذه الفكرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني فقامت (جمعية الاتحاد والترقي) وهي تضم بين اعضائها رجالا من الأتراك والعرب ومن جميع العناصر الاخرى ، وأعلنت الدستور العثماني (٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨) الذي ضمن لجميع العناصر التي كانت تعيش تحت ظلال الراية العثمانية الحرية والمساواة والأخاء ، وضمن للبلاد كلها حرية القول والفكر والاجتماع . وقد خلع السلطان عبد الحميد من الحكم ، واجلس مكانه اخوه السلطان رشاد بن السلطان عبد المجيد .

وقد اشتركت غزة في هذا الانقلاب . وأسس الزعماء فيها فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي ، وكان هذا الفرع مؤلفاً من السادة : أحمد عارف الحسيني ، والحاج سعيد الشوا ، ومحمد الصوراني ، وحسني خيال ، وخليل بسيسو ، والشيخ محي الدين عبد الشافي . وكان رئيسه ضابط عربي من ضباط الجيش التركي يسمى (سنوسي بك) .

وقد سادت المدينة موجة من الفرح ، وأخذ الناس يهنىء بعضهم بعضاً ، لأن الظلم والاستبداد قد رفعا وحل مكانهما العدل والدستور . وانعقد البرلمان الجديد (مجلس مبعوثان) وفيه ٢٧٣ نائباً سبعون منهم عرباً . ومن هؤلاء ثلاثة كانوا يمثلون لواء القدس . وكان أحد هؤلاء الثلاثة أحمد عارف الحسيني من غزة .

والقائمقام الأول الذي تولى إدارة غزة بعد ذلك (أي في عهد الدستور) فريد بك العمري وهو شامي الأصل .

وقد تولى إدارة غزة بعده القائمقام محمود نديم بك التركي ، فعارف بك وكان هذا ايضاً تركياً ، فأحمد بك اليوسف من الشام ، فابراهيم بك ، ففريد بك خورشيد وهو تركي تعرب مع الزمن ، فمعين بك المرعي من دنادشة عكار . وكان هذا آخر قائمقام تولى إدارة غزة في العهد التركي .

وقصارى القول اشترك العرب والأتراك معاً في الانقلاب العثماني ، وامل العرب خيراً من هذا الانقلاب ، وظنوا انه سيصلح في بلادهم ما أحدثته الحروب الماضية والفتن المنصرمة من خراب .

٣٧ — ولكن سرعان ما انقلبت الآية ، وخاب الرجاء ؛ وشعر العرب ، بأن رجال تركيا الفتاة وان كانوا يتظاهرون بالعمل لاتحاد العناصر وتأييد السلطنة العثمانية ، إلا أنهم في الواقع وحقيقة الأمر كانوا يتآمرون على هذه العناصر ، ويسعون لإذلالها . وقد أخذ هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم في تقوية العنصر التركي عملاً بوحي الفكرة القومية الطورانية ، ظناً منهم بأن ذلك أنفى للخطر وأدعى إلى تماسك اجزاء السلطنة واتحادها .

عندئذ بدرت بوادر الخلاف العنصري بين العرب والترك . ونما هذا بنمو فكرة الاستقلال عند العرب ، وقام هؤلاء يسعون إلى ذلك ولكن بالسر لا بالجهر . إذ كانوا يخشون بطش الأتراك . وقد تألفت خلال تلك الفترة (١٩٠٨ — ١٩١٣) جمعيات عربية عديدة في الآستانة وباريس والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد . في

الآستانة تأسست (جمعية الأخاء العربي) و (جمعية العهد) و (المنتدى الادبي)[١] و (العـلم الأخضر) ؛ وفي باريس (الجمعية العربية) أو (الفتاة) ؛ وفي مصر والآستانة معاً (الجمعية القحطانية) ؛ وفي القاهرة جمعية (الجامعة العربيـة) و (حزب اللامركزية العثماني) ؛ وفي بيروت (الجمعية الاصلاحية) ؛ وفي البصرة (الجمعيـة الاصلاحية) ؛ وفي بغداد (النادي الوطني العلمي) ؛ وغيرها . وقد كان لبعض هذه الجمعيات فروع في غزة ، وكان في عداد اعضائها عدد من الغزيين . وكانت هذه النوادي والجمعيات راضية في بادىء الأمر بأن يكون العرب والأتراك الذين يعيشون تحت ظلال الراية العثمانية متساوين في الحقوق والواجبات . حتى أن المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٣ والذي كان ممثلاً لجميع النوادي والجمعيات العربية المتقدم ذكرها اكتفى بأن حصر مطالبه بالبنود التالية :

آ   الاصلاح ضروري للمملكة العثمانية .
ب   يجب أن يتمتع العرب بحقوقهم السياسية ، وذلك باشتراكهم في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .
ج   يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة مركزية .
د   يجب توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين اجانب .
هـ   يجب أن تعتبر اللغة العربية في مجلس النواب العثماني ، و أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .
و   تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، إلا في ظروف استثنائية .

وقد كان لهذا المؤتمر بعض التأثير عـلى الحكومة التركية . فقد صدر يوم ٣ اغسطس ١٩١٣ مرسوم سلطاني جاء فيه :

آ   يعهد بإدارة الأوقاف إلى مجالس الجماعات في الولايات .
ب   يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في بلادهم . وللدولة متى رأت لزوماً لذلك أن ترسلهم إلى حيث تشاء من غير قيد ولا شرط .

---

(١)   انشىء فى الآستانة عام ١٩٠٩ وكان مؤلف هـذا الكتاب عضواً فى لجنته الادارية . كما كان السادة رشدى الشوا وعاصم بسيسو ومصطفى الحسيني ومحمد بسيسو من ابناء غزة اعضاء عاملين فيه . وكان يقيم بين جدرانه ألف عضو ويزيد كلهم من الشبان المثقفين الذين أموا الآستانة من جميع انحاء البلاد العربية بقصد التحصيل .

ج يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها هذه اللغة ، مع جعل تعليم اللغة التركية إجبارياً .

د يعرف للوظفون في البلاد العربية اللغة العربية عدا اللغة التركية .

هـ تعين الحكومات المحلية الموظفين من الدرجة الثانية . وأما الذين يعينون بإرادة سنية ، فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الآستانة .

إلا أن الحكومة المركزية أخذت تخاتل في تنفيذ هذه البنود ، كما أخذت فكرة الاستقلال تنمو وتنتشر بين العرب . فأخذت هذه النوادي والجمعيات تغير وجهتها ، وتصيح بملء شدقيها : « انها تبغي استقلال العرب ولا ترضى به بديلاً » . وكان في بعض هذه النوادي والجمعيات عدد من الغزيين . ولا سيما في جمعية (العلم الأخضر) التي انشئت في الآستانة خلال شهر ايلول سنة ١٩١٢ . فقد كان إثنان من مؤسسيها وهما عاصم بسيسو ومصطفى الحسيني من ابناء غزة . وقد اصدرت هذه الجمعية مجلة باسم (لسان العرب) كانت الغاية من تأسيسها « انتشال العرب من الوهدة التي سقطوا فيها » .

٣٨ — ولقد اقلقت هذه الجمعيات بال الأتراك فعقدوا في ٢٤ يناير سنة ١٩١٤ (١) اجتماعاً في وزارة الحربية بالآستانة حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، ومحافظ الآستانة العسكري أحمد جمال باشا ، ومدير الأمن العام عزمي بك . فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية ، وقاموا بعد ذلك باقصاء الضباط العرب المقيمين في الآستانة وعددهم يومئذ ٤٩٠ ضابطاً إلى المناطق التركية ، وعهدوا بقيادة الجيوش المرابطة في البلاد العربية إلى ضباط من الأتراك ، وقرروا الغاء الأحزاب العربية كلها ، وتعزيز النفوذ التركي في البلاد العربية . وتنفيذاً لهذه السياسة ارسلوا إلى سوريا أحمد جمال باشا وقد كان هذا يومئذ وزيراً للبحرية وقطباً من اقطاب الاتحاديين. فعهدوا إليه بقيادة الجيش الرابع الذي كان مقره دمشق . بعد أن انتزعوا قيادة هذا الجيش من الفريق زكي باشا الحلبي العربي الذي انتدبوه مرافقاً لامبراطور الألمان غليوم . . . قام جمال باشا بتنفيذ الخطة التركية الجديدة بحذافيرها ، فمزق الكتائب العربية كل ممزق ، وشتت رجالها فبعث بهم إلى البلاد التركية النائية . وألف في (عاليه) من أعمال جبل لبنان ديواناً عسكرياً عرف فيما بعد (بديوان

---

(١) (الثورة العربية الكبرى) لأمين سعيد .

عاليه) . فساق إليه جميع شبان العرب ورجالاتهم الذين اشتغلوا قليلاً أو كثيراً للقضية العربية . فحوكم هؤلاء محاكمات مختلفة : بعضها حقيقي والبعض الآخر صوري. وكان اعضاء هذا الديوان (أو المحكمة) يتلقون الوحي من الطاغية جمال الذي لقب عن جدارة واستحقاق بالسفاح . وقد ادانوا عدداً كبيراً من رجال العرب الأحرار فقضوا عليهم بالاعدام . ونفذ فيهم الحكم شنقاً لا لذنب اقترفوه سوى حبهم لوطنهم . وقد شنق بعض هؤلاء في بيروت ، وبعضهم في دمشق ، والبعض الآخر في القدس . وكان بين الذين شنقوا إثنان من غزة هما : المرحوم أحمد عارف الحسيني ، وولده مصطفى . وكاد اثنان آخران من أبناء غزة يلحقان برفيقيهما المشنوقين ، لو لا اعجوبة حدثت فانقذتهما . فاطلق سراحهما ، وهما : رشدي الشوا وعاصم بسيسو . إذ كان المرحوم الحاج سعيد افندي الشوا ، والد الأول وقريب الثاني ، مقرباً من جمال باشا لما أسداه (١) من خدمات كثيرة للجيش التركي اثناء تراجعه عن القناة .

ولم يكتف جمال باشا بعدد الذين شنقهم أو سجنهم من أحرار السوريين والفلسطينيين والعراقيين ، فقد أمر بنفي عدد آخر منهم ونفاهم بالفعل (١٩١٦ م) رجالا ونساء واطفالا إلى انحاء مختلفة من بر الأناضول . وكان بين هؤلاء المنفيين عدد غير قليل من الغزيين نذكر منهم السادة : سعيد الحسيني ، ورشيد ابو خضرة ، والحاج سعيد ابو رمضان ، ومحمد ابو رمضان ، وأحمد حلاوة ، وحسني خيال . فقد نفي الأول إلى آق شهر ، والثاني إلى قونية ، والثالث والرابع إلى سبارطة ، والخامس والسادس إلى قونية (٢) .

٣٩ — بيد أن هذه التدابير التي اتخذها جمال باشا ما كانت لتلين من قناة العرب، بل زادتهم كرهاً للحكم التركي ، وميلاً لاستقلال بلادهم . إذ ما كاد الشريف حسين شريف مكة يضرم نار الثورة العربية في الحجاز ، ويعلن استقلال البلاد العربية حتى

---

(١) (الثورة العربية الكبرى) لأمين سعيد .

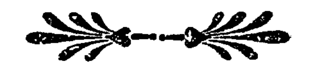
(٢) رجع هؤلاء المنفيون من المنفى عام ١٩١٨ فذكروا أن الأتراك عاملوهم فى منفاهم معاملة حسنة فقدموا لهم منازل مجانية ، وانقدوا كل واحد منهم راتباً قدره عشرون قرشاً تركياً فى اليوم .



شريف مكة — الملك حسين

لبى دعوته عدد كبير من رجال العرب ، ولا سيما اولئك الذين كانوا يعملون في الجيش التركي . فقد أخذ هؤلاء يفرون من قطعاتهم زرافات ووحداناً ، ويلتحقون بالجيش العربي الذي كان يقوده الحسين وأولاده الامراء : علي ، وفيصل ، وعبدالله ، وزيد .

الأمر الذي كان له تأثير على موقف الدولة التركية تلك الدولة الـتي تقلص ظلها في هـذه البلاد إلى أن زال عنها بالمرة . وقام مقامه الاحتلال الانـكليزي، وسنأتي على ذكر ذلك في الفصول التالية .



غزة ونابليون

عندما وطد نابليون اقدامه في مصر ، أخذ يفكر في الاستيلاء على فلسطين وسوريا . فغادر مصر في ربيع (١٢١٣ هـ — ١٧٩٩م) ، واجتاز الصحراء ثم أمّ غزة بصفتها أهم مركز حربي واقتصادي في نظر الجيوش التي تعبر الصحراء . إذ أنه كان يعتقد انها ذات قيمة حربية من حيث الدفاع عن مصر و (وادي النيل) . حتى انه قال عنها في هذا الصدد : « انها المخفر الأمامي لأفريقيا وباب آسيا » .

٢ — وقبل أن يشتبك بقتال فيها أو حولها أذاع منشوراً نقتبس منه الشذرات التالية : (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين »

« من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنسية إلى كافة المفتين والعلماء وكافة أهالي نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله . بعد السلام نعرفكم انا حررنا لكم هذه السطور لنعلمكم انا حضرنا إلى هذا الطرف بقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم . وإلى إي سبب حضور عسكر الجزار ، وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت في حكمه ؟ إلى أي سبب أرسل عسكره إلى قلعة العريش ؟ بذلك هجم على أرض مصر فلا شك كل مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه » .

وبعد أن أمنهم على ارواحهم وعيالهم قال :

« وقصدنا أن القضاة لا يتركون وظائفهم ، وأن دين الإسلام لا يزال معتزاً ومعتبراً ، والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . والذي يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذي يتظاهر لنا بالغدر يهلك » .

إنه وان قال في البيان الذي أذاعه على السكان إنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا

---

(١) راجع كتاب (إسلام نابليون) ليعقوب العودات الملقب بالبدوى الملثم . وكتاب (فتح مصر الحديث) لأحمد حافظ عوض . ويعتقد أحمد حافظ عوض أن التركيب الركيك الذى يلاحظه المرء فى هذا المنشور من انشاء (فنتور) المستشرق الذى صحب نابليون في حملة سوريا ومات أمام عكا بالطاعون ، أو انه من بعض كتبة الدواوين الذين أخذهم معه .

ليقهر الجزار الذي استولى على غزة والعريش ، إلا أن الغاية التي كان يرمي إليها هي الحيلولة دون رجوع مصر إلى أحضان تركيا ، وعقد محالفات دفاعية مع الطوائف والأقوام المنتشرة في سوريا ضد الأتراك . ولقد كان يعتقد أيضاً ان من يحتل مصر لا يكون آمناً عليها إلا إذا احتل سوريا . أضف إلى ذلك أن الضعف كان ظاهراً في إدارة البلاد العثمانية كلها من اولها إلى آخرها . وكانت البلاد مفتحة الابواب خالية من أسباب الدفاع .

٣ — كانت حملة نابليون مؤلفة من ١٣٠٠٠ مقاتل . وكان هو مع هذه الحملة ، ومعه كل من الجنرال (مرات) Murat والجنرال (منو) Menou والجنرال (كليبر) Kléber والجنرال (دوكوا) Dugua والجنرال (لان) Lannes .

٤ — عندما بلغ أحمد باشا الجزار قدوم الجيش الفرنسي من مصر ، أسرع بتدبير ما يحتاج إليه في الحصار . وحصن يافا ثم امتد إلى مدينة غزة بعساكره وعشائره ووصلت جيوشه العريش . ولكن الفرنسيين احتلوا العريش بعد حصار دام ثمانية أيام ، ثم ساروا إلى خانيونس ، ومنها إلى غزة ، وعلى مقربة منها اصطدم الجيشان : جيش نابليون ، وجيش عبدالله الجزار (الغز) . وكان ذلك في ٢٥ من فبراير سنة ١٧٩٩ . فكان النصر في هذه المعركة حليف نابليون .

وقد جاء في مذكرات نابليون عن هذه المعركة ما يأتي :

« يممنا في صبيحة اليوم التالي غزة ، فوجدنا ثلاثة آلاف خيال يسيرون في اتجاهنا . وكان على رأس خيالتنا الجنرال مرات ، فسار الجنرال كليبر في الجناح الأيسر ، وساعد الجنرال لان مؤيداً فيلق الخيالة بكتيبة من المشاة . وحملنا على الأعداء حملة شعواء ؛ فانكسروا فوراً ، وأخذوا يتقهقرون إلى الوراء » .

٥ — دخل الفرنسيون غزة بعدئذ دون أية مقاومة، فاستولوا على كميات كثيرة من المؤن والذخائر والمهمات الحربية التي وجدوها فيها . وكان بين هذه الغنائم ستة مدافع . وقد جاء في خطط الشام : « أن نابليون وجد في غزة عند احتلالها حواصل وذخيرة من بقسماة [1] وشعير واربعمائة قنطار بارود واثني عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً من الخيام وكللا وقنابل ، فحاز الجميع » .

---

(١) خبز ناشف أو ما نسميه في يومنا هذا (قرشلة) .

ولم تكن في غزة يومئذ اية قوة حاكمة . حتى ان الضرائب جيبت باسم نابليون من لدن شخص اعتيادي .

٦ — وفي عهد نابليون قضي على البقية الباقية من سور غزة ، وخرب جامع (البيمارستان) و (جامع الجاولي) و (مدرسة قايتباي) و (المدرسة الكمالية) و(جامع القلعة) (١) و (زاوية الشيخ محمد ابي العزم) .

٧ — وقد غادر نابليون غزة في ٢٨ شباط سنة ١٧٩٩ لافتتاح فلسطين ، فاحتل الرملة ، ثم يافا . وقد كان بيافا قوة كبيرة من عسكر الجزار والمماليك تقدر بنحو اثنى عشر ألف . ولكنه سلط عليها مدافعه الكبيرة فاحتلها ، واستباح حماها . ويقول مشاقه انه « قبل أن يغادر يافا إلى عكا أمر بقتل الاسرى الذين وقعوا في قبضته ثلاثاً : في العريش وفي غزة وفي يافا ؛ وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف حنق عليهم ، وزعم انهم لا يراعون ذمة ، ولا يحترمون الشرف العسكري . فأمر جنوده باطلاق النار عليهم ، ولم يواروهم التراب ، وبقيت اجسامهم طعاماً للطيور ، وظلت رفاتهم مكشوفة مدة » .

٨ — ثم سار نابليون إلى حيفا ، فاحتلها . وفي ١٩ مارس ١٧٩٩ وصل عكا ، فحاصرها . وكان الجزار قد تحصن فيها . وقد دام الحصار حولها ستين يوماً إلا أن نابليون لم ينل منها شيئاً ، فارتد على اعقابه خاسراً . وما كان نابليون ليولي الادبار لو لا أن ظهر الطاعون بين جنده ، فمات منهم خلق كثير . وهلك بعض قواد الفرنسيين على اسوار عكا مع جملة صالحة من جندهم . كما انه طرأ على مركزه في فرنسا أمر اضطره للرجوع إلى بلاده . وكانت انكلترا هيجت ملوك الفرنج على فرنسا . فاضطر الفرنسيون أن يرجعوا عن عكا ، بعد أن فقدوا على اسوارها ٣٥٠٠ جندي . ومات في الطاعون ، وعلى الطريق ، ما ينوف على الألف .

٩ — ولم يذكر التاريخ انسحاباً مقروناً بالفشل والخسائر والمشاق مثل انسحاب نابليون من عكا (١٧٩٩ م) ، وانسحابه بعد ثلاثة عشر عاماً من موسكو (١٨١٢ م) . فقد نابه وجنده في انسحابهم من عكا العطش ، والقيظ ، وشمس الصحراء المحرقة ؛ وفي

---

(١) محل دائرة الاوقاف اليوم .

انسحابهم من موسكو الثلج ، والبرد القارص ، وزمهرير روسيا . وقد اغتاظ لفشله هذا غيظاً شديداً حتى قيل عنه انه كلما وصل إلى قرية أو بلد من البلاد أو القرى الواقعة على الطريق أمعن فيها قتلا ونهباً وسلباً . ولما كانت وسائل النقل قليلة لديه(١) لا تكفي لنقل جنوده كلهم(٢) فقد اقترح على اطبائه أن يجرعوا المصابين منهم بالطاعون والامراض الاخرى السم . ولكن نابليون نفسه ينكر ذلك ويقول في مذكراته التي كتبها في منفاه (سانت هيلانة) : « إنه لم يأمر بسم المرضى ، ولكنه لو وجد نفسه مثل واحد من هؤلاء لفضل أن يتجرع السم » .

١٠ — وفي رجوعه إلى مصر في شهر مايس سنة ١٧٩٩ مر بغزة مرة اخرى . ثم غادرها إلى مصر . ولم يرجع إليها بعد ذلك الحين . وكان اثناء وجوده في غزة يقيم في المكان الذي يدعى الان (دبويا)(٣) وقيل انه نصب مخيمه مرة فوق تل المنطار .



نابليون بونابرت

١١ — كان نابليون نابغة القواد في عصره ولكنه خسر من مقامه في الشام وهي شهران كثيراً من شهرته .

---

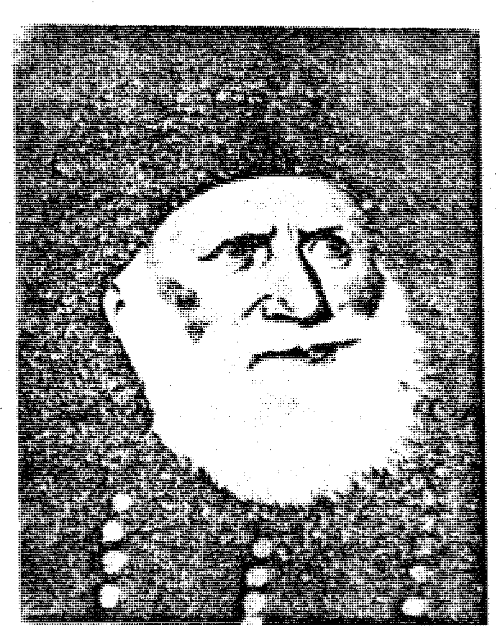
(١) يقال انه كان يمشي على قدميه في الصحراء ، فاقتدى به الضباط والخيالة تاركين للمرضى الخيول والدواب .

(٢) قيل ان الجنود الذين اشتركوا مع نابليون في حروبه هذه ثلاثة عشر ألفاً ، لم يرجع منهم سوى سبعة آلاف .

(٣) انظر الى الصفحة ١٧٧ من هذا الكتاب .

غزة وابراهيم باشا

كان محمد علي باشا ، مؤسس الاسرة العلوية المالكة في مصر، والياً على مصر ، تابعاً لسلطان الاتراك في الآستانة . ولكنه أراد أن يستقل ، وأن يجعل الحكم منحصراً في سلالته . ولما رفض طلبه هذا من قبل السلطان العثماني (محمود الثاني) أخذ يرتقب الفرص ليشهر الحرب عليه فكانت هذه في سنة ١٨٣١م.



محمد علي باشا

(مؤسس الاسرة العلوية المالكة بمصر)

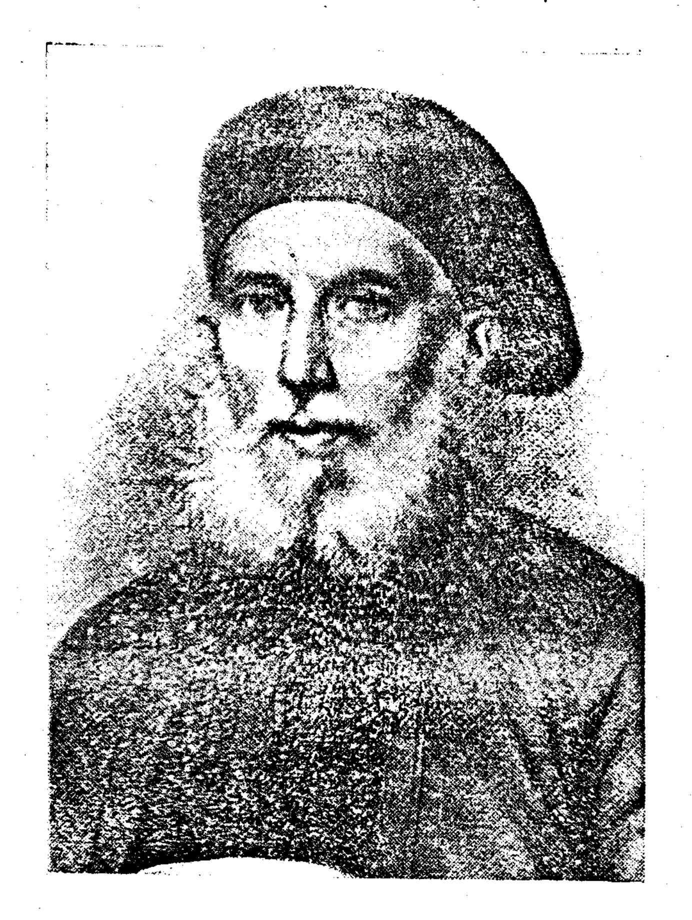
٢ — في تشرين الأول سنة ١٨٣١ أرسل إلى فلسطين بقيادة ولده ابراهيم باشا جيشاً قوامه أربعون ألف رجل ، بحجة انه يريد ان يحارب عبدالله باشا الجزار . فاحتل غزة في تشرين الثاني سنة ١٨٣١ م (١) من غير حرب. وكانت هي أول مدينة احتلها من مدن فلسطين . ثم احتل الرملة ويافا وحيفا والقدس ، الواحدة بعد الاخرى ، من غير حرب ايضاً (٢) . وقد نصب في كل منها متسلمين يقومون بادارة الاعمال فيها بالنيابة عنه .

٣ — وفي اليوم التاسع من كانون الاول سنة ١٨٣١ م وقعت الموقعة الاولى بين الجيش المصري يقوده ابراهيم باشا ، والجيش العثماني يقوده عبدالله باشا . فاضطر

(١) M. A. Meyer

(٢) حروب ابراهيم باشا في سوريا والاناضول .

هذا إلى الالتجاء إلى حصن عكا . فحاصرها ابراهيم باشا ، وضيق الخناق عليها وعلى من فيها ، إلى أن قام في يوم السبت الموافق ٢٦ من أيار سنة ١٨٣١ م بحملة عنيفة



ابراهيم باشا

عليها وعلى اسوارها . وكان معه في تلك الحملة اثنا عشر ألفاً من الجند النظاميين ، فافتتحها بعد حصار دام ستة شهور .

٤ — وتقدمت جيوشه(١) نحو الشمال فاحتلت المدن السورية الواحدة بعد الاخرى ،

---

(١) بلغت هذه يومئذ نحو ٢٠٠,٠٠٠

واحتلت الشطر الأكبر من بر الاناضول حتى وصلت إلى كوتاهيا . ثم أمت الآستانة وكادت تصل اليها لو لا تدخل الدول الاجنبية .

٥ — وقد تم الصلح بين الدولتين العثمانية والمصرية في ٢٥ من نيسان سنة ١٨٣١ م على أن يكون من أطنة إلى غزة تابعاً ولاية مصر .

٦ — ولم يمض على ذلك بضعة شهور حتى قامت ثورة في فلسطين ضد ابراهيم باشا . فما هي الاسباب يا ترى ؟

قال الكاتب المصري محمد صبري في كتابه الذي ألفه عن محمد علي باشا عام ١٩٣٠ م «أن أهل سوريا وفلسطين كانوا ينظرون إلى ابراهيم باشا نظرة تقدير واعجاب ، إذ أنه ما هبط بلادهم إلا لينجيهم من الظلم . »

وأما الاستاذ أسد رستم(١) فانه يقول «ان هناك دلائل كثيرة في المحفوظات الملكية المصرية تدل على عكس ذلك ؛ فانهم كانوا ينظرون إليه في سوريا وفلسطين نظرة بغض وازدراء ؛ حتى ان ابراهيم باشا نفسه قال في إحدى رسائله إلى ابيه محمد علي باشا (بتاريخ ٩ من ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ) ، ان أهالي سوريا وفلسطين قبلوا حكمه مكرهين ، ولم يكتسب عطفه وثقته أحد منهم سوى المسيحيين وبعض الدروز في جبل لبنان . »

أضف إلى ذلك ان محمد علي باشا أمر بجمع السلاح من الناس ، وفرض التجنيد الاجباري في البلاد . ولم تجد نصائح ابنه ابراهيم في هذا الصدد نفعاً (٢) .

وعلى قول ان الباب العالي (٣) كان يشجع الثورة ، إذ أنه كان ناقماً على محمد علي باشا ، وكان يعتبر عمله هذا تمرداً وخروجاً على القانون والنظام . فوجدت تحريضاته مرتعاً خصباً لدى وجوه البلاد واعيانها ، ولا سيما اولئك الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع قبل احتلال ابراهيم باشا لبلادهم ، فشعروا بتضاءل نفوذهم بعد ذلك الاحتلال:

---

(١) « The Royal Archives » by Assad Rustum

(٢) يقال ان ابراهيم باشا كان يرى غير رأى ابيه فى التجنيد الاجبارى، وكثيراً ما نصحه بألا يقدم على هذا العمل ، ولكن دون جدوى .

(٣) مقر الصدارة العظمى في الآستانة ، وهو مركز الحكومة كلها فى البلاد التركية.

مثل عائلة أبي غوش في جبال القدس ، والمواضي في اجزم ، والقواسم وآل جرار وطوقان وعبد الهادي في جبال نابلس ، وغيرهم .

٧ — أصر محمد علي باشا على التجنيد الاجباري ، وعلى كسر نفوذ الزعماء والمتنفذين ؛ فاجتاحت البلاد من اقصاها إلى اقصاها موجة من الاستياء انتهت بالاحتجاج الصاخب . ثم حمل الناس السلاح وأخذوا يستعدون للثورة . وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى اشتعلت نيران الثورة في الصلت ، والقدس ، ويافا ، ونابلس وفي كل مكان . وقد جرت معارك دموية بين الجند والثوار في سعير من اعمال جبل الخليل ، وسيريس وباب الواد ، ولفتا ، وبيت جالا ، وبيت لحم ، ومرج بن عامر . وأما في القدس نفسها فقد انفقد الأمن وسادت الفوضى ستة ايام ، اختفى النصارى خلالها في اديرتهم واليهود في كنائسهم ، وذبح منهم خلق كثير .

وكذلك المدينتان الواقعتان في اقصى الشمال (صفد) وفي اقصى الجنوب (غزة) فقد ثارتا . واستولى البدو الضاربون خيامهم في منطقة غزة على الامور كلها ، فأصبحوا الآمرين الناهين ، وانتشر رجالهم في جميع انحاء المنطقة يفعلون ما يشاؤون .

وأما في صفد فقد اذاع الاهلون وفي مقدمتهم القاضي والمفتي ونقيب الاشراف بياناً عطفوا فيه على مبادىء الثورة ؛ ونهبوا اليهود ، وقد قدرت خسارة هؤلاء بثلاثين الفاً من الجنيهات .

وفي الاسبوع الاخير من شهر حزيران عام ١٨٣٤ م كانت فلسطين كلها (خلا غزة والقدس ويافا وعكا) قد سقطت في أيدي الثوار . وعلى قول ان ابراهيم باشا نفسه اضطر إلى الالتجاء إلى دير الأفرنج بيافا والتحصن فيه ، فأرسل أمير اللواء علي بك حاكم غزة إلى السلطات المركزية كتاباً يحذرها فيه من سوء العاقبة ، ويشير إلى الخطر المحدق بالقيادة المصرية . وكذلك فعل سليم باشا أمير اللواء في يافا .

٨ — فأرسل محمد علي باشا على أثر ذلك ثلاث كتائب من المشاة ، وكتيبتين من الفرسان ، وألفاً من فرسان البدو . وعهد بقيادة هذه النجدة إلى اثنين من أنبغ قواده هما أحمد منكلي بك ومحمد سالم باشا . وقد ابحر هو أيضاً على رأس هذه القوة من مرفأ الاسكندرية قاصداً فلسطين .

٩ — وصل محمد علي باشا بمراكبه إلى نقطة في البحر تقابل مدينة غزة (١) في اليوم الرابع . وكان وصوله في ١٩ من صفر سنة ١٢٥٠ هـ . فطويت الشراع ، والقيت المراسي في القاع. وكان معه خمسة عشر ألفاً من الجند . ولما كانت البلدة بعيدة عن الساحل أرسل حسني افندي ليحضر كلا من علي بك وأحمد آغا ويعقوب بك لحضروا وأجروا رسوم العبودية ورجعوا . ثم ان المركب الخديوي أزمع انصرافاً نحو يافا .

١٠ — وفي يافا خرجوا إلى البر . وقام محمد علي باشا بحملته التأديبية في جبل نابلس ، وجبل الخليل، وجبل القدس، وبلاد صفد، وفي الانحاء الاخرى حيث كانت نيران الثورة مشتعلة . فأطلق سراح المسجونين من أبي غوش، وأنعم على جميع افراد هذه الاسرة؛ ونفى عدداً من وجوه القدس كالشيخ محمد علي الحسيني والشيخ عبدالله البديري إلى وادي النيل . وقد أدان حاكم يافا ، فقضى بشنقه. وسجن بعض زعماء المواضي والفاهوم وغيرهم . وقصارى القول ان كل من كان في ما مضى من اتباع عبدالله باشا طورد من قبله مطاردة لا هوادة فيها ولا رحمة .

وفي الخليل ايضاً كان النصر حليف ابراهيم باشا وجنده . وكذلك كان الحال في زيتا ودير الغصون من أعمال جبل نابلس ، وفي صانور (٢) وجنين ، والناصرة ، والقدس ، وفي كل مكان . وبعد أن تغلب على الخليل (٣) امّ غزة . وعلى قول انه سافر إلى الكرك . وقد أمر أحمد بك منكلي بالسفر إلى غزة ليسيطر بخيله على العربان ، ويسترد فيها مكانته الاولى .

١١ — ظل النضال قائماً بين الثوار الفلسطينيين والجنود المصريين حتى تم لمحمد علي باشا ما أراد : فأسس التجنيد الاجباري في البلاد، ونزع السلاح من الاهلين. وما أن تم له ذلك حتى رجع إلى مصر ، وسافر ابنه ابراهيم باشا إلى دمشق . وقد جرى في دمشق ما جرى مما لا يدخل في نطاق بحثنا هذا إلى أن اعتزم الانسحاب.

---

(١) حروب ابراهيم باشا فى سوريا والاناضول .

(٢) انها حصن آل جرار الحصين . دخله ابراهيم باشا ظافراً. وكان آل عبدالهادى حلفاءه فى ذلك الحين .

(٣) جرت معركة دموية فى شوارع الخليل كانت خسائر المصريين فيها جسيمة .

١٢ — بدأ ابراهيم باشا بالانسحاب من دمشق وكان معه ٦٢٤٩٩ جندياً . وقد لاقى هؤلاء في طريقهم من الجوع ومن كره السكان ما لا يحتاج لوصف . ولكنهم تحاشوا الاصطدام مع القوى المنتظمة أو الدخول في حرب ، فكان لهم ذلك إلا على مقربة من غزة ، فقد التقى فرسان الفريقين واقتتلا ، فانكسر المصريون ولكنهم تمكنوا من الوصول إلى غزة ، وكانت هذه لا تزال في ايديهم .

١٣ — استقبل الغزيون ابراهيم باشا وجنده ببرودة تامة : فلم يقدموا لهم اية مساعدة ولم يظهروا نحوهم أي عطف ، وكان عدد هؤلاء الجنود قد انخفض إلى عشرين ألف . وكان أكثر سكان المدينة قد رحلوا عنها قبل وصول المصريين إليها. حتى قيل ان عدد سكان غزة يومئذ لم يتعد الألفين .

١٤ — وقامت في غزة صعوبات جمة في أوجه المصريين ، فلم يتمكن إلا فئة قليلة منهم من الابحار إلى مصر. واضطر الشطر الأكبر منهم إلى الرجوع براً : بعضهم مشاة والبعض الآخر فرساناً . وبقي منهم في غزة عدد غير قليل . وكانت غزة آخر مدينة غادرها ابراهيم باشا ، كما كانت أول مدينة احتلها من المدن الفلسطينية. وقد رجعت بعدئذ إلى حضن الأتراك .

وهكذا يكون احتلال الجيش المصري لغزة في عهد محمد علي باشا قد دام ثلاثة اعوام إلا قليلا .



غزة
والاحتلال الانكليزي

قبل أن أذكر لك أيها القارىء العزيز كيف ومتى احتل الانكليز غزة ، عليّ أن اسرد بوجه الاختصار الحوادث التي سبقت ذلك الاحتلال . وإني توصلا لهذه الغاية درست بشيء كثير من التدقيق والامعان الكتب التي ألفها الفريقان المتحاربان، الاتراك والانكليز ، والتقارير الرسمية التي أصدراها بعد الحرب . وها أنا اذا الخص اقوالهما في ما يلي :

١ — كانت الغاية من مهاجمة مصر (١) إشغال الانكليز وتخفيف الضغط عن الدردنيل . وكان الأمل قوياً أن تثور مصر ومن ورائها السودان بمجرد اقتراب الجيش التركي من الحدود أو عبوره قناة السويس . فاذا تحكم الاتراك على هذه القناة عرقلوا وسائط النقل بين انكلترا والهند . فيضطر الانكليز إلى أن يجتازوا طريقاً للهند غير قناة السويس وهو رأس الرجاء الصالح . وفي هذا ما فيه من كلفة وعناء ووقت طويل.

هذا ما كان يرمي إليه الأتراك ، يعضدهم في ذلك حلفاؤهم الألمان . ولا سيما الميرالاي قرس فون قرسنشتاين الذي عين رئيساً لأركان الحرب في الفيلق الثامن. وكان هذا الفيلق الذي وجهه الأتراك لمهاجمة قناة السويس مؤلفاً من فرق المشاة

(١) راجع كتاب (فلسطين جبهه سي) ذلك الكتاب الذى اصدرته وزارة الحرب التركية بعد الحرب .

٢٣ و٢٥ و٢٧ وعدد من المتطوعين. وقد بلغ مجموع افراد هذه القوة ١٢٦٤٢ (١) جندياً. وكان مجهزاً بسرية من الهجانة، وعدد من المدافع الثقيلة والتراليوزات والبنادق السريعة الطلقات. وكان معه ٩٦٨ حصاناً و٣٢٨ ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء، وسبعة آلاف جمل. واما قائد هذه الحملة فهو جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع.

غير أن الطريق إلى قناة السويس كانت محفوفة بالمخاطر. ذلك لأنها تمر من بادية لا زرع فيها ولا ماء. حتى أن قيادة الجيش أمرت الضباط والجنود أن يقتصدوا في استعمال الماء، وأن لا يشرب الواحد منهم أكثر من ابريق في اليوم الواحد.

ولذلك كان يترتب على الأتراك أن يقوموا بعمل فجائي فور وصولهم للقناة. وكان عليهم اما أن يحتلوا القناة ويقضوا على الجيش الانكليزي الرابض وراءها، وذلك في بحر اربعة ايام من وصولهم؛ أو ان ينسحبوا إلى الوراء، إلى مكان يتوفر فيه الماء.

٢ — أخذت كتائب الاتراك تتجمع في بئر السبع حوالي الاسبوع الاخير من شهر كانون الاول لعام ١٩١٤. وفي اليوم الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٥ شرعت هذه الكتائب في الزحف ميممة قناة السويس. وكانت تزحف ليلا وتستريح نهاراً. فوصلت إلى العوجا في اليوم التالي، ثم عبرت الحدود التركية المصرية، واجتازت صحراء سينا دون أن تلقى اية مقاومة من الانكليز. إذ كان هؤلاء قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية. اختار الاتراك لزحفهم هذا ثلاث طرق: الاولى طريق الشاطيء من غزة إلى رفح فالعريش، والثانية من قلب الصحراء عن طريق بئر السبع إلى العوجا فالحدثة والحبرة، والثالثة عن طريق العقبة. وحاول الاتراك عبور قناة السويس. وقد عبرتها بالفعل قوة صغيرة مؤلفة من ستمائة جندي في مكان يدعى (طرسوم — سرابيوم) بالقرب من البحيرة المرة أمام الاسماعيلية. واستعمل هؤلاء المعديات (٢) التي هيئت لهذه الغاية. إلا أن هذه المعديات لم تكن كافية. فما

(١) كان الأتراك يمنون انفسهم بانضمام عدد كبير من المتطوعين إلى هذا الجيش وبوصول الكتائب المرابطة في الحجاز حتى يبلغ عددهم (٢٥٠٠٠٠)، ولكن امنيتهم هذه لم تتحقق.

(٢) حمل الأتراك هذه المعديات معهم عندما اجتازوا الصحراء. وقد كانت قطعاً متناثرة فركبوها عند وصولهم للقتال واستعملوها.

كاد هذا العدد الضئيل من الجنديعبرون القناة حتى تلقتهم المدفعية البريطانية بنيرانها الحامية . وكانت هذه تقذف حممها من بعض قطع الاسطول الذي كان راسياً في البحيرة المرة ؛ فصدتهم على اعقابهم ، بعد أن استشهد عدد كبير منهم واسر آخرون . ولم ينجح الاتراك في حملتهم هذه إلا نجاحاً ضئيلا هو إرغام الانكليز على أن يبقوا في الضفة الغربية ، وتخريب مدرعة انكليزية كانت راسية في القنال . فقرروا الانسحاب رغم أنف (قرس بك) الذي كان (يفضل الموت على الانسحاب) . وقد انسحبوا بالفعل إلى غزة ، تاركين وراءهم ١٣٠٠ شهيد ، وعدداً كبيراً من الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب . وأما الانكليز فانهم على قول الاتراك انفسهم لم يخسروا في هذه المعركة سوى ١٧٥ قتيل . وقد رافق جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع هذه الحملة من اولها إلى آخرها .

٣ — عندما فشل الاتراك في حملتهم الاولى هذه أخذوا يستكملون نقائص جيشهم ، ويتأهبون للقيام بحملة ثانية . فأصلحوا شؤون منازلهم على طول الطريق ، وعبدوا الطرق ، ومدوا السكك الحديدية ، واستخدموا عدداً كبيراً من الجنود كعمال لهذه الغاية . وعهدوا بهذه الاعمال كلها إلى (قيادة الصحراء) التي وضعت تحت إمرة القائد الالماني (الميرالاي فون قرس بك) . ورابطت قوة الصحراء هذه في العريش وقلعة النخل والابن . وقد اتخذت هذه الاخيرة مقراً للقيادة .



الميرالاى فون قرس الالمانى

وفيما كان الاتراك يتأهبون للقيام بحملتهم الثانية على القنال حدث في ساحات

القتال الاخرى(١) حوادث اضطرتهم للتريث في الامر . فقد اضطروا لارسال الفرق الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرين من فرق الجيش الرابع إلى الدردنيل . كما ارسلوا فرقة من فرق الفيلق الثاني عشر إلى العراق ، واخرى إلى القفقاس . ثم أخذوا من الجيش الرابع جميع المدافع السريعة الطلقات والتراليوزات التي كانت لديه . فانخفضت قوة هـذا الجيش انخفاضاً هائلا وأصبح مجموع افراده اثنى عشر طابوراً فقط .

أضف إلى ذلك الانباء التي وصلت عن نشوب ثورة في بلاد الأرمن ، والاستياء الذي كان واضحاً للعيان في البلاد العربية من جراء انتشار فكرة الاستقلال بين العرب ، والمفاوضات التي كانت تدور حول هذا الموضوع بين الانكليز وبين الملك حسين بن علي ، ذلك الملك العربي الذي ثار ضد الترك واعلن استقلال العرب.

فلم يتمكن الاتراك ، بسبب الحوادث المتقدم ذكرها ، من القيام بحملتهم الثانية على القنال قبل أن يأتيهم المدد من جهة ، وقبل أن يمهدوا السبيل إلى هذه الحملة وذلك بتعبيد الطرق وإنشاء السكك الحديدية من جهة اخرى .

٤ — شرع الاتراك في آذار عام ١٩١٥ بتعبيد الطرق من بئر السبع . وقد انتهوا من تعبيد القسم الواقع بين بئر السبع وبئر الحسنة في شباط عام ١٩١٦ . وأما السكة الحديدية فقد وصلت إلى بئر السبع في ايلول عام ١٩١٥ ، وإلى عصلوج في شباط ١٩١٦ ، ثم تم تمديدها إلى القصيمة .

٥ — ولم يكن الإنكليز بغافلين عما يفعله الاتراك في هذه الجبهة . فقد زار مصر في اواخر عام ١٩١٥م وزير الحربية البريطانية اللورد كيتشنر ، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الانكليزية التي كانت في فرنسا وسلانيك والدردنيل والهند ، فأصبح مجموع الجيش البريطاني المرابط في مصر ٣٠٠,٠٠٠ وعهد بقيادة هذا الجيش والدفاع عن مصر إلى الجنرال السر ارشيبالد موري . وأما قوة الأتراك التي كانت يومئذ مرابطة في هذه البلاد من مصر إلى اطنة فانها لم تتجاوز الاربعين ألفاً .

---

(١) كان الأتراك يحاربون خلال الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) في خمس جبهات : فلسطين ، العراق ، القفقاس ، رومانيا ، والدردنيل .

٦ — وعلى الرغم من أن المدد الذي كان يتوقعه الأتراك لم يصلهم وأن الوسائل التي كانت لديهم قليلة ، فانهم تحت ضغط الألمان الملح، ولاسيما تحت ضغط الميرالاي فون قرس بك ، قرروا القيام بحملة جديدة على القنال . فساروا ليلاً وحملوا على قطية ، والروماني حملة كان النجاح حليفهم فيها ، وكان ذلك في ٢٣ نيسان ١٩١٦.

ثم زحفوا باتجاه القنال.وكانت قوتهم في هذا الزحف مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ جندي نصفهم فقط محاربون . ولم يكن بينهم سوى كتيبة واحدة من الخيالة بينما كان لدى الانكليز ثلاثة (آلايات) من الخيالة . هذا عدا المشاة ورجال المدفعية ، والآلات الميكانيكية وما إلى ذلك .

فشل الأتراك ايضاً في هذه الحملة التي قاموا بها فجأة في الليلة الرابعة من شهر اغسطس ١٩١٦،فارتدوا على اعقابهم حتى العريش.وكانت خسائرهم في هذه المرة ألف شهيد وثلاثة آلاف اسير . وأما خسائر الإنكليز فانها على قول الأتراك لم تتجاوز ١١٣٠ قتيلا .

٧ — لقد تبدل الموقف في هذه الجبهة ، بعد فشل الحملة الثانية، تبدلاً محسوساً. فبعد أن كان الأتراك مهاجمين والانكليز مدافعين ، انقلبت الآية فأصبح الانكليز مهاجمين والأتراك مدافعين . وراح الانكليز يفكرون في الاستيلاء على فلسطين بعد أن كانوا قانعين بالدفاع عن مصر فقط .

٨ — بعد أن تم للانكليز[١] درء خطر الأتراك عن مصر وقناة السويس ، اعتزموا القيام بحركات واسعة النطاق لاحتلال فلسطين . وكان ذلك بناء على قرار اصدرته وزارة الحرب البريطانية في بداية عام ١٩١٧[٢]. ولقد صدر هذا القرار في نفس الوقت

---

(١) (The Palestine Compaigns. by Colonel A. P. Wavell)

(٢) ذلك لأن المستر لويد جورج (Mr. Lloyd George) الذى تولى رئاسة الوزارة البريطانية بعد المستر اسكويث (Mr. Asquith) فى ٧ من ديسمبر سنة ١٩١٦ كان يرى انه لا بد من اشغال الالمان فى جبهة اخرى غير الجبهة الغربية فى اوربا ، وقد ابرق إلى الجنرال ارشيبالد موری يقول : (لا بد من الحصول على نصر فى الشرق) .

الذي قرر فيه حلفاؤهم الروس أن يقوموا بقيادة الغراندوق نقولا بحملتهم على القفقاس على أمل أن يسحقوا الجيش التركي .

وما كاد قائد القوات البريطانية السر ارشيبالد موري يتلقى قرار حكومته حتى ابرق إليها طالباً تزويده بفرق اخرى من المشاة والفرسان . وكانت قوى الانكليز يومئذ مؤلفة من (٢٣٠,٠٠٠) جندي وهناك من يقول ان هذا العدد كان سبعين الفاً فقط .

٩ — وضع السر ارشيبالد موري(Sir Archibald Murray)جميع القوى(١) الانكليزية الموجودة شرقي قناة السويس تحت إمرة اللفتنانت جنرال السر تشارلس دوبل (Sir Charles Dobell) فرسم هذا خطة وافق عليها القائد العام: وهي تقضي بالتقدم إلى الأمام ، واحتلال (وادي غزة) . على أن يتم ذلك وتهاجم غزة نفسها في اواخر شهر آذار . وكان لا بد من تمهيد الطريق لأجل ذلك . وقد كانت هذه من العريش إلى غزة صلبة إلا في بعض المواقع فإنها رملية . ولكن كان في مقدور كتائب المشاة والفرسان أن تسير عليها . وأما المياه فإنها وإن كانت متيسرة في المناطق الساحلية إلا أنها لا تكفي للعدد الكبير من الجيوش التي كان عليها أن تعبر الصحراء . ولذلك كان لا بد من جر مياه النيل ، وقد جرت بالفعل بواسطة انابيب حديدية . وعهد إلى الاسطول البريطاني المعقود لواؤه للأميرال (وه ميس) بحماية هذه المناطق . وقد شرع الإنكليز في نفس الوقت يمدون السكة الحديدية شمالا ليتمكنوا من نقل جنودهم وعتادهم .

---

(١) كانت هذه مؤلفة من (آ) فيلق الصحراء (وهو مؤلف من: (١) فرقة المشاة الثالثة والخمسون و (٢) فرقة الانزاك الفرسان و (٣) فرقة الفرسان الامبراطورية) .
(ب) والفرقة الثانية والخمسون .
(ج) والفرقة الرابعة والخمسون .
(د) ولواء من الفيلق الامبراطورى للهجانة .

وأما فرقة الفرسان الامبراطورية فقد كانت مؤلفة من اللواء الثالث للخيالة ، واللوائين الخامس والسادس للفرسان اليومانيين والبريطانيين، واللواء الرابع للخيالة الاستراليين. وكان مع كل من اللواء الثالث والرابع كتائب من المستشفيات والمؤسسات الصحية التي تعمل متنقلة بين القطع المختلفة .

وأما فرقة الانزاك الفرسان فقد كانت مؤلفة من اللواء الثانى للخيالة النيوزيلانديين والآلاى الثانى والعشرين للفرسان البريطانيين .

١٠ — عندما اتصل نبأ هذه الاستعدادات بالأتراك شعروا بالخطر، فراحوا يعملون على تلافيه. وقد جاء القائد العام أنور باشا من استانبول، وعقد مجلساً حربياً حضره كل من جمال باشا وفون قرس بك للتشاور في الأمر. فقرروا تأسيس خط للدفاع بين غزة — وتل الشريعة — وبئر السبع. كما قرروا تقوية الجيش الرابع بإضافة كتائب جديدة إليه من المشاة



اللفتنانت جنرال سر تشارلس دوبل

والفرسان. ولم يكد العام الجديد يطل حتى كانت هذه الكتائب قد وصلت: فرقة الفرسان الثالثة (وقد كان معها ألفا رمح)، والفرقة السادسة عشر للمشاة من الجيش الخامس، والفرقة (٥٣) وقد جاءت هذه من حلب. فتألف من هذه الفرق الثلاثة فيلق سمي (الفيلق العشرون)، وعهد بقيادته إلى فون قرس باشا، وكان مجموع افراده ثلاثة وثلاثون ألفاً رابط نصفهم تقريباً في خط الدفاع المتقدم ذكره بين غزة — وبئر السبع.

انسحب الأتراك من العريش في ٢٠ من كانون أول عام ١٩١٦، فاحتلها الانكليز في صبيحة اليوم التالي. وفي ٢٣ احتلوا المقضبة. وفي شباط عام ١٩١٧ وصلوا إلى رفح. وفي ٢٨ من شباط احتلوا خانيونس. ومن هناك أخذوا يستعدون للزحف على غزة. وقد انسحب الأتراك إليها، وأخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعاً لا هوادة فيه.

حصن الأتراك مدينة غزة تحصيناً كاملاً من الساحل إلى تل المنطار. هذا

بالاضافة إلى أشجار الصبر والتحصينات الطبيعية الاخرى. وقد هجرها أهلها، وانتشروا في المدن والقرى المجاورة . وكان يرابط فيها بقصد الدفاع عنها آلايان من المشاة ، وأربع بطاريات من المدافع الثقيلة ، وبطاريتان من مدافع الصحراء ، وثمانية بلوكات



الضباط الاتراك الذين قادوا حامية غزة

متراليوز . وكان لدى الجميع (٣٥٠٠) بندقية . وعقد ضباط الجيش التركي مؤتمراً تشاوروا فيه ورسموا أحسن الخطط للدفاع عن غزة .

١١ — في ١٩١٧/٣/٢٠ اتخذ الجنرال دوبل (رفح) مقراً لقيادته . ثم اصدر اوامره للجند بالزحف على غزة (٢٦ آذار سنة ١٩١٧) ، وكان مجموع القوة التي اشتركت في هذا الزحف ٤٤٠٠٠ بين مشاة وفرسان . وكان على الفرقة ٥٣ أن تحاصر غزة من الجنوب . فتقدمت نحو (تل جمة) ، وتمكن جناحها الأيمن من الوصول إلى تل المنطار . وقد كان هذا التل في وضع مسيطر على المدينة وعلى السهول التي تحيط به . وطوقت فرقة الانزاك (١) الفرسان غزة من الشمال ، وتمكنت من الوصول إلى بيت حانون فجباليا . إلا أنها لم تتمكن من احتلال غزة نفسها . إذ كان

---

(١) المقصود من (الانزاك) الاوستراليين والنيوزيلانديين معاً .

الضباب كثيفاً ، وكانت النجدات العسكرية قد وصلت إلى الأتراك وهي مؤلفة من فرقة المشاة السادسة عشرة وفرقة الخيالة الثالثة . فاضطر اللفتننات جنرال شت وود (Shetwode) لاصدار اوامره بالانسحاب . فانسحب الانكليز من مواضعهم ، وكان ذلك قبل الغروب . وهناك من ينتقد امر الانسحاب هذا ، ويقول أن الانكليز لو ثبتوا قليلاً لاحتلوا المدينة . وفي الكتاب (١) الذي اصدرته وزارة الحرب الاوسترالية نقد مرير وعتاب لاذع في هذا الصدد .

إن الانكليز وإن كانوا استأنفوا القتال في اليوم الثاني ، وحاولوا الاستيلاء على غزة ، إلا أنهم فشلوا فارتدوا على أعقابهم تاركين وراءهم ٢٧٠٠ قتيلاً ، و ٢٩٣٢ جريحاً . وأما الأتراك فقد خسروا ١٥٠٠ رجلاً في هذه المعركة .

اجتاز الانكليز (وادي غزة)أثناء رجوعهم وفي الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي.(٢٧ آذار ١٩١٧) وصلوا إلى منازل (النصيرات) فدير البلح ، وخانيونس .

١٢ — إن معركة غزة الاولى وإن كانت قد انتهت بنصر الأتراك ، إلا أنها زادت في انتباههم ، وجعلتهم يشعرون بالخطر المحدق بهم أكثر من أية مرة سبقت . فأخذوا يحصنون مواقعهم ، واستحضروا فرقتين (هما السابعة والرابعة والخمسون) ، وأتوا بفرقة ثالثة كانوا قد ادخروها للشدائد . فأصبح لديهم في ١٩ نيسان سنة ١٩١٧ قوة مؤلفة من (٣٠,٠٠٠) محارب (٢) .

١٣ — وكذلك فعل الانكليز فإنهم بعد فشل المعركة الاولى بغزة ضاعفوا نشاطهم ، واستحضروا كتائب جـديدة اضافوها إلى قواهم الحاضرة . وكان بين النجدات الجديدة احد عشر طابوراً من الهنود المشاة ، وثماني مصفحات وعـدد من المدافع الثقيلة . وقد مدوا السكة الحديدية فأوصلوها إلى دير البلح في ١٩١٧/٤/٥ . وكذلك فعلوا بالأنابيب التي جروا ماء النيل فيها إلى الجبهة . وقد اتخذوا دير البلح مقراً للقيادة ، وكانت الفرقة ٧٤ قد وصلت إليها فبلغت بذلك قوة الانكليز المشاة أربعة فرق . وكانت وزارة الحرب البريطانية قد صممت على احتلال القدس . فرسم اللفتننات الجنرال دوبل خطة جديدة لمهاجمة غزة مرة ثانية . وكانت هـذه الخطة

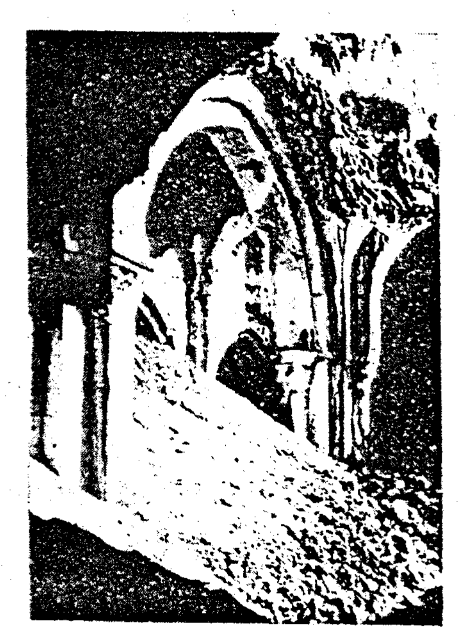
---

(١) « The Australian Army Medical Services »

(٢) الفرقة الثالثة فى غزة ، والفرقة ٥٣ فى ابى هريرة ، والفرقة ١٦ فى تل الشريعة ، والآلاى ٧٠٩ من الفرقة ٥٤ فى بئر السبع ، وفرقة الفرسان الثالثة وقسم من فرقة النقليات فى هوج.

تقضي بمهاجمة غزة على درجتين : تقوم الفرقتان ٥٢ و ٥٤ بادىء ذي بدء بمهاجمة غزة من البحر إلى الشيخ عباس . ثم بعد يومين تقوم الفرق ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ مصحوبة بآلاي من الهجانة بمهاجمة غزة من الجنوب الغربي ، ومن الجنوب والجنوب الشرقي . وكان على فرق الانزاك والفرسان أن تقوم بهجوم في الجناح الأيمن باتجاه ابي هريرة .

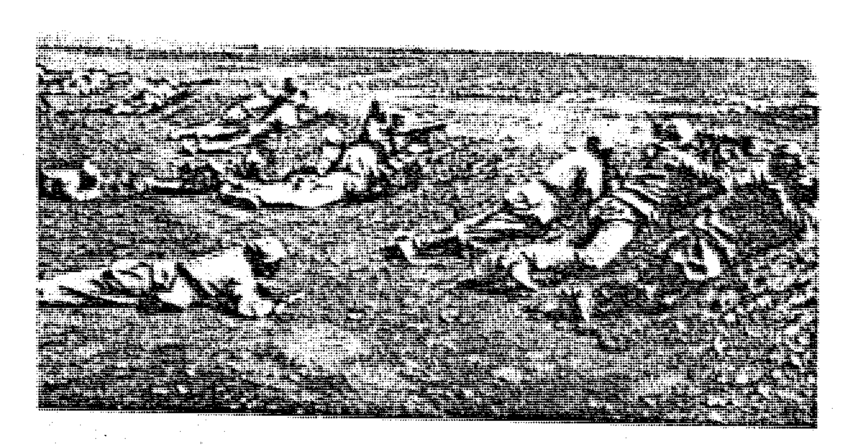
١٤ — بدأ الهجوم الثاني على غزة في ١٩١٧/٤/١٧ فاحتل الانكليز يومئذ التلال الواقعة في (شيخ عباس) ، ونشب عراك شديد بين مشاة الفريقين ، حتى أن الفرسان ارغموا على الترجل . وفي ١٩ من نيسان ظلت مدافع الانكليز تقذف بنيرانها غزة من البحر طيلة ذلك النهار من الساعة الخامسة صباحاً حتى الساعة الثامنة . وقد أصابت هذه القنابل الجامع العمري الكبير وعدداً كبيراً من المنازل . واقفرت شوارع غزة من السكان بالمرة . وما كادت أصوات المدافع تخفت حتى شرع المشاة من الفرقة ٥٣ يسيرون على الشاطيء باتجاه غزة . وقد احتلوا خطاً ممتداً من الشيخ عجلين إلى الشيخ عباس على بعد ثلاثة اميال من غزة . وراحت الفرق الانكليزية الاخرى تهاجم الجبهة في انحاء اخرى . لكن الفشل كان حليف الانكليز في هذه المرة ايضاً . ولم يستطيعوا الاستفادة من مصفحاتهم بسبب طبيعة الأراضي من جهة ونيران المدافع التركية من جهة اخرى .



الخراب الذي اصاب الجامع الكبير
١٩ نيسان ١٩١٧

كان موقف الأتراك في هذه المعركة مجيداً للغاية . إذ ناضلوا عن غزة نضال الأبطال ؛ فانتصروا على الانكليز ، وردوهم على أعقابهم (١٩ / ٤ / ١٩١٧) بعد أن كبدوهم

خسائر (١)فادحة : ٢٠٨٥ قتيلا و ٤٣٥٩ جريحاً وعدداً كبيراً من الأسرى . وأما خسائر الاتراك فقد كانت ١٩٧٠ رجلا . وقد جاء في التقارير الرسمية الانكليزية



الجنود الاتراك

يستعملون المدافع سريعة الطلقات فى معركة غزة الثانية

أن الاتراك كانوا شديدي الاحترام للأطباء والممرضات والمؤسسات الصحية . فلم يعتدوا عليها قط ، رغم وجودها أمام انظارهم في ساحة الوغى .

١٥ — قال (ليمون فون ساندرس) رئيس البعثة العسكرية الألمانية التي انتدبت لتدريب الجيش التركي وتنظيمه في كتابه (خمس سنوات في تركيا) ص ١٩٦ ما يأتي :

« كانت خسارة الاتراك في موقعة غزة الثانية ٣٩١ من القتلى و ١٣٢٦ من الجرحى و ٢٤٢ من الفارين . وكان الفارون من الجيش التركي عرباً ، لبوا دعوة الشريف حسين ، والتحقوا بالثورة العربية الكبرى ، وانخرطوا في صفوف الجيش العربي الفتي الذي تم تنظيمه في اوائل عام ١٩١٧ . »

---

(١) هناك من يقول ان قوى الانكليز فى هذه المعركة كانت مؤلفة من ٥٠،٠٠٠ مقاتل ، والأتراك ٣٠،٠٠٠ وأن الانكليز خسروا في هذه المعركة ١٥٠٠٠ رجلا بين قتيل وجريح وأسير .

١٦ — أقال الانكليز على أثر فشلهم هذا الجرال دوبل من قيادة القوى الشرقية ، واستبدلوه بالجنرال (شت وود) وجعلوا الماجور جنرال (شوفل Chauvel)قائداًللقوةالصحراء،وتولىالماجورجنرال(شيتور E. W. C. Chaytor) قيادة فرقة الانزاك الفرسان . وأما القيادة العامة لجميع هذه القوى فقد انتزعت من يد السر ارشيبالد موري ، وسلمت في حزيران سنة ١٩١٧ ليد السر ادموند اللنبي بصفته القائد العام للحملة المصرية : Sir Edmund Allenby, Commander in Chief of the Egyption Expeditionary Force.



فاتح فلسطين : اللورد اللنبي

منح اللورد اللنبي صلاحيات واسعة ، واعطى كل ما طلبه من جند ومدافع وآلات ميكانيكية وذخائر وعتاد ، وأخذ يرسم الخطط لا للاستيلاء على غزة فحسب ، بل وعلى فلسطين بأسرها . فشرع في تنسيق القيادة ، وقام بتمرينات عسكرية لاختبار حالة جيشه ، وضاعف من الجهود التي سبقت لمد الانابيب وجر مياه النيل في الصحراء . وقد مدت هذه بالفعل على مسافة ١٣٥ ميلا ، كما مدت السكة الحديدية حتى وصلت إلى دير البلح ، وانشأ لها بعض الفروع من رفح إلى الشلالة ، ومن هناك حتى الكرم والبقار . وقد اتخذ القنطرة مركزاً لتموين جيشه بدلا من الاسكندرية وأعاد تنظيم القوى التي وضعت تحت إمرته على النسق التالي :

١ — الفيلق العشرون (وهو مؤلف من فرق المشاة العاشرة ، والثالثة والخمسون، والستون ، والرابعة والسبعون) ومجموع قوته ١٤٣٥ ضابطاً و ٤٤،١٧١ جندياً .

٢ — فيلق خيالة الصحراء (وهو مؤلف من الفرق الثلاثة للفرسان الاوستراليين والانزاك واليومانيين) ومجموع قوته ٧٤٥ ضابطاً و ١٧،٩٣٥ جندياً .

٣ — الفيلق الواحد والعشرون(وهو مؤلف من فرق المشاة ٥٢ و ٥٤ و٧٥) ومجموع قوته ١١٥٤ ضابطاً و ٣٤،٧٥٩ جندياً .

واما القوة التي احتفظ بها في المقر العام فقد كانت مؤلفة من لواء واحدمن فيلق الهجانة واللواء السابع من فرقة الفرسان اليومانية ، ولواء من الفرسان التابعين للقوة الامبراطورية ، واللواء العشرون من الهنود المشاة .

وقد كان مجموع القوى المحاربة التي وضعت تحت إمرة اللورد اللنبي ١٠٠،١٩٩ رجلا .

إن شخصية الجنرال اللنبي ومقدرته ونفوذ بصيرته بدت للجند بزياراته الكثيرة المتوالية للقطعات ولا سيما في المناطق الامامية . وهذه الصفات احدثت تطوراً عجيباً في معنوية الجيش الانكليزي ، وبعد ان كان الاعتقاد سائداً بأن هذا الجيش الذي كان يحارب في الجبهة الفلسطينية ، كان منسياً ، تبدل هذا الاعتقاد وانقلب اليأس إلى رجاء . ولا سيما عندما وصلت النجدات الجديدة ومعها طائرات حديثة الصنع .

١٧ — رأى الاتراك استعداد الانكليز هذا ، فحسبوا له حسابه ، وراحوا يعدون له العدة من جديد . وعقدوا في حلب مجلساً حربياً (٢٧ من حزيران سنة ١٩١٧) حضره كل من :

القائد العام	أنور باشا
قائد جيش القفقاس	أحمد عزت باشا
قائد الجيش الثاني	مصطفى كمال باشا
قائد الجيش الرابع	جمال باشا
قائد الجيش السادس	خليل باشا
مستشار وزارة الحرب التركية	محمود كامل باشا

وغيرهم من الرؤساء والقواد .

ان هذا المجلس وان لم ينته يومئذ إلى قرار حاسم في صدد الخطة الواجب اتباعها[١] إلا أن القيادة العامة عادت فقررت [٢] إرسال الجيش السابع والثامن من (جيوش يلديرم) [٣] إلى الجبهة الفلسطينية . ولما كان غازي باشا قائد الجيش السابع مخالفاً لهذا الرأي فقد استقال من القيادة بايعاز من أنور باشا ، وعهد بقيادة هذا الجيش إلى أمير اللواء فوزي باشا .

١٨ — وفيما كانت هذه التبدلات في القيادة تجري كانت احوال الجيش التركي تسير من سيء إلى اسوأ . إذ كانت ارزاقه قليلة للغاية . ولم يحسن ضباط الجيش استعمال هذا القليل من الارزاق بدرجة ان الجوع كان يلازم الكثيرين من الجند في كثير من الاحيان . وقد جاء في التقارير الرسمية انهم لم يستطيعوا توزيع كمية من الخبز أكثر من ٧٥ طن في أي يوم من أيام شهر ايلول ١٩١٧ ، مع أن احتياج الجيش اليومي للخبز كان ١٥٠ طناً على اقل تقدير . وقد فتكت الامراض بالجند فتكا ذريعاً ، فأخذ عددهم يتناقص ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ في كل شهر ، دون ان يأتي من يقوم مقامهم ويشغل مراكزهم . ووسائط النقل كانت في بعض القطعات ناقصة ، وفي بعضها الآخر في حكم العدم . وقد هلك عدد كبير من حيوانات الجيش بسبب الجوع وقلة العلف . واما حاجة الاهلين إلى الأرزاق والمؤن فقد كانت أعظم من ذلك بكثير .

١٩ — وفي تشرين أول من تلك السنة (١٩١٧) كان اللورد اللنبي قد أتم تعبئة جيشه . فأمر بالزحف نحو القدس وفلسطين . وكان خط الدفاع التركي يمتد

---

(١) كان بعض اعضاء هذا المجلس يرى وجوب الاهتمام بجبهة العراق ، واسترداد بغداد التي سقطت بيد الانكليز في ١١ آذار سنة ١٩١٧ ، والبعض الآخر كان يؤثر الجبهة الفلسطينية على غيرها .

(٢) ولكن بعد خراب البصرة ، وبعد تلكؤ دام اربعة شهور !...

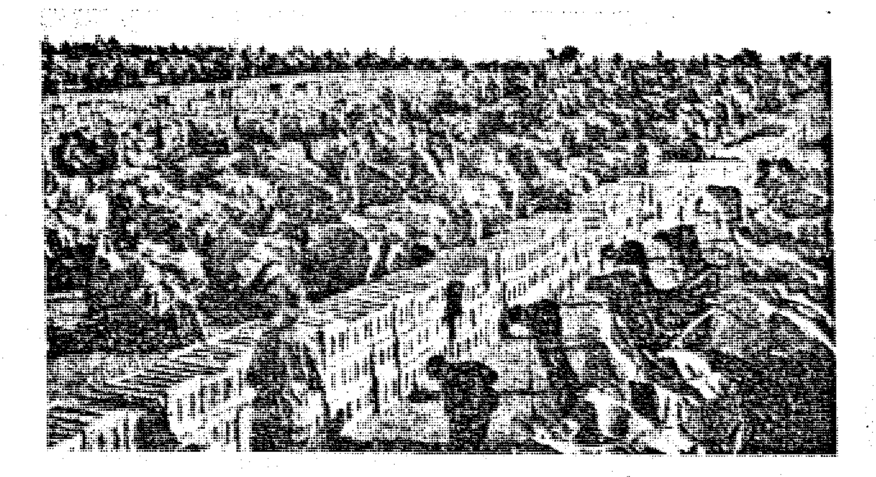
(٣) كانت جيوش يلديرم هذه بادىء ذي بدء مؤلفة من القطعات التالية :

الفيلق الثالث (الفرق ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٩) والفيلق الخامس عشر (الفرق ١٩ و ٢٠) ثم اضيف إليها كل من الجيش السادس ، والجيش السابع ، والجيش الثامن .

وكانت الغاية من تأليفها القيام بحملة جديدة في العراق واسترداد بغداد . وقد عهد بقيادتها إلى القائد الألماني الجنرال فالكنهايم .

على مسافة طولها ثلاثون ميلا من البحر بالقرب من غزة حتى بئر السبع . فرأى بعين صائبة انه ليس من السهل الاستيلاء على غزة قبل الاستيلاء على بئر السبع . ولذلك قرر الاستيلاء على بئر السبع (١) أولا . وقد استولى عليها فعلا .

٢٠ — وفي اليوم الاول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩١٧ أخذ الانكليز يزحفون نحو غزة ، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى الفيلق الواحد والعشرين . فشرعوا بالقاء قنابلهم على خطوط الدفاع التركية بشدة . وفي اليوم الثاني من تشرين الثاني احتلوا موقع (الشيخ حسن)، ووصلوا إلى موضع يبعد عن غزة اربعة كيلو مترات الى الجنوب . وقد تقدمت المدفعية الانكليزية ، وقذفت المدينة بقنابلها ؛ وتمكنت فرق انكليزية اخرى من التقدم نحو هوج والجمامة . فأخذ الجيش التركي الثامن يتجمع في (حليقات) لا ليصد تقدم الانكليز من هناك فحسب ، بل وليقوم بحركة تعرضية يكون من ورائها الالتفاف حول الجناح الأيمن الانكليزي المهاجم .



قبلوه الجمالة ينقل للجيش الانكليزي معدات القتال

ولكن الانكليز كانوا قد تمكنوا من الوصول إلى (ام دبكل) . ففصلوا بذلك بين الجيشين التركيين : السابع والثامن . فاضطر الاتراك في اليوم السابع من شهر تشرين الثاني ١٩١٧ لتخلية غزة ، واحتلها الانكليز في ذلك النهار . وأخذوا من فورهم يتقدمون نحو الشمال .

---

(١) راجع ما كتبناه عن بئر السبع واحتلالها في كتابنا (تاريخ بئر السبع وقبائلها) .

٢١ — أصاب غزة خراب كبير بسبب هذه المعارك التي دارت فيها وحولها. وقد ضربت من قبل الاسطول الانكليزي بحراً ، ومن الجيش براً . حتى تهدم منها ما ينوف عن ثلثها (١) ، وهجرها اهلها .



غزة المهجورة بسبب الحرب سنة ١٩١٧

أضف إلى ذلك انّ الجيش التركي كان يخلع الأبواب والسقوف والأثاث ليستعمل خشبها في تشييد الاستحكامات . ففت هذا في عضد هذه المدينة التاريخية ، وهبط بها من الأوج إلى الحضيض .

٢٢ — ان السبب (٢) في هذا الاندحار هو قلة استعداد الاتراك في هذه الجبهة، وعدم انتباههم إليها في بادىء الحرب ، وعدم تعاون رجال القيادة من أتراك وألمان، وقلة وسائط النقل ، وقلة الذخائر والمؤن . كانت وسائط الانكليز أكثر وأمتن ، ولا سيما من حيث السكك الحديدية . فقد اقتربت هذه من غزة . وهناك خط آخر اقترب من بئر ابي غليون . واما الخط الحديدى إلى العريش فقد كان مزدوجاً

(١) عوض الانكليز بعد الحرب بعض التعويض على الاشخاص الذين خربت منازلهم اثناء الحرب .

(٢) هذا ما يقوله الأتراك انفسهم . راجع كتاب (فلسطين جبهه سي) .

ومد قساطل الماء عـلى طول السكك الحـ[illegible] أضف إلى ذلك ان [illegible] عسلوج والخلصة وابي غليون كانت بأيديهم . وكان لديهم ٧٤٠٠٠ عاملا مصريا يشتغلون بالطرق والاستحكامات الحربية ، وكان لدى الفيلق العشرين ٢٨٠٠٠ جملا . وكان لدى القيادة العامـــة فضلا عن ذلك ٣٥٠٠٠ جملا . أضف إلى ذلك وسائط النقل البحرية . وقصارى القول كانت قوة الانكليز اربعة اضعاف القوة التركية وكانت هذه القوة مجهزة تجهيزاً تاماً ، وكانوا يسيطرون على البحر والجو .

ومـــع ذلك فقد قاوم الاتراك مقاومة شديدة ، وابدوا بسالة ممتازة استحقوا الاعجاب من اجلها .

ويقول الذين تتبعوا مجرى الحرب في ذلك العهد ان الاتراك ما كانوا ليندحروا في هذه الجبهـة لو كانت قلوب العرب سكان البلاد معهم . إذ كان هؤلاء تواقين إلى الاستقلال وكانوا في اواخر الاحتلال التركي ينظرون إلى الاتراك نظرة بغض وازدراء . وقد هرب قسم كبير من الضباط والجنود العـرب الذين كانوا في الجيش التركي والتحقوا إما بجيش اللنبي رأساً أو بالجيش العربي الذي كان يقوده الأمـير فيصل بن الحسين ، والذي كان يؤلف الجناح الأيمن لجيش اللنبي . حتى ان اللورد اللنـبي نفسه قد اعترف بعد انهاء معارك فلسطين بفضل العرب الأكبر في سقوط العقبة وبئر السبع وغزة . ولو لا سقوط العقبة لما سقطت غزة ، تلك البلدة الواقعة عـلى شاطىء البحر والتي دافع عنهـا الاتراك وحلفاؤهم الالمان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولو لا سقوط غزة بيد الانـكليز ، لما تمـكن هؤلاء من احتلال فلسطين . ولما فتحت في تاريخ هذه البلاد صفحة جديدة من صفحات التاريخ الحديث .

الامير فيصل بن الحسين

٢٣ — ولقد انشأ الانكليـز في غزة مقبرة دفنوا فيها رفات موتاهم في المعارك الثلاثة الدامية . ولما حضر اللورد اللنبي فاتح فلسطين لتدشين هــــذه المقبرة عام (١٩٢٣) قال : « كانت غزة من فجر التاريخ حتى يومنا هذا بوابة الفاتحين . ...

السياح وجوابو الأمصار بغزة

هبط غزة بين القرن الثامن والقرن العشرين للميلاد عدد كبير من السائحين وجوابي الامصار (١)، من عرب وافرنج . ومن هؤلاء من جاء إليها خصيصاً ليدرس حالتها الاجتماعية والعمرانية والدينية والاقتصادية ، ومنهم من عرّج عليها في طريقه من مصر إلى بر الشام أو العكس بالعكس . ومن هؤلاء من استفاد من زيارته وأفاد واعلمنا عن انبائها الغابرة ما لم نكن لنعلم به من قبل ، ومنهم من لم يأت بالشيء الجديد بل أعاد ما قاله قبله الأقدمـون . واني عند حد الاعتقاد انه قد لا يخلو من فائدة ان نأتي على ذكر بعض ما قاله هؤلاء عن غزة في كتبهم ورحلاتهم على ان نغفل البعض الآخر الذي لا فائدة فيه فنقول :

في عام ٧٢٣ م زار غزة القديس فيلبالد St. Willibald وقال انه فقد بصره فيها .

وقد زارها الرحالة الذائع الصيت برنارد الملقب بالحكيم وكان ذلك بتاريخ ٨٦٧ للميلاد فقال عنها « انها غنية في جميع الاشياء » .

وهبطها السائح الاسلامي المعروف (المقدسي) فقال عنها : « انها كانت إحـدى المدن الرئيسية في فلسطين وانها لا يعادلها في الأهمية سوى الرملة الـتي كانت يومئذ عاصمة فلسطين . وكانت تحت حكم الفاطميين بمصر » ثم قال : « انها لا تزال مركزاً للقوافل التجارية الـــتي تأتي من جزيرة العرب ومن مصر . وقد طار صيتها يومئذ وتحـدث الركبان عن مسجدها الجميل » وقد تحدّث عن النصب(٢) التذكاري الذي كان فيها لعمر . كما تحدث عن (الرباط) الذي كان فيها . وقال ان غزة كانت إحدى المحطات السبعة الواقعة على الشاطىء ، تلك المحطات التي كانت سفن البيزنطيين ترسو فيها بقصد تبادل الاسرى ، والمظنون ان ذلك جرى حوالي القرن التاسع للميلاد .

وهبطها قاضي القضاة ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي ، فقال عنها في كتابه (الانس الجليل) ما يأتي : « عن مصعب بن ثابت عن ابن الزبير يرفعه (طـوبى لمن سـكن إحدى العروسين عسقلان وغزة). وهي من أحسن المدن المجاورة لبيت المقدس

---

(١) History of the City of Gaza

(٢) لا ندري أي نصب يقصد ؟ واين كان ؟ وماذا جرى له ؟ تلك نقاط لا تزال غامضة.

وفيها ولد سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام . وهي من الثغور فان البحر قريب منها . وبها كثير من الاشجار والنخيل وحولها كثير من المغارس والمزارع وفيها انواع الفواكه والخضار . وهي من أحسن مدن فلسطين ، ماؤها كثير ، وهواؤها عذب ، واراضيها خصبة . وفيها خلق ممن سلف من العلماء والصالحين . وتقدم ان الامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ولد بها ، وموضع مولده معروف يقصد للزيارة . ولو لم يكن لغزة من الفخر إلا مولد النبي سليمان والامام الشافعي بها لكفاها » .

وزارها السائح الاسلامي والبحاثة المعروف في علم الجغرافية الادريسي عام ١١٥٤م فقال عنها : « انها مدينة مقدسة وانها آهلة جداً بالسكان وانها بيد الروم (يقصد الصليبيين) ومما قاله الادريسي عنها : ان لها مرفأ يدعى Taïda أو Tida .

وفي اواخر القرن الثاني عشر زارها ابو الفداء فقال عنها « انها مدينة متوسطة الحجم ذات حدائق واسعة » وذكر اشجار النخيل والعنب . وذكر الرمال بين المدينة والبحر . وقال ان فيها قلعة حاكمة على المدينة .

وفي عام ١٢٨٠ م زارها السائح الانكليزي المعروف (بوخارد اوف ماونت تسيون) Buchard of Mt. Zion .

وفي عام ١٣٢١ م زارها السائح الايطالي (مارينو سانوتو) Marino Sanuto وذكرها في كتابه الذي ألفه بعدئذ بعنوان : (اسرار الصليبيين المخلصين) .

وفي عام ١٣٢٢ م زارها السائح الافرنسي (ماوند ويل) Maundeville فقال عنها : « انها على بعد اربعة ايام من عكا ، وانها مدينة عامرة ومليئة بالسكان » .

وقد زارها السائح الالماني (ويلهلم فون بولدنزيلة) Wilhelm Von Boldenselle في عام ١٣٣٣م والسائح الافرنسي (لودولفوس دو سودهايم) Ludolphus de Sudheim في عام ١٣٤٧ م فقال عنها في كتابه عن البلاد المقدسة : « انها آهلة بالسكان وانها المدينة الوحيدة من المدن الفلسطينية القديمة التي لا ينعق فوق طلولها بوم الخراب » .

وقد زارها ابن بطوطة في اواسط القرن الرابع عشر للميلاد ، فقال عنها في رحلته التي اسماها (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ما يأتي :

« ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة ، وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر ، متسعة الاقطار ، كثيرة العمارة ، حسنة الاسواق ، بها المساجد الكثيرة ، والاسوار

عليها . وكان بها مسجد حسن . والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة بناه الامير المعظم الجاولي ، وهو انيق البناء ، محكم الصنعة ، ومنبره من الرخام الابيض . وقاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني ، ومدرسها علم الدين بن سالم . وبنو سالم كبراء هذه المدينة . ومنهم شمس الدين قاضي القدس » .

وفي عام ١٣٤٨ م مر منها السائحان الافرنسيان (رودولف دو فرايمانسبورغ) Rudolph de Fraymensburg و (جاك دو فيرون) Jacque de Verone في طريقهما إلى القاهرة . وقد قطعا المسافة الواقعة بين غزة والقاهرة عن طريق صحراء سيناء في سبعة ايام .

وفي عام ١٣٧٦ م مر منها السائحان الالمانيان (هانس فون بوديمان) Hans Von Bodeman و (ديثيلونجن در شيلتر) Diethelungen der Shilter وبحثا عن الشروط التي كانت سائدة يومئذ بين الحجاج والتراجمة . إذ كان على الحاج او السائح ان ينقد الترجمان ثلاثاً وعشرين مجيدياً : النصف قبل مغادرة القدس والنصف الآخر ساعة الوصول إلى غزة . وكان على الترجمان تلقاء ذلك ان يرافق السائح، وان يدفع عنه جميع العوائد والرسوم، وان يستأجر له حماراً ، ومكارياً مسيحياً ، وان يقدم له في غزة كل ما يحتاج إليه من طعام خلا النبيذ ، وان يجد في غزة من يقوم مقامه في اصطحاب السائح حتى القاهرة .

وفي عام ١٤٢١ م زارها السائح الانكليزي (جون بولنر) John Polner .

وفي عام ١٤٢٢ م زارها السائح الافرنسي (انطونينوس دوكريمونا) Antoninus de Cremona فقال انه قضى خمسة عشر يوماً في الطريق بين غزة وسيناء .

وفي عام ١٤٢٣ م زارها السائح الافرنسي (بترودون دو لا بروكيرى) Betraudon de la Brocquerie فوصفها وصفاً جميلا . ولكنه شكا من سكانها وقال انهم يعاملون السياح معاملة خشنة . وزعم انه اوقف وهو في غزة ثلاث مرات لحمله سيفاً ولاختلافه مع المكاري . وكاد يصيبه ما لا تحمد عقباه لو لا عدل حاكم المدينة . وقال انه وجد في غزة طبيباً سامرياً داواه ضد الملاريا .

وفي عام ١٤٣٣ م زارها السائح الالماني (فيليب فون كاتسنلنبوغن) Philip von Katzenellenbogen .

وفي عام ١٤٦٥ م زارها تاجر روسي يدعى (باسيل) Basil فقال عنها انها تابعة

لكنيسة القدس وان اسقفها ميخائيل ، وان عدد المسيحيين فيها كان يومئذ كبيراً .

وفي عام ١٤٧٩ م زارها السياح (توخر) Tucher و (ريتر) Rieter و (شبيكل) Spiegel .

وفي عام ١٤٨١ م زارها السائح اليهـــودي المعروف (ميشولام اوف فولتيرا) Meshullam of Volterra وهو يهودي من يهود ايطاليا قال : « غادرت وصحبي خان يونس في يوم الاربعاء الموافق ٢١ تموز ١٤٨١ وكانت وجهتنا غزة . وفي الطريق سمعنا ان العرب قتلوا ثلاثة رجال علـى بعد ميل واحد من غزة ، ونهبوا ثلاثة جمال كانت محملة بضائع . وقيل لنا انه لن يتيسر لنا الوصول الى غزة إلا إذا كان برفقتنا اربعة الاف (؟) رجل من الرجال الاشداء المسلحين . ولكننا بالرغـم من ذلك وصلنا . وقد حمـــــدنا الله لوصولنا سالمـين . وفي غزة دخلنا خاناً يدعى (الحيونوس) وكان هذا مزدحماً بالزائرين وقوافل السائحين بسبب الهياج الذي عم المدينة . وكان في غزة يومئذ سبعة الاف (؟) رجل وعشرة الاف (؟) جمل عـلى أهبة السفر إلى الشام . وأتانا الخبر ونحن في الخان ان السبب في هياج المـدينة ان نائبها كان على اهبة السفر لنصرة زميله نائب الرملة إذ كان البدو قد غزوا الرملة وحرقوا جانباً منها » .

هذا ما قاله ميشولام عن غزة . وقد امتدحها وامتدح هؤاءها العذب وأطنب في مدح ثمارها وفواكهها . وقال ان الخبز موجود فيها بكثرة ، وكذلك النبيذ . واضاف الى ذلك قوله ان اليهود فقط هم الذين يعتنون بصنع النبيذ وتجارته .

ومما قاله هذا السائح عن غزة انه لم يكن حولها يومئذ سور . وانه كان يعيش فيها ستون عائلة يهودية واربعة من السامريين . وانه كان لليهود في غزة كنيس صغير وكانت لهم فيها دور واراضي وكروم .

وقطع امير غزة الذي قلنا انه ذهب لنجدة زميله امير الرملة رأس احد عشر بدوياً وارسلهم الى غزة . ولكن البدو حملوا عليه في نفس اليوم حملة شعواء وقتلوا من رجاله ثلاثة وعشرين ألفاً (؟) ولم ينج من شرهم أحد سواه ومئة من رجاله . فقفل راجعاً الى غزة والحزن يملأ فؤاده .

وفي عام ١٤٨٣ م زار غزة السائح الالماني المعروف (برنارد فون برايتنباخ) Bernard von Breitenbach .

وفي العام نفسه زارها (فيليكس فابري) Felix Fabri القس الفرنسيسكاني المعروف فقال عنها انها تدعى (غزارة) (؟) وهي واقعة على طريق الحجاج النصارى الذين كانوا يؤمون طور سينا . وقال انه وصحبه دخلوها ليلا وخشوا ان يدخلوها نهاراً خوفاً من ان يعذبهم الاولاد الصغار فيرمونهم بالحجارة ، ويحطمون الجرار التي يحملون فيها نبيذهم . ولما دخلوها ألمّ بهم مرض ، فأراد فريق منهم ان يرجع واعتزم الفريق الآخر البقاء ولم يدر آخرون ماذا يصنعون . وبعد اللتيا والتي ازمعوا استئناف المسير معاً مهما كلفهم الامر . إلى ان قال ان غزة كانت يومئذ المدينة الرئيسية في فلسطين . وانها كانت أكبر من القدس على مرتين . وانها كانت عامرة بالسكان ومزدهرة . وان فيها كل ما يحتاج إليه الانسان من بضائع ومؤن، وان هذه البضائع والمؤن كانت تباع بأرخص الاثمان ، وانه كان حول المدينة بساتين كثيرة فيها عدد كبير من اشجار النخيل . ولكن منازلها كانت مبنية من اللبن والطين . إلا الحمامات والمساجد فانها كانت مبنية من الحجارة الغالية . ولم يكن ثمة سور حول المدينة ولكن كان فيها ابراج عديدة .

وقال فابري عن سكان غزة يومئذ انهم مزيج من عرب ومصريين وأحباش وسوريين وهنود ويهود ومسيحيين شرقيين . ولم يكن فيها أحد من اللاتين . ولكنهم بوجه العموم طيبون ، وسلوكهم حيال الحجاج والسياح ممتاز لا غبار عليه.وقد كانوا يربحون من هؤلاء ارباحاً طائلة .

وفي عام ١٤٨٨ م زارها (عباديا اوف برتينيرو) Obadiah of Bertinoro وهو حاخام ومؤلف يهودي . وقد نزل ضيفاً على يهودي من يهود المانيا كان يعيش يومئذ في غزة . وكان مضيفه (موسى) هارباً من القدس لجريمة اقترفها هناك .

وفي عام ١٤٩٦ م زارها (بروقارديوس) Brocardius .

وفي عام ١٤٩٩ م زارها (آرنولد فون هارف) Arnold von Harf وقال انه سجن فيها ثلاثة اسابيع .

وفي عام ١٥٠٧ م زارها (مارتين فون باوم غارتن) Martin Von Baumgarten

وفي عام ١٥٢٣ م زارها (داود رويني) David Reubeni وقد نزل ضيفاً على الحاخام دانيال وهو أغنى حاخام عاش في غزة . وقد طاف هذا السائح القسم الغربي من اوربا، وزار قداسة البابا، واخذ يدعو بني قومه اليهود للبحث عن آثار اسباط

بني اسرائيل الذين تاهوا في الصحراء .

وقد زارها بعدئذ (بيربيلون) Pierre Belon وامتدح فواكهها . وكان ذلك في عام ١٥٤٨ م .

ثم زارها (عمانوئيل اورتيل) Emanuel Oertel في عام ١٥٦١ م .

و (داود فورتنباخ) David Furtenbach في عام ١٥٦٢ م .

و (يوحنا هليفريخ) Johann Helffrich في عام ١٥٦٥ م .

و (فرايهر خريستوفر) Freiherr Christopher و (هاران فون بولشيتس) Haran von Polschitz و (وه زنس) Wesenz في عام ١٥٩٨ م .

و (جلبرت دو لانوي) Ghillebert de Lannoy في عام ١٥٩٩ م .

و (هنري تمبر لايك) Henry Timberlake في عام ١٦٠١ م .

و (سباستيان اسحق) Sebastian Sehach في عام ١٦٠٤ م .

وفي عام ١٦٠٦م زارها (قبريانوس ايخافيودس) Cyprianus Eichaviodes

وفي عام ١٦٢٥ م زارها (فريدريك ايكر) Friederich Eckker وقد سجن فيها لمخالفته قوانين الجمارك وغرّم بألف قرش ، وكذلك كان مصير زميله (كارل فون غرونينغ) Karl von Grünning الذي زارها في نفس العام .

وفي عـام ١٦٢٨ م زارها سائح مسلم يدعى (ناصر خسرو) في طريقه من عسقلان إلى مصر .

وفي عام ١٦٤١م زارها السائح اليهودي (صموئيل بن داود) Samuel Ben David وهو من يهود كريت . وقد قال عنها انها مدينة جميلة وان فيها كنيساً لليهود وحماماً وخاناً ، ومثة دكان تباع فيها انواع المؤن والبضائع التجارية .

وفي عام ١٦٤٩ م زارها السائح التركي المشهور (اوليا جلبي) وذكرها في رحلته التي اسماها (اوليا جلبي سياحتنا مه سي) وقد نقلت كل ما قاله عنها في الفصل الذي خصصته للبحث عن غزة في عهد الأتراك ، لما له من صلة وثقى بذلك البحث .

وفي عام ١٦٥٩ م زارها (فرا يوحنا باوتستا) Fra Juan Bautista .

وفي عـام ١٦٦٠ م زارها (شفاليه دارفيو) Chevalier D'Arvieu وقد كان هذا يومئذ قنصلا لفرنسا في صيدا . ولما هبط غزة اجتمع بحسين باشا وجرى بينهما حديث طويل . وقد قال (دارفيو) هذا عن غزة انها كانت عاصمة فلسطين ،

وان حسين باشا كان الحاكم المسيطر على البلاد كلها . وانه لم يكن ثمة سور حول المدينة . وانما كان في وسطها قصر هو من بقايا الصليبيين . وان دار الحكومة شيدت من حجارة هي من بقايا الحصن الروماني القديم . وهناك منازل خصوصية هي من أجمل ما بني في ذلك العهد . ولا سيما ذلك المنزل الذي كان يقطنه حسين باشا . وكان في غزة يومئذ ستة مساجد كبيرة عدا الجامع الكبير . واما حمامات غزة واسواقها فقد امتدحها دارفيو وقال عنها انها لا تقل جمالا وترتيباً وتنسيقاً عن حمامات باريس واسواقها . واللغات الدارجة على ألسنة سكان غزة هي العربية والتركية واليونانية . وكان بغزة يومئذ كنيستان : واحدة ارمنية واخرى وهي الاكبر يونانية .

وفي عام ١١٠١ للهجرة زارها الرحالة الاسلامي المشهور الشيخ عبد الغني النابلسي (١) وقال عنها في رحلته المخطوطة ما يأتي :

« . . . قبل وصولنا إلى بلدة غزة المحروسة بنحو ساعة خرج إلى لقائنا قاضيها الفاضل أحمد حلبي بن البهي الدمشقي ، وخرج معه مفتي الحنفية الشيخ صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن محمد التمرتاش الغزي العمري الحنفي . والشيخ صالح نسل ذوي الكمال الشيخ محمد بن الشيخ عبد القادر الشهير بابن الغصين . والشيخ الكامل علي بن الشيخ عمر المشرقي . وكان والده مفتياً بالديار الغزية . والشيخ علي الضرير الشافعي الشهير بالبدري . والشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ محي الدين النخال الشافعي شيخ الاسلام والمفتي سابقاً بالديار الغزية . والشيخ محي الدين بن الشيخ شمس الدين المقدسي الساكن بغزة . وغيرهم من العلماء الافاضل والاعيان . ونزلنا في دار صديقنا الشيخ محي الدين المقدسي المذكور . فتلقانا بصدره الفائق على الصدور ووجهه الذي هو بهجة السرور . وحضر عندنا علماء تلك البلدة وأكابرها وصلحائها وافاضلها بقصد الزيارة في ذلك الحين . وحصل بيننا وبينهم بعض المذاكرات العلمية والمسائل الفقهية . وقلت من النظام بحسب ما اقتضاه المقام . قال : ثم قمنا عند اذان العصر وصلينا في الجامع الكبير وهو مكان مشرق منير ، ويقال ان أصله كان كنيسة . ثم ذهبنا لزيارة قبر الشيخ عبد القادر الغصين بالتصغير عليه رحمة الرب

---

(١) ولد في دمشق وتوفي فيها . وهو علم من اعلام الطريقة النقشبندية والقادرية . وهو من جوابي الامصار المشهورين . له عدة تآليف في الأدب والتصوف والمنطق واللغة .

القدير . وهو مدفون في مدرسة مع اولاده وذريته . وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله بنية صالحة . وجلسنا عند اولاده في المدرسة المذكورة ننظر الكتب التي عندهم ونتذاكر معهم في المسائل المستورة . ثم عدنا إلى المنزل المعهود والناس بين صدور إلينا وورود ، يأتون بالموائد على ما تقتضي العوائد . وحضر الافاضل والاعيان ، وسهروا عندنا تلك الليلة مع جملة من الاخوان . وقام المنشدون وصار السماع المطرب على الآلات بالقانون ، ثم انصرفوا . وقد طاب الحضور وزاد السرور إلى ان اصبح صباح يوم الجمعة الثاني والعشرون من شهر ربيع الأول سنة ١١٠١ هـ . فصلينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير . ثم ذهبنا فزرنا الشيخ فرج في مكان واسع عليه قبة لطيفة وهناك عمارة انيقة . ثم ذهبنا إلى مكان آخر هناك مشهور فيه جنينة لطيفة محفوفة بأنواع الزهور ، وفيه قبر الشيخ عبد الرحمن الاوزاعي . وبجانبه قبر السلطان الغوري رحمه الله على ما يقال والله اعلم بحقيقة الحال . وفي هذا المكان مغارة يقال انه مدفون فيها هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنتسب إليه غزة . ويقال ان هذه المغارة متصلة بمقام سيدنا ابراهيم الخليل واولاده الكرام عليهم الصلاة والسلام. ثم خرجنا وزرنا في تلك الجهات الجبانة التي فيها قبر الشيخ علي بن مروان وعليه قبة مرفوعة وعمارة موضوعة ، وله كرامات مذكورة ، وخوارق مشهورة . ثم زرنا الشيخ عبد الرحمن بن سلطان . ثم جئنا إلى الجامع المشهور بجامع شهاب الدين بن أحمد بن عثمان وهو جامع مبارك عظيم الجوانب والبنيان . فرأينا هناك حلقة الذكر على طريقة المطاوعية ، ورأينا الفقراء يذكرون الله تعالى بأحوال قوية . ثم خرجنا وزرنا في الطريق الشيخ مجاهد في مكان له مستقل ، وزرنا بجانبه قبر الشيخ محمد العجان من اولياء الله تعالى صاحب كرامات مشهورة عند أهل البلاد . ثم ذهبنا الى جامع الجاولي وهو جامع كبير واسع ، جميعه مبني بألواح الرخام واحجار السماقي من أول الزمان، وهو خراب الآن، والرخام ساقط حول جدرانه وفي صحنه الخارج من عدم تقيد النظار عليه بعمارته وحرمته . وهو منفصل الآن عن العمران ، وقد رموا بابه واستغنى الناس عن الصلاة فيه . ثم مررنا بعد ذلك على مدرسة الطواشي وهي الآن مسكن قضاة غزة وموضع حكمهم ، فتلقانا أحمد حلبي المتقدم ذكره النائب في الحكم يومئذ ، فجلسنا عنده حصة من الزمان . ثم زرنا الولي الصالح الشيخ ططاج . وزرنا الشيخ ذكي وقبره في رأس تل عال من الرمل . ثم مشينا بين البساتين من

النخيل في ذلك السهل إلى أن مررنا على قبر هناك عند البحر فوق تل من الرمال يقال انه دفن فيه الشيخ حسن الأغبر وهو رجل من أهل الخير والصلاح . ثم سرنا إلى أن وصلنا قبر الشيخ رضوان بن الشيخ ابو عرقوب بن الشيخ علي بن عليل قدّس الله اسرارهم ، ورأينا ضريحاً عليه المهابة والنورانية . وهناك بالقرب منه بعض القبور ، وذلك المكان مملوء بالبهجة والنور . وقلنا في ذلك المقام من النظام . ومكان الشيخ مرتفع في ارض منبسطة ، وهو قبر واسع عال ، عليه قبة بأربع عقائد منفتح الجوانب ، بحيث انه يشرف على اماكن بعيدة ، فأشرفنا منه على قرية جباليا وهي قرية لطيفة الهواء ، عذبة الماء ، في أهلها الصلاح وحسن اللقاء . وقد انشدنا الفاضل الكامل الشيخ علي النخال بيتين من لفظه لنفسه . ثم ذهبنا إلى جنينة الدرويش أحمد بن عميرة وهو في داخل زاوية الشيخ شعبان ابي القرون . ثم عزمنا على الرحال ، فخرج لوداعنا نائب البلدة حضرة أحمد افندي والشيخ علي النخال والشيخ محيي الدين المقدسي وجناب صديقنا الشيخ مصطفى افندي نقيب اشراف بيت المقدس وغيرهم » أه.

وقد هبطها مصطفى أسعد اللقيمي الحسني سبط العلامة نور الدين علي بن غانم المقدسي السعدي الخزرجي الحنفي . فقد قام هذا برحلة من دمياط من أعمال مصر : وذلك في يوم الثلاثاء من ذي القعدة عام ١١٤٣ للهجرة ، وعرّج على غزة في طريقه إلى بيت المقدس ، فقضى فيها بضعة أيام . وقد دوّن رحلته هذه في مخطوط (١) أسماه : (سوانح الانس برحلتي لوادي القدس) . ننقل عنه الأسطر التالية :

« . . . فوصلنا إلى خان يونس ممتطين ظهور الخيل ، وكان وقت العصر قد حان . فبتنا في قلعته المنيعة ، نكحل العيون بميل السهر ، وندير ما بيننا كؤس السمر ، مستبشرين بدنو المزار ، وقرب هاتيك الديار .

فلما انقضت تلك الليلة التي كليلة القدر ، قصدنا غزة ، فوافيناها ضحوة النهار ، وقد فاح شذا نسيمها المعطار . فأطلقت عنان الطرف في ناديها ، وصلت بصولجان الفكر في واديها ، فإذا هي بحبوحة جنان ، وللحمائم بروض زهورها الحان ، فأسرعت إلى نحوها السير ، وكدت من فرحي إليها أطير .

---

(١) عثرت عليه في مكتبة الصديق رشيد بك مكي من اعيان غزة.

سر بي إلى غزة الفيحاء أن بها ... رياض زهر تحاكي جنة الخلد
مر النسيم عليها والصبا سحراً ... يروى حديثاً لنا عن ساكني نجد
فهاجني بلبل الأفراح حين شذا ... بلحن معبد فوق الأغصن الملد

فلما وصلت لخانها ساقتني يد التقدير إلى خانها ، فنزلت به مصاحباً لبعض الرفاق ، وانا مما به من عسكر الدولة في غاية الاشفاق . فبت فيه ليلة كنت خلالها بين ملسوع ومفجوع ، اروى عن السها حديث السهاد من وثبات براغيثها الاوغاد . فتذكرت قول القائل من الشعراء الاوائل :

عندي براغيث سوء كلها اجتمعت ... قد بيتوني بأنواع من الغصص
يروح هذا يجيء هذا فاقتنصه ... فتنقضي ليلتي في الصيد والقنص

ولا يخفاك ايضاً ما للناموس من السطوات ، وترقيص النائم بنغم تلك النايات... ولما كثر عليّ وثباتها من كل جانب ، وضاقت عليّ المسالك والمسارب ، ارتجلت منشداً ، حيث لم أجد لي منجداً ، وكدت ان اشتني بذمها في النظام ، لكن نهى عن سبها سيد الأنام :

براغيث هذا الخان اسهرت ناظري ... بلسع كسقط الزند ما خلته يطفى
لها وثبات الليث مع ضعف جسمها ... ولكنها قد اورثت جثتي ضعفا
قد كدت أهجوها بحسن تلطف ... ولكن جاء النهى عن سبها كفا

وما زلت به إلى أن لاح الصباح ، ونسخ حديثه آية المصباح . ولما جرد عن الليل برده المسكي ، اقبل علينا صديقنا محمد مكي ، وحيانا بأحسن خطاب ، وعاتبنا بألطف عتاب ، ثم اقسم علينا بالنزول في داره ، أو بقصر ببستان له بجواره. فأجبته بالامتثال ، وسرت معه في الحال . فلما وصلت إلى بستانه البديع ، وروض حماه المريع ، قابلتني خطباء طيوره فوق منابر الأغصان تروي احاديث السرور بديع الالحان . فصبوت مما شاهدته من الجمال ، وانشدت على الارتجال :

قصر زهى فروى عليل نسيمه ... خبر الشفا لحدائق الازهار
صدحت بلابله على اغصانه ... تملي حديث العود والمزمار
فلك به المكي شمس نهاره ... وبنوه تحكي بهجة الاقمار
انعم بقصر يستطيل إلى السها ... فاح الشذا من عرفه المعطار
من أمه يلقى لديه مسطراً ... كنز الصفا ومشارق الانوار

وقد وفد على المولى الأديب والطبيب الرئيس اللوزعي الأريب الشاب محمد (١) الريس (٢) الحكيم فتلقيته بالإجلال والتكريم ؛ إذ هو في حذاق الاطباء معدود ، فكأنما بعث الله لنا داود ؛ فشفاني بشفاء قانون لطفه ، وداوى فؤادي بعذوبة الفاظه وظرفه ؛ منحني من مفرداته بكل غريبة ، واتحفني من منهاجه بكل عجيبة ؛ وأنشدني لصاحب النفس القدسي مولانا الشيخ عبد الغني النابلسي :

سقى الله غزة وابل السحب اننا وجدنا بها ما لا يحصر وجلق

بدوراً وغزلاناً وماءاً وخضرة وكثبان من رمل على بحر ازرق

ثم استروحت النفس لرؤية رياضها ، والتملي بمحاسن غياضها ؛ فوافيت روضة اظهرت يد الغيث اثارها ، وابدى الربيع للعين انوارها ؛ فهي كالعروس في حليها وزخارفها ، والقينة في وشيها ومطارفها ؛ تنافحت بنوافح المسك ازهارها ، وتعارضت بغرائب النطق اطيارها . ذات ظل ظليل ، وماء أعذب من السلسبيل ؛ نعوتها وأوصافها متناسقة ، واشجارها كالمحبين متعانقة ؛ ارجاؤها موفقة ، وجداولها متدفقة ؛ سمت بالحسن والابتهاج ، وفرشت أرضها بالسندس والديباج ؛ فكأنها روضة ابن المعتز البديع ، حيث مدحها ابان الربيع .

ثم سألني الاخوان عما يحضرني من الآراء والأفكار ، عن بعض الأزهار وما فيها من منافع وأسرار ؛ فحدثتهم (٣) عن الورد والياسمين ، والنرجس والنسرين ، وعن الآس والريحان ، والسوسن والاقحوان ، والبنفسج والرمان ، والجلنار وشقائق النعمان .

ثم ثنيت العزم لزيارة ما بها من المشاهد التي ينجح بها القصد وتطيب منها الموارد:

---

(١) فى الأصل ورد اسم (أحمد) مكتوباً بنفس الخط والمداد اللذين استعملهما الكاتب فى سائر الكلام ، ويظهر أن أحد الذين اطلعوا على هذا الكتاب محاه ووضع فوقه بالقلم الرصاص كلمة (محمد) .

(٢) إن هذه الكلمة ايضاً محرفة ، وفى الأصل (الهرش) . ويجزم الاستاذ الشيخ عثمان افندى الطباع صاحب الباع الطويل فى تاريخ الاسر الغزية ان هذا هو الشهاب أحمد الحرش الطبيب من عائلة سقى الله ، وان الطبيب محمد الريس عاش بغزة قبل هذا التاريخ .

(٣) انهذا الحديث الذى وصف به الأزهار والذىجاء فى اثنى عشر صفحة اكتفيت بالاشارة إليه ، ولم أر لزوماً لذكره كله .

فمنها البشير الذي بشر يعقوب بولده يوسف عليه السلام ، والدارقطني أحد الأئمة الستة الحافظ الامام ،وسيدي علي بن مروان ذي الكرامات الظاهرة ، والشيخ ابو العزم صاحب الامدادات الباهرة ، والشيخ أكرم المولى الهمام وسيدنا هاشم جد نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومحل مولد نبي الله سليمان بن داود ذو الملك العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وحيث ولد إمامنا الشافعي ابن ادريس صاحب المقام السامي والعلم النفيس ، وبه قبر والدته واخته والشيخ عطية عليهم الرحمة والرضوان والتحية . ومآثر خلاف ذلك يطول مختصر شرحها ، وتهدي الزائر إليها بطيب نفحها . وسرنا نتأمل في مشارعها ونتملى برؤية جوامعها لا سيما جامعها الذي هو للمحاسن جامع ، وفلك حسنها الذي به قمر المسرة طالع ؛ فرأيت غالب البلاد خراب ، من ظلم الامراء وتحكم لط الاعراب ؛ فارتحلت عنها لهفاً ، وانشدت اقول واسفاً:

يا ويح غزة مذ اوهت مرابعها ... إلى الحضيض وقد ناحت سواجعها
كانت معاهدها للانس جامعة ... من كل معنى سما والحسن جامعها
فأصبحت من سطى الأعراب خاوية ... على العروش مخيفات بلاقعها
فقل لعينيك تبكي عندها أسفاً ... يحق للعين ان تهمي مدامعها
وقل لقلبك يبدي من تلهفه ... ان البروق دجى تخفي لوامعها
واستنجد الصبر ان ودعتها سحراً ... فللنفوس جوى ممن يودعها

فسرينا منها يوم السبت وقت الصبح بسلام وهو الثامن عشر من ذي القعدة الحرام قاصدين خان سدود لنهل من منهله المورود . فما زلنا بين نغمات اطيار ، ونفحات معطرات الازهار ، تستلذ بمحاسنها النفس ، وتتنعم بها الحواس الخمس ، حتى وصلنا إلى ذلك المكان ، وكان وقت العصر قد حان...»

وقد زار غزة بعدئذ عدد كبير من السياح نذكر منهم :

(يوحنا بوركهارت) Johannes Burckhardt ١٨١٧ م و (ايربي) Irby ١٨١٧م و(مانغلس)Mangles١٨١٨م و(ادوارد روبنسون)Edward Robinson ١٨٣٢ م وكان يطلق عليه لقب أمير المنقبين والباحثين ؛ و (سيب) Sepp ، ١٨٤٥م و (طومسون) Thomson ١٨٤٦ م و (تيتوس توبلر) Titus Tobler ١٨٦٠ م و (رينان) Renan ١٨٦١ م و (تريسترام) Tristram ١٨٦٢ م

و (كليرمان غانو) Clermont - Ganneau ١٨٦٤ م ولم يكن ثمة رجل اقدر منه على البحث عن الآثار القديمة بفلسطين .

وقد زارها اللورد كيتشنر ، الذي تولى وزارة الحرب البريطانية عام ١٩١٤ للميلاد ، فمسح اراضيها ودرسها دراسة فنية من وجهة عسكرية؛ والخارطة التي نظمها بعدئذ أشهر من أن تذكر .

ولقد هبطها الوزير البريطاني المشهور المستر تشرشل في عام ١٩٢١، يوم كان وزيراً للمستعمرات وذلك في طريقه إلى القدس بعد انفضاض مؤتمر القاهرة ، ذلك المؤتمر الذي حضره مندوبو بريطانيا العظمى في مصر والسودان وفلسطين والعراق بقصد التداول في شؤون الشرق الأدنى . هبطها زائراً متفقداً الأماكن التي وقعت فيها المعارك الرهيبة اثناء الحرب الكونية ، تلك المعارك التي فشل فيها الجنرال مورَي ونجح اللورد اللنبي . وقد رافق المستر تشرشل في رحلته هذه السر هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين والكولونيل لورنس المعروف بصداقته للعرب واعماله في الثورة العربية . كما كان معه عدد كبير من السيدات والقواد ورجال الحكم في مصر وفلسطين . جاءوا إليها في القطار ، ومن المحطة إلى المدينة سار الجمع مشياً على الاقدام . وعند دخولهم المدينة وجدوا الناس متجمهرين وواقفين على الصفين لا لاستقبال الزائرين ، وانما لابداء السخط والاحتجاج على الانتداب وعلى وعد بلفور القاضي بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

قال الماجور ث . س . جارفس Major C. S. Jarvis, C.M.G., O.B.E. محافظ سينا سابقاً الذي أشار إلى هذه الحادثة في الصفحة ٨٢ من كتابه Arab Command أن أهالي غزة الميالين بطبيعة الحال للعناد والمشاكسة كانوا يومئذ على أشد ما يكون من الكره والبغضاء لسياسة الانتداب والفكرة الصهيونية في فلسطين بالرغم من أن هذه السياسة لم تكن قد مستهم بسوء ؛ ولا كان ، حتى ذلك اليوم ، نزل أحد المستعمرين أو المهاجرين اليهود هذه المدينة الفلسطينية القديمة . أجل، إنه بالرغم من ذلك كله، فقد كان الغزيون في الجنوب كاخوانهم النابلسيين في الشمال على استعداد لاهتبال اية فرصة تسنح للتظاهر ضد الانتداب وضد سياسة الوطن القومي اليهودي . ولهذا اصطفوا على جانبي الشارع عند دخول اعضاء مؤتمر

القاهرة إلى مدينتهم ، وأخذوا يمطرونهم بوابل من العبارات التي تنم عن كره وعداء. فهم بعض الاعضاء العبارات التي كان المتظاهرون يلفظونها ، ولكن البعض الآخر لم يفهمها ؛ حتى أن سيدة من السيدات اللواتي رافقن البعثة ظنت انها مظاهرة ودية ، فخاطبت المستر تشرشل قائلة : « أليس مما يدعو إلى الاغتباط ان نقابل من لدن الجماهير المتحمسة بمثل هذا الترحاب الحار ؟ وانه ليخال لي ان علامة الامتنان مرتسمة على كل وجه . »

ولكن المستر تشرشل كانت تحدثه نفسه ان ابتسامات الترحيب التي تخيلتها السيدة على وجوه الجماهير ما كانت تدل في الحقيقة إلا على غضب شديد . ولذلك التفت إلى لورنس الذي كان يسير من خلفه وسأله : « لورنس ! هل هؤلاء القوم خطرون ؟ يظهر انهم ليسوا بمغتبطين لرؤيتنا . ما الذي يقولونه ؟ » .

فقال لورنس : « انهم في الواقع ليسوا بخطرين . ولكن الكلمات التي يلفظونها لا تدل على ترحيب كما قيل ، بل انها تدل على عداء . إنهم يصرخون : ليسقط الانتداب الانكليزي ! لتسقط السياسة الصهيونية ! »





غزة في يومنا هذا

غزة في يومنا هذا (١)

مدينة من أجمل المدن الفلسطينية الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط . ترتفع عن سطح البحر (٥٥) متراً . القسم القديم منها بني على نشز عال ، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من البحر . وأما الآن فقد امتد البناء في (غزة الجديدة) حتى كاد يتصل بالبحر .

فيها حدائق غناء ، وحول المدينة القديمة بساتين تزرع فيها جميع انواع الخضار، واشجار الفاكهة . ماؤها عذب ، وهواؤها عليـل . إنك إذا جئتها صيفاً وجدتها أحسن مصيف ، وإذا نزلتها شتاءً ألفيتها أبدع مشتى في فلسطين .

إنها من أهم الأسواق الفلسطينية(٢) لتصريف المنتجات الزراعيـة . وهي تأتي

---

(١) قد تجد ، أيها القارىء الكريم ، فى هذا الفصل ما يرضيك وما لا يرضيك . وقد ينتابك احياناً شيء من السآمة والملل ، ولا سيا عندما ترانى اسهبت فى وصف ناحية من نواحى الحياة الغزية ، فتصوب نحوى سهام لومك وتقريعك . أرجو أن لا تتسرع فى الحكم. خذ ما صفا لك ، واترك لغيرك ما لا يستسيغه ذوقك . تذكر أن ما لا يروق فى عينك قد يروق فى عين غيرك . وكما أن ما نعتبره اليوم من المسائل الاجتماعية الهامة قد تسخر به الأجيال القادمة، فان ما لا نعبأ به اليوم قد يعبأ به ابناء الغد عند ما يقلبون صفحات التاريخ ليفاضلوا بين يومهم وأمسهم.

(٢) النظام الاقتصادى فى فلسطين — لسعيد حمادة .

بعد اللد(١) من هذه الناحية . وأهم المنتجات التي تصرف فيها هي الحيوانات ، والأثمار ، والحبوب ، والخضار ، والالبان ، والطيور الداجنة ، والبيض ، والأسماك ، والمنسوجات القطنية والصوفية ، والاواني الخزفية . ويزيدها أهمية وقوعها على مقربة من البحر ، والسهل ، والبادية ، واعتدال الطقس ، وكثرة المياه .

٢ — يعيش في غزة في يومنا هذا ثلاثة وثلاثون ألف نسمة : كلهم عرب ، إلا نفراً من الانكليز الموظفين ، وبعض الاغراب الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة . وأكثر السكان مسلمون . وهناك ما يقرب من ألف مسيحي . ولقد دلت الاحصاءات الرسمية على انه يوجد ثمة (١٠٢٥) امرأة لكل ألف رجل .

قيل انه كان يعيش في غزة في يوم من أيام مجدها الغابر عدد من الناس أكثر من الذين كانوا يعيشون في مدينة القدس ، وان هذا العدد تناقص خلال المئة سنة الأخيرة مراراً كثيرة :

مرة عام ١٨٤٠ للميلاد ، وذلك على أثر الحرب المصرية التي شنها ابراهيم باشا .

واخرى عام ١٩٠٥ م ، وذلك على أثر المحل الشديد الذي أصاب الزرع ، وضرائب الحكومة ، والفوائد الباهظة التي كان يدفعها الفلاحون للمرابين . اولئك الفلاحون الذين كانوا رازحين تحت عبء ثقيل من الديون . فنزح الكثيرون من أبناء المدينة عنها يومئذ طلباً للرزق .

وثالثة عام ١٩١٤ — ١٩١٨ م وذلك بسبب الحرب الكبرى ؛ تلك الحرب التي أضرت بغزة أكثر مما أضرت بأية مدينة اخرى من المدن الفلسطينية . وبعد أن كان عدد سكانها في السنة التي سبقت الحرب (١٩١٣) إثنين وأربعين ألفاً ، انخفض هذا العدد اثناء الحرب انخفاضاً مريعاً حتى اقفرت شوارعها إلا من الجند (٢) وبعد أن وضعت الحرب اوزارها أخذ الغزيون يرجعون إلى بلدهم ؛ فاصبح عددهم عام ١٩٣١ سبعة عشر ألفاً ، وفي ١٩٣٨ م ١٩،٦٩٥ ، وفي ١٩٣٩ م ٢٠،٦٦٨ ، وفي ١٩٤٠ م ٢١،٢٥٢ ، وفي ١٩٤١ م ٢٧،٤٠٩ ، وفي ١٩٤٢ م ٣٠،٠٠٠ وها هم أولاء اليوم ٣٣،٠٠٠ .

---

(١) ويأتي بعدها بالترتيب: عكا وصفد ونابلس والناصرة ورام الله والقدس ويافا وحيفا.

(٢) انظر إلى الصفحة ٢٣٢ من هذا الكتاب .

٣ — وعلى ذكر الحرب المنصرمة نقول ان الغزيين هجروا مدينتهم خلال تلك الحرب مرتين :

الاولى : عندما أعلنت تركيا النفير العام ، وأخذ الجيش التركي يتأهب لغزو قناة السويس . ولا سيما عندما ضرب الاسطول الايطالي غزة بقنابله من البحر . إن هذه القنابل وإن لم تصب غزة بضرر ، إلا أن عدداً من السكان اختار الهجرة على اثرها . ولـكن هذا العدد لم يتعد يومئذ المائتين ، وكانت الهجرة يومئذ اختيارية بحتة.

والثانيـة : عندما اتخذ الجيش الانـكلـيزي خطة الهجوم ، وأخذ يزحف نحو غزة ؛ الامر الـذي اضطر جمال باشا ان يختار خطة الاجلاء . فجمع القائمقام معين بك المرعي كبار المدينة وزعماءها ، وبلغهم أمر الرحيل ، وكان ذلك إجبارياً ؛ فرحل عـلى اثر ذلك ثمانية وعشرون ألف شخص ، لم يرجع منهم إلى غزة عندما وضعت الحرب اوزارها سوى ثمانية عشر ألفاً ، وبقي الآخرون في يافا وحيفا وحمص وحماه ، وفي نواح اخرى من سوريا وفلسطين .

ويقال ان عدد الذين بقوا في حمص وحماه من الغزيين بلغ ثلاثة آلاف . وأما الذين استوطنوا حيفا ويافا فقد تناسلوا في تلك المدينة ، وكثروا حتى أصبح عددهم في يومنا هذا قريباً من ٧٠٠٠ في الاولى و ١٥٠٠٠ في الثانية . وللجالية الغزية في كل منهما حي خاص ، وكيان خاص ، ومخاتير يرعون مصالحها الخاصة . ويحدثك الرواة عن نجاح هذه الجالية في مضمار التجارة والصناعة احاديث تدعو إلى الفخر والاعجاب.

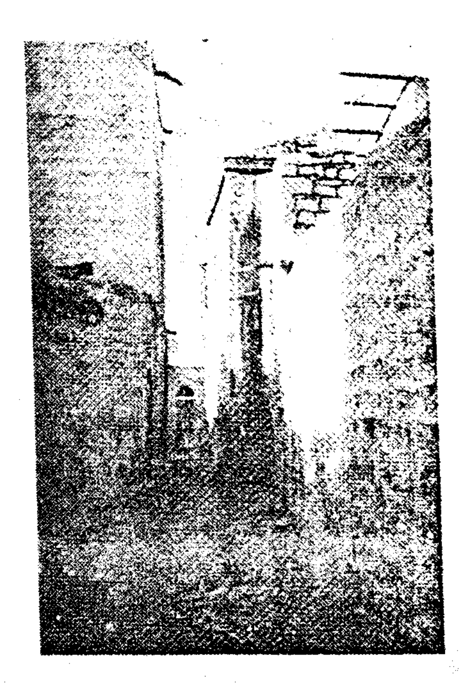
٤ — تقوم المدينة في وقتنا هذا ، بقسميها القديم والحديث ، على بقعة من الارض مساحتها ستة آلاف دونم (١) يحدها من الغرب البحر ، ومن الشرق مقبرة التونسي

---

(١) يقولون ان غزة كانت في القرون الماضية أكبر مما هي عليه الآن بكثير. ولطالما سمعت الغزيين يتحدثون عن ماضيها ، ويقولون انها كانت تمتد (من الدير إلى الدير) : أي من دير سنيد في الشمال ، إلى دير البلح في الجنوب . بيد انني لم أعثر في كتب التاريخ ، ولا سيما تلك التي تصفحتها لأستقي منها المعلومات التي اطلبها عن (تاريخ غزة) ، ما يبرر هـذا القول . غير اني لا ارتاب قط في أن غزة كانت كبيرة جداً ، وان العرب الاوائل الذين كانوا يفدون إليها من كل حدب وصوب كانوا يجتمعون بين الديرين ، وان الجيش الذى كان يحتلها كان مضطراً للاحتفاظ بمخفرين ، واحد من الامام وآخر من الخلف ، ليتمكن من درء عادية المغيرين. ومن يدرى ؟ فلعل أحد هذين المخفرين كان في دير سنيد ، والثاني في دير البلح .

على طريق بئر السبع ، ومن الجنوب العواميد الكائنة بالقرب من بركة ام الليمون، ومن الشمال ملتقى السكة الحديدية بطريق يافا .

٥ — أما المدينة القديمة فإنها عبارة عن منازل قديمة ، وبيوت مبنية من الحجر الرملي ؛ غير انها صغيرة ومتلاصقة بشكل لا يتلاءم مع طلبات العصر الحالي والحضارة الحديثة من حيث الصحة والتنظيم ..أضف إلى ذلك ان الخراب أصاب أكثر هذه البيوت والمنازل اثناء الحرب الكبرى . إذ كانت هدفاً لقنابل الجيش الانكليزي من البحر والبر والهواء . وان الاتراك انفسهم هدموا قسماً كبيراً من هذه البيوت والمنازل بأيديهم، واستعملوا اخشابها متاريس في الحرب . وكذلك قل عن حديدها وبلاطها . وأما ازقتها فحدث عنها ولا حرج . فهي ضيقة للغاية حتى ان اكثرها يكاد لا يتسع لأكثر من شخصين يسيران جنباً إلى جنب في وقت واحد . وتتجمع الأقذار والوحول في هذه الازقة ، ولا سيما في فصل الشتاء ، بشكل يمجه الذوق ؛ فضلاً عما فيه من خطر على المارة . ذلك لانه ليس في غزة في يومنا هذا (مجار) منظمة.(١)



زقاق من أزقة غزة القديمة

(١) عثروا في غزة على اثر لمجرى قديم ، يعتقد انه انشيء في عهد الرومان، ولكنه اليوم مهجور . ولا يعلم أحد مبدأه او منتهاه . إلا انهم عثروا على قسم منه في (سوق التجار) القديم ، عندما انخسفت الأرض تحت بعض الحوانيت التجارية الكائنة في ذلك السوق ، وكان ذلك في اوائل القرن العشرين . وقد اكتشف جانب آخر من المجرى على مقربة من المكان الأول عندما تهدمت بضعة حوانيت اخرى عام ١٩٣٥ وسقطت لنفس السبب . ولدى الكشف على اسس الحوانيت المتهدمة عثر المنقبون على جانب من المجرى المذكور. ويظهر من هذا القسم الذي اكتشف ان المجرى كان فسيحاً للغاية ، حتى ان المنقبين استطاعوا ان يسيروا فيه مسافة طويلة رافعين رؤوسهم ، حاملين المشاعل والمصابيح .

وكل ما فيها حفر بسيطة حفرت أمام المنازل بشكل موقت ، يربط الحفرة والمنزل القريب منها مجرى بسيط . وكثيراً ما يكون هذا المجرى مفتوحاً بشكل يأوي إليه البعوض ؛ فيبيض فيه ، ويفرخ ، ويكون ذلك سبباً في انتشار الملاريا والامراض الفتاكة الاخرى .

إن ضيق الشوارع ، وتلاصق الأبنية والمنازل في المدينة القديمة ، وفقدان المجاري فيها ، وعدم نظافة الطبقة الجاهلة من السكان ، وكثرة أشجار الصبر في الحواكير المجاورة ، والرمال الواقعة بين المدينة والبحر ، وما إلى ذلك من العوامل، أثرت في صحة السكان تأثيراً كبيراً . حتى ان نسبة الوفيات بين الاطفال في غزة كبيرة بدرجة تبعث على القلق . ولقد أحصت مصلحة الصحة هذه النسبة في عام ١٩٤٠ فوجدت انها ١٦٦ في الالف (أي انه يموت ١٦٦ طفلاً من كل ألف طفل يولدون)

وإليك بيان الأمراض كثيرة الوقوع بمدينة غزة وعدد الذين ماتوا بسببها خلال السنوات التالية :

		١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠
١ —	التهاب الامعاء	١٧٤	١٩٠	٣١٦
٢ —	التهاب الرئة	١٢٠	١١٣	١٨٦
٣ —	التهاب القصبات	٣١	٣٢	٤٥
٤ —	التهاب الكلية	٢٥	٢٦	٢٢
٥ —	التهاب الزائدة الدودية	١	—	١
٦ —	امراض الطفولة الاولى	٢٨	٣٥	٢٩
٧ —	امراض القلب	٣٥	١٨	٣٠
٨ —	امراض الجهاز الهضمي	١١	٨	١٨
٩ —	امراض الجهاز البولي	٢٦	٣٠	٢٧
١٠ —	امراض الكبد والمرارة	٣	١	٤
١١ —	امراض الدورة الدموية	٤	٣	٥
١٢ —	الامراض العصبية	٥	—	٢
١٣ —	الامراض الجلدية والعظمية	٤	٣	١٠

		١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠
١٤ —	الأمراض الانتانية والطفيلية	٤	٨	١٦
١٥ —	الامراض الزهرية	١	—	—
١٦ —	الحمى التيفوئيدية	١٠	٣	٧
١٧ —	الحمى البرداء (الملاريا)	—	١	—
١٨ —	الحمى الاسبانيولية (انفلونزا)	١	—	٣
١٩ —	الحمى النفاسية (وامراض الولادة)	١	١	٢
٢٠ —	الحصبة	٦	١	٥٩
٢١ —	السعال الديكي	٢	—	—
٢٢ —	الخناق (ديفتريا)	١	—	١
٢٣ —	السكري	—	١	٢
٢٤ —	الروماتيزم المزمن	١	١	١
٢٥ —	النزيف الدماغي	١٢	٧	١٣
٢٦ —	السل	٧	٩	٢١
٢٧ —	الاورام السليمة	٣	—	—
٢٨ —	السرطان والاورام الخبيثة	٨	٦	٧
٢٩ —	التسمم الداخلي المزمن	٥	١	٨
٣٠ —	القتل الجبري	١٣	٣	—
٣١ —	الموت الفجائي	٧	٦	٩
٣٢ —	الانتحار	١	١	—
٣٣ —	الشيخوخة	١٥	١٨	٣١
٣٤ —	الموت لأسباب غير معروفة	٤٣	٤٠	٦٠

وأما (مرض العيون) فحدث عنه ولا حرج . إنه منتشر في غزة بشكل مخيف. لا بل انه رافق غزة منذ أقدم عصور التاريخ . ولقد قامت مصلحة الصحة بمكافحة هذا المرض على قدر المستطاع، فتمكنت الى درجة ما من الحيلولة دون توسع الخرق. وإليك عدد الذين اصيبوا بمرض العيون من سكان مدينة غزة وعولجوا في العيادة

الطبية (١) التي خصصتها الحكومة لمعالجة هذا المرض خلال السنوات الخمس الاخيرة:

السنة	عدد المصابين في بحر السنة	عدد الذين عولجوا في بحر السنة	عدد المصابين بالرمد الصديدي	عدد المصابين بالرمد الصديدي مع القرحة
١٩٣٨	٢٠٩٢	٧٦٣٠٧	٩٤٤	١٥
١٩٣٩	٢٣٢٥	٨٣٣٨٢	١٠٥٥	٩
١٩٤٠	١٨٠٩	٧٧٢٣٧	٨١٣	٣
١٩٤١	١٧٨٥	٦٦٨٣٩	٨٦٦	٦
١٩٤٢	١٨٧١	٧٨٥٠٢	٩٥٩	١٩

٦ — هناك في غزة القديمة خمسة احياء هي : الدرج ، والزيتون ، والتفاح ، والشجاعية (بقسميها : الجديدة ، والتركمان) .

أما حي (الدرج) فلا نعلم عن أسباب تسميته شيئاً . وانا نظن انه سمي كذلك لانه أعلى من الاراضي المجاورة له . والذاهب إليه يشعر كأنه يرتقي سلماً أو يصعد درجاً.

وأما حي (الزيتون) فإنه من أكبر الأحياء وأوسعها . وفيه عدد كبير من أشجار الزيتون .

وكذلك قل عن حي (التفاح) فإنه سمي كذلك لكثرة أشجار التفاح فيه ولا سيا في القطعة المسماة (السيفة) من اراضيه . ويسميه الاهلون بلغتهم الدارجة (التفين).

وهناك حارة في حي التفاح تدعى (بني عامر) . وقد سميت كذلك بالنسبة إلى سكانها الذين ينتسبون إلى عامر بن لؤي .

وأما (الشجاعية) فهي حي كبير ينقسم إلى فرعين : التركمان والجديدة. ولعل تسميته بالشجاعية(٢) نسبة إلى شجاع الدين عثمان الكردي الذي استشهد في غزة سنة ٦٣٧ للهجرة ابان الحروب الصليبية .

ويعتقد الاستاذ مصطفى الدباغ ان سكان الجديدة أصلهم من الجديدة المدينة القريبة من الموصل . وأما سكان التركمان فإنهم من بقايا القبائل التركمانية التي نزلت

---

(١) ان هذه الارقام لا تشمل الاشخاص الذين اصيبوا بمرض من امراض العيون المختلفة وعولجوا عند الاطباء غير الحكوميين .

(٢) بلادنا — فلسطين : للاستاذ مصطفى الدباغ

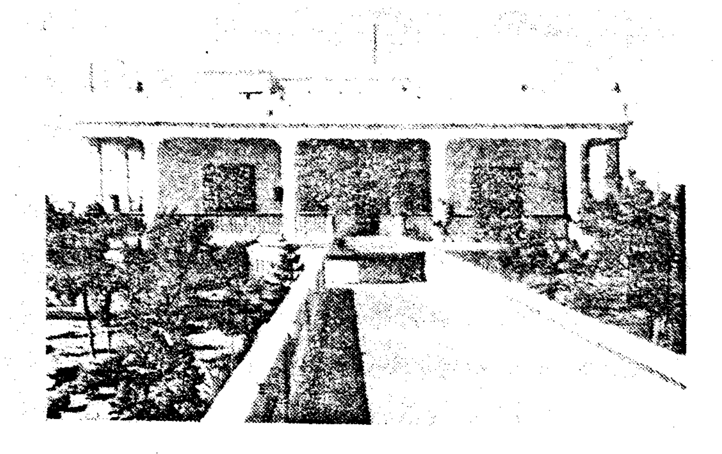
غزة في عهد الملك الصالح ايوب الذي تولى الملك عام ٦٣٧ للهجرة .

ويفصل بين حي الدرج والزيتون شارع فسيح انشأه جمال باشا خلال الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٧) واطلق عليه اسمه . ولكن المجلس البلدي اسماه عام ١٩٣٢ (شارع عمر المختار) .

٧ — وأما (غزة الجديدة) فإنها انشئت فوق الرمال الممتدة من تل السكن على حدود المدينة القديمة إلى البحر . ويسمونها (الرمال) أو (الحارة الغربية) . ومساحتها ثلاثة آلاف دونم . خصصت الحكومة منها ما يقرب من ألف دونم للبناء. وقد قسمت عام ١٩٣٤ هذه المساحة من الاراضي إلى بقع مختلفة المساحة : بعضها دونمان ، والبعض الآخر دونم واحد ؛ وباعتها لمن شاء البناء من الاهلين بسعر يتراوح بين الثلاثة ملات (للمتر الواحد من الاراضي الواقعة على شارع من الشوارع الفرعية) والخمسة ملات (للمتر الواحد من الاراضي الواقعة على شارع من الشوارع الرئيسية). واشترطت لذلك أن يهيء المشتري تصميماً للبناء الذي ينوي إقامته فوق الارض التي اشتراها ، وذلك خلال سنتين من تاريخ التوقيع على العقد ؛ وان يشرع بالبناء فعلا فيتمه خلال السنوات الخمس الاولى . فاذا قام بهذه الشروط سجلت الارض وما عليها على اسمه في دائرة الطابو ، وإلا فلا .

ولكي تتمكن من صد الرمال التي كانت تزحف في كل سنة من جهة البحر انشأت غابتين جميلتين : الاولى على بعد ميلين من شمال المدينة إلى الغرب ، والثانية على بعد ميل واحد من جنوبها إلى الغرب . وكلتاهما تمتدان حتى البحر . والفضل في نجاح هاتين الغابتين يرجع إلى أحد أبناء غزة المثقفين سعدالله بك البورنو . فقد احتضن هذا المشروع بكلتا يديه ، وأولاه معظم اوقاته وجهوده ، وأخذ يغرس في تلك الرمال من الاعشاب والاشجار ما حال دون سيرها فزال عن غزة خطر طالما تهددها من قبل . وأصبحت تلك الرمال الجرداء جنة غناء. وها هي تي المنازل تبنى على الطراز الحديث في غزة الجديدة ، فتزيد منظر المدينة رونقاً وبهاء . وبين هذه المنازل شوارع فسيحة ، وفي أكثرها حدائق غناء ؛ وأوسعها حديقة البلدية الجميلة المعروفة (بالمنتزه) ، وهي قائمة في نقطة متوسطة بين المدينة القديمة والجديدة .

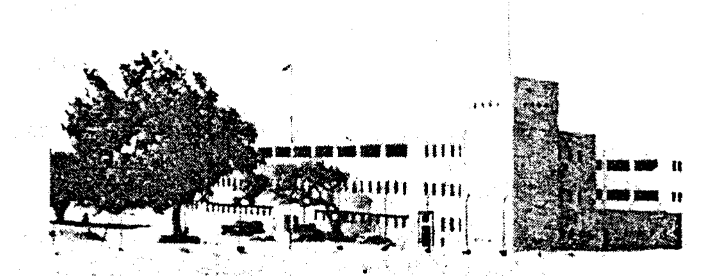
٨ — وفي غزة الجديدة تقع منازل الذوات والطبقة الراقية من الاهلين



دار من دور الحي الجديد في الرمال

(١٩٣٠ م)

والموظفين . وفيها ملعب كبير لكرة القدم انشأه النادي الرياضي الغزي (١) ، وآخر للتنس ، ومقهى ودار للسينما(٢) من الطراز الحديث . وفيها تقوم مدارس الحكومة



دار الحكومة الجديدة في الرمال

(١) تأسس هذا النادي عام ١٩٣٤ م (١٣٥٣ هـ) ورئيسه السيد رشاد بن المرحوم الحاج سعيد افندى الشوا هو الذي أسسه .

(٢) بناها السيدان رشاد الشوا وغالب النشاشيبي وشركاؤهما . وقد كلفهم بناؤها اثنى عشر ألفاً من الجنيهات .

للذكور والاناث ، وبستان للأطفال أسسته نخبة ممتازة من رجال غزة المثقفين .

وفيها دار الحكومة الجديدة المعروفة : Tegart Building ؛ وهي دار فخمة(١) مؤلفة من اربعة قصور شاهقة ، متصل بعضها ببعض ، وفيها تقيم جميع مصالح الحكومة ودواوينها .

٩ — اختفت (مسرجة الزيت) من غزة في منتصف القرن التاسع عشر ، وحل مكانها (مصباح البترول) . ولا يزال السواد الاعظم من أهالي غزة يستعملون هذا المصباح بقصد الانارة في منازلهم . ولم تعرف غزة النور الكهربائي إلا في سنة ١٩٣٨ م يوم تم الاتفاق بين المجلس البلدي وشركة كهرباء فلسطين (٢) The Palestine Electric Corporation Ltd. على اضاءة غزة بالكهرباء . غير أن الغزيين لم يرتاحوا لهذا الاتفاق بل سخطوا عليه ، بسبب العداء المستحكم بين العرب واليهود من جراء مشروع (الوطن القومي) اليهودي . فثاروا عليه ، وحطموا مصابيح الكهرباء كلها وقسماً كبيراً من الأعمدة . ولما هدأت الثورة في عام ١٩٤٠م استأنفت الشركة المذكورة عملها فأضاءت الشارع العام بمئة وثلاثين مصباحاً كهربائياً كما أضاءت بعض المنازل الواقعة في حي الرمال . ولكنها ما لبثت أن اضطرت، بعد بضعة شهور، للعدول عن إضاءة الشارع ، وذلك على أثر الانظمة التي فرضتها السلطة والتي تقضي باطفاء الأنوار بسبب الحرب . فأضحى استعمال الكهرباء في غزة منحصراً في استخراج الماء من (بئر الصفا) وفي عدد محدود من منازل الذوات والموظفين . وأما المنازل الاخرى فإنها ما برحت تضاء بمصابيح البترول كالمعتاد .

١٠ — في غزة مدرسة حكومية للبنين ، قائمة في بناء شيد في عهد الاتراك (عام ١٩١١ م) وهي ابتدائية كاملة وفيها قسم ثانوي ذو صفين .

تأسست هذه المدرسة في العهد التركي عام ١٨٨٧ م وكانت في بادىء الأمر

---

(١) تم بناء هذه الدار عام ١٩٤١ ، وقد كلف بناؤها مبلغاً يقرب من مئة ألف جنيه . وهي من اضخم الدور بنيت على هذا الشكل في جميع انحاء فلسطين . وواضع تصميمها هو السر تشارلس تيغارت الخبير فى مكافحة الثورات ، الذى استحضرته الحكومة لتستفيد من اختباراته على أثر ثورة ١٩٣٦ .

(٢) مؤسس هذه الشركة (روتمبرغ) ، وهو مهندس كهربائى من يهود روسيا .

ابتدائية بحتة ، ذات صفوف ثلاثة . وكان طلابها ينتقون من البرزين من طلاب (الكتاتيب) مثل كتاب العجمي، وكتاب الشيخ عطية ، وكتاب جامع ابي ركاب في حي الزيتون ؛ وكتاب الشيخ ظريف ، وكتاب الشيخ خالد ، وكتاب الشيخ فرج ، وكتاب الهليس في حي الدرج ؛ وكتاب جامع السدرة ، وكتاب جامع ابن سلطان في حي التفاح ؛ وكتاب جامع المحكمة ، وكتاب جامع السيدة رقية ، وكتاب جامع الغزالي ، وكتاب جامع المغربي ، وكتاب جامع الظفر دمري ،وكتاب جامع الطيار في حي الشجاعية. ومن اسمائها يفهم أن هذه الكتاتيب كانت في المساجد .

ثم انقلبت المدرسة إلى (رشدية) ذات اربعة صفوف تعلم فيها العلوم التالية باللغة التركية وهي : التاريخ ، والجغرافيا ، ومبادىء العلوم الطبيعية ، واللغة العربية . وظلت كذلك حتى الانقلاب العثماني واعلان الدستور عام ١٩٠٨ م. وفي عام ١٩١٤ أصبحت مدرسة غزة ذات ستة صفوف مقسمة كما يلي :

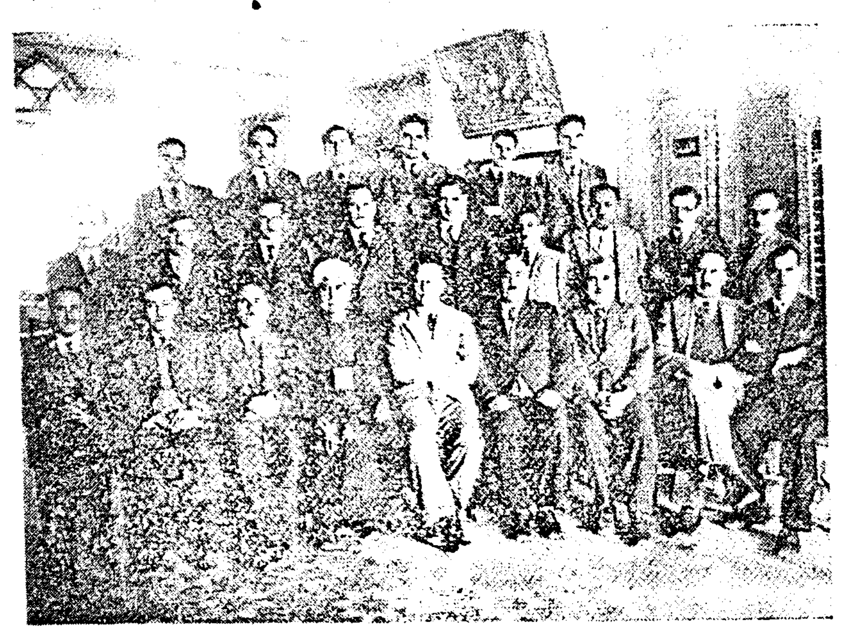
الدورة الابتدائية الدنيا	ومدتها سنتان
الدورة الابتدائية الوسطى	ومدتها سنتان
الدورة الابتدائية العليا	ومدتها سنتان

كان هذا كله في البناء الذي اتخذ فيما بعد مدرسة للبنات في حي الدرج . ثم انتقلت إلى البناء الجديد (عام ١٩١١ م) الواقع أمام زاوية ابي العزم للجهة القبلية من مقبرة علي بن مروان . وهو مكون من جناحين يفصلهما بهو كبير . وفي كل جناح بهو وأربع غرف . وقد اضيف إليها في عام ١٩٣٣ م طابق علوي . وفي عام ١٩٣٥ اضيف إليها غرفتان جديدتان . وبعد ذلك بسنتين انشئت غرفة كبيرة جعلت لتعليم النجارة .

وظل التدريس قائماً في هذا البناء إلى ان نشبت الثورة الفلسطينية (١٩٣٨ م)، ثم اعلنت الحرب الحاضرة (١٩٣٩ م) ؛ فاحتلها الجيش البريطاني وأقام بدلا منها براكات خشبية اتخذت مدرسة . وهذه البراكات قائمة على أرض بيارة فراس المقابلة لدار سينما السامر .

ولقد كان في مدرسة غزة عام ١٩٢٧ مئتان واربعة وثمانون تلميذاً واثنا عشر

معلماً . فأصبح عدد تلاميذها عـام ١٩٤١ م ١٢٣٧ تلميذاً و ٢٦ معلماً(١) يدرس فيها ابناء غزة كلهم وابناء الموظفين الذين يعيشون فيها عـلى اختلاف طوائفهم .



معلمو مدرسة البنين بغزة

(٣١ اذار ١٩٤٣)

وإليك عدد التلاميذ من المسلمين والمسيحيين الذين تعلموا في هذه المدرسة خلال السنوات الست عشرة الاخيرات ، وعدد المعلمين في كل سنة منها :

---

(١) الصف الامامي (من اليمين إلى اليسار) : ١ : حنا دهده فرح — غزة . ٢ : الحاج سعدى بدران — نابلس . ٣ : صليبا الصائغ — غزة . ٤ : عمر سابا — غزة . ٥ : ممدوح الخالدى (المدير) — القدس . ٦ : الشيخ محمود سرداح — النزلة . ٧ : عبدالله عمار — غزة . ٨ : حسن ابراهيم — سباسطية . ٩ : حلمي ابو رمضان — غزة .

الصف الثانى (من اليمين إلى اليسار) : ١ : ابراهيم حبيب — القدس . ٢ : جميل ناصر — ديرغسانة . ٣ : حلمي امان — غزة . ٤ : رامز فاخرة — غزة . ٥ : محمد الشيخ سالم — كراتيا . ٦ : صبحى فرح — غزة . ٧ : محمد الكيلانى — نابلس . ٨ : عبد الخالق يغمور — الخليل . ٩ : شريف برزق — غزة .

الصف الثالث (من اليمين إلى اليسار) : ١ : أكرم دودين — الخليل . ٢ : رشدى الزعبي — طوباس . ٣ : فتحى شراب — غزة . ٤ : عدنان كمال — نابلس . ٥ : أحمد عبد الشافي — غزة . ٦ : محمود شراب — غزة .

سنة	عدد المعلمين	مجموع الطلاب	مسلمون	مسيحيون
١٩٢٧	١٢	٢٨٤	٢٢٩	٥٥
١٩٢٨	١٢	٢٠٩	١٦٦	٤٣
١٩٢٩	١١	٢٥٠	٢٠٢	٤٨
١٩٣٠	١١	٢٨١	٢٣٠	٥١
١٩٣١	١٢	٣٠٢	٢٥٢	٥٠
١٩٣٢	١٣	٣٧٨	٣١٥	٦٣
١٩٣٣	١٦	٥٣٦	٤٦٦	٧٠
١٩٣٤	١٨	٦٧٥	٥٩٤	٨١
١٩٣٥	١٩	٧٨٣	٧١١	٧٢
١٩٣٦	١٩	٨٣١	٧٦٢	٦٩
١٩٣٧	٢٢	١٠٠٩	٩٣٩	٧٠
١٩٣٨	٢١	٩٨٧	٩٢٣	٦٤
١٩٣٩	٢٤	١١٩٠	١١٢١	٦٩
١٩٤٠	٢٣	١١٠١	١٠٤٣	٥٨
١٩٤١	٢٦	١٢٣٧	١١٦٣	٧٤
١٩٤٢	٢٣	١٠٤٥	٩٧٠	٧٥
١٩٤٣	٢٤	١٠٠٤	٩٣٣	٧١

وفي غزة مدرسة حكومية اخرى ذات اربعة صفوف ، تعتبر فرعاً للمدرسة المتقدم ذكرها . وهي واقعة في حي (الشجاعية) .

وهناك مدرستان للأوقاف : واحدة ابتدائية وهي ذات سبعة صفوف وفيها ثمانية معلمين وثلاثمئة تلميذ ، وقد انشأها المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى عندما تسلم الأوقاف المندرسة . والمكان الذي انشئت فيه يعرف بحاكورة الباز . وقد ألف المجلس لجنة من اعيان غزة برئاسة مفتيها لتشرف على عمارتها المؤلفة من جناحين يفصلها بهو كبير ، وكل قسم يتألف من أربع غرف وبهو كبير.واختارت اللجنة لها اسماً هو (مدرسة الفلاح الاسلامية الوطنية) .

وهناك مدرسة للمكفوفين انشأتها مصلحة الوقف قبل الحرب العامة(١٩١٤م)

والغاية منها تعليم العجزة القرآن الكريم واسمها (المدرسة الهاشمية) وهي واقعة في جامع السيد هاشم .

وفيها ثلاث مدارس للبنات : واحدة حكومية ، واخرى بلدية ، وثالثة اهلية .

أما مدرسة البنات الحكومية فانها كانت في بادىء الأمر في دير اللاتين ، ثم انتقلت إلى بناء لآل رضوان واقع بالقرب من بئر الرفاعية . وكان هذا البناء بيتاً معداً للسكن ، وظل كذلك حتى عام ١٨٨١ م لجعل مدرسة للذكور . وظل كذلك حتى عام ١٩٢١ م إذ جعل مدرسة للاناث . وانتقلت مدرسة الذكور إلى بنائها الجديد الذي اقيم امام زاوية ابي العزم للجهة القبلية من مقبرة علي بن مروان . وقد اضيف إلى مدرسة الاناث بعض الغرف في عام ١٩٢٦ م . ثم اخلي البناء بالمرة لتصدع أصابه بسبب الامطار الغزيرة ؛ فاقامت الحكومة بدلا منه ، على عرصة المدرسة نفسها ، بناء انشيء على الطراز الحديث (عام ١٩٣٣) وكان هذا البناء مؤلفاً من ست غرف فسيحة جعلت إحداها للتدبير المنزلي . ثم انشيء فوقه (١٩٣٥) طابق علوي وهو مؤلف من ثلاث غرف امامها رواق جميل . وفي عام ١٩٣٧ انشئت فيها مراحيض عديدة على الطراز الحديث .

وفيما كانت الهمة منصرفة نحو هذه المدرسة وتوسيعها هبت عاصفة هوجاء (في ٦ آذار ١٩٣٨) وهطلت امطار غزيرة دامت خمس ساعات متواليات تصدعت على اثرها جدران المدرسة . فأمرت الحكومة ، خشية الخطر ، بهدم الركن الجنوبي الشرقي الذي كان على وشك الانهيار . ثم امرت باخلاء البناء كله ، وبنقل المدرسة إلى دارين متجاورتين واقعتين على طريق البحر بالقرب من سينما السامر : واحدة للسيد محمود شراب ، والاخرى للسيد محمد الريس .

وقد تولت إدارة هذه المدرسة الآنسة بهية فرح من سنة ١٩٢١ — ١٩٢٤ م والآنسة ليديا شاهين حاطوم من ١٩٢٤ — ١٩٣٨ والآنسة نهيزة بدران من ١٩٣٨ — ١٩٤٣ .

وبعد أن كان (١٩٢٤) عدد الطالبات في المدرسة المذكورة مئة وخمسين ، والمعلمات تسعاً أصبح الآن (١٩٤٣ م) ٥٢٧ والمعلمات ست عشرة . وإليك تفصيل هذا العدد خلال السنوات التسع عشرة الاخيرة :

السنة	معلمات	طالبات	السنة	معلمات	طالبات
١٩٢٤	٩	١٥٠	١٩٣٤	١٤	٥٤٥
١٩٢٥	٩	٢٣٧	١٩٣٥	١٥	٥٧٣
١٩٢٦	٩	٢٥٣	١٩٣٦	١٥	٥٩٩
١٩٢٧	١٠	٣١٠	١٩٣٧	١٦	٦١٠
١٩٢٨	١١	٣١٢	١٩٣٨(١)	—	—
١٩٢٩	١١	٣١٢	١٩٣٩	١٦	٥٨٨
١٩٣٠	١١	٢٩٦	١٩٤٠	١٦	٥٧٢
١٩٣١	١١	٢٧٩	١٩٤١	١٦	٥٥٩
١٩٣٢	١١	٣٠٧	١٩٤٢	١٦	٥٢٧
١٩٣٣	١٣	٤٢٣			

وتتلقى الطالبة في هذه المدرسة العلوم الأولية في الدين ، واللغتين العربية والانكليزية ، والحساب ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والصحة ، والطبيعة ، والرسم . وتتعلم ايضاً اصول الخياطة ، والتفصيل ، والتدبير المنزلي ، وتربية الطفل ؛ مما يهيئها لأن تكون ربة بيت نافعة . وفي المدرسة مكتبة فيها ما يقرب من ألفي كتاب .

وأما مدرسة البنات البلدية فقد أسسها المجلس البلدي من اموال المدينة وكان ذلك بتاريخ ١٦/٢/١٩٣٠ . ذات ثمانية صفوف . ويتعلم فيها ما يقرب من اربعمئة طالبة ، وفيها عشر معلمات . وتسير في تعليمها على منهاج مصلحة المعارف العامة . وأما مدرسة البنات الأهلية فقد انشأتها سيدة من سيدات غزة تدعى (زهية السقا)، فيها ٣٥ طالبة . وهي ذات صفين . تعلم فيها مبادىء العلوم الأولية .

وهناك مدرستان أهليتان: أحداها في الشجاعية تدعى(مدرسة الشجاعية الاهلية)، والاخرى في حارة الزيتون تدعى (مدرسة ابي شهلة الأهلية) . أما الاولى فقد أسسها السيد سليم فروانة ، وكان ذلك عند مطلع عام ١٩٣٧ . فيها ثمانون طالباً ، وهي ذات صفين فقط . وأما الثانية فقد أسسها الشيخ حسن ابو شهلة وكان

(١) ظلت المدرسة مغلقة طيلة عام ١٩٣٨ بسبب احتلال الجيش لبنائها .

ذلك في عام ١٩٢٤ . فيها مئة طالب ، وهي ذات ثلاثة صفوف ابتدائية . ومنهاج التعليم في هاتين المدرستين يرمي إلى تعليم اللغة العربية والقرآن ومبادىء الدين والعلوم الاولية.

وفي غزة (بستان للأطفال) أسسه مؤلف هذا الكتاب مع لفيف من اصدقائه، وكان ذلك بتاريخ ١٩٤٢/٩/١ . فيه معلمتان وواحد وعشرون طفلا من ذكور واناث، ويحمل هؤلاء الاطفال من منازل آبائهم إلى البستان بعناية تامة وفي سيارة اعدت لهذه الغاية .

ولقد قام ثلاثة من شبان غزة المثقفين (وديع ترزي وأخوه شفيق وجعفر فلفل) بتأسيس كلية عربية آسموها (كلية غزة) . وكان ذلك بتاريخ ١ اكتوبر ١٩٤٢ وهي ذات ثمانية صفوف : خمسة منها (الاول والرابع والخامس والسادس والسابع) ابتدائية ، واثنان (الاول والثالث) ثانويان ، وبستان للأطفال من اولاد وبنات . فيها سبعة اساتذة واربع معلمات . ولغة التدريس فيها العربية ، وأما اللغة الانكليزية فانها تدرس كلغة . وفي الكلية قسم داخلي يضم بين جدرانه ستة وعشرين طالباً .

١١ — وفي غزة اربع مكتبات عربية للمطالعة تحتوي على كتب قيمة : الاولى في الجامع العمري الكبير . والثانية في النادي الرياضي الاهلي . والثالثة في مدرسة الذكور . والرابعة في مدرسة الاناث . وهناك مكتبة انكليزية في دار حاكم اللواء . وأكبر هذه المكاتب هي مكتبة الجامع العمري الكبير فقد اسست عام ١٣٥٢ ﻫ وفيها الآن ألفان وخمسمائة كتاب بين مطبوع ومخطوط، وناظرها الشيخ عثمان افندي الطباع . وهو في نفس الوقت نائب رئيس جمعية الهداية الإسلامية بغزة . وفيها مكتبتان تجاريتان : واحدة للشيخ هاشم نعمان الخزندار ، والاخرى لخميس بن سعيد ابي شعبان .

١٢ — ولقد تأسس في غزة عام ١٨٩٣ أول (مجلس بلدي) .فكانت ميزانيته ضعيفة للغاية ، وكان رئيسه الحاج مصطفى افندي العلمي . وبعد ان بقي هذا في البلدية خمسة اعوام ، تنحى عنها فترأسها ولده الحاج أحمد افندي العلمي . ثم علي افندي الشوا وبقي فيها ستة اعوام . ثم تولاها الشيخ عبدالله افندي العلمي سنتين . ثم تولاها خليل افندي بسيسو سنة واحدة . ثم تولاها الحاج سعيد افندي الشوا وقد بقي فيها عشرة اعوام . وعلى عهده انشىء المستشفى البلدي فوق تل السكن .

وبعد الاحتلال تولى رياسة البلدية محمود افندي ابو حضرة ثلاثة اعوام . ثم تولاها عمر افندي الصوراني ثلاثة اعوام ايضاً . ثم تولاها فهمي بك الحسيني ومكث فيها احد عشر عاماً . إلى أن تولاها في ٢٩/١/١٩٣٩ رئيسها الحالي رشدي بك الشوا وهو ابن المرحوم الحاج سعيد افندي الشوا .



فهمي بك الحسيني



رشدي بك الشوا

وقد تم على يد الرئيسين الاخيرين فهمي بك الحسيني ورشدي بك الشوا وكلاهما من الطبقة المثقفة تثقيفاً عالياً اصلاحات جمة : إذ وسع الاول الشارع الكبير الذي يشطر المدينة شطرين وهو المعروف بشارع (عمر المختار) ، وانشأ دار البلدية الجديدة ، كما انشأ حديقة البلدية المعروفة (بالمنتزه) . وعبد الثاني الشوارع العديدة في البلدة القديمة وفي الرمال ، وحفر (بئر الصفا) الذي تعول عليه المدينة اليوم في شربها وفي جميع مشاريعها العمرانية .



دار البلدية الجديدة في شارع عمر المختار

وأما المجلس البلدي الحالي فقد انتخب عام ١٩٣٤ وهو الآن يتألف من رئيس وستة اعضاء هم الذين تراهم في الصورة المثبتة (١) في الوجه ٢٦٧ :

وبعد ان كانت ميزانية البلدية في السنة لا تتعدى البضع مئات من الجنيهات فقد اصبحت الآن تعد بالالوف. ولسنا بذاكرين ميزانيات السنين الاولى ، إذ كانت هذه لاتتعدى عدد اصابع اليد . وانما لا بد لنا من ذكر الارقام التي تحققت خلال السنوات الاربع عشرة الاخيرة .

---

(١) من اليمين إلى اليسار (الجالسون) : ١ — عبد القادر حنحن. ٢ — الحاج سعيد ابو رمضان . ٣ — موسى الصوراني . ٤ — رشدي الشوا (رئيس) . ٥ — محمد الريس . ٦ — الحاج راغب ابو شعبان . ٧ — موسى البورنو .
الواقفان : حافظ ترزي — عضو . هاشم اللولو — كاتب المجلس .



المجلس البلدي بغزة

(٣١ آذار ١٩٤٣)

السنة	الواردات جنيه	المصروفات جنيه	السنة	الواردات جنيه	المصروفات جنيه
١٩٢٩	٧١٢٩	٧٢٥٦	١٩٣٦[1]	٧٩٤٥	٨٤٨٥
١٩٣٠	٨٤٠٣	٨٥٥٩	١٩٣٧	١٣٩٦٢	١٣٨٣١
١٩٣١	٨٥٢٧	٨٨٧٤	١٩٣٨	١٣٢٢٨	١٢٢٥٨
١٩٣٢	٩٢٣٥	٩٠٩٢	١٩٣٩	١٤٠١٦	١٣٤١١
١٩٣٣	١١٣١٨	١١٢٥٠	١٩٤٠	١٨٥٠٠	٢٠١٢٩
١٩٣٤	١١٤٠٣	١١٣٢٥	١٩٤١	٢١٠٦٨	٢٢١٩٧
١٩٣٥	١٤٢٥٨	١٤٠٩١	١٩٤٢	٢٣٩٩٧	٢٦٥١٠

(١) نقصت ميزانية هذه السنة (١٩٣٦) بسبب الأضراب العام الذى اعلنه العرب احتجاجاً على سياسة الحكومة من حيث الانتداب والوطن القومى . واشتركت مدينة غزة في هذا الاضراب الذى دام ستة شهور ، تعطلت خلالها جميع المصالح والأعمال .

١٣ — وفيما يلي عدد الدكاكين والمخازن والفنادق والمطاعم والأفران والمطاحن وجميع انواع الحرف والصنائع المرخصة في غزة حسب الاحصاء الذي قامت به مصلحة الصحة خلال عام ١٩٤١ :

	عدد		عدد
فنادق	٤	مخازن حبوب	٢٨
معاصر	٧	دكاكين بقالة	١٣١
خمارات	٩	دكاكين خضرة	٣٩
مقاهي	٨	دكاكين حلاقة	٣٥
مخابز	١٢	مصابغ	١٤
معامل بلاط	٣	دكاكين لبيع اللحوم	١٣
معامل فخار	٦٩	محلات عطارة	١٢
مطاحن	٣	مسمكات	١
صيدليات	٢	خانات	٥
كراجات	٤	انوال حياكة	٥
مخازن للكاز والبنزين	١٤	حمامات	٣
محلات صياغة	١١	محلات للغسيل والكوي	٩
محلات صنع الفراوي	١٥	متاجر متنوعة	٤٥
محلات لبيع الحلويات	٦	باعة متجولون	٦٠
مصانع تدار بالكهرباء	٥	سروجية	٣

١٤ — ويقام في غزة اسواق عديدة : منها سوق الحيوانات ، ويسمونها (سوق الجمعة) إذ انها تقام يوم الجمعة في بركة نصار الواقعة شرقي المدينة . حيث يفد الناس من جميع اطراف المدينة ومن القرى المجاورة فيتسوقون ما يعرض فيها من خيل وغنم وحمير وبقر وبغال وإبل. ويكثر في هذه السوق عرض الابل والأغنام النجدية التي يأتي بها تجار من عقيل . وهي سوق قديمة العهد جداً ، قد ترجع بالأصل إلى عهد المعينين وبني سبأ الذين قلنا عنهم في الفصول الاولى من هذا الكتاب انهم إذا لم يكونوا هم الذين شيدوا غزة فانهم بلا مراء أول من ارتادها وغشى اسواقها من

العرب الاوائل الذين وصلتنا اخبارهم .

ومنها (سوق الحبوب) في خان ابي شعبان ؛ و (سوق الخضار) في خان المعارف بالقرب من موقف السيارات ؛ و (سوق الحاجيات) الواقع غربي المستشفى الذي اقامته الارسالية الانكليزية . ويعرض في هذه السوق الكلس والتبن والحصر والفخار وما إلى ذلك من السلع والحاجات. وهذه الاسواق الثلاث تقام في كل يوم . هذا بالاضافة إلى (سوق التجار) وفيها الدكاكين والمخازن التجارية التي اوردنا ذكرها في الاسطر المتقدمة .

أما الحنطة والشعير والذرة وسائر انواع الحبوب فقد اعتاد الغزيون كيلها بـ (الصاع) . وسعته من الحنطة ستة ارطال ، ومن الشعير اربعة ارطال ونصف الرطل، ومن الذرة خمسة ارطال ونصف الرطل . وهناك (المسحة) أيضاً وسعتها من الحنطة خمسة ارطال ونصف الرطل ، ومن الشعير اربعة ارطال ، ومن الذرة خمسة . وبطلت (الكيلة) وقد كانت معروفة حتى الربع الاول من القرن العشرين ، وهي ثلاثون كيلو من القمح وعشرون من الشعير وثمانية وعشرون من الذرة والقطاني .

وأما الاقمشة فانها تقاس : (الذراع) وهي ثمانية وستون سنتيمتراً ، و (اليارد) وهو ذراع وثلث ، و (المتر) وهو مئة سانتيمتراً او ما يعادل ذراعاً ونصف الذراع تقريباً وهناك (الذراع المعماري) وهو خمسة وسبعون سانتيمتراً .

وأما (الموازين) السائدة في اسواق غزة فهي نوعان : نوع خفيف يعرف بـ (الميزان) وهو آلة ذات كفتين من النحاس توضع السلعة المراد وزنها في كفة ، وعيار الوزن المطلوب في الكفة الاخرى . وآخر يعرف : (القبان) وهو معد لوزن الاثقال . فيوضع الموزون فوقه ويزلج العيار على الذراع المنقوش فيها ارقام الوزن. ويظل التاجر يزلج العيار على هذا الذراع إلى ان تحصل المعادلة بينه وبين الموزون .

وإليك (الاوزان) المعروفة في غزة :

١ — (الرطل) = ٩٠٠ درهم = ١٢ اوقية = ½ ٢ اوقة
٢ — (الاوقية) = ٧٥ درهماً = ٢٤٠ غراماً
٣ — (الاوقة) = ٤٠٠ درهم
٤ — (القنطار) = ١٠٠ رطل
٥ — (الكيلو) = ٣١٢ درهماً = ١٠٠٠ غرام

واكثر هذه الاوزان شيوعاً هو (الرطل) و (الاوقية) . ولم يعرف الغزيون (الكيلو) إلا في الاعوام الاخيرة .

والاراضي تقاس : (الدونم) وهو ألف متر مربع .

١٥ — لم يكن في غزة مطاحن قبل خمسين عاماً . وكان الغزيون يطحنون قمحهم بمطاحن اعتيادية تدار باليد . وكان في كل دار من دور غزة طاحون من هذا النوع . ثم انشئت في غزة مطحنة تدار بالخيل ، وهي ذات حجر كبير مستدير . ثم ادخلت المطاحن التي كانت تدار تارة بالقصل وطوراً بالفحم الحجري . ثم صارت هذه بعد الاحتلال تدار بالبترول . ولم يستعمل الغزيون بعد المطاحن التي تدار بالكهرباء رغم اتصال مدينتهم بمشروع الكهرباء بفلسطين . ذلك الاتصال الذي وقع عام ١٩٣٨ . وفي غزة اليوم خمس مطاحن تدار كلها بالبترول . واجرة الطحن فيها قرش واحد (أي عشرة ملات) لكل ثلاثة ارطال (١)

١٦ — وفي غزة ست معاصر لعصر السمسم واستخراج السيرج منه : معصرة الغلاييني ، والقرم ، والشجاعية ، وابي شعبان ، والبربري ، والهندي . وتدار المعاصر الاربع الاولى على الطرق القديمة المألوفة من عهد الاجداد أي بواسطة الدواب . وأما الاثنتان الاخيرتان فقد طرأ عليهما بعض التحسن ، فأصبحتا تداران بآلات حديثة تحركها الكهرباء .

١٧ — كانت صناعة الدباغة وتهيئه الجلود تمارس بالاكثر في ناحية غزة . وكان معظم الطرق المستعملة فيها بسيطة اولية . وكانت صناعة الاحذية من الصناعات الشائعة . لكن هذه الصناعة تضاءلت بسبب كثرة الجلود المدبوغة المستوردة من الخارج ؛ فأخذ صناع الاحذية يستعملون الجلود المستوردة في صنع الاحذية من النوع الجيد ، وراحوا يستعملون الجلود الوطنية في صنع الاحذية من الدرجة الدنيا ، وبالاحرى الاحذية التي يحتذيها الفلاحون والبدو . وليس في غزة الآن سوى ١٤ مصبغة .

١٨ — إن صناعة النسيج في غزة قديمة للغاية . لا يعرف أحد بالضبط متى

---

(١) كانت اجرة الطحن فى عهد الأتراك متليكا تركياً (أو ما يعادل ملين) للرطل الواحد ، ثم صارت بعد الاحتلال قرشاً واحداً .

وكيف انتقلت هذه الصناعة إليها . وانما الاعتقاد سائد بأنها أتت إليها عن طريق الهند ومصر ، لا عن طريق الشام .

ويبدو لنا ان صناعة النسيج كانت منتعشة في الماضي اكثر مما هي عليه الآن . ولقد عثرنا في كتاب انكليزي ألفه الدكتور ماري J. A. H. Murray بعنوان : English Dictionary on Hist. Principles على كلمة Gauze وهي تستعمل للدلالة على نوع من الخمار الشفاف يوضع على الوجه. ويعتقد انه سمي كذلك لانه مأخوذ من غزة خلال العصر السادس عشر . وهناك نوع من القماش مصنوع من الحرير أو الكتان يسميه الاوروبيون Gazzatum ويعتقدون ان مصدره مدينة غزة ، وقد سمعوا به لاول مرة في تاريخ ١٢٧٩ م وذكروا عنه الشيء الكثير مأخوذاً من كتاب كتب عامئذ باللغة اللاتينية بعنوان Glossaruim .

هناك اربعة واربعون نولا لنسج الاقمشة الصوفية : كالبسط ، والسجاد البلدي ، والعبي والمراير وما إلى ذلك . وعشرون نولا لنسج الاقمشة القطنية والحريرية : كالديما، والالبسة التي يستعملها الفلاحون . ويعمل في هذه الانوال ما ينوف عن المئة عامل .

وتدار هذه الانوال كلها باليد . ولا تعرف غزة الانوال الحديثة والماكنات التي تدار بالكهرباء بعد . وخيوط الصوف المغزولة والمعدة لصنع الاقمشة تستورد كلها من الخارج (١) وكذلك قل عن خيوط القطن والحرير المبرومة . وأما ما يستعمل



حائك غزي يعمل في نوله البلدي

(١) من الهند وانكلترة .

منها لنسج السجاد فانه يغزل في غزة ، وتغزله بعض نسائها من الصوف الخام .

والكميات التي تنتجها هذه الانوال في الوقت الحاضر قليلة تكاد لا تكفي لتموين أهل المدينة انفسهم ، والقرى المجاورة ؛ دع عنك التصدير إلى خارج فلسطين .

أما (السداء) فيستعمل من القطن المبروم بنسبة ٨/٣ او ١٠/٣ او ١٢/٣ وبلونه الطبيعي والابيض، وهذا يستورد من الهند . وأما (اللحمة) فانها من الصوف الطبيعي المقصوص من الغنم [١] والذي تغزله النساء بمغازل يدوية[٢]. ونسبة السداء القطني إلى اللحمة الصوفية هي بمعدل ١ إلى ٧ أي انه لكل واحد من القطن سبعة من الصوف . وينسج النول الواحد في اليوم ما زنته ستة كيلو غرامات .

ولقد تأسس في غزة حديثاً مصنعان لنسج الالبسة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية : الاول للسيد ابراهيم اليازجي (١٩٤١م) والثاني لشركة النسيج العربية (١٩٤٢ م) . وهذان المصنعان وان كانا قد احدثا تحسيناً كبيراً في نوع النول الخشبي المعروف في هذه البلاد منذ آلاف السنين إلا انهما لا يزالان من النوع الذي يدار باليد ، ولا تستعمل فيه الماكنات الحديدية ولا الكهرباء .

عادت صناعة النسيج في غزة فانتعشت وبعد ان كانت منسوجاتها غير قادرة على مزاحمة المنسوجات الحديثة ولا سيما المستوردة من اوربا فقد اخذت تسبقها في مضمار التجارة وذلك بسبب الحرب الحاضرة (١٩٣٩) وصعوبة المواصلات مع اوربا من جهة ، وانتشار الفكرة الوطنية وتحمس اهل البلاد وايثارهم المنسوجات الوطنية على المنسوجات الاوربية من جهة اخرى .

---

(١) انه وإن كان فى غزة وبئر السبع وما جاورها من البلدان عدد كبير من الماشية وكان بالامكان ان يستغل الامر فلا يستعمل فى انوال غزة إلا ما ينتجه هذا العدد من الماشية من صوف . إلا أن اصحاب الأنوال لا يرغبون كثيراً فى استعمال الصوف المحلي ، بل يؤثرون عليه الصوف المستورد من مصر والبلاد الاخرى لنظافته . وأما الصوف المحلي فانه يباع الى التجار الذين يصدرونه إلى البلاد الاخرى . حيث ينظف بالطرق المصرية الحديثة ، ثم ينسج ويطرح للبيع فى اسواق الشرق المختلفة ومنها غزة .

(٢) كانت اجرة المرأة التي تغزل الصوف قبل الحرب ٢٠ ملا فى اليوم . وأما الآن فانها ٨٠ ملا .

ان (شركة النسيج العربية) شركة مساهمة اسست في عام ١٩٤٢ م من السادة عبد الرزاق بدران ورشاد الشوا وعبد الرحمن الخضرا ومنيب ابي غزالة . وقد كانت عند تأسيسها مؤلفة من ثمانين سهماً قيمة السهم الواحد منها خمسون جنيهاً . ثم زيدت الاسهم إلى ضعفيها بعد عام واحد . وها هي اليوم تسير بقدم ثابتة إلى الامام . وللشركة في يومنا هذا لجنة ادارية مؤلفة من السادة جعفر فلفل رئيساً وعبد الرحمن الخضرا ، ومنيب ابي غزالة، وهاشم اللولو ، وعبد الرزاق بدران اعضاء. ولها سكرتير هو السيد عبد الرحمن طبارة . ومدير فني هو السيد خيري بدران[١] والمصنع ما برح في دور التكوين . فان فيه الآن ثمانية انوال يعمل فيها خمسة عشر عاملا . ومعدل انتاجه اليومي ثمانون متراً . وفي مقدورهم الآن ان ينظفوا الصوف المحلي ويغزلوه وينسجوا منه اقمشة صوفية متنوعة لاقت من الرواج ما لا عهد لانوال غزة به من قبل .

وقد حسنوا صناعة الصبغ لمختلف انواع الغزل ، فما عادوا في حاجة للمصابغ الاجنبية كما كانوا من قبل .

وقصارى القول أن صناعة النسيج من الاسس التي ترتكز عليها اقتصاديات غزة. فبعد أن كانت كمية الصوف المغزول فيها عند نشوب الحرب (١٩٣٩) عشرة اطنان والخيوط القطنية طنين فقط ، بلغت في يومنا هذا (١٩٤٣) عشرة اضعاف ما كانت عليه . وبعد أن كانت قيمة الغزولات المستعملة في صناعة النسيج يومئذ لا تتجاوز الالف وخمسمائة جنيه ، اصبحت الآن تتعدى العشرة آلاف . وقد جاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرتها الحكومة أن انوال غزة صنعت عام ١٩٣٩ م ٢١٢٠ عباءة من الصوف النقي و ٣١٣٠ عباءة من الصوف الممزوج بالقطن و ٤٤٠ بساطاً من الصوف النقي و ١٢٠ بساطاً من الصوف الممزوج بالقطن .

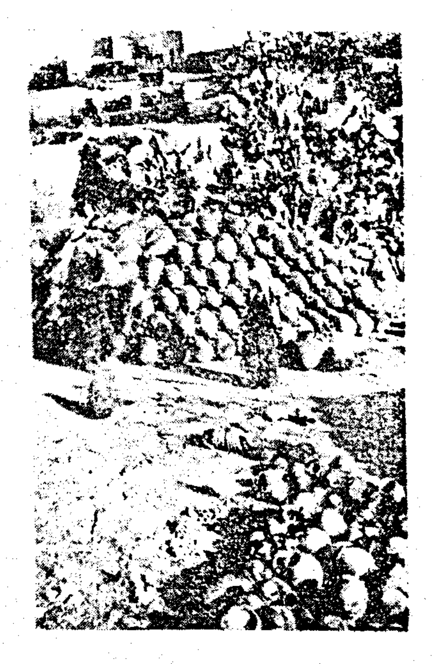
وأما في عامنا هذا فاني اقدر الكمية التي صنعتها انوال غزة بما لا يقل عن عشرة اضعاف ما تقدم .

١٩ — وأما صناعة الفخار (الخزف) فهي قديمة العهد جداً . ذكر الفخار في أسفار العهد القديم سبع مرات ، وفي أسفار العهد الجديد ثلاثاً . وقد ذكر ايضاً

---

(١) درس هذا الفن في مصر وانكلترا . وألم به من ناحية الرسم والطباعة والنسيج .

عام ٧٢٧ ق . م . ويظن انه كان معروفاً في عهد الفراعنة ايضاً . وقد عثر المنقبون على آثار للفخار في كثير من القبور والتلال والاماكن الاثرية سواء كان في غزة أو في ما حولها من البلاد والمدن . واليوم نرى الفخار في الابنية القديمة التي هدمت اثناء الحرب الكبرى . ولا سيما في الاقبية والاسطحة التي بنيت على الطراز القديم فيما سلف من الازمان . وقد ذكر نابليون فخار غزة في مذكراته . ويقال عنه انه ظن المزاريب المصنوعة من الفخار مدافع صغيرة نصبت على الاسطحة لمكافحة جيشه الذي احتل يومئذ غزة . وفي قبور الهيكسوس (ملوك الرعاة) التي اكتشفها السر فلندرس بتري في تل العجول عثر على اوان صنعت من الفخار .



فواخير غزة

ولا يزال الفخار يستعمل في كثير من الأواني المنزلية بغزة : فالاباريق ، والازيرة ، والكشاكيل ، والطناجر ، واواني الطهي ، ولقانات الغسيل ، والعجين ، وقدر الأرز ، والمجاري ، والمزاريب كلها من الفخار . ولم تنتشر صناعة الفخار في بلد بفلسطين انتشارها في غزة . ولا سيما الفخار الأسود الذي لا يوجد منه في بلد سواها .

الاباريق والجرار وباقي الاواني الخزفية تصنع في اشكالها بواسطة دولاب الخزاف ، ثم تشوى في اتون قليل الغور يتراوح قطره بين ٨ و ١٠ اقدام ، ويبلغ عمقه ٤ اقدام وتحته موقد النار . وكثيراً ما يقوم بهذا العمل نساء واولاد .

كان الغزيون ولا يزالون يستعملون شقف الفخار المكسر لبناء (العقود) في المنازل ، ولبناء الجدران والاسوار حول المنازل . ويظهر أن طين غزة صالح لصنع الفخار ، لأن فيه قليلا من الحديد . ولذلك فان فخارها وان كان خشناً إلا انه متين ويستعمل لمدة طويلة . ان فواخير غزة قائمة كلها في مكان قريب من (تل السكن) . وتفكر البلدية الآن في نقلها إلى مكان خارج المدينة . لأن المكان

الحالي أصبح في وسط المدينة بين قسميها القديم والحديث بعد أن كان في الطرف الأقصى من المدينة القديمة للشمال الغربي .

وتصدر كميات كبيرة من مصنوعات الفخار إلى جميع مدن فلسطين وشرق الاردن وحوران . وفي غزة اليوم (٦٩) مصنعاً للفخار .

٢٠ — في غزة شركة تدعى (شركة مناجم الكبريت الفلسطينية المحدودة) Palestine Sulphur Quarries Ltd. اسست عام ١٩٣٠م وهي تعمل على استخراج الكبريت من ارض يقال لها (المشبة) على بعد ستة اميال من غزة إلى الجنوب الغربي . والفضل في هذه الفكرة يرجع إلى مؤسسها الكبتن ويليامز الذي رمته يد التقادير في هذه البقعه من بقاع فلسطين اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٧) فعثر على نوع من الحجارة استدل منها على وجود الكبريت فيها . فاحتفظ لنفسه بما رأى ، وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى نهض يعمل على استغلال ما اكتشف . وقد منحته الحكومة (امتيازاً) حصرت بموجبه حق الاستغلال فيه . ولما كان ما بيده من المال لا يكفي لهذه الغاية ، فقد اشرك معه عدداً من المتمولين العرب في غزة وبئر السبع ، وآخر من الانكليز المقيمين بفلسطين . فتألفت على أثر ذلك شركة عربية—انكليزية رأسمالها ٣٧٥٠٠ جنيهاً (جنيه واحد لكل سهم) ، ٤٥ في المائة من اسهمها للعرب و ٥٥ للانكليز .

أسست هذه الشركة مصنعاً ضخماً في المشبة ، واستحضرت من انكلترا عدداً من الماكنات والآلات الحديثة ، واستخدمت عدداً من المهندسين الاخصائيين . وأما العمال فكلهم من العرب : بعضهم من غزة والبعض الآخر من البدو المجاورين .

ولقد نجحت الشركة في عملها ، فاستخرجت الكبريت على درجات متفاوتة : منها ما هو ناعم بدرجة انك تكاد لا تعرضه في الفضاء حتى تتطاير ذراته في الهواء؛ ومنها ما هو خشن ؛ ومنها ما هو متوسط الحجم ، وهذا هو الاكثر . وهو ينفع لمكافحة الحشرات الزراعية الفتاكة . ويقال ان قوة الفتك فيه ٩٧ في المائة بينما هي لا تتجاوز ٩٢ في المائة في الكبريت الايطالي مثلا . واسعار الكبريت تتراوح بين العشرين والاربعين من الجنيهات للطن الواحد . ويجري تصريفه في اسواق الهند وسيلان وتركيا واليونان ومصر ، وقليل منه ما يصرف في سوريا وفلسطين .

لا يمكن الجزم في تقدير كمية الكبريت الذي يمكن العثور عليه في هذا المنجم.

وكل ما نعلمه هو أن اعمق نقطة توصلوا إليها تبعد عن سطح الارض عشرون متراً فقط ، وان نسبة الكبريت في هذه الطبقات تراوحت بين ١٥ ٠/٠ — ٣٠ ٠/٠ وان معدل الاستخراج طن واحد في الساعة ، هذا عندما تكون نسبة الكبريت في الفلز ٢٠ ٠/٠ . فقد استخرج في عام ١٩٣٦ م ٤٢٢ طناً من الكبريت ، بيعت كلها بـ ١٧٩٢ جنيهاً . غير ان هذه الكمية لا تسير على نمط واحد بسبب تفاوت النسبة في مختلف الطبقات من جهة ، والخلل الذي يطرأ على الماكنات من جهة اخرى . ولقد ألم بهذا المشروع شيء من الفتور في السنوات الاخيرة ، ولا سيما منذ اندلاع نار الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ وتبلبل الأحوال بوجه عام ، وزاد الطين بلة نشوب الحرب الأخيرة (١٩٣٩) وما تلاها من صعوبة في النقل ، وارتفاع في الاجور ، وتعذر في جلب القطع اللازمة من اوربا لتصليح الآلات التي كثيراً ما يعتريها العطب.

وما دمنا قد انتهينا من ذكر كبريت المشبة فقد يكون من المفيد ان نذكر نوعاً من الرمل يكثر وجوده في هذا الموقع ايضاً . ان هذا الرمل ليس من النوع الاعتيادي الاصفر ، الذي نراه في الصحارى أو على شواطيء البحار ؛ وإنما هو ابيض اللون يستعمله الاخصائيون في صنع الزجاج . وكثيراً ما يأتي التجار إلى المشبة فيشترونه من اصحاب الارض ، ويبيعونه إلى مصانع الزجاج .

٢١ — لم يتعلم فن الهندسة من ابناء غزة سوى إثنين احدهما السيد عبد الحق بن الشيخ محي الدين افندي عبد الشافي والثاني السيد نصوحي الشوا. وهناك ثمانية من ابنائها محامون نظاميون وهم السادة : رشدي الشوا ، وكمال البربري ، وفوزي الدجاني ، والشيخ سعيد الشوا ، وسعيد الخلفاوي ، وسعيد زين الدين ، وفهمي الشوا ، وسعدي بسيسو . كما ان فيها اربعة محامين شرعيين وهم : الشيخ هاشم القيشاوي ، والشيخ مصطفى بسيسو ، والشيخ حسين الشوا، والشيخ نعمان الخزندار.

٢٢ — وفي غزه ثمانية اطباء : اثنان منهم حكوميان . والآخرون يعملون على حسابهم الخاص . ومن هؤلاء غزي واحد هو الدكتور صالح ابو كميل . وهناك دكتور في الكمياء هو السيد مجدي الشوا . ويتعاطى مهنته في العراق .

وفيها مستشفيان : واحد تنفق عليه الحكومة مع ان البناء ملك البلدية . والثاني للارسالية التبشيرية الانكليزية . وقد اتينا على ذكر شيء من تاريخه عند البحث عن تاريخ الارسالية .

٢٣ — وفيها ثلاث عشرة مقبرة إسلامية ، إليك اسماءها :

١ — مقبرة الشيخ شعبان : في حي الدرج . في منتصف السوق وعند موقف السيارات . فيها جامع ومقام . وتبلغ مساحتها دونمين ونصف الدونم .

٢ — مقبرة الشيخ سالم : أكبر مقبرة في غزة وهي واقعة بين المستشفى البلدي والانكليزي في حي الزيتون . مساحتها ستة وستون دونماً .ويسمونها ايضاً مقبرة الشيخ شعبان . ذلك لأنهما كانتا في الأصل مقبرة واحدة . فانفصلتا عندما انشيء شارع عمر المختار .

٣ — مقبرة الحروبي : في حي الدرج . وبالقرب من مقام السيد هاشم . مساحتها دونمان . ويظهر انها ومقبرة الاوزاعي واحدة . فانفصلتاعند انشاء الشارع .

٤ — مقبرة الأوزاعي : في حي الدرج وبالقرب من مقام السيد هاشم . فيها مزار الأوزاعي . وتبلغ مساحتها دونمين ونصف الدونم .

٥ — مقبرة علي بن مروان : في حي التفاح وعند مدخل المدينة من الشمال . مساحتها اربعة عشر دونماً .



جانب من مقبرة علي بن مروان

٦ — مقبرة الدمرداش : في حارة التفاح . مساحتها لا تتجاوز العشرة دونمات .

٧ — مقبرة ابي الكاس : ويقال لهاايضاًمقبرة التونيسي وهي كائنة في حي الشجاعية عند مدخل المدينة من الشرق . مساحتها تسعة دونمات .

٨ — مقبرة المجاهدين : ويقال لها مقبرة العواميد وهي واقعة قبلي غزة في حارة

الزيتون عند مدخل المدينة من الناحية القبلية وفيها عدد من المجاهدين الذين اشتركوا في حروب صلاح الدين . مساحتها سبعة دونمات . غير أن الشوارع فصلتها إلى ثلاث مقابر .

٩ — مقبرة آل رضوان : خاصة بآل رضوان واحفادهم وهي واقعة بالقرب من الجامع الكبير . ومساحتها أقل من نصف الدونم .

١٠ — مقبرة آل الغصين : خاصة بآل الغصين واحفادهم . انها في حي الدرج . وهي قريبة من مقبرة آل رضوان . ومساحتها لا تزيد عن الدونم إلا قليلاً .

١١ — مقبرة آل الشوا : خاصة بآل الشوا واحفادهم وهي واقعة في حي التركمان بالقرب من حاكورة الجاولي . ومساحتها دونم واحد .

١٢ — مقبرة آل الحسيني : واقعة في جي الدرج . وهي صغيرة المساحة (ربع دونم تقريباً) وحديثة العهد .

١٣ — مقبرة المنطار : فوق تل المنطار .

وهناك ثلاث مقابر للمسيحيين : واحدة للروم الارثوذكس وهي واقعة في ساحة كنيستهم . واخرى للبروتستانت وهي خارج المدينة على طريق خانيونس . وثالثة لللاتين في ساحة دير اللاتين .

وهناك (مقبرة الحرب) وهي مقبرة اقامها الإنكليز لموتاهم اثناء الحرب الكبرى . انها واقعة في شمال المدينة على طريق يافا وبالقرب من بئر الصفا .

٢٤ — وفي غزة حمامات قديمة العهد ، يجري إليها الماء من بئر الصفا ، ووقودها الزبل والقصل . كانت كثيرة العدد إلا انه لم يبق منها في يومنا هذا سوى ثلاثة حمامات هي : (حمام السمرة) في حارة الزيتون ، وقف آل رضوان وقفاً ذرياً ؛ و (حمام السوق) في حارة الدرج ، وقد اوقف ريعه على الجامع الكبير القائم بالقرب منه ؛ و (حمام الشجاعية) في حارة الشجاعية . وقد اشتراه المجلس البلدي قبل بضع سنين . وكان هناك حمام رابع هو (حمام المباشر) ، إلا أنه درس في الأعوام الأخيرة وبنيت مكانه الحوانيت التي يشغلها (سبني) في الوقت الحاضر .

٢٥ — وفي غزة عدد كبير من المساجد والجوامع بعضها كبير تقام فيه صلاة الجمعة ، والبعض الآخر صغير لا تقام فيه هذه الصلاة . وهناك مساجد قديمة أخنى عليها الدهر بكلكله فأصبحت خراباً . وقد اتينا على ذكر لمحة من تاريخ هذه المساجد

في الفصل الأخير من هذا الكتاب ، فليرجع إليها من شاء الاطلاع على هذه الناحية من تاريخ غزة . ويصرف على هذه الجوامع والمساجد من اموال الوقف .

٢٦ — وعلى ذكر الوقف نقول : انه يوجد في غزة اوقاف كثيرة منها الصحيح ، والملحق ، والمندرس ، والذري .

أما الوقف الصحيح المضبوط ، فإنه يدار من قبل المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بواسطة مأمور الأوقاف الذي يمثله في غزة . ويصرف ريعه في سبيل تعمير الجوامع التسعة الكبرى التي يصلى الناس فيها الجمعة والصلوات الخمس .

وأما الوقف الملحق ، فإنه يدار ايضاً من قبل المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بواسطة مأمور الأوقاف ، غير ان ريعه يصرف في سبيل الجوامع من الدرجة الثانية التي تصلى فيها الصلوات الخمس فقط .

وأما الأوقاف المندرسة ، فإنها تدار من لدن لجنة الأوقاف المحليــة ، ويصرف ريعها على تعليم ابناء مدينة غزة . ويصرف من هــذه الأوقاف أيضاً بعض المبالغ في سبيل (مدرسة الفلاح الوطنية الاسلامية) و (مدرسة العجزة) .

وأما الأوقاف الذرية ، فإن ريعها يصرف على المرتزقة من أبناء الواقفين واحفادهم بعد ما يخصم منه ما تحتاجه هذه الاملاك من تعمير وانشاء وضرائب . وهذه قسمان : قسم يدار من قبل مصلحة الوقف رأساً كوقف الحاجة عالمة ، ووقف سليمان بك آل رضوان ، ووقف الحريزاتي والخزندار ، ووقف حسين باشا مكي ؛ وقسم يدار من قبل المتولين انفسهم مثل : وقف فطومة آل رضوان يتولاه الشيخ عثمان الطباع ، ووقف رقية آل رضوان يتولاه السيد إحسان البكرية ، ووقف تحفة آل رضوان يتولاه السيد زكريا العلمي ، ووقف علي بك آل رضوان يتولاه السيد شعبان الريس ، ووقف كلبهار آل رضوان يتولاه السيدان توفيق وعزة العلمي ، ووقف الملا أحمد يتولاه السيد خليل عاشور ، ووقف مرشد فارس يتولاه الحاج حافظ رجب ، ووقف الجبري يتولاه السيد رباح الريس ، ووقف المشرقي يتولاه السيد مصطفى الريس ، ووقف خليل آغا مكي يتولاه الشيخ سعيد مكي .

٢٧ — وفي غزة (محكمة شرعية) قديمة العهد جداً ، مهمتها الفصل في قضايا المسلمين واحوالهم الشخصية : كالزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والمهور ، والمساكن الشرعية ، والاختلافات التي تحدث بين الزوجين ، وما إلى ذلك من الامور . وقد

تولى القضاء الشرعي في هذه المحكمة في العهد التركي عدد كبير من القضاة لم نعثر على اسمائهم وانما عثرنا على اسماء اولئك الذين تولوه بعد الاحتلال الانكليزي وهم :

الشيخ وهبة افندي شرف الدين (١) . والشيخ يونس افندي الخطيب (٢) والشيخ أمين افندي الحلبي(٣) . والشيخ يوسف افندي الشرقاوي (٤) . والشيخ محمود فوزي افندي الدجاني(٥) . والشيخ عبد اللطيف افندي الحاج ابراهيم (٦) والشيخ رشيد افندي البيطار (٧) . والشيخ سعيد افندي ابو شعبان(٨) . والشيخ سيف الدين افندي الحماش (٩) . والشيخ سليمان افندي السعدي (١٠) . والشيخ رامز افندي مسمار (١١) . والشيخ مصطفى افندي العوري(١٢). والشيخ نسيب افندي البيطار (١٣) . والشيخ مطيع افندي الحمامي (١٤) . والشيخ صبحي افندي خيزران (١٥) .

وإليك عدد حوادث الزواج والطلاق التي سجلتها المحكمة المذكورة خلال الثماني عشرة سنة الاخيرة في مدينة غزة وقراها :

السنة	الزواج	الطلاق	السنة	الزواج	الطلاق
١٩٢٤	٧٨٠	١٤٥	١٩٣٣	٨٧٢	١٠٢
١٩٢٥	٨١٣	١٤١	١٩٣٤	١٠٦٠	١٣١
١٩٢٦	٧٥٩	١٣٩	١٩٣٥	١٠٠٧	١٠٤
١٩٢٧	٤١١	١٠٧	١٩٣٦	٦٥٠	٩٢
١٩٢٨	٧٨٢	١٣٤	١٩٣٧	٨٢٩	١١٧
١٩٢٩	٥٣١	١٠١	١٩٣٨	٥٩٩	٦٩
١٩٣٠	٦٥٦	١٢٧	١٩٣٩	١٢٩٧	١٢٤
١٩٣١	٦٤٤	١٢٥	١٩٤٠	١٢٠٦	١٢٩
١٩٣٢	٧٤٣	٩٤	١٩٤١	١٥٧٦	١٦٦

(١) جاء مع الحملة الانكليزية وهو مصري الأصل . (٢) من حيفا وهو الآن خطيب الجامع الكبير فيها . (٣) من الخليل وكان معروفاً بميله للبهائية . (٤) من يافا . (٥) من يافا . (٦) من طولكرم . (٧) من نابلس . (٨) غزي الأصل وقد كان مفتياً وتولى القضاء الشرعي بالوكالة . (٩) من نابلس . (١٠) من صفد. (١١) من نابلس وهو الآن قاضي يافا. (١٢)من القدس وهو الآن قاضي الرملة. (١٣) من نابلس شقيق القاضي الشيخ رشيد البيطار وهو الآن قاضي الناصرة. (١٤) من يافا وهو الآن قاضي بئر السبع. (١٥) من عكا وهو القاضي الحالي.

٢٨ — وأما من حيث المياه فان غزة غنية للغاية . فيها مياه غزيرة ، ويمكن العثور على الماء في الاراضي الواقعة حول المدينة على عمق يتراوح بين الثلاثين والأربعين متراً من سطح البحر . وفيها اربع آبار نبع عمومية :

١ — بئر الأجمقية　　　　٣ — بئر المنتزه

٢ — بئر الرفاعية　　　　٤ — بئر الصفا

أما (بئر الأجمقية) فانها اقدم هذه الآبار عهداً . لا يعرف أحد بالضبط من الذي حفرها ، ومتى ؟ غير أن جميع الغزيين يعتقدون انها قديمة جداً . وإني لمعتقد ان اسم (الاجمقية) محرف من كلمة (الجقمقية) ، وان هذه البئر حفرت في زمن الملك الظاهر جقمق بن الملك الأشرف برسباي (عام ٨٤٢ للهجرة). ومن يدري؟ لعلها هي العين التي اشار إليها السائح التركي المشهور (اوليا جلبي) عام ١١٦٠ م في رحلته التي سماها (اوليا جلبي سياحتنا مه سي) .

وهي واقعة في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة . ماؤها عذب ، غير انه ليس من الغزارة بدرجة تشبع سكان غزة . عمقها ٢٣ متراً وقطرها متران إلا قليلا . وعمق الفجر ٢٥ متراً . كان الغزيون ينشلون منها الماء بالدلو وينقلونه بالقرب المصنوعة من الجلد ، إلى أن وضعت البلدية موتوراً من نوع دويتش ذا قوة تعادل ٢٥ حصاناً ومضخة قطرها ٦ إنشات . وقد وضع الموتور والمضخة على البئر المذكورة في عام ١٩٢٦ . وكان ماؤها يصب في خزان منخفض في المدينة ، بينه وبين البئر مسافة ٥٥٠ متراً . ولقد أصاب هذا الخزان عطب شديد بسبب الزلزال الذي وقع عام ١٩٢٧ .

كانت البئر المذكورة وقفاً ، وكانت البلدية تستأجرها من مصلحة الوقف بإيجار معين تدفعه كل سنة . ثم تملكها المجلس البلدي باسم المدينة . وقد احصي عدد الذين يشربون من هذه البئر عام ١٩٢٩ فكانوا عشرة آلاف نسمة . وكان معدل ما ينبع فيها من الماء خمسين متراً مكعباً في الساعة .

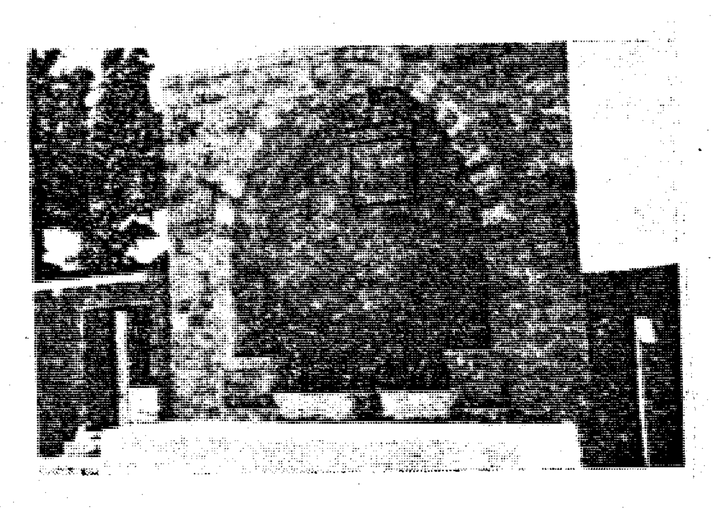
وأما (بئر الرفاعية) فقد حفرت عام ١٢٨٥ للهجرة ، والذي حفرها هو أحد حكام غزة في العهد التركي (أحمد رفعت بك الشركسي) . وكان هذا يومئذ متسلماً بغزة . ومن يدري ؟ فلعله لم يحفر بئراً جديدة وانما هو نظف البئر القديمة التي كانت هناك والتي كانت تعرف بـ (بئر البرج) . ويظهر أن لبهرام باشا آل

رضوان فضلاً كبيراً في تعميرها . إذ أنني رأيت الكلمات الآتية منقوشة عليها:

بناه أعدل الحكام بهرام بك أمير اللواء   هو ابن المصطفى باشا تكون الجنة مثواه

فلما انتهى تأسيس هذا قيل للتاريخ   سبيل الله يا عطشان بسم الله

سنة ٩٧٦

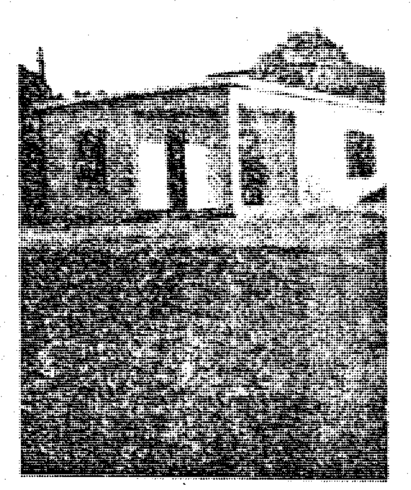


سبيل بئر الرفاعية بغزة

ولقد عمرت في سنة ١٣١٨ للهجرة من لدن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، كما انشىء يومئذ (سبيل) أمامها . كما عمرت مرة اخرى في سنة ١٣٣٢ من قبل ضابط تركي يدعى (اسماعيل حقي) . ولكن هذه البئر مهملة في الوقت الحاضر . لأن الماء الذي ينبع فيها قل مع تقادم العهد لدرجة انه لا يتناسب مع نفقات استخراجه، وجره إلى أي مكان .

وأما (بئر المنتزه) فقد حفرت في عام ١٩٣٣ من قبل المجلس البلدي ، يوم كان فهمي بك الحسيني رئيساً له . عمقها ٣١ متراً ، وعمق الفجر فيها ٢٦ متراً . وقطرها ثلاثة امتار ونصف المتر . وعليها موتور من نوع ديزل ذو قوة قدروها باثنين وسبعين حصاناً . ماؤها غزير . وقد قدرت كمية الماء الذي ينبع منها بمئة وثلاثين متراً مكعباً في الساعة . غير انه يا للأسف مالح لا يصلح للشرب .

وأما (بئر الصفا) فقد حفرت عام ١٩٣٩ من قبل المجلس البلدي الذي يرأسه رشدي بك الشوا . وهي على بعد كيلو مترين من المدينة للشمال الشرقي. عمقها ٢٥ متراً وعمق الفجر فيها ٢٧ متراً . وقطر البئر اربعة امتار وعليها محرك يدار بالكهرباء ، قوته تقدر بمئة وعشرين حصاناً. تربطه بالخزان مواسير ثخنها ثمانية إنشات.وقد قدروا الكمية التي تنبع منها بمئتين واربعين متراً مكعباً في الساعة . والمهم في الامر أن ماءها عذب للغاية . لا بل هو أعذب المياه التي وجدت في غزة على الاطلاق . ولولاها لعطشت المدينة ولا سيما في الأعوام الأخيرة عطشاً شديداً أو اضطرت لشرب مياه لا تعادلها في الجودة .



بئر الصفا

وهناك خزان يبعد عن بئر الصفا (١٨٥٠) متراً تتجمع فيه مياه الآبار المتقدم ذكرها . ولقد انشىء هذا الخزان أمام مدرسة الذكور ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ . وقد استعمل في بنائه الاسمنت المسلح ، وكلف بناؤه (٧٢٢) جنيهاً . وهو يتسع لثلاثمائة متر مكعب في وقت واحد . وقد لوحظ في عام ١٩٤١ انه مائل بمقدار ١٤ سانتيمتراً . وان هذا الميل يزداد بشكل يخشى عليه من السقوط . وهذا ناشىء عن المياه التي سالت من انبوبة قديمة بقربه ، فظلت هذه تسيل مدة من الزمن دون أن ينتبه إليها المهندسون . فأضرت بأساس الخزان ضرراً كبيراً .

إن حالة الخزان المتقدم ذكرها من جهة ، وصغر حجمه وعدم اتساعه لكميات تكفي لجميع احتياجات المدينة من جهة اخرى ، جعلت ولاة الامور يفكرون في انشاء خزان آخر غيره . وها هو المجلس البلدي يدرس مشروعاً جديداً للماء يحتوي على انشاء خزان كبير في موقع (في الرمال) أنسب من موقع الخزان الحالي، وعلى استبدال الانابيب القديمة البالية باخرى جديدة . ذلك لأن عدد سكان المدينة

زاد في السنين الأخيرة زيادة تلفت الأنظار ، وحاجتهم للماء ايضاً قد ازدادت بنفس النسبة . إذ اثبتت الاحصاءات التي جمعتها البلدية ان كل فرد من السكان يصرف تسعة غالونات من الماء في كل يوم من أيام الشتاء ، وعشرين غالوناً في الصيف . وهذه النسبة أكثر من تلك التي يستهلكها سكان بيت المقدس . والسبب في ذلك كثرة الحدائق المنتشرة في الرمال .

وهناك بئران للحكومة : بئر المشتل الشمالي ، وبئر المشتل القبلي . وهما في وسط الغابة التي انشأتها الحكومة لصد الرمال بين البحر والمدينة .

وهناك آبار خصوصية أحصيتها فوجدتها ثماني واربعين بئراً : منها ثمانية في حي الدرج ، وثمانية في حي الزيتون، وستة في حي الجديدة، وسبعة في حي التركمان، وتسعة في حي التفاح، وعشرة في الرمال. من هذه الآبار الخصوصية عشر بيارات مغروسة اشجاراً حمضية، وعشرون مزروعة خضاراً ، والباقية مهجورة لا تجد حولها زرعاً ولا ضرعاً .

٢٩ — ان معدل كمية الامطار التي هطلت في غزة منذ بداية القرن العشرين حتى يومنا هذا يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ ميلمتر في السنة وإليك البيان :

السنة	كمية المطر بالميلمتر	السنة	كمية المطر بالميلمتر	السنة	كمية المطر بالميلمتر
١٨٦٩	٢١٤	١٩٢٣	٣٣٤	١٩٣٣	٣٩٧
١٩٠٠	٣٠١	١٩٢٤	٣٣٤	١٩٣٤	٣٤٨
١٩٠١	٤٢٠	١٩٢٥	٣٢٢	١٩٣٥	٢٧٤
١٩٠٢	٥٠٩	١٩٢٦	٣٥٠	١٩٣٦	٤٠٠
١٩٠٣	٢٨٧	١٩٢٧	٢٨٠	١٩٣٧	٥٨٩
١٩٠٤	٤٦٥	١٩٢٨	٣٥٠	١٩٣٨	٥٢٠
١٩١٩	٨١٠	١٩٢٩	٤٩٧	١٩٣٩	٣٦٦
١٩٢٠	٤٠٥	١٩٣٠	٢٤٧	١٩٤٠	٣٥٢
١٩٢١	٤٦٢	١٩٣١	٢٨٢	١٩٤١	٤٣٠
١٩٢٢	٣٢٤	١٩٣٢	٢٣٨	١٩٤٢	٤٤٩
				١٩٤٣	٤٨١

ولكي نعطيك فكرة عن الامطار التي تهطل في غزة ونسبتها إلى كمية الامطار التي تهطل في البلاد الفلسطينية الاخرى نثبت فيما يلي رسماً بيانياً اقتبسناه من تقرير رسمي مأخوذ عن ارقام جمعتها مصلحة الزراعة بفلسطين :

رسم يبين الامطار التي هطلت بفلسطين

بين يونيو ١٩٢٨ وايار ١٩٢٩

مأخوذ عن مصلحة الزراعة بحكومة فلسطين

ميلمتر

البلد	ميلمتر
كفر جلعاد	١١٦٧
صفد	١٠٧٩
نابلس	١٠٢٤
الناصرة	٩٤٥
طولكرم	٩٠٨
طبريا	٧٩٤
جنين	٧٨٨
عكا	٧٨٥
حيفا	٧٧٩
تل ابيب	٧٢٧
يافا	٦٩٣
الرملة	٦٧٧
القدس	٦٢٣
الخليل	٥١٤
بيسان	٣٧٣
الجفل	٣٥٨
غزة	٣٥٠
بئر السبع	١٢٩
اريحا	١٠٨
البحر الميت	٧٨

٣٠ — وما دمنا قد انتهينا من بحث آبار غزة ومياهها نرى لزاماً علينا أن نقول كلمة في زراعتها . وهذه تتلخص في ان تربة غزة صالحة لجميع انواع الزراعة . وهي معروفة بخصبها منذ العهود الغابرة . والأكثرية الساحقة في غزة تنتمي إلى طبقة الفلاحين والمزارعين . وهم مجتهدون ، لا يكلون أمر الأرض وفلاحتها إلى غيرهم . يزرعونها بأيديهم ويعتمدون في ذلك على سواعدهم المفتولة .

وأما الأفندية وأصحاب الاراضي الواسعة فإنهم يؤجرون اراضيهم إلى الفلاحين بشروط مختلفة أهمها — وهو السائد في هذه البلاد — أن الملاك يأخذ اربعين في المئة من الناتج والزارع يأخذ الستين .

ولقد عرفوا الحراث العميق منذ عام ١٩١١ (١) ، وبهرهم الخصب الذي حل بالزرع على أثر ذلك فأعادوا الكرة في العام الذي تلاه ، وفيما بعدهما ، وظلوا كذلك حتى يومنا هـذا . وقد حذت سائر القرى حذو غزة ، حتى كاد الاعتقاد يسود بأنه لن يبق شبر واحد من الأرض دون أن يحرث بالآلات الحديثة بمجرد انتهاء الحرب الحاضرة ، وان المحراث البلدي القديم سيختفي من هذه البلاد بالمرة .

وقد ارتفعت، على أثر ذلك ،اسعار الأراضي ارتفاعاً هائلاً . فان الدونم الواحد من الأرض بعد ان كان يباع بمجيدي واحد فيما مضى أو جنيه واحد خلال الاعوام الاولى من الاحتلال أصبح في يومنا هذا (١٩٤٣) يباع بعشرة جنيهات ، هذا إذا كان في اطراف المدينة وكان لا ينفع إلاّ لزراعة الحبوب . وأما كروم الزيتون فيباع دونمها بخمسة وثلاثين جنيهاً . وأما الأرض المعدة للبناء فان ثمنها يختلف بالنسبة لاختلاف موقعها : فبينا يكون بالامكان شراء الدونم الواحـد من الأرض المعدة للبناء في اطراف المدينة بمئة جنيه ، تجد من العسير الحصول على مثل ذلك على طريق البحر بأقل من ثلاثمئة جنيه . وأما على شارع (عمر المختار) فلا يتيسر لك الدونم الواحد بأقل من ثلاثة آلاف جنيه .

ويزرع في غزة في يومنا هذا من الحبـوب : القمح ، والشعير ، والذرة ، والسمسم ، والفول ، والعدس ، والكرسنة ، والجلبانة ، والحمص ، والترمس ، والحلبة ، والبسلة ،

---

(١) ان أول من استعمل المحراث الحـديث (تراكتور) هم السادة : الحـاج سعيد الشوا ، وخليل بسيسو ، وموسى البورنو ، وأحمـد حلاوة . حرثوا ألفاً وخمسمائة دونم من اراضيهم باجرة بلغت خمسة وسبعين قرشاً تركياً للدونم الواحد .

واللوبيا ، والفاصوليا . ومن الخضار : الباذنجان ، والجزر ، واللفت ، والملوخيا ، والقلقاس ، والبطاطا ، والهليون ، والملفوف ، والقرنبيط ، والبقدونس ، والفلفل ، والبقلة . ومن الاشجار الحضية : البرتقال ، والليمون ، والكريب فروت ، واليوسفندي ، والمندلينا ، والبلنسيا ، والكباد ، والنارنج . ومن الزهور : الورد ، والياسمين ، والفل ، والنسرين ، والآس ، والريحان ، والبان ، والأقحوان ، والجلنار ، وشقائق النعمان ، والنرجس ، والسوسن ، والبنفسج . ومن اشجار الفاكهة : التين ، والزيتون ، والعنب ، والرمان ، والبطيخ ، والشمام ، والموز ، واللوز ، والجوز ، والزعرور ، والمشمش ، والتفاح ، والمبرقوق ، والخوخ (أو الدراقن) ، والتوت ، والسفرجل ، والكمثري ، والجميز[1] والنخيل .

٣١ — وعلى ذكر النخيل نقول :

ان النخيل كان أكثر اشجار الفاكهة انتشاراً في غزة . حتى ان المستر شيشستر H. Chichester الذي زار غزة في يناير سنة ١٨٨٤ م قال : « إنها كانت مليئة بالكروم والبساتين . وكان فيها من جميع انواع الفاكهة والنخيل والزيتون . وان أكثر اشجار الفاكهة انتشاراً فيها هو النخيل ، فالزيتون ، فالجميز ، فالخروب ، فالتين » .

إلا أن أشجار النخيل تناقصت بعدئذ . ذلك لأن الأتراك قطعوه اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) ليصنعوا منه سقوفاً لمتاريسهم في الجبهة . وقد كانوا يأكلون لبه المعروف بالجمار . وهو مادة بيضاء اللون ، طعمها لذيذ ، وهي منعشة للغاية . ولأجل الحصول عليها كان لا بد من قطع النخل لأن اللب المتقدم ذكره متوفر عند رأسها .

٣٢ — وكذلك قل عن العنب . فقد كانت غزة مشهورة بعنبها . وكان فيها مساحات واسعة من الكروم . وخمر غزة كان مشهوراً في أكثر انحاء العالم . وتجارة الخمور كانت رائجة على مر العصور . وقد جاء في الروايات السالفة ان خمراً حملت من غزة إلى سوق (مجنة) قرب مكة قبل الإسلام . وقد ذكره ابو ذؤيب في شعره فقال :

---

(١) ان هذه الشجرة محبوبة لدى الغزيين . وهي مباركة في نظرهم . إذ أن ثمرها مفيد للبدن ومغذ للغاية . يأكلونه طازجاً ومجففاً . وخشبها ذو فائدة عظمى . يستعملونه في بناء المنازل والآبار لقوته ومتانته . فلا الماء ينفذ إليه ، ولا السوس يجد مجالا لأن ينخر فيه .

سلافة (١) راح (٢) ضمنتها اداوة (٣) مقيرة (٤) ردف (٥) لمؤخرة الرحل (٦)
تزودها من أهل بصرى وغزة على حسرة (٧) مرفوعة الذيل والكفل (٨)
فوافي بها عسفان ثم أتى بها مجنة تصفو في القلال (٩) ولا تغلي

وأما الآن فليس في مدينة غزة نفسها من كروم العنب إلا القليل . ولكن هذه الكروم كثرت وانتشرت في بربرة ، والجورة ، وحمامة وغيرها من القرى القريبة من غزة بدرجة انها أصبحت تضاهي كروم الخليل ورام الله وغيرها من المدن الفلسطينية المشهورة . حتى أن عنب بربرة نال الجائزة الاولى في معرض لندن .

٣٣ — وأهم صادرات غزة هو الشعير . ذلك لأن شعير غزة وبئر السبع وما بينهما من الأراضي يصلح لصنع الجعة (البيرا) أكثر من أي نوع آخر من انواع الشعير الذي ينبت في انحاء فلسطين الاخرى . فقد ثبت ذلك يوم ارسلت حكومة فلسطين (عام ١٩٢٤) نماذج متنوعة من الشعير الفلسطيني إلى انكلترا ، ففحصت كلها ، ووجد ان شعير هذه البلاد يحتوي على نسبة عظيمة من المواد النافعة لصنع الجعة . وقد نال استحسان الخبراء والفاحصين . وتقدر مساحة الأراضي التي تزرع شعيراً في قضاء غزة : ١٥٠،٠٠٠ دونماً ، وفي قضاء بئر السبع ١،٥٠٠،٠٠٠ وهذه المساحة تؤلف ٧٠ في المائة من مساحة اراضي فلسطين التي تزرع شعيراً .

ولقد كان تصدير الشعير إلى انكلترا قبل الحرب أكثر منه في يومنا هذا . فقد صدر في سنة ١٩٠٨ من غزة كمية قدرها ٣٨٠٠٠ طناً وفي سنة ١٩١٣ انخفضت الكمية المصدرة إلى ١٨،٤٠٠ طناً . وقد حدثني عدد كبير من رجال غزة فقالوا انه رسا على شاطيء غزة في سنة من السنين التي سبقت الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) اربعون باخرة . ابحرت كلها إلى اوروبا حاملة ستين ألف طن من شعير هذه البلاد . واما في السنوات الأخيرة فقد تضاءلت هذه الكمية تضاؤلا محسوساً وذلك للأسباب التالية :

---

(١) السلافة هي الخمر . (٢) الراح هو الخمر . (٣) الاداوة المطهرة . (٤) المقيرة المطلية بالقار . (٥) الردف الراكب خلف الهجان . (٦) الرحل مركب للبعير . (٧) الناقة العظيمة الماضية . (٨) الكفل مركب للرجال يؤخذ من كساء فيعقد طرفاه فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره ما يلي العجز . (٩) القلال جمع قلة . وهي الجرة الكبيرة .

آ ازدياد مساحة الأراضي التي غرست اشجاراً حمضية .

ب رفع الزبل من الأراضي المعدة لزراعة الحبوب وبيعه لأصحاب البيارات ليزبلوا به بياراتهم .

ج قلة الامطار

ويعلل البعض انحطاط تجارة الشعير وتناقص صادراته بقانون الامتناع عن المسكرات . ذلك القانون الذي سنته الولايات المتحدة في اميركا في اوائل القرن الحاضر ، والذي عاش بضع سنين ثم الغي . وفي اثناء المنع وجد الشعير الكاليفورني مجالا للبحث عن اسواق بأوربا يروج فيها . وقد نجح في الوصول إلى ضالته المنشودة فوجد السوق التي يبتغيها ولا سيما في انكلترا . أضف إلى ذلك ان اجرة النقل من كاليفورنيا إلى انكلترا أرخص بكثير منه إليها من فلسطين . كما أن الانكليز انفسهم اخذوا يكثرون من زراعة الشعير في بلادهم .

وكان بذلك القضاء على صادرات الشعير من هذه البلاد . حتى ان الكمية التي صدرت من هنا لم تتعد في أية سنة من السنين التي تلت الحرب الكبرى ١٨٠٠٠ طناً . وإليك بياناً بعدد السفن التي رست على شاطيء غزة وكميات الشعير التي حملتها خلال السنوات التالية :

سنة	عدد السفن	كمية الشعير بالطن	سنة	عدد السفن	كمية الشعير بالطن
١٩٢٨	٦١	٢٣٦٦	١٩٣٢	٢٣	٩٠٧
١٩٢٩	٣٨	٢٦٣٠	١٩٣٣	١٩	١٠٧٩
١٩٣٠	٣٤	١٨٦١٦	١٩٣٤	٢٤	٥٢٧٧
١٩٣١	٤٣	٣٩٥٨	١٩٣٥	٢٤	٢٣٤٤

ومن العوامل الاخرى تذبذب حالة الامطار في منطقة غزة . إذ أن تجار الشعير في البلاد الأجنبية يؤثرون التعامل مع البلاد التي تستطيع تزويدهم بالكميات التي يطلبونها في كل عام . ذلك خير من التعامل مع بلاد تعجز في بعض السنين عن تزويدهم بما يطلبون بسبب قلة الامطار .

هذه مصيبة كبرى أصابت الشعير ، فطعنت اقتصاديات هذا البلد في الصميم . ذلك لأن عدداً كبيراً من سكان هذه البلاد كان يعيش من وراء

زراعة الشعير وتجارته. فالملاك الذي يملك الارض ، والزارع الذي يزرعها، والحصاد، والجمال ، والتاجر ، والنوتي ، حتى والعتال — وهؤلاء كلهم يؤلفون الأكثرية الساحقة في هذه البلاد — ما كانوا يتنفسون الصعداء إلا في موسم الشعير . أما اليوم وقد زال الشطر الأكبر من هذه النعمة فقد أخذ الناس يتحدثون عن الشعير، وتجارة الشعير ، وارباح الشعير كشيء كان وانقضى . وسبحان الذي لا يزول .

٣٤ — وهناك مصيبة اخرى ألمت بسكان هذه المدينة عن طريق الزيتون . فقد كانت غزة ، حتى قبل زمن قريب ، مشهورة بزيتها وزيتونها . وكان زيتها يصدر إلى الخارج وإلى سائر المدن الفلسطينية بكميات كبيرة . وكان في غزة وحولها غابات كثيفة من أشجار الزيتون ، حتى قيل ان هذه الغابات كانت تمتد من وادي غزة إلى دير سنيد . وهناك من يقول انها كانت تمتد الى سدود أو إلى ما أبعد من ذلك .

وكان فيها عدد كبير من معاصر الزيت[1]. وفي يومنا هذا تجد اينما حللت بقايا من البدود القديمة ، والحجارة الكبيرة التي كانوا يستعملونها لعصر الزيتون واستخراج الزيت منه .

وكانت تجارة الزيت من التجارات الرائجة التي ترتكز عليها اقتصاديات المدينة . وكان الغزيون يخزنونه في آبار يحفرونها تحت الأرض لهذه الغاية .

ومن شدة شغفهم بالزيت واختزانه انهم يحدثونك عن بعض المنازل التي بنيت في غزة واستعمل في بنائها الزيت بدلا من الماء . ويقولون ان الجامع الكبير بني على هذه الطريقة . كما ان أحد وجوه غزة استعمل الزيت في بناء جدار له عندما علم أن الغزاة من البدو سيغزون غزة ، وان زيته واقع لا محالة في ايديهم .

وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وفي اسفار العهد القديم . والذي يتتبع هذه الاسفار يرى أن أول من أتقن زراعة الزيتون وصناعة الزيت هم الكنعانيون . وقد أخذ بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة. وكذلك فعل الفلسطينيون وفي طليعتهم الغزيون . فقد كانوا يعتنون بشجرة الزيتون اعتناء شديداً . وكان الزيت يجمع في جرار ، أو في زقاق مصنوعة من الجلد . وكانوا يأكلونه مع الخبز ، ويصدرونه إلى مصر وإلى تركيا وبر الأناضول ، ويصنعون منه الصابون . وكان في غزة عدد كبير من المصابن . وكان صابون غزة رائجاً في اسواق

---

(١) يسمونها في هذه البلاد (بدود) وواحدها (بد) .

الشرق الأدنى ولا سيما في مصر. وكان الغزيون يستعملون الزيت للضوء والعلاج، فيدهنون به الجلد والجروح والرأس في حالة الصداع، والصدر في حالة البرد؛ كما يدهنون الشعر بقصد تطويله. وكانوا يقطفونه بطريقتين: اما بالصعود على سلم وقطف الحبة بعد الاخرى من الزيتون، أو بجده جداً بعصا طويلة. وبلغ مجموع ما جني من عشر الزيتون عن غزة وما جاورها من القرى عام ٣٢٠ رومي (٩٠٤ م) ١٢٥٦٩ قرشاً تركياً. وبعضهم يقول انه بلغ في سنة من السنين ما لا يقل عن ١٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً.

وكان سعر الجرة من الزيت (أي ستة ارطال) مجيدياً تركياً ونصف مجيدي. ومعنى ذلك انه كان بامكانك ان تشتري كل اربع جرار من الزيت بجنيه من الذهب الانكليزي.

وأما اليوم فأشجار الزيتون في غزة قليلة وناتجها من الزيت يكاد لا يسد ربع حاجة سكانها، دع عنك التصدير إلى الخارج. ذلك لأن الجيش التركي الذي كان مرابطاً في غزة اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٧) قطع ٩٥ في المائة من اشجار الزيتون ليستعمل حطبها للوقود بدلا من الفحم الحجري في تسيير القطارات. فقضى بذلك على الغابات الكثيفة من اشجار الزيتون التي كانت تحيط بغزة من كل جانب.

وبعد أن كانت غزة من اشهر المدن الفلسطينية (١) بزيتها وزيتونها وصابونها أصبحت اليوم أقل هذه المدن انتاجاً من هذه الناحية. فليس في غزة اليوم مصبنة واحدة، وقد دلت الاحصاءات التي قامت بها مصلحة الزراعة بفلسطين على ان المساحات المزروعة زيتوناً في فلسطين بلغت عام ١٩٣١ نصف مليون دونم وعدد اشجار الزيتون المغروسة فيها ٤،٠٥٩،٩٥٠. وهذه توزع بين المدن الفلسطينية بالنسبة الآتية:

---

(١) قال المستر شيشستر H. Chichester الذى زار غزة فى شهر يناير من سنة ١٨٨٤ م: «ان غزة كانت مليئة بالكروم والبساتين من جميع انواع الفاكهة وان اكثرها انتشاراً هو النخيل فالزيتون. وان زيتونها قديم جداً. وانه يوجد حول غزة غابات واسعة من الزيتون تمتد من الشمال والشرق إلى اربعة اميال، وانه لم يكن فى فلسطين كلها غابات للزيتون أوسع من الغابات التي كانت فى غزة».

عـدد	المدينة	عـدد	المدينة
٦٣٤١٨٥	نابلس	٩٠٠٠٠	القدس
٦٢٤٨٨٥	عكا	٧٧٨٦٥	طبريا
٦٠٠٠٠٠	جنين	٦٨٤٠٠	الخليل
٥٠٧١٢٠	الرملة	٤٥٠٠٠	بيت لحم
٤٩٥٠٠٠	طول كرم	٢٩٢٥٠	يافا
٣٥٧٥٠٠	رام الله	١٠٩٦٥	غزة
٢٢٥٠٠٠	صفد	٣٠٤٥	بيسان
١٥٠٠٠٠	حيفا	٣٠٠	اريحا
١٤١٤٣٥	الناصرة		

٣٥ — وكأن هاتين المصيبتين مصيبة الشعير ومصيبة الزيتون لم تكفيا ، فقد ألم بغزة مصيبة ثالثة أصابت اقتصادياتها في الصميم . وهـذه المصيبة الـكبرى (ثالثة الاثافي) هي البرتقال . فقد انشأ عدد كبير من اصحاب الأراضي في هذه البلاد بيارات غرسوا فيهـا مئات الالوف من الأشجار الحمضية . ولا سيما في عام١٩٣٤ والاعوام التي تلته فقد وصل اهتمام الغزيين بالبيارات والأشجار الحمضية الذروةالعليا . لأن تجارة الحمضيات كانت رائجة ، وقد ربح الـكثيرون منها ارباحاً لا تقدر . غير انه سرعان ما انقلبت الآية ، وباءت هذه التجارة بالفشل والخسران ، لـكثرة ما غرس من البيارات بعد ذلك ، ولمشاكسة الظروف والأحوال التجارية .

وقد زاد الطين بلة نشوب الحرب الأخـيرة (١٩٣٩ — ١٩٤٢) فقد بارت هذه التجارة بالمرة . إذ انه اصبح من العسير جداً تصدير البرتقال إلى خارج فلسطين بسبب الحرب القائمة وفقدان وسائط النقل وقلة العمال وغلاء اجور النقل والشحن والتأمين وما إلى ذلك . هناك ٣٤١٨٤ دونماً من الأرض مغروسة اشجاراً حمضية . والـكميات التي تنتجها أكثر مما يستطيع سكان البلاد استهلاكه . وها هم اصحاب البيارات يلفظون انفاسهم الأخيرة ، لو لا أن الحـكومة تمدهم بالقروض المالية بين الفينة والفينة ، ولو لا المبالغ التي يستقرضونها هم من المصارف (البنوك) .

٣٦ — وفي غزة مصرفان يتعاطيان الصرافة وخصم الـكمبيالات وسائرالأعمال المالية والتجارية والزراعية . احدهما فرع للبنك الزراعي العربي في القدس وقداطلق

عليه مؤخراً (بنك الامـة العربية) . وقد تأسس هذا الفرع عام ١٩٣٤ . والثاني فرع لبنك باركليس في يافا . وقد تأسس هذا الفرع عام ١٩٣٥ .

٣٧ — ويكثر في غزة صيد السمك بجميع انواعه ؛ واشهرها :

١ :	السردين المبروم	٨ :	الدّهبان	١٥ :	الطوبارة
٢ :	المسقار	٩ :	العطعوط	١٦ :	البرش
٣ :	الغنبار	١٠ :	السرغوس	١٧ :	كلب البحر
٤ :	اللقز	١١ :	الطرخون	١٨ :	الغبس
٥ :	الفرّيدن	١٢ :	السلطان ابراهيم	١٩ :	الانتياس
٦ :	الداقور	١٣ :	الليطي	٢٠ :	الاسفرنة
٧ :	البوري	١٤ :	البلميدة	٢١ :	العصفور

وهناك انواع اخرى من السمك ، لـكنها غير مقبولة : كالاجاج ، والارفيدة، والكبان ، والمكشل ، والحفش ، والقـربي ، والجربيدن ، والنورين ، والرامير ، وسمك موسى ، وصوفر ، والصلبي ، وسلحفاة البحر ، والاصداف وما إلى ذلك . ولقد تراوح وزن ما اصطيد من السمك عـلى شاطىء غزة بين عام ١٩٣٣ و ١٩٤١ بين خمسين ومئـة وخمسين طنـاً في السنة . بلغ ثمنهـا في سنة ١٩٤١ اثنى عشر ألف جنيه .



قوارب الصيد على شاطىء غزة

وهناك في قضاء غزة ثمانية مواقع — خلا غزة — واقعة على شاطىء البحر المتوسط،

وتتعاطى صيد السمك . وإليك اسماءها حسب اهميتها وكثرة عدد الصيادين فيها ؛ وهي من الشمال إلى الجنوب : حمامة ، الجورة ،هربيا ، النزلة ، جباليا ،الشيخ عجلين ، دير البلح ، خان يونس .

وانه لمما يستلفت النظر ان هذه المواقع كلها واقعة على بعد يتراوح ما بين كيلو مترين إلى ثلاثة كيلو مترات من الشاطىء . وليس بينها ما يقوم على الشاطىء نفسه . واعتقد ان السبب في ذلك هو خوف السكان الأقدمين وخشيتهم من شر قرصان البحر .

ويعزى التقدم في صيد الأسماك إلى ازدياد عدد السكان ، والغاء الضريبةالقديمة على الأسماك المصطادة وقدرها ٢٠ في المائة ،وحماية المصايد بقانون سن لهذه الغاية عام ١٩٢٦ واسمه (قانون مصائد الأسماك) . أضف إلى ذلك أن الأهلين انفسهم اصبحوا يعرفون ما في السمك من قوة غذائية ، وما في صيدهوالاتجار بهمن الفوائد الاقتصادية . غير ان هذا التقدم لم يخفض من سعر السمك في الاسواق بل زاده صعوداً بسبب الحرب القائمة . وبعد أن كان رطل السمك يباع قبل الحربالحاضرة بثمانية عشر قرشاً فلسطينياً اصبح اليوم (١٩٤٣) يباع بتسعين قرشاً بغزة ، وإذا ما قدر له الوصول إلى القدس ويافا وتل ابيب بيع فيها بما يقرب من الجنيهين .

ويظهر ان سكان غزة الأقدمين كانوا مولعين بصيد السمك ، وعلم الأسماك . حتى انهم كانوا يصنعون حليهم ومجوهراتهم بشكل السمك الذي يحبونه .

ولقد رأى الاستاذ كليرمان غانو ، سنة ١٨٧٠م، عند صائغ من صياغ غزةقطعة ذات قيمة اثرية ، لم يستطع ابتياعها بسبب غلائها ، وقلة المال لديه . ولكنه سمع مؤخراً انها اشتريت باسم متحف (اللوفر) بفرنسا من لدن المسيو دو صولسى M. de Saulcy

وهذه القطعة عبارة عن حجر منبسط ذي صفائح خضراء اللون قاتمة . وهذا الحجر مقطوع بشكل سمكة مساحتها١٢ × ٧ سانتيمتراً واطرافهامزينةبنقوش خفيفة. وفي مكان العين ثقب عميق مستدير . وفي القسم الأعلى من الحجر ثقب عميق آخر يظهر انه صنع خصيصاً للتعليق . ومن هذا نفهم ان الحجر مصنوع بشكل تعويذة . ومنه ايضاً نفهم ان (علم الاسماك) كان ذا شأن في غزة والمدن الساحلية الفلسطينية الاخرى .

٣٨ — ويكثر في غزة ايضاً صيد الفر. انه ، على ما اعتقد، (السلوى) التي ورد ذكرها في القرآن والتوراة . ويجيء هـذا في اغسطس وايلول من اشهر الصيف . والمعتقد انه يجيء من الجزائر وتونس وسائر البلاد الواقعة في افريقيا الشمالية ، ومن ايطاليا وفرنسا وسائر البلاد الواقعة في اوربا الجنوبية.

٣٩ — ليس لغزة اليوم مرفأ . وانما هناك (لسان) ممتد في البحر على طول



اللسان البحري بغزة

خمسين متراً تقريباً . وهو مصنوع من الاسمنت المسلح . ولقد انشيء هذا اللسان في اوائل عهد الاحتلال الانكليزي على أمل أن يساعد السفن التي ترسو على الشاطىء . ولكن هذا المشروع قد اخفق ، وظلت السفن ترسو على بعد من الشاطىء .

والظاهر انه كان لها مرفأ صغير . غير أن مرفأها هـذا كان في معظم ادوار التاريخ (١) دون سائر موانىء الشام . ولم يكتب له ان ينتفع به حق الانتفاع إلا في اوقات قليلة . وقد انشيء في نفس الموضع لسان من الحديد في العهد التركي .

وبالرغم من عدم وجود مرفأ فقد كانت السفن تأتي إليها بكثرة، فترسو عند اقرب نقطة

---

(١) خطط الشام .

من الشاطىء يمكنها ان ترسو فيها ، لتأخذ الكميات الكبيرة من الشعير[١] التي كانت تصدر من غزة أو من بئر السبع عن طريق غزة إلى اوربا والبلاد الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .

وإليك عدد المراكب الشراعية والسفن التجارية التي رست على شاطىء غزة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٩ :

السنة	المراكب الشراعية		السفن البخارية		مجموع المراكب والسفن	
	عددها	حمولتها طن	عددها	حمولتها طن	عددها	حمولتها طن
١٩٢٩	٩٨	٣٤٢٢	١	٩٥٥	٩٩	٤٣٧٧
١٩٣٠	٥١	٢١٧١	١٥	٢٤٨٤٩	٦٦	٢٧٠٢٠
١٩٣١	٤٣	١٧٩٢	١	٢١٩٩	٤٤	٣٩٩١
١٩٣٢	٢٨	١٤٦٨	—	—	٢٨	١٤٦٨
١٩٣٣	٢٢	٩٨٤	١	٢٠٠	٢٣	١١٨٤
١٩٣٤	٣٠	١٠٥٨	٢	٤٤٦٠	٣٢	٥٥١٨
١٩٣٥	٣١	١٦٢٢	٥	٣٦٩٦	٣٦	٥٣١٨
١٩٣٦	١٠	٤٦٧	٣	٢٩٧٣	١٣	٣٤٤٠
١٩٣٧	٥٤	٢٩٤٤	١١	٥٢٤٦	٦٥	٨١٩٠
١٩٣٨	٤١	٢٠٧١	١	١١	٤٢	٢٠٨٢
١٩٣٩	٧	٥٩٢	—	—	٧	٥٩٢

ولم ترس على شاطىء غزة اية سفينة بخارية منذ نشوب الحرب الحاضرة (١٩٣٩ - ١٩٤٣).

٤٠ — وأما السفر من غزة وإليها فانه يجري في يومنا هذا بواسطة السيارات بالدرجة الاولى والقطار بالدرجة الثانية . واجرة السفر بالسيارة الصغيرة (التاكسي) من غزة إلى يافا ٤٠٠ ملا وإلى بئر السبع وخان يونس ١٥٠ ملا وإلى المجدل ١٠٠ ملا وإلى الفالوجة ٣٠٠ ملا . وبالسيارة الكبيرة (الباص) من غزة إلى يافا ٢٠٠ ملا

(١) يقال ان المعدل الوسط من محصول الشعير الذى كان يشحن من غزة فى السنة كان لا يقل عن مليون كيلة . والكيلة عشرون كيلو . فتكون الكمية المصدرة عشرين مليون كيلو . وفى سنة من السنوات التى سبقت الحرب الكبرى رسا على شاطىء غزة اربعون باخرة حملت إلى اوروبا ستين ألف طن من شعير هذه البلاد . انظر إلى الصفحة ٢٨٨ من هذا الكتاب.

وإلى بئر السبع ١٠٠ ملا وإلى المجدل وخان يونس ٦٠ ملا وإلى الفالوجة ١٤٠ ملا . وأما بالقطار فان اجرة السفر من غزة إلى يافا بالدرجة الاولى ٧١٥ ملا وبالدرجة الثانية ٤٧٥ ملا وبالدرجة الثالثة ٢١٥ ملا . وإلى المجدل وخان يونس بالدرجة الاولى ٢١٥ ملا وبالدرجة الثانية ١٤٥ ملا وبالدرجة الثالثة ٩٠ ملا . أما السكة الحديدية فانها ملك الحكومة . وأما السيارات الصغيرة فانها ملك اصحابها من الغزيين . وأما الباصات فانها لشركة منحت وحدها حق تسيير الباصات في هذه المنطقة . اسمها (شركة سيارات غزة والقرى الجنوبية المحدودة) ، ورئيسها السيد محمد ابو رمضان . رأسمالها كان في تاريخ تأسيسها (١٩٣٣) اربعة آلاف سهم ، كل سهم بجنيه واحد ، وأما الآن فقد بلغ خمسين ألف جنيه .

٤١ — في غزة مطار واسع انشىء عام ١٩٢٧ . وهو واقع قبلي (تل المنطار). ولقد كان مطار غزة هذا المطار الرئيسي لنقل البريد والركاب عن طريق الجو ، لا في فلسطين وحدها، بل وفي الشرق الاوسط كله. وكان ثمة حركة نقل وسفر واسعة النطاق بين فلسطين وشرق الاردن وسوريا ومصر والعراق ولبنان وتركيا واوربا. والشركات التي كانت تقوم بتنظيم هذه الحركة هي :

١ — شركة الطرق الجوية الامبراطورية المحدودة Imperial Airways Ltd.
٢ — شركة الخطوط الجوية الهولندية الملكية K.L.M. Royal Dutch Lines
٣ — شركة الطيران المصرية Misr Airlines
٤ — شركة لوت (Lot) البولندية

وكانت هذه الشركات تتبارى في الجو من حيث السرعة والنظافة والاتقان . ووصل تنافسها في عام ١٩٣٥ حداً تضاعفت معه مواعيد السفر ، فجعلت اربع مرات في الاسبوع بعد ان كانت اثنتين فقط. وكذلك قل عن الاجور ،فجعلت اجرة الراكب بين غزة والقاهرة وبينها وبين بيروت خمس ليرات .

ولما كانت غزة في مركز متوسط لنقل البريد بين البلدان المتقدم ذكرها فقد كان البريد يأتي إليها من كل صوب ، ويوزع منها الى جميع الانحاء بسرعة[1] وبأوقات منظمة لا يعتورها الخلل إلا نادراً . وظلت الحال كذلك حتى عام

(١) كان باستطاعة المرء ان يتناول الرسالة التي ترسل إليه من اثينا مثلا في سبع ساعات.

١٩٣٧ ، إذ انشىء مطار اللد . فاحتل ذلك المطار المكان الأول الذي كان يحتله مطـــار غزة .

ونلاحظ اليوم ان مطار غزة وان كانت قيمته قد تضاءلت من هذه الناحية (أي من حيث نقل البريد والركاب) إلا انه احتفظ بأهميتـه من الناحية العسكرية ، ولا سيما خلال الحرب الحاضرة (١٩٣٩—١٩٤٣) .

٤٢ — ان مساحـة قضاء غزة ١١٩٦ كيلو متراً مربعاً . ويعيش في كل كيلو متر مربع من الأرض مئة شخص من السكان تقريباً . وهـذه المساحـة تحتوي على ١٫٠٦٠٫٩٨٣ دونماً من الارض . وإليك تصنيفها من الوجهة الزراعية :

دونم		دونم	
٦٩٩٫٨٢٣	اراضي زراعية	١٥٥٠	مـدينة غزة (ابنية)
٣٤١٨٤	اشجار حمضية	٦٤٣	مـدينة المجدل (=)
١٠٤٧٩٢	اشجار فاكهة (غير الحمضيات)	٥٠٠	مدينة خانيونس (=)
٤٢٨٤٣	اراضي غير مزروعة	٢٦٩٣	قرى غزة (=)
٢٠٠٫٠٠٠	اراضي رملية	١٩٩٥٥	مساحة الطرق والوديان

كانت اراضي غزة ، المدينة والقضاء معاً ، من الصنف المعروف بالمشاع . ولم تكن مفروزة قط . وكثيراً ما عانى اصحابها الآلام من اجل اثبات ملكيتها وتقسيمها وزرعها إلى ان اعتزمت الحكومة القيام (بتسوية) عامة . وبدأت في اخراج عزمها هذا الى حيز الوجود في عام ١٩٢٨ . فمسحت هذه اولا على الطريقة العصرية ؛ ثم قسمت الى قطعات كبيرة ، فقسائم صغيرة عرفت مساحة كل منها على التمام ؛ وقد اتيح لكل إنسان ان يبدي رأيه ويقول قوله كما سمح له — في حالة فقدان التفاهم — ان يتقاضى وخصمه أمام مأمور التسوية بصفته القضائية ، وامام (محكمة الاستئناف العليا) عند مسيس الحاجة . وعلى هـذا المنوال تمت تسوية الاراضي ، أو كادت ، في غزة نفسها وفي جميع انحاء القضاء ولما ينقض على البدء بها سوى خمسة عشر عاماً . فترى ان كل إنسان يملك ارضاً في غزة يعرف ارضه ، ويعرف مساحتها بالضبط ، ويعرف ايضاً كيف السبيل إلى استغلالها على احسن وجه .

٤٣ — ويشتمل قضاء غزة على مدينتين في كل واحدة منهما مجلس بلدي: غزة،

وخان يونس (١)، ومدينة ثالثة فيها لجنة بلدية(٢) هي المجدل، ورابعة فيها مجلس محلي هي الفالوجـة (٣).

وهناك ثلاثة وخمسون قرية تعتبر من اعمال قضاء غزة وهي:

بربرة (٤)، برقة(٥)، برير، بطاني شرقي، بطاني غربي، بشلين، بني سهيـلة، بيت جرجـا (٦)، بيت حانون(٧)، بيت دراس، بيت طيما، بيت عفا، بيت لاهيا (٨) تل الترمس، جباليا، جسير، جلدية، الجورة (٩)، جولس، الجية، حتا، حليقات،

---

(١) عدد سكانها في يومنا هـذا عشرة آلاف. فيها مجلس بلدي مؤلف من ستة اعضاء، ورئيس هو السيد عبد الرحمن الفرا.

(٢) تولى مؤلف هذا الـكتاب رياسة هذه اللجنة في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢. وقد تولاها من بعده السيد يوسف الشريف ومعه خمسة اعضاء. والمجـدل مدينة زراعية وتجارية وصناعية في آن واحد. انها مشهورة بمنتوجاتها الحريرية والقطنية والـكتانية. فيها سبعمائة نول تدار باليد.

(٣) قرية كبيرة ينوف عدد سكانها على السبعة آلاف. وفيها مجلس محلي ذو عشرة اعضاء، رئيسهم الشيخ محمد عواد من خريجي الأزهر بمصر.

(٤) ولد فيها الشيخ يوسف البربراوي، وهو من الرجال الصالحين. قال مجير الدين ان الشيخ يوسف هذا هو ابو المحاسن يوسف البربراوي. وهو من العلماء الأعلام في الفقه والتشريع.

(٥) فيها النبي (برق).

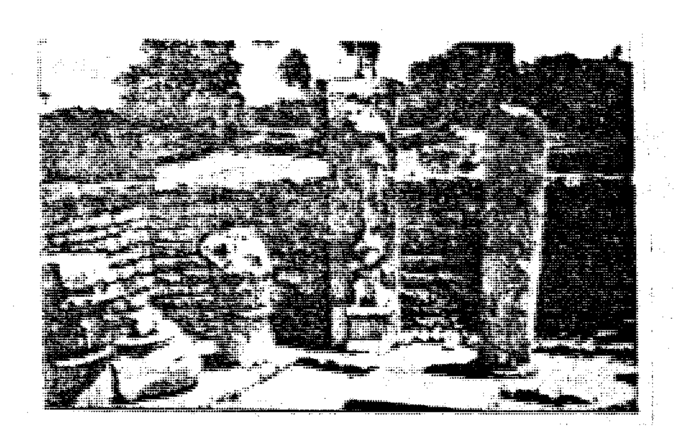
(٦) يعتقد الاستاذ (كليرمان غانو) ان هذا الاسم محرف وان اصله (بيت جرحه) وهي التي ذكرها ياقوت، وقال عنها انها قرية من قرى عسقلان.

(٧) انها عاصمة (حانون) ملك غزة في عهد آشور. وهو الذي حالف المصريين ليتخلص من نير الآشوريين. غير انه فشل، ووقع اسيراً في يد اعدائه.

(٨) ولد فيها ذاكر العجسي.

(٩) ويسمونها (جورة عسقلان). كانت عروس سوريا. وقد جاء في الحـديث النبوي: «طوبى لمن سكن إحدى العروسين: غزة وعسقلان». ولقد اريق الـكثير من دم المسلمين على اسوارها اثناء الفتح الاسلامي واثناء الحروب الصليبية. ولد فيها عـدد كبير من الادباء منهم واشهرهم القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اللخمي العسقلاني كما ولد فيها الخليفة الفاطمي العسقلاني الملقب بـ (الحافظ لدين الله). فيها آثار قديمة.

حمـــامة (١) ، خزاعة ، خصاص ، دمرة ، دير البلح (٢) دير سنيد، رفح، سدود (٣) سـكرير ، سمسم ، سوافير شمالي ، سوافير شرقي ، سوافير غربي ، صميل، عبدس (٤) عبسان ، عراق سويدان ، عراق المنشية ، القسطينة ، كراتيا ، الكوفخة ، كوكبة ، المحرقة ، المسمية الكبيرة (٥) المسمية الصغيرة ، نجد ، النزلة ، نعليا ، هربيا (٦) هوج ، ياسور .



الآثار القديمة في عسقلان

وفي قضاء غزة عشيرة واحدة تدعى (ابو سويرح) يعيش قسم من افرادها بالخيام وبيوت الشعر ، والقسم الآخر في منازل مبنية من طوب الاسمنت والحجر الرملي ؛ ومنازلها قريبة من وادي سكرير .

---

(١) ولد فيها عبد الجبار الخثعمي .

(٢) ولد فيها ابو بكر الداروني . وعلى مقربة منها خربة داثن التي نشبت فيها المعركة الثانية بين الروم والعرب في الفتح الاسلامي تلك المعركة التي أبلى فيها أبو اسامة الباهلي بلاءا حسناً .

(٣) ان الصحابي المعروف عبدالله بن ابي سرح رضى الله عنه مدفون في هذه القرية .

(٤) ولد فيها شهاب الدين أحمد بن عبدالله الكناني .

(٥) هناك خربة بالقرب من المسمية الكبيرة تدعى (سناجية) اتخذها الصحابي الجليل ابو قرصافة جندرة بن حيشة مقاماً له ، حتى انها كانت تعرف بقرية ابي قرصافة (بلادنا — فلسطين لمصطفى الدباغ) .

(٦) ولد فيها محمد بن الفضل المطرى .

وفي قضاء غزة عشر مستعمرات يهودية هي التي نذكرها لك في البيان التالي . وانك لتجد فيه تاريخ تأسيس كل واحدة منها ، ومساحتها ، وعددسكانهافي يومنا هذا:

العدد	اسم المستعمرة العربي	اسم المستعمرة العبري	سنة التأسيس	المساحة بالدونمات	عدد السكان
١	بيار تعبيا (١)	באר טוביה	١٨٩٥	٤٧٠٠	٦٥٥
٢	غان يبنا (٢)	גן-יבנה	١٩٣٣	٤٣٠٠	٤٥٠
٣	كفار بتساورون(٣)	כפר בצרון	١٩٣٣	١٠٠٠	١٢٠
٤	نقبا (٤)	נגבה	١٩٣٩	٢٦٠٠	٢٤٥
٥	كفار واربورغ(٥)	כפר-ורבורג	١٩٣٩	٢٠٠٠	٢٠٠
٦	غات (٦)	גת	١٩٤١	٥٥٠٠	١٧٤
٧	دوروت (٧)	דורות	١٩٤١	٥٥٠٠	٢٠٥
٨	محار — سمسم	מחר שומשום	١٩٤٢	٤٠٠٠	٥٠
٩	نير حايم	ניר-חיים	١٩٤٢	٢٣٠٠	٤٠
١٠	رامات هاشومرون(٨)	רמת השומרון	١٩٤٣	٦٠٠٠	٣٥
				٣٧،٩٠٠	٢،١٧٤

(١) معناها (بئر خير الله) . وقد ثار العرب فدمروها في اوائل الاحتلال. وانشئت من جديد عام ١٩٣٠ .

(٢) معناها (بستان الحكمة) .

(٣) معناها (القرية المحصنة) . كانت بادىء ذي بدء مع غان يبنا ثم انفصلت عنها عام ١٩٣٩ .

(٤) معناها (إلى الجنوب) .

(٥) نسبت الى (فيلكس واربورغ) أحد زعماء اليهود في امبركا .

(٦) سميت على اسم (غات) الفلسطينية القديمة التي يعتقد انهابالقرب من هذا المكان.

(٧) ان هذا الاسم يتكون من الاحرف الثلاثة الاولى للزعيم اليهودي(دوف هوز) وامرأته (رفقة) وبنته (ترصة) .

(٨) انها اول مستعمرة يقيمها اليهود المتدينون .

أما الاولى والثالثة والخامسة فانها (موشاو) מושב أي ان كل يهودي يعيش في اية واحدة من هذه المستعمرات الثلاثة يملك لنفسه ما يستطيع من الدور والاراضي والحيوانات . غير ان سكان المستعمرة يؤلفون (جمعية تعاونية) تتولى شراء ما يحتاج إليه هؤلاء السكان، وجمع ما ينتجونه من حبوب وبيض وألبان وما إلى ذلك ، وتخزن هذه النواتج في مخزن واحد ، ثم تقوم بتصريفها في الاسواق الفلسطينية ، وتوزيع اثمانها ، مع الربح ، على اصحابها . ولكل واحدة من هذه المستعمرات (لجنة ادارية) هي المسؤولة



مؤلف هذا الكتاب
يفتش مستعمرة (نقبا) وبجانبه مختارها

عن تنظيم هذا التعاون بالاضافة الى تدبير شؤون المستعمرة الاخرى : كمشاريع الماء والصحة والتعليم . وتنتخب هذه اللجنة من قبل سكان المستعمرة كلهم ذكوراً وإناثاً . ومما يجدر ذكره في صدد هذا النوع من الاستعمار ان رب البيت نفسه يقوم بجميع الاعمال التي تتطلبها مزرعته الخاصة . ولا يجوز له استخدام عمال من الخارج.

واما (غان يبنا) فانها (موشاوا) מושבה اي انها تعيش على المجهود الفردي . لكل امرىء من سكان هذه المستعمرة ملكه الخاص من أرض وحيوان وعقار . وهو حر التصرف بملكه ومنتجاته. وليس ثمة تعاون بين الافراد بالمعنى المتقدم .

واما المستعمرات الاخرى فانها (كيبوتس) קבוץ اي انها مؤسسة على الاشتراك والتعاون بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى . فليس ثمة ملك خاص إلا في النساء. اما الأراضي فهي ملك الـ (كرن كايمت) הקרן הקימת לישראל واما محصولها فانه ملك المستعمرة . وكذلك قل عن الطيور الداجنة ومنتجاتها ، والمنازل،

والابقار ، والآلات الزراعية ، والادوات المنزلية ؛ وقصارى القول ان كل ما في المستعمرة من جماد ونبات هو ملك المستعمرة كلها ، وليس يملك فرد من الافراد . وللمستعمرة (لجنة ادارية) مسؤولة عن تدبير جميع شؤونها ، وهي منتخبة كما في المستعمرات الاخرى.

وهناك ، فوق الجميع ، (لجنة القضاء) ועד ישובי העובדים בדרום יהודה وهي التي تدبر الشؤون المشتركة لجميع المستعمرات اليهودية لا في قضاء غزة فحسب بل وفي جنوب فلسطين . انها تهتم بشؤون التغذية والتموين والزراعة والاقتصاد والمواصلات والامن والسياسة . ولما كانت لها صفة تمثيلية فهي التي تتولى الدفاع عن حقوق المستعمرات اليهودية لدى مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة . انها فرع من فروع (جمعية العمال المزارعين) הסתדרות הפועלים החקלאים المعروفة باسم (المركز الزراعي) המרכז החקלאי التابع لنقابة العمال العامة بفلسطين . ويعمل الجميع تحت إمرة (الوكالة اليهوديه) بالقدس .

ولقد قطعت المستعمرات اليهودية شوطاً لا بأس به في مضمار الرقي عن طريق التعاون والتنظيم المتقدم ذكرها : فهناك المدارس الابتدائيه المختلطة (للذكور والاناث معاً) ، وغرف القراءة ، وبساتين الاطفال ؛ وهناك مشاريع الري والمياه التى تدار بالآلات الميكانيكية وتصل إلى المنازل ؛ وهناك العيادات الطبية ونقابات العمال . والمستعمرات الخمس الاولى تضاء بالكهرباء . وفي كل من يارتعيا وغان يبنا بيت للشعب يدعونه (בית־עם) .

٤٤ — يعيش في قضاء غزة في يومنا هذا ١٢٦،٢٤٦ شخصاً . وقد كان هذا العدد في السنين الفائتة كما يأتي : —

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩١٢	٥٠،٠٠٠	١٩٣٩	٩٦،٥٩٦
١٩٢٢	٧٣،٨٨٥	١٩٤٠	٩٩،٩٠٦
١٩٣١	٩٤،٦٣٤	١٩٤١	٩٨،٥٢٠
١٩٣٨	٩٣،١١٤	١٩٤٢	١٢٦،٢٤٦

واليك تصنيف هؤلاء السكان بالنسبة الى اديانهم : —

	١٩٣١	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢
مسلمون	٩٣،٣١٥	٩١،٢٨٦	٩٤،٦٥٣	٩٧،٩٠٤	٩٦،٤٥٩	١٢٣٠٥٢
مسيحيون	٨٩٧[1]	٨٨٧	٩١٥	٩٤٥	٩٩١	١،٠٢٠
يهـود	٤٢٢	٩٤١	١،٠٢٨	١،٠٥٧	١،٠٧٠	٢،١٧٤
	٩٤،٦٣٤	٩٣،١١٤	٩٦،٥٩٦	٩٩،٩٠٦	٩٨،٥٢٠	١٢٦٢٤٦

وأما من حيث اللغات فقد تم تصنيف سكان قضاء غزة عام ١٩٣١ على الوجه التالي:

الذين يتكلمون اللغة العربية ٩٤١٥٠ — الذين يتكلمون اللغة الجرغونية ٢
» » » العبرانية ٤١٧ — » » » الهندية ٢
» » »الانكليزية ٢٨ — » » » الفارسية ١
» » » الارمنية ٢٣ — » » » اليونانية ١
» » » الكردية ٥ — » » » الالمانية ١
» » » التركية ٤

وأما تصنيفهم بالنسبة إلى احوالهم الشخصية فهو كما يأتي :

	يكون		ذكور		اناث
عدد المتزوجين	٣٩١٦٥	=	١٨٣٣٢	+	٢٠٨٣٣
عدد العزاب	٤٩٥٦٥	=	٢٧٧٠٠	+	٢١٨٦٥
عدد المطلقين	٢٥١	=	٧٦	+	١٧٥
عدد الارامل	٥٦٥٣	=	٧٢٤	+	٤٩٢٩
	٩٤،٦٣٤	=	٤٦٨٣٢	+	٤٧٨٠٢

ان الوفيات في قضاء غزة ١٧٦ في كل الف . وهذه نسبة ، كما ترى ، كبيرة جداً . وهي تسترعي الانتباه.ولكي اعطيك فكرة عن الولادات والوفيات في القضاء اضع بين يديك الارقام التالية :

(١) من هذا العدد ٧٠٤ روم ارثوذكس و٥٦ لاتين و٣٢ بروتستانت و٢١ ارمن كاثوليك و٦ روم كاثوليك و٣ اقباط و١ موارنة و٧٤ مذاهب اخرى .

١٩٣٨

	ولادات			وفيات		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
مسلمون	٢٥٥٤	٢٣٤١	٤٨٩٥	١٠٢٥	٩٧٢	١٩٩٧
مسيحيون	١١	٢١	٣٢	٢	٤	٦
يهود	١٦	٨	٢٤	—	—	—
المجموع	٢٥٨١	٢٣٧٠	٤٩٥١	١٠٢٧	٩٧٦	٢٠٠٣

١٩٣٩

	ولادات			وفيات		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
مسلمون	٢٥٦١	٢٥٥٨	٥١١٩	١٠٤٢	٩١٣	١٩٥٥
مسيحيون	١٢	٦	١٨	٦	٦	١٢
يهود	١٢	١١	٢٣	٩	٢	١١
المجموع	٢٥٨٥	٢٥٧٥	٥١٦٠	١٠٥٧	٩٢١	١٩٧٨

١٩٤٠

	ولادات			وفيات		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
مسلمون	٢٥٣٧	٢٣٧٥	٤٩١٢	١٧٩٨	١٩٣٨	٣٧٣٦
مسيحيون	١٥	١٤	٢٩	٧	٤	١١
يهود	٥	٦	١١	٦	١	٧
المجموع	٢٥٥٧	٢٣٩٥	٤٩٥٢	١٨١١	١٩٤٣	٣٧٥٤

١٩٤١

	ولادات			وفيات		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
مسلمون	٢٧٤٥	٢٥٤٥	٥٢٩٠	١٤٣٨	١٣٤١	٢٧٧٩
مسيحيون	١٥	١٨	٣٣	٤	٦	١٠
يهود	٤	٣	٧	٢	٣	٥
المجموع	٢٧٦٤	٢٥٦٦	٥٣٣٠	١٤٤٤	١٣٥٠	٢٧٩٤

٤٥ — هذا فيما يختص بني آدم . وأما من حيث الحيوانات الأليفة والطيور الداجنة فان في قضاء غزة ٤٩٣ رأساً من الخيل [1] و ٥٦١ من البغال و ١٣٠٣٨ من الحمير و ٤٩٩٧ من الجمال و ٧٥٧٤ من الماعز و ٢٧٠٦٢ من الضان و١٧٦٨٥ من الابقار و ٤٣٦،٠٠٠ من الطيور الداجنة .

منها في مدينة غزة نفسها ١١٧ رأساً من الخيل و ٦٣ من البغال و ٢٠٨٣ من الحمير و ٨٧٥ من الجمال و ٤٧٥ من الماعز و ٢٨١٠ من الضان و ١٠٥٨ من الابقار و ٣٣،٠٠٠ من الطيور الداجنة .

٤٦ — وإليك نبذة مختصرة عن الضرائب والنظام المالي السائد الآن في غزة :

أُلغي النظام المالي التركي ، بطبيعة الحال ، بعد الاحتلال . وحل مكانه نظام مالي يجمع بين الانظمة التركية القديمة والمبادىء الانكليزية الجديدة . ولقد اجتاز هذا التغيير ادواراً عديدة لا مجال لبحثها هنا بالتفصيل . غير اني اجتزىء القول فاقول :

الغى الانكليز بعد الاحتلال ويركو الاراضي وضريبة المسقفات واستبدلوها (١٩٢٨) بضريبة الاملاك في المدن . وهي ضريبة (١٠ ٪) مبنية على قيمة الايجار الصافي السنوي للبيوت والاراضي الواقعة في المدينة . وتقوم بتخمينها لجنة مؤلفة من عدد من الموظفين وآخر من الأهلين .

غير ان البيوت المنخفضة الايجار التي يسكنها اصحابها فانها تعفى من هذه الضريبة.

وإليك بيان المبالغ التي فرضت على مدينة غزة وقضاها باسم ضريبه الاملاك في المدن منذ عام ١٩٣٥ :

عام	مدينة غزة ج . ف	خان يونس والمجدل ج . ف	المجموع ج . ف	عام	مدينة غزة ج . ف	خان يونس والمجدل ج . ف	المجموع ج . ف
١٩٣٥	١٦٥٤	٦٣٥	٢٢٨٩	١٩٣٩	٢٦٤٧	٨٩٢	٣٥٣٩
١٩٣٦	١٦٧٢	٦٣٢	٢٣٠٤	١٩٤٠	٢٨٥٤	٩٢٤	٣٧٧٨
١٩٣٧	١٦٩٠	٦١٤	٢٣٠٤	١٩٤١	٢٩٣٢	٩٢٨	٣٨٦٠
١٩٣٨	٢٠٥٧	—	٢٠٥٧	١٩٤٢	٣٤١١	٩٢٩	٤٣٤٠

وخفضوا ضريبة العشر اولا (١٩٢٥) إلى ١٠ بالمائة ثم جعلوها (١٩٢٧)

(١) إن خيل غزة مشهورة فى فلسطين وفى جميع انحاء الشرق الادنى.

مبلغاً سنوياً مقطوعاً . وقد استندوا في تحديد هذا المبلغ على الاعشار المخمنة في السنوات الاربع التي سبقت تاريخ التقدير . واسموا هذه الضريبة (ضريبة العشر المستبدل) .

وكانت هذه الضريبة أخف وطأة على المزارعين من التخمين . إذ انها مكنتهم من انزال منتجاتهم الزراعية إلى السوق دون تأخير . ولكنهم لم يستفيدوا منها الاستفادة المطلوبة بسبب المحل من جهة ، وهبوط الاسعار من جهة اخرى .

وقد الغوا ضريبة العشر المستبدل بعدئذ ، واستبدلوها بضريبة اسموها (ضريبة الاملاك في القرى) ، وكان ذلك عام ١٩٣٥ .واستندوا في تقدير هذه الضريبة على الدخل الصافي أو الفائدة التي يجنيها الملاك من ارضه . وقد صنفوا الاراضي إلى ستة عشر صنفاً وفرضوا على كل صنف منها ضريبة تتناسب مع قيمة الربح الذي يجنى منها .

فالضريبة مثلا عن الدونم الواحد من الاراضي المزروعة اشجاراً حمضية جعلت ٨٢٥ ملا ثم خفضت إلى ٥٠٠ مل ؛ وعن الموز ٥٦٠ ملا ؛ وعن الاراضي التي تسقى بالماء والمغروسة اشجاراً مثمرة من ٣٠ إلى ٤٠ ملا ؛ وعن الاراضي المستعملة لزراعة الحبوب من ٨ ملات إلى ٢٥ ملا . واستثنيت بعض الاراضي من دفع الضريبة لقلة انتاجها وعدم فائدتها . ولقد ضوعفت هذه الضريبة في عام ١٩٤٣ بسبب ظروف الحرب.

وإليك بيان المبالغ التي فرضت على مدينة غزة وقضاها باسم ضريبة الاملاك في القرى مذ وضعت موضع التنفيذ :

عام	مدينة غزة	قرى غزة (١)	المجموع جنيه فلسطيني
١٩٣٥	٣٥١٨	١٤٠٥٠	١٧٥٦٨
١٩٣٦	٣٧١٢	٢٨٠٥٨	٣١٧٧٠
١٩٣٧	٥٨٧٩	٢٨٨١٦	٣٤٦٩٥ (٢)
١٩٣٨	٣٧٦٤	١٩٧٦٩	٢٣٥٣٣
١٩٣٩	٣٦٦١	٢١٠٧٤	٢٤٧٣٥
١٩٤٠	٣٧٣٨	٢١٤٨٦	٢٥٢٢٤
١٩٤١	٤٠٩٠	٢١٨٢٢	٢٥٩١٢
١٩٤٢	٤١٨٨	٢٢٧٥٤	٢٦٩٤٢

(١) تشمل هذه الارقام ضريبة الاملاك فى القرى المجموعة من خانيونس والمجدل والفالوجة ايضاً .

(٢) بلغ مجموع ما جبي من فلسطين كلها من هذه الضريبة سنة ١٩٣٧ (١٢٨٬٩٨٠ جنيه).

وأما ضريبة الحيوانات التركية فقد بقيت في عهد الاحتلال الانجليزي على ما ما كانت عليه قبلا . أي انها تجبى عن الاغنام (ماعز او ضان) بنسبة ٤٨ ملا عن الرأس الواحد؛والجمال المعدة للنقل بنسبة ١٢٠ ملا عن الجمل الواحد؛والخنازير بنسبة ٩٠ ملا عن الخنزير الواحد . ويعفى منها الحملان ، والجمال المعدة للحراث . وقد بلغت هذه الضريبة التي جمعت من غزة وقراها خلال الاعوام الاخيرة المبلغ التالي :

عام	جنيه	عام	جنيه	عام	جنيه	عام	جنيه
١٩٣٥	٦٠٠	١٩٣٧	٢٩٢	١٩٣٩	٦٠٩	١٩٤١	٧٤٥
١٩٣٦	١٠١١	١٩٣٨	٦٩٢	١٩٤٠	٦٣٤	١٩٤٢	٦٢٥

وقد الغيت التجهيزات العسكرية بعد الاحتلال الانكليزي ، والغيت ضريبة صيد الاسماك . كما الغيت (ضريبة التمتع) التركية . إلا أن الانكليز عادوا ففرضوا في عام ١٩٤١ ضريبة من جنسها اسموها (ضريبة الدخل) . وهي تستند على تقدير قيمة الارباح الصافية التي يجنيها المرء من عمله خلال السنة التي تسبق سنة التقدير . فيخصم من هذه الارباح لمعيشته ٢٠٠ جنيه ولامرأته ١٠٠ جنيه ولولده الاول ٤٠ جنيهاً والثاني ٣٠ والثالث ٢٠ والرابع ١٠ . هذا إذا كان متزوجاً . وأما إذا كان اعزباً فلا يخصم له سوى ٢٠٠ جنيه عن نفسه و ٥٠ جنيهاً عمن يعيش في كنفه وينفق عليه من ماله الخاص . وبعد أن تخصم هذه المبالغ من مجموع الربح الصافي تفرض ضريبة الدخل على المبلغ الباقي وذلك بالنسبة التالية :

عن كل جنيه من	الاربعمائة جنيه الاولى	٥٠	ملا
عن كل جنيه من	الاربعمائة جنيه التالية	٧٥	ملا
عن كل جنيه من	الاربعمائة جنيه التالية	١٢٥	ملا
عن كل جنيه من	الاربعمائة جنيه التالية	٢٠٠	مل
عن كل جنيه من	الخمسمائة جنيه التالية	٣٠٠	مل
عن كل جنيه من	الخمسمائة جنيه التالية	٤٠٠	مل
عن كل جنيه من	المبالغ الباقية	٥٠٠	مل

ولقد قام مؤلف هذا الكتاب في السنة الاولى (١٩٤١) التي وضع فيها هذا

القانون موضع التنفيذ بتقدير دخل العزيين الذين يشملهم القانون فبلغت الضريبة التي جبيت منهم ٥٠٠ جنيه فلسطيني ، وفي السنة الثانية (١٩٤٢) ستة آلاف جنيه .

ولقد ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب شيئاً عن العملة التركية ، وعن الادوار التي مرت عليها . فلما انهزم الاتراك واحتل الانكليز البلاد (١٩١٧) الغوا النقد التركي واحلوا مكانه النقد المصري. وفي عام ١٩٢١ جعلوا النقد القانوني مؤلفاً من الليرة الذهبية المصرية ، والنقد الورقي المصري ، والمسكوكات الفضية والنكلية المصرية ؛ والليرة الانكليزية الذهبية (بسعر ٩٧،٥٠ من القروش المصرية) .

واستبدل النقد المصري بنقد فلسطيني عام ١٩٢٧ ، وسحب النقد المصري شيئاً فشيئاً من البلاد . والنقد الفلسطيني هو الآن عبارة عن اوراق نقدية (ذات خمسمائة مل ، وجنيه واحد ، وخمسة جنيهات ، وعشرة ، وخمسين ، ومئة)؛ ومسكوكات فضية (ذات خمسين ملا ، ومئة مل) ؛ ومسكوكات نكلية (ذات خمسة ملات ، وعشرة ملات ، وعشرين ملا)؛ ومسكوكات نحاسية (من فئة مل واحد وملين). وتستبدل الاوراق النقدية على سعر كمبيو الليرة الاسترلينية الانكليزية .

والليرة تقسم إلى ألف مل . وكثيراً ما يستعمل الناس لفظة (القرش) بدلا من قولهم عشرة ملات و (التعريفة) بدلا من الخمسة ملات .

٤٧ — ولنبحث الآن عن غزة من ناحية الحكومة وتشكيلاتها : فمدينة غزة هي مركز اللواء المعروف بلواء غزة . وهو أحد الالوية الادارية الستة (١) التابعة لحكومة فلسطين :

وفلسطين كما تعلم من البلاد التابعة للانتداب الانكليزي . يديرها مندوب سام وضعته الدولة المنتدبة بريطانيا العظمى . ويساعده في ادارته مجلسان : مجلس استشاري ، وآخر تنفيذي . وجميع اعضاء هذين المجلسين بريطانيون يعينون رأساً من وزارة المستعمرات بلندن . فالمندوب السامي الحالي هو السر هارولد مكمايكل Sir Harold Alfred Mac Michael G. C. M. G., D. S. O. High Commissioner For Palestine ، وحاكم لواء غزة هو المستر ادوارد بلارد،

---

(١) وأما الألوية الاخرى فهي : لواء القدس : يتبعه اقضية القدس ، ورام الله ، وبيت لحم ، والخليل . ولواء حيفا : يتبعه اقضية حيفا ، وعكا . ولواء الجليل : يتبعه اقضية الناصرة ، وطبريا ، وصفد ، وبيسان . ولواء السامرة : يتبعه اقضية نابلس ، وجنين ، وطول كرم . ولواء اللد : يتبعه اقضية يافا ، والرملة .

وأما قائمقام القضاء فانه مؤلف هذا الكتاب ، وزميله اسحق افندي النشاشيبي.الاول للشؤون الادارية،والثاني للمالية. وهناك مساعد لحاكم اللواء هو اللورد اوكسفورد.



حاكم لواء غزة المستر بلارد

فالحكومة في غزة مؤلفة في يومنا هذا من مصالح كثيرة منها : الادارة،البوليس والسجون ، المعارف ، العــدلية ، الشرعية ، الاشغال العامة ، الصحة ، الزراعة والاسماك ، البيطرة ، البرق والبريد ، الجمارك ، الآثار ، الحراج والغابات ، الطيران المدني، الطابو ، تسوية الاراضى، مساحة الاراضي، ضريبة الدخل، تخمين المزروعات.

وهناك مصلحتان جديدتان انشئتا بسبب الحرب الحاضرة ، وهما : دائرة المؤن ، والوقاية من الغارات الجوية .

وفي المصالح المتقدم ذكرها كلها عدد من الموظفين بلغ عددهم عند تأليف هذا الكتاب ٢٧٧٥ منهم ٣١ من ذوي الرتب العليا (١٩ انـكليز و ١٢ عرب) و ٢٤٣ من ذوي الرتب الدنيا (١٣ انكليز و ٢٣٠ عرب) و ٢١٩٣ انفار بوليس (١٣٠ انكليز و ٢٠٦٣ عرب) و ٣٠٨ خدامون (كلهم عرب) ويتقاضى هؤلاء رواتبهم من خزينة الدولة . فقد بلغ مجموع هذه الرواتب عند جمع هذه المعلومات (١٢٨،٣٢٩) جنيهاً فلسطينياً ، كما ترى ذلك في البيان التالي :

بيان عدد الموظفين المستخدمين لادارة قضاء غزة (١٩٤٣).

رقم متسلسل	اسم المصلحة	عدد الموظفين: الرتب العليا	الرتب الدنيا	الجنود والخدم	المجموع	مجموع الرواتب السنوية جنيه فلسطيني
١	الادارة	٤(١)	٢٨	٨	٤٠	٧٬٤٠٠
٢	البوليس والسجون	١٤	٢٠	٢٤٦٦	٢٥٠٠	٨٨٬٨٠٠
٣	المعارف	—	٢٤	٥	٢٩	٤٬٠٠٠
٤	العدلية	١	٤	٣	٨	١٬٤٢٠(٢)
٥	الشرعية	١	٣	٢	٦	٩١٦
٦	الاشغال العامة	٢	٢١	١	٢٤	٤٬٢٠٨(٣)
٧	الصحة	٢	٣٣	١	٣٦	٣٬٩٦٠(٤)
٨	الزراعة والاسماك	١	٤	١	٦	٨٦٣(٥)
٩	البيطرة	١	٤	١	٦	١٬٠٠٠
١٠	البرق والبريد	١	٢٠	٢	٢٣	٣٬٨١٦(٦)
١١	الجمارك	—	١١	—	١١	١٬٢٦٠
١٢	الآثار	—	١	—	١	٦٠
١٣	الحراج والغابات	—	١٣	١	١٤	٧٩٠
١٤	الطيران المدنى	—	١	—	١	٣٦
١٥	الطابو	١	٧	١	٩	١٬١٨٠
١٦	تسوية الاراضى	١(٧)	٣	٤	٨	٢٬٠٠٠
١٧	مساحة الاراضى	—	١٦	١	١٧	٢٬٢٩٠
١٨	ضريبة الدخل	—	١	—	١	٨٠
١٩	مراقبة المؤن (٨)	٢	١٢	٣	١٧	٣٬٠١٠
٢٠	تخمين المزروعات	—	١٥	—	١٥	٨٠٤
٢١	الوقاية من الغارات الجوية	—	٢	١	٣	٤٣٦
		٣١	٢٤٣	٢٥٠١	٢٧٧٥	١٢٨٣٢٩(٩)

(١) اثنان من ذوي الرتب العليا انكليز

(٢) لا يدخل فى هذا البند رواتب المحكمة المركزية التى تقيم فى يافا والتى تزور غزة كلما مست الحاجة. وكذلك قل عن القاضي البريطانى.

(٣) لا يشمل هذا البند العمال المؤقتين ونفقات الاشغال والمشاريع العامة..

(٤) يشمل هذا البند رواتب المرضات ونفقات المستشفى.

(٥) لا يشمل هذا البند العمال المؤقتين.

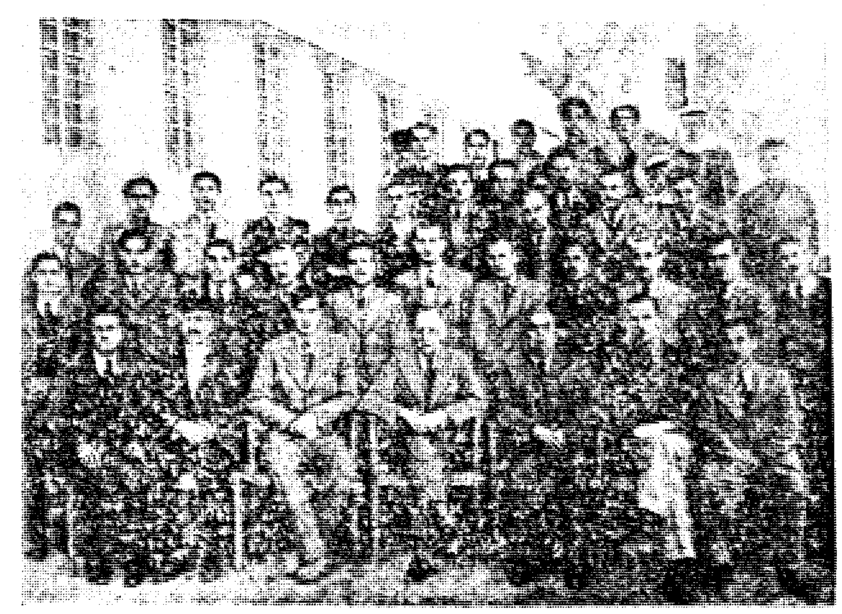
(٦) هذا عدا اجور العمال اليومية. مفتش الخطوط انكليزى من ذوى الرتب العليا.

(٧) رئيس هذه الدائرة انكليزى.

(٨) يقوم على رأس هذه المصلحة موظف يتناول راتبه من الادارة وهو انكليزى، وكذلك قل عن مساعده، وهما من ذوى الرتب العليا.

(٩) هذا هو مجموع الرواتب السنوية فقط. ولا يشمل النفقات السفرية التى يتقاضاها الموظفون فى رحلاتهم الرسمية.

إن مصلحة الادارة وان كانت لا تزال ، كما كانت في العهود الغابرة ، تشغل المقام الاول بين المصالح المتقـدم ذكرها من حيث الاهمية ، إلا انها لا تتمتع بنفس النفوذ



موظفو الادارة فى غزة(١)

(٣١ آذار عام ١٩٤٣)

---

(١) الصف الأول من اليمين إلى اليسار : ١ — بشارة اسحق الصايغ مساعد رئيس الديوان . ٢ — والتر جوردن مارزدن السكرتير الخاص لحاكم اللواء . ٣ — عارف العارف قائمقام القضاء . ٤ — ادوارد بلارد حاكم اللواء . ٥ — الايرل اوف اكسفورد واسكويث مساعد حاكم اللواء . ٦ — كمال عبد الرحيم عيسى بدر مدير المال . ٧ — حكمت صليبا الخورى رئيس الديوان .

الصف الثانى من اليمين إلى اليسار : ١ — عبدالله محمود زيد الكيلانى كاتب فى دائرة المالية . ٢ — فؤاد شكرى مسعد كاتب فى دائرة المالية . ٣ — نور الدين زكي ابو السعود كاتب فى دائرة المالية . ٤ — وصفي طاهر ابو غزالة كاتب فى دائرة المالية . ٥ — حمدى حسنى العنبتاوي كاتب فى دائرة الجمعيات التعاونية . ٦ — بهجت عطا سكيك كاتب ضريبة الدخل . ٧ — خضر عبد المجيد ابو رمضان مساعد امين الصندوق . ٨ — جورج نقولا بيوك أمين الصندوق . ٩ — حسن علي نصرالله كاتب فى قسم الادارة . ١٠ — سعيد اديب كويك كاتب فى قسم الادارة . ١١ — فهيم سابا كاتب في البوليس . (انظر الى الهامش في الصفحة التالية)

الذي كان لها في السابق . إذ أن المصالح الاخرى ترتبط برؤسائها ومديريها الذين يقيمون في القدس عاصمة البلاد . ثم تأتي مصلحة البوليس والسجون ، فان في غزة قوة نظامية من البوليس مجموع افرادها ألف وخمسمائة رجل بين ضابط وشاويش واونباشي ونفر بسيط . ووظيفة هذه القوة حفظ الامن في القضاء . وهناك قوة اضافية اخرى مجموع افرادها الف رجل. وقد انشئت هذه بسبب الحرب (١٩٣٩م) لاجل خفارة معسكرات الجيش والقطارات وما الى ذلك .

وهناك قوة ثالثة من البوليس الخصوصي في المستعمرات اليهودية مجموع افرادها خمسمائة رجل . ومهمة هذه القوة حراسة المستعمرات اليهودية . وهم يهود ، يتقاضون رواتبهم من الوكالة اليهودية ، وتزودهم الحكومة بالاسلحة والعتاد .

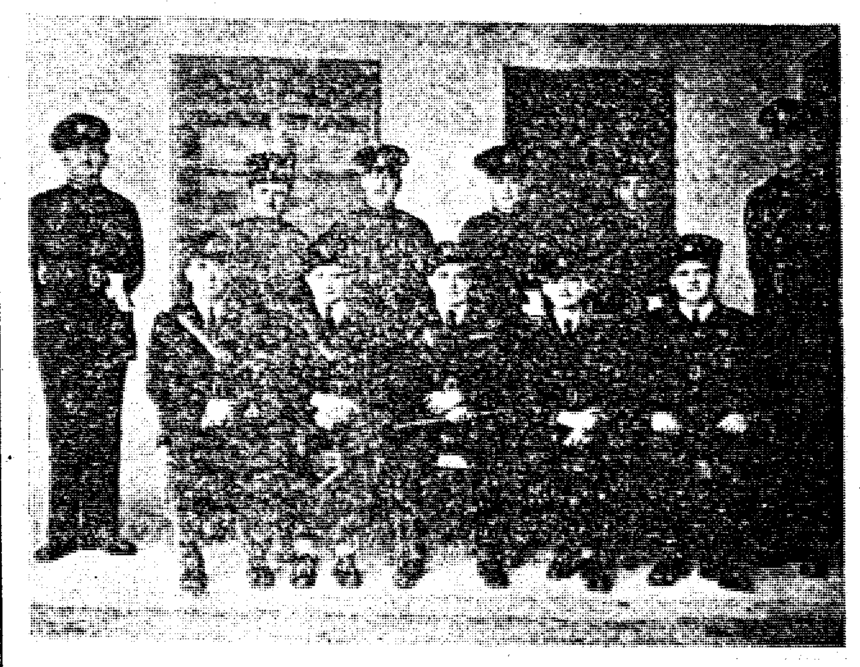
وفي غزة نفسها من القوة النظامية ثلاثمائة رجل ، ينتمون الى الرتب التالية :—

	انكليز		عرب		المجموع
ضابط	١٣	+	٤	=	١٧
شاويش	١٣	+	٤	=	١٧
اونباشي	—	+	٣	=	٣
جندي	١٣٠	+	١٣٣	=	٢٦٣
	١٥٦	+	١٤٤	=	٣٠٠

الصف الثالث من اليمين إلى اليسار : ١ — محمد عبد رجب سائق سيارة حاكم اللواء . ٢ — صليبا انضونى اللداوى العامل على الآلة الكاتبة فى دائرة الاشغال . ٣ — أسعد اسماعيل حسنية كاتب فى قسم الادارة (فرع الهويات) . ٤ — جورج قسطندى قفة كاتب فى دائرة المالية . ٥ — فوزى فهمى ابو شعبان كاتب موقت فى قسم التخمين . ٦ — محمد سليم فروانة كاتب موقت فى قسم التخمين . ٧ — ابراهيم صليبا سابا كاتب فى قسم الادارة . ٨ — رؤوف كامل شحيبر كاتب فى قسم الادارة . ٩ — بديع جبرا شحيبر كاتب موقت فى قسم المالية . ١٠ — عمر مصباح حرزالله كاتب موقت فى قسم الادارة . ١١ — محمد فياض ابو غزالة كاتب فى قسم الادارة .

الصفان الاخيران من اليمين إلى اليسار : ١ — جميل كامل عجور آذن فى دائرة حاكم اللواء . ٢ — مشيل غالي شحيبر كاتب في دائرة المالية . ٣ — نبيه هاشم الهباش آذن . ٤ — محمد سليم صيام آذن . ٥ — حمدى سليم فروانة كاتب موقت فى قسم التخمين . ٦ — عمر محمد المدنى عامل على التلفون . ٧ — محمد سعيد عطا الله آذن . ٨ — رباح محمد كحيل كاتب مؤقت فى دائرة المالية . ٩ — عدنان كامل المباشر كاتب مؤقت فى قسم التخمين . ١٠ — شكرى ابو هويدى عامل فى دائرة المساحة .

وهناك خمس (نقاط بوليس) تعمل في المجـدل ، وخان يونس ، والجورة ، وعراق سويدان ، والبطاني . وتقيم هذه النقاط في عمارات ضخمة يسمونها عمارات تيغارت Tegart بالنسبة إلى موجدها السر تشارلس تيغاوت الذي استحضرته الحكومة لتستشيره في انجع الوسائل لقمع الثورة عام ١٩٣٨ . وقد بنيت هذه من الاسمنت المسلح .



ضباط البوليس بغزة (١)

(٣١ اذار عام ١٩٣٤)

---

(1) 2nd Police Inspector — Saleh Arif Azzouka M.B.E.
A.S.P. Roy Vincent Fracis Turner
D.S.P. Cecil Vernon Shepherd Tesseyman D.C.M.
A.S.P. Arthur Stacy Barham
British Inspector Laurie Henfrey G.S.M.
British Constable Hermon John Clark G.S.M.
Palestinian Const. Mohd Hafiz Filfil
British Sergeant John David Bevan G.S.M
British Sergeaht Harry Lauder Cassels G.S.M.
Palestinian Sergeant Jabra Eissa Shuheibar
British Constable John Joseph Walsh. G.S.M.

وهناك تسع نقاط لخفر السواحل في غزة ، ودير البلح ، وخان يونس ، ورفح، ووادي غزة ، والجورة ، ، وهربيا ، وحمامة ، والنبي يونس .

وتعمل هذه النقاط تحت إمرة المركز العام للبوليس في غزة . والقابض على زمام هذا المركز ضباط انكليز يرأسهم نائب مدير بوليس اللواء ويسمونه Deputy District Superintendent of Police وكثيراً ما يرمزون إليه بهذه الأحرف الثلاثة D. D. S. P. وهذا يرجع بالمشورة إلى مفتش البوليس والسجون العام بفلسطين ، ومركزه القدس .

وإليك عدد الحوادث المخلة بالأمن التي اطلع البوليس عليها خلال السنوات التالية:

سنة	عدد	سنة	عدد	سنة	عدد
١٩٣٢	٦٥٠	١٩٣٦	٥٨٢	١٩٤٠	٩٦٣
١٩٣٣	٤٥٠	١٩٣٧	٦٤٦	١٩٤١(١)	١٤٤٦
١٩٣٤	٣٩٩	١٩٣٨	٥٧١	١٩٤٢	١٩٥٠
١٩٣٥	٣٩٣	١٩٣٩	٦٩٥	١٩٤٣	٢١١٥

ولقد عقد موظفو الحكومة من الدرجة الثانية في مطلع عام ١٩٤٣ اجتماعاً ترأسه مؤلف هذا الكتاب وألفوا نقابة اسموها (نقابة الموظفين). وكان أول عمل قامت به هذه النقابة تأسيس (جمعية تعاونية) الغاية منها تموين الموظفين . وفتحت الجمعية مخزناً تعاونياً بدأ العمل فيه في ١٩٤٣/١/١٨ . وبعد ان كان رأس مال هذه الجمعية اربعمئة وخمسين جنيهاً ، وكان عدد الاعضاء لا يزيد عن مئة وخمسين مساهماً (ثمن السهم الواحد ثلاثة جنيهات) قفز رأس المال في شهر واحد إلى ألف ومئتين وخمس وثمانين جنيهاً وأصبح عدد الاعضاء ثلاثمئة وخمساً واربعين . وها هي جمعية الموظفين التعاونية تعد من كبريات الجمعيات التعاونيه العربية في فلسطين . تديرها لجنة (انظر الى الصورة التالية) مؤلفة من: عبد الخالق يغمور، محمود شراب، حكمت الخوري ، عارف العارف، ودبع خوري، وصفي ابو غزالة ، ابراهيم حبيب .

---

(١) ازداد عدد الجرائم خلال هذه السنة والسنوات التي تلتها بسبب كثرة الغرباء واللاجئين والعمال الذين استخدمهم الجيش المرابط في غزة بسبب الحرب .



نقابة الموظفين بغزة

(٣١ آذار عام ١٩٤٣)

وقبل ان نختم هذا الفصل الذي خصصناه لبحث (غزة في يومنا هـــذا) نرى لزاماً علينا ان نقول ثلاث كلمات : واحدة في (اخلاق الغزيين وطبائعهم) والثانية في (ملابسهم وازيائهم) والثالثة في (اعيادهم ومواسمهم) فنقول :

٤٨ — اخلاقهم متباينة . قد تجد بينها ، ايها القارىء الكريم ، ما يرضيك وما لا يرضيك . او قد تجد وصفاً يناقض الوصف الذي انطبع في مخيلتك لرجل من الرجال او حادثة من الحوادث التي مرت بك في غزة . فرجائي إليك أن لا تتسرع في الحكم فتتهمني بقصر النظر واخفاء الحقيقة . إذ لا بد وانك تسلم معي : ان لكل قاعدة شواذ ، وان الحكم يكون بنسبة الشيوع ، وان النادر لا حكم له . هذه هي القاعدة التي وضعتها نصب عيني عندما شرعت في تدوين هذا الفصل .

أما الشائع عن اخلاق الغزيين فهو الكرم (١) ، والنجدة(٢) وحفظ الجوار ،

---

(١) قد يضن الغزي على نفسه وعياله بالشيء الكثير مما تملكه يداه . لكنه يجود بالشيء الكثير من ذلك في سبيل ضيفه ، ولا سيما إذا كان هذا غريباً .

(٢) اذا قصدته في امر ، لباك . ولا يردك خائباً ما دام في مقدوره ان يرضيك .

والصبر (١) ، والشجاعة (٢) ، والوفاء ، وعدم الغدر ؛ تلك الصفات التي اشتهرت عن العرب بوجه عام . غير ان الذين يتحلون منهم بالحلم ، تلك الصفة التي امتاز العرب بها ، فإنهم قليلون . فقد دلني الاختبار على ان اكثرهم حادو المزاج ، سريعو الغضب . ومن آثار غضبهم هذا انهم كثيراً ما يحلفون بالطلاق . كما انهم محبون للانتقام ، والأخذ بالثأر . حتى انهم لا يقيمون مأتماً على قتيلهم قبل ان يثأروا لانفسهم،ويقتلوا من قتله أو يقتلوا واحداً من اهله . وهم احزاب وحمايل وصفوف. وفيهم ، من هذه الناحية ، أثر من آثار العصبية الجاهلية .

ولا بد ان تدرك فيهم هذه الخلة عند ما تنظر إلى لون بشرتهم القمحية،وشعرهم الكستنائي ، وعيونهم السود .

غير ان احزابهم لا يقتتلون ، ولا يذهبون مذاهب بعيدة في السب والشتم والطعن كما هي الحال في الانحاء الشمالية في فلسطين . قد يصل التنافس إلى اشده بين الزعماء يوم تثور معركة الانتخاب مثلاً ،او يقع الجد في حادثة من الحوادث ؛ فتقوم كل عائلة تناضل عن كيانها وتؤمن مصالحها . لكن ذلك كله يقف عند حد القول او الكتابة او الاجتماعات التي يكثر فيها القيل والقال. فلا قتل،ولا اغتيال،ولا حرق بيادر ، ولا قطع اشجار ، ولا تسميم ابقار ، ولا ما يحزنون .

انهم يغارون على دينهم وعرضهم وشرفهم . اكثرهم متدينون . يدلك على ذلك كثرة الجوامع والمساجد في غزة ، وعلماء الدين الكثيرون الذين انجبتهم غزة . ولكنهم ، في نفس الوقت ، ميالون للنزهة واللهو والطرب . مثلهم في ذلك مثل الشاعر الذي قال :

ولله مني جانب لا اضيعه   وللهو مني والخلاعة جانب

---

(١) لهم فيه الباع الطويل . وقديماً قيل عنهم انهم اهل صبر وجلد . لقد انخرطوا في سلك الجندية في العهد التركي ، وتغربوا . وهدمت منازلهم اثناء الحرب الكبرى ، فهجروها ، وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى رجعوا إليها ، وعمروها . ولا يخلو دور من ادوار التاريخ لم يصب فيه الغزيون بنوع من انواع الاذى والعذاب . ولكنهم والحق يقال صبروا على ذلك كله صبر الكرام .

(٢) انها من ابرز صفاتهم . انهم شجعان ، قويو البأس ، شديدو المراس . والمعتقد انهم ورثوا هذه الخلة بسبب الحروب الكثيرة التي المت بديارهم على مر الأحقاب . ويقال انهم هم الذين خاف بنو اسرائيل بطشهم ، يوم قال هؤلاء لموسى : (ان فيها قوماً جبارين) .

عرضهم مصان . شأنهم في ذلك شأن العرب بوجه عام .ما سمعت بحوادث(الزناء) بينهم إلا نادراً . والنادر لا حكم له .

غير ان (تعدد الزوجات) عادة شائعة . ومن يدري ؟ لعل هـذه العادة نفسها هي التي صانتهم عن التردي في مهاوي الزناء .

مولعون بتدخين التبغ والتنباك . وأما الحشيش والـكوكائين والمخدرات الفتاكة الاخرى فلا يستعملها منهم سوى افراد قلائل ينتمون إلى طبقة العمال . وأما الذين يتعاطون تجارة هـذه المخدرات منهم فـكثيرون . ولهم في ذلك حيل واسعة تفوق الحيل السائدة في البلاد الاخرى .

عندهم ميل شديد للعلم . ويتهافتون على المدارس ودور العلم . وعـدد الشبان المثقفين كل يوم في ازدياد . وكذلك قل عن البنات المثقفات. غير ان الامية لا تزال سائدة ولا سيما بين طبقات العمال والصناع والمزارعين والطاعنين في السن منهم .

ولما كان التعليم في مدارس الحـكومة لا يرمي إلى اهداف فنية،سواء أكان ذلك من الوجهة الزراعية ام من الناحية الصناعية ، فإنك تجد المتعلمين منهـم يميلون إلى الانخراط في سلك التوظيف ، والاستخدام في مصالح الحـكومة ودواوينها أكثر من أي عمل آخر من الأعمال الحرة .

كانوا حاذقين في تربية الخيل وركبها ، وكان للخيل عندهم المقام الأول. غير ان هذا الميل قد تضاءل مع الأيام بسبب اختراع السيارات وانتشار وسائل النقل المختلفة في البلاد .

من أحسن خصالهم (البشاشة) وهذه في نظرهم خير من القرى.ما اجتمعت إلى غزي مرة إلا وكان باشاً . ومن يدري لعل في قلبه من الهم حين يلاقيك ما لا يقدر عليه بشر ؟ غـير انه لا يريك ما في قلبه ، ولا يشكو إليك همه إلا إذا ألحت في السؤال .

(عيادة المريض) والاستفسار عن صحته فرض لازب في نظرهم . ولا يمـكن أن يعودوا مريضاً دون أن يحملوا إليه هدية يسمونها (مطلة) . وقد تكون المطلة تبغاً،او سكراً ، او فاكهة،او نوعاً من الحلوى،او ما إلى ذلك .غير انهم يتشاءمون من زيارة المرضى في أيام السبت والأربعاء . وإذا مات المريض دعوا اهله لتناول الطعام

في منازلهم ، وارسلوا للنساء من أهل بيته طعامهن . ويدوم الحال على هذا النوال بضعة ايام ، وفي بعض الاحيان بضعة شهور . وقد يتناسى الاعداء ما بينهم من غل وحقد فيتزاورون في المآتم . لا ، بل يدعون اعداءهم لتناول الطعـام في منازلهم فيزول عن هذه الطريق ما في القلوب من غل وحقد .

ومن العادات الشائعة في غزة الاكثار من زيارة القبور ، حتى ان مساعي المصلحين في هذا الباب ذهبت هباء منثوراً . ولم ينجحوا في مساعيهم التي بذلوها لأجل اقناع الغزيين للعدول عن هذه العادة . وكانت هناك عادة سقيمة اخرى ، لكنها زالت في هذه الايام أو كادت ، ألا وهي استئجار النائحـات من النساء ، ليبكين على الميت .

يبكرون في الزواج ، ويتهادون (النقوط) في الاعراس . والنقوط معروف في الطهور ايضاً ، والولادة ، والرجوع من الحج . وعادة المسلمين في ذلك كعادة المسيحيين عند العماد (أي التنصر) .

وهنالك عادات وطبائع اخرى لا تبعد إلا قليلا عن العادات والطبائع المنتشرة بين سكان فلسطين الآخرين لم نر فائدة في تدوينها .

٤٩ — لغزة ، كما لكل صقع آخر من اصقاع العالم ، زي خاص بها يلائم بيئتها . فهي واقعة في الجنوب الغربي من آسيا ، وتعتبر من ضمن المناطق المعتدلة . ولذلك يرتدي اهلها الأزياء التي تلائم الجو الذي يسود هذه المناطق عادة . ومع ذلك فإن هذه الأزياء ليست على شكل واحد بين جميع الطبقات . بل انها على اشكال تختلف بنسبة اختلاف السكان من حيث ذهنيتهم ومبلغ رقيهم وطبيعة العمل الذي يقومون به . انظر مثلاً : ان الغمباز[١] منتشر بين طبقـات العمال والصناع واصحاب المتاجر الصغرى. فتراهم يرتدونه ، ويتمنطقون من فوقه بالحزام المصنوع من الجلد او الصوف او الحرير او القطن ، ويلبسون فوق ذلك المعطف القصير [٢] او المعطف الطويل [٣]

(١) رداء طويل يشطر من الامام شطراً من أعلاه إلى أسفله ويصنع من الحرير الأصلي والنباتي ، او من الروزة ، او من الصوف ، او القطن ، او الكتان ، وبألوان عديدة.

(٢) ويقال له في يومنا هذا (الجاكتة) في لغة العامة .

(٣) ويقال له في يومنا هذا (البالطو) أو (الكبود) في لغة العامة .

وفي بعض الأحيان يلبسون (العباءة) ايضاً ، وذلك عند التجائهم إلى الراحة من العمل او قيامهم بزيارة . وقد يكتسون العباءة فوق الغمباز مباشرة ومن غير معطف.

وأما ابناء الطبقة الراقية ، واغلبهم مثقفون تثقيفاً عالياً ، فانهم يلبسون(البذلة) الاوربية المؤلفة من الجاكتة والبنطلون والصدرية والقميص وربطة الرقبة . فتكاد لا تميز بينهم وبين ابناء الطبقات الراقية عند اية امة من الامم المتمدينة من حيث النظافة والاناقة والذوق والهندام .

وكذلك قل عن غطاء الرأس فهو يختلف عندهم بالنسبة لاختلاف الذهنية ومبلغ الرقي . فمنهم من يلبس الطربوش المغربي ، مشدوداً بكوفية من الحرير او القطن الابيض . وقد تكون هذه ذات لون ابيض . وقد يتخلل هذا البياض خطوط صفراء . ومنهم من يلبس الكوفية من غير طربوش . ويثبتونها بالعقال[١] .

وأما ابناء الطبقة الراقية فانهم يلبسون على رؤوسهم الطربوش الأحمر . وبعضهم يرتدي(الفيصلية) [٢] وهؤلاء قليلون . وقد انتشرت بينهم الكوفية والعقال(انظر الى الصورة في الصفحة ٣٢١) منذ الاضراب العام (١٩٣٦م) والثورة الفلسطينية (١٩٣٨ م) . وذاعت في الأيام الاخيرة (موضة) [٣]بين الشبان وهي ان يظل الواحد منهم حاسر الرأس اينما حل وحيثما سار .

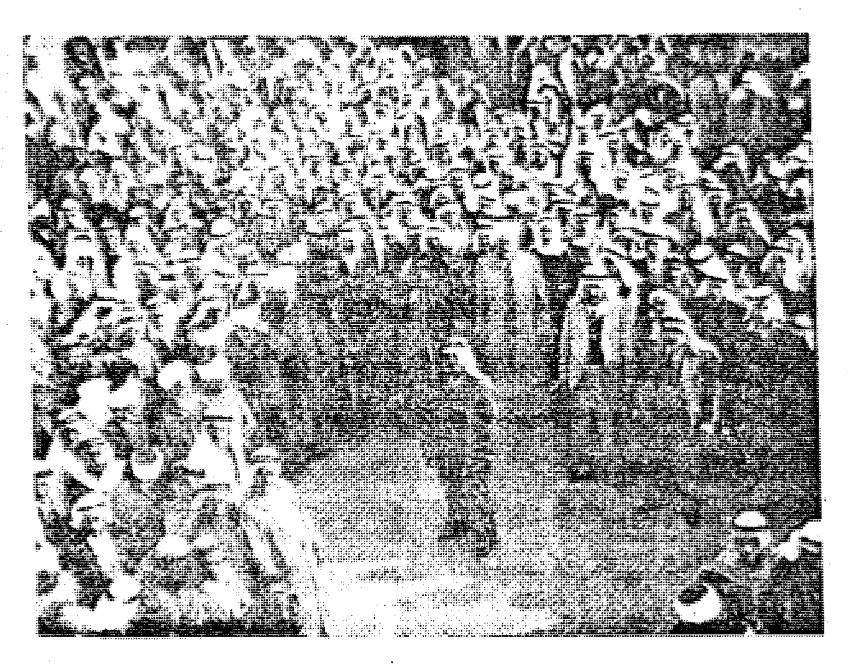
وكذلك قل عن الاحذية فانها تختلف باختلاف الاهواء والاذواق والذهنية ومبلغ الرقي : فهناك (الخف) و (النعل) و (الصندل) و (الكندرة) و (الجزمة) . هذا من حيث الرجال . وأما النساء فهن نوعان : نوع ينتمي إلى طبقة العمال والمزارعين ، وآخر ينتمي إلى الطبقة الراقية من وجوه البلد واعيانها وموظفيها . ان نساء النوع الأول يلبسن في الغالب (الخمار) على الرأس ويسمونه (الطرحة) . ولون هذا الخمار اسود في أكثر الحالات ، وابيض في بعض الحالات . ويغطين

---

(١) اصله (عقل) الدابة أي منعها من الهرب . والبدو يسمونه . (مرير) وهو الأصح . وهذه الكلمة مأخوذة من امر فتل الحبل اى احكمه واتقن فتله .

(٢) لباس الرأس في العراق . وقد وضعت فى زمن ملك العراق المرحوم الملك فيصل الأول . وتسمى ايضاً (سدارة) . وعلى قول ان الملك فيصل اقتبسها عن (كليمانصو) الوزير الافرنسي المشهور .

(٣) (الموضة) كلمة اجنبية ، لكنها شائعة فى هذه البلاد اكثر من اصلها المعرب وهو (الزى الحديث) .



القرويون يقررون لبس الكوفية والعقال

اثناء الاضراب العام (١٩٣٦)

وجوههن ببرقع طويل يمتد من الناصية حتى اسفل الذقن . غير ان هـذا البرقع لا يستر الوجه كله، بل يستر بعضه. فيبقى الجبين والانف والفم وقسم من الخدين ظاهراً. والبرقع ذو شقين تخيط صاحبته على كل حافة من حافتيه ما يتيسر لها من نقودفضية او ذهب قديم .

ويرتدين ثوباً طويلاً اسمر اللون يسمونه (مرطاً) وهو ذو كمين واسعين وردنين طويلين . وقد يطرز صدر هذا المرط بشيء من الحرير الملون .

وبعض النساء لا يلبسن البرقع . غير انهن يسترن وجوههن بقسم من الخمار الذي يرتدينه . كما يرتدين الثوب (المشلح) من لون الخمار نفسه . والمشلح في هـذه الحالة سابغ طويل بدرجة يمس معها الارض .

والبعض من نساء هذه الطبقة يغيرن وجوههن بشيء من (الوشم). إلا أن هذه العادة القديمة اخذت مع الايام تزول .

واما نساء الطبقة الراقية فانهن يرتدين الأزياء الحـديثة : فيضعن على رؤوسهن

(اللفاع) [١] او (الغطاء) ؛ او يضعن (منديلاً) كبيراً ذا لون اسود او كحلي ، وهذا ما يسمينه (فيل) . وقد يعصبن رؤوسهن بمنديل اسود ، وهذا ما يسمينه (ابونيه) . او يلبسن خماراً كبيراً سابغاً ، وهذا ما يسمينه (غطاء الملاءة) . واما منديل الوجه فقد يكون منفرداً رقيقاً ، وقد يكون مزدوجاً مؤلفاً من منديلين رقيقين . ويلبسن (الكاب) وهو رداء طويل مصنوع من الحرير الخالص ذي اللون الاسود . وقد تنوعت الوان الكابات واشكالها في الايام الاخيرة بدرجة تكاد لا تحصيها . فقد يكون طويلا حتى يصل إلى القدم ، او قصيراً بشكل لا يتجاوز أسفل الركبة إلا قليلاً . وهو مشقوق من نصفه ، ويربط شقيه ازرار من النوع الثمين . وهناك نوع من الكابات يسمينه (ترواكار) وهو مؤلف من قطعتين : واحدة من تحت وهي طويلة، والاخرى من فوق وهي قصيرة. وقد تستغني المرأة عن الكاب فتلبس بدلا منه معطفاً يسمونه (الكبود) وهو مختلف الاشكال، والالوان.

واما الاحذية الحديثة الشائعة بين نساء الطبقة الراقية فانها مختلفة الاشكال والالوان والازياء. بعضها يصنع من الجلد (الشيموا) ، والبعض الآخر من جلد الحية، والزي الذي شاع اخيراً بينهن هو المعروف (بالدبابة) وهو حذاء مصنوع من القماش الثمين ونعله من الفلين غالي الثمن .

والغريب في الامر انك بينما ترى (السفور) منتشراً بين نساء الفلاحين وطبقات العمال ، ترى (الحجاب) سائداً بين نساء الطبقة الراقية . حتى ان الشطر الأكبر من السيدات المسيحيات ايضاً لا يزلن متمسكات بالحجاب . إلا بنات اليوم منهن فان اكثرهن يخرجن سافرات .

٥٠ — لأهل غزة اعياد ومواسم خاصة بهم كموسم النبي موسى في القدس ، وموسم النبي صالح في الرملة ، وموسم وادي النمل في جورة عسقلان ، وموسم النبي روبين في يافا .

وان بعض المواسم الغزية يرجع بالأصل إلى عهد الوثنية؛ وبعضها مسيحي الأصل؛ والبعض ساير العهدين : الوثنية والنصرانية ؛ والبعض الآخر من وضع إسلامي بحت.

---

(١) غطاء الرأس الحديث .

ومن أشهر المواسم المعروفة في غزة في يومنا هذا نذكر المواسم التالية :

١ — باب الدارون (او الداروم)
٢ — الخسان
٣ — اربعة ايوب
٤ — النيد هاشم
٥ — المنطار

وهناك العيدان : عيد الفطر وهو الصغير ، وعيد الأضحى وهو الكبير. فان أهل غزة يحتفلون بهما كما تحتفل بهما سائر البلاد الاسلامية . وكذلك عيد رأس السنة الهجرية ، والمعراج ، والمولد النبوي مما لا نرى حاجة لذكره هنا ، لانه معلوم.

اما (موسم الدارون) او الداروم ، فانه موسم مسيحي يبدأ يوم الأحد ؛ ويصادف غالباً أحد (الآحاد) الواقعة بين ١٦ فبراير و ٢٣ آذار (غربي) . قد يتقدم او يتأخر حسب طقوس الديانة المسيحية ، وبالأحرى حسب ترتيب الكنيسة الشرقية . ويسمونه (عيد الفصح) او (العيد الكبير) او (عيد القيامة) . وهو انتهاء صومهم الكبير . إذ يبتدىء الصوم في يوم الإثنين الذي يلي يوم الأحد (١) مباشرة . فيمتنعون عن أكل كل ذي روح وما ينتج عنه . ويمكثون على هذا المنوال ثمانية واربعين يوماً . فلا يفطرون إلا في يوم الاحد الذي يلي خميس المنطار. وهو (عيد الفصح) عندهم . أي ان هذا العيد يقع في أحد الآحاد الواقعة بين ٤ نيسان و ٨ مايس (غربي) وفقاً لترتيب الكنيسة الشرقية .

ويبدأ هذا الموسم في الغالب عندما تنكسر حدة البرد ، ويطل فصل الربيع . وقد جاء في الامثال السائرة بين الغزيين (إذا صلبتم شتيتم ، وإذا دورمتم صيفتم !)(٢)

ومما هو جدير بالذكر ان المسلمين والمسيحيين يشتركون في هذا الموسم على حد سواء . فتراهم يكثرون من أكل البيض المصبوغ بكميات كبيرة ، ويصنعون (المعمول) المحشو بالجوز و (الكعك) المحشو بالتمر ، ويلبسون أثمن ما عندهم من ثياب ، ويتجمهرون في مكان فسيح يقع شرقي المدينة ويسمى (باب الداروم) . ويغلب

---

(١) احد باب الدارون .

(٢) أي إذا حل الصليب دخل البرد المؤذن بالشتاء ، وإذا جاء الداروم حل الدفء المؤذن بالصيف .

على الظن ان اصل هذه الكلمة هو (باب دير الروم) ، وانه كان هناك ، في المكان نفسه ، دير للروم الارثوذكسيين .

واما (الخمسان)(١) فهي سبعة . أي ان الغزيين يعيدون في كل خميس من الخمسان السبعة التي تنقضي خلال مدة الصيام عند المسيحيين الشرقيين . ولكل خميس منها اسم يعرف به عند النساء . لانهن هن اللواتي يعنين بالخمسان أكثر من الرجال. ولا يعنى بالخمسان من الرجال سوى عامة الشعب .

اما الخميس الاول فيدعى (خميس فات) ويقال له ايضاً (خميس الجعبري) وهو الخميس الذي يعقب الداروم مباشرة . وليست له اية صفة جديرة بالذكر سوى ان الناس يتأهبون فيه للخمسان التي تليه .

واما الخميس الثاني فانه (خميس النبات) ويقال له (خميس السيد) وهو الخميس الذي يلي ذلك . فيه يبدأ الزرع والنبات يترعرع . فتسير الفتيات في الفلا ، ويستنشقن الهواء الطلق ، ويسرحن ويمرحن بين المروج الخضراء .

ومن بعد ذلك يأتي (خميس الزهور) او (خليفة) . فيه تتفتح الزهور ، فيستنشق الناس عبيرها .

ثم (خميس الحلوى) او (ابو حرمة) وفيه ينكب الاطفال على شراء الحلوى بجميع انواعها ، فيأكلونها . وقد يقدم الشبان على شرائها ، فيقدمونها لخطيباتهم .

ثم يأتي (خميس الأموات) او (ابو عبيد) وهو أكثر الخمسان شهرة . إذ فيه تتفقد كل امرأة فقيدها ، ، فتخرج إلى قبره باكية نائحة . وفيه يتصدق اهل الميت على الفقراء صدقات متنوعة عن ارواح موتاهم . وفي هذا العيد يكثر الغزيون من صنع الكعك والمعمول ، فيأكلونه . وكثيراً ما يتهادونه تيهاً وفخاراً .

ثم يأتي (خميس البنات) او (ابو الكاس) . وفيه يقدم كل خاطب إلى مخطوبته ما يقدر عليه من ثياب وحلى وهدايا فاخرة .

وآخر الخمسان واشهرها على الاطلاق (خميس المنطار) وسنأتي على ذكره فيما بعد.

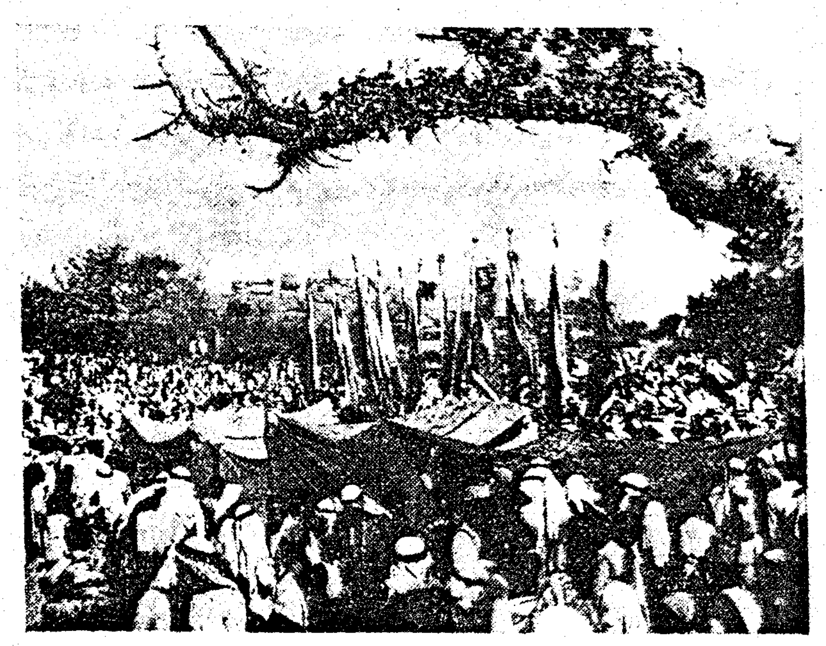
وأما (اربعة ايوب) فانها تقع في يوم الاربعاء الذي يسبق خميس المنطار . في ذلك اليوم يذهب الناس إلى البحر للاستحمام فيه اعتقاداً منهم بأن ايوب (ع . س)

---

(١) او (الأخمسة) وهي جمع خميس .

انما ابرأه الله من مرضه بعد اغتساله بالبحر في تلك الليلة . حتى ان اصحاب الإبل من الفلاحين يأخذون إبلهم إلى البحر ليغسلوها ، وليسقوها ولو شيئاً من مائه المالح ، اعتقاداً منهم بأن هذا يمنع عنها داء (الجعام) .

وفي يوم الاربعاء هذا يذهب الناس زرافات ووحداناً إلى مكان واقع بالقرب من عسقلان يدعى (وادي النمل) . ويقال انه البقعة التي سمع فيها سليمان (ع.س) النمل تخاطب اخواتها وجندها بقولها : (يا أيتها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . وفي هذه البقعة من الارض يجتمع سكان المجدل وقراها ، وسكان عسقلان ، ومعظم اهالي غزة وقراها : حاملين اعلامهم ، راكبين خيولهم ، مرتدين أجمل ثيابهم ، آكلين أحسن مآكلهم ، راقصين اجمل الرقص ، ومرتلين أعذب الالحان . ويبقى مهرجان وادي النمل حافلا حتى قبل الغروب



وادي النمل في عسقلان

فيزور الناس مقام الحسين هناك ثم ينصرفون إلى منازلهم ثملين بلذة ذلك العيد. وعلى قول ان هذا العيد — كالأعياد الاخرى المماثلة له في سائر انحاء فلسطين — هو من وضع السلطان صلاح الدين ، وانه كان يرجو من وراء وضعه صد تيار الكره

الشديد الذي كاد يجتاح هذه البلاد المقدسة على اثر الحروب الصليبية .

واما (السيد هاشم) جد الرسول الأعظم فموسمه يبدأ في اليوم الأول من شهر ربيع الاول من كل سنة وينتهي في يوم ميلاد النبي العربي محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور . ويقتصر موسمه على إقامة معالم الزينة في المسجد المسمى باسمه (مسجد السيد هاشم) وهو واقع في حي الدرج وفيه قبره (١) . فتنتصب الرايات وتزف الاعلام وتقام الاراجيح ويلعب الشبان وتتبارى الخيول المطهمة في ميدان السباق . وتقام بجانب المسجد سوق تباع فيها جميع انواع (النقل) والحلوى . وفي الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول يزدان جامع السيد هاشم بالانوار المختلفة فيفد الناس إليه من كل حي ويصلون فيه صلاة العشاء ثم تقرأ قصة المولد النبوي . وبعد ذلك ينفض القوم على أن يجتمعوا في صبيحة اليوم التالي في ديوان آل الحسيني وفي مقبرتهم ، فيذكرون النبي عليه الصلاة والسلام ويذكرون جده السيد هاشم ويذكرون ايضاً أحد اجداد آل الحسيني بغزة ألا وهو المرحوم السيد أحمد محي الدين الحسيني الذي بني الجامع على عهده وبطلب منه . وبعد ذلك ينصرف القوم ، وبانصرافهم ينتهي هذا الموسم ، على أن يقام في مثل هذه الايام من السنة القادمة .

واما (موسم المنطار) فانه موسم مسيحي شرقي . انه نهاية صومهم . إذ انهم يفطرون من صومهم الطويل يوم الأحد الذي يأتي بعد خميس المنطار مباشرة. وهو العيد الكبير عندهم . ويظهر ان هذا الموسم انقلب ، مع الزمن ، إلى عيد غزي عام يشترك فيه المسلمون والمسيحيون على حد سواء . فترى الناس يفدون إلى تل المنطار وإلى السهول المنبسطة من خلفه والبساتين المنتشرة من امامه. يأتون مرتدين أحدث ما عندهم من ثياب، حاملين احسن ما لديهم من طعام وشراب، مرتلين أجمل ما يعرفون من اهازيج وطنية واناشيد قومية على نفس النمط الذي وصفناه لك في وادي النمل سواء بسواء . غير انه يختلف عن وادي النمل بالشموع التي تقدم على ضريح المنطار من قبيل النذر . وفوق رأس التل المعروف بتل المنطار يجتمع الدراويش الذين ينتمون إلى الطرق المختلفة ، فينصبون حلقات الذكر ويذكرون الله كثيراً . وفي اثناء ذلك

---

(١) راجع ما كتبناه عنه في الفتح الاسلامي ص ١١٣ . وفي جوامع غزة ومساجدها.

ينزل الشبان بجيادهم المطهمة إلى الميدان الواقع شمالي التل ، فيتبارون. وعندغروب الشمس يرجع الجميع إلى منازلهم ، ليزاولوا في صبيحة اليوم التالي اعمالهم المعتادة .



تل المنطار

وعلى ذكر تل المنطار هذا نقول انه واقع في الطرف الجنوبي الشرقي ، وعلى بعد ميلين من الجامع الكبير . وهو على ارتفاع ٨٣ متراً عن سطح البحر .

وقد ورد ذكره في سفر القضاة (الاصحاح السادس عشر) من اسفار العهد القديم بانه (الجبل الذي مقابل حبرون) ، ذلك الجبل الذي نقل اليه شمشون الجبار مصراعي باب المدينة والقائمتين اللتين قلعهما مع العارضة. عليه بضعة قبور ، ومقام لولي يقال انه (علي المنطار) . ويقال ان الوثنيين كانوا يعبدون ربهم (مارنا) هناك.

وقد اختلفت الاراء في اسباب تسميته بالمنطار : فمن قائل (وهم المسلمون) ان اصل هذه الكلمة (من) وهو اسم شيخ و (طار) بمعناه المعروف . اي ان الشيخ (من) قد طار . ومن رأي هذا القائل ان (من) كان شيخاً جليلا ، وانه طار بعد موته .

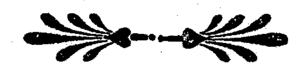
ومن قائل (وهم المسيحيون) ان اصل هذه الكلمة (المطران) ، وانه كان

يعيش فوق ذلك التل في سالف الازمان اسقف جليل القدر. ولما مات هذا الاسقف دفن هناك . فجاء المسلمون وحرّفوا الكلمة فجعلوها (منطار) بدلا من مطران .

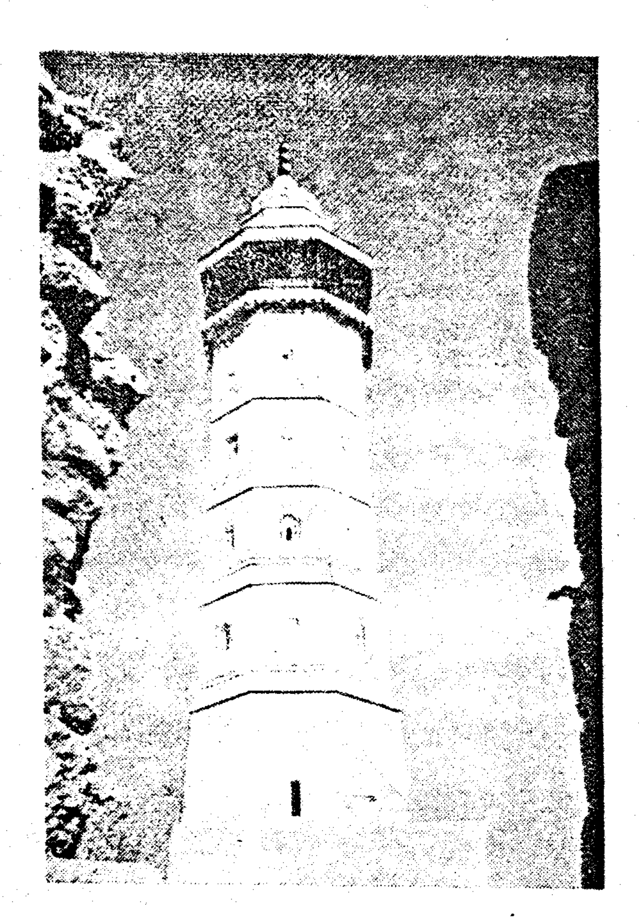
ومن قائل : لا هذا ولا ذاك. بل ان اصل هذه الكلمة (مينوتور). ومينوتور هذا هو الملك الخرافي لجزيرة كريت الذي جاء ذكره في الاساطير القديمة . ويقال ان الفلسطينيين عندما اتوا من كريت اتوا معهم بهذا الاسم .

والرأي عندي ان لا هذا مصيب في رأيه ولا ذاك، وان كلمة المنطار كلمة اعتيادية جاءت من (نطر) . والمنطار هو المكان الذي يجلس فيه الناطور لينطر المكان ، ويرى ما حوله من السهول والوديان. ذلك لان تل المنطار أعلى تل في ذلك المكان . وليس اصلح منه للنطر والرصد في جميع السهول والتلال الواقعة حول المدينة . ومنه تستطيع ان ترى من بعد جبال الخليل والبحر الابيض المتوسط ومدينة غزة والسهول الشاسعة التي تحيط به من كل جانب . وهو أحسن موقع للتحصن وللدفاع عن غزة إذا ما هاجمها عدو من الجنوب او الجنوب الشرقي . كما جرى لها في ايام الحرب الكبرى. إذ نشبت في السهل الكائن في جنوب التل وشرقه معارك هائلة شاب من هولها الولدان .

يستقبل الغزيون عيد المنطار بالترحاب في الربيع من كل عام، ويسمونه(موسم المنطار) . وهم يحتفلون به احتفالا شعبياً رائعاً على النمط الذي وصفناه لك في الاسطر المتقدمة . وما حل هذا العيد مرة او سمعت به إلا وتذكرت معه ما كان عليه الغزيون في عهد الوثنية ، يوم كانوا يعبدون الرب الأكبر (مارنا) فوق هذا التل . وفوق كل ذي علم عليم .



جوامع غزة ومساجدها



مئذنة الجامع الكبير بغزة

في غزة عدد كبير من الجوامع والمساجد . فقد تكون اغنى المدن العربية الاسلامية في الشرق بجوامعها ومساجدها . بعضها قديم جاء ذكره في كتب التاريخ، والبعض الآخر حديث العهد . بعضها كبير : له مئذنة ، وفيه منبر ، وتقام فيه (صلاة الجمعه) والصلوات الخمس. والبعض الآخر صغير : ليست له مئذنة ، ولا تقام فيه صلاة الجمعة، بل تصلى فيه الصلوات الخمس فقط .

أما الجوامع الكبيرة التى تقام فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمس فهي :

الجامع	الحي
١ — الجامع العمري الكبير ٢ — جامع السيد هاشم ٣ — جامع الشيخ زكريا	في حي الدرج
٤ — جامع كاتب الولاية ٥ — جامع الشمعة	في حي الزيتون
٦ — جامع الشيخ عبدالله الايبكي ٧ — جامع علي بن مروان	في حي التفاح
٨ — جامع ابن عثمان ٩ — جامع المحكمة	في حي الشجاعية

وإليك ما اتصل بي من تاريخ الجوامع التسعة المتقدم ذكرها سواء أكان ذلك عن طريق الكتب والاسفار ، ام عن طريق الروايات والاخبار ، ام عن طريق الكتابات المنقوشة على الأبواب والجدران :

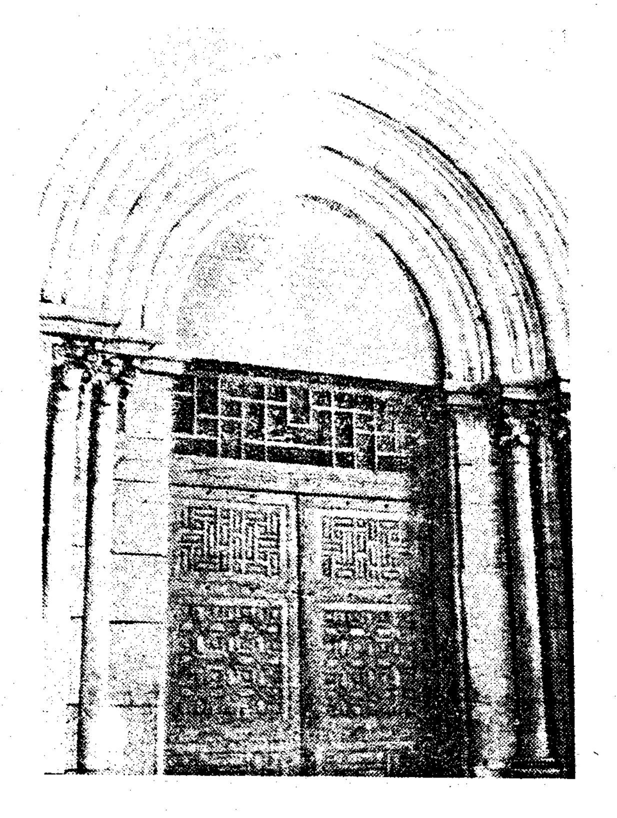
١ — الجامع الكبير

انه جامع كبير للغاية . بل هو أكبر جامع في غزة على الاطلاق . يدرّس فيه المدرسون ، وتقام به صلاة الجمعة والصلوات الخمس . وبجانبه مكتبة عامرة ، وردهة واسعة . وهو واقع في منتصف المدينة القديمة . والمعتقد انه بني في نفس المكان الذي كانت فيه الكنيسة التي بنتها الامبراطورة افدوكسية (١) ، او قد يكون هو الكنيسة نفسها . وقد بنيت الكنيسة المذكورة حيث كان معبد (مارنيون) في عهد الوثنية . والحجارة التي استعملت في بنائه قديمة جداً .

كانت جدران البناء في عهد الكنيسة مزينة بالفسيفساء ، والصور . ولكنها اليوم وبعد ان اصبح البناء مسجداً لا صور فيه ولا فسيفساء . بل تراها ممسوحة بالكلس مسحاً بسيطاً للغاية .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن تاريخ الكنيسة فى الصفحة ٩٧ من هذا الكتاب .



الباب الغربي للجامع الكبير

ان الباب الغربي جميل للغاية وقد انشيء على الطراز القوطي الذي كان معروفاً في ايطاليا خلال القرون الوسطى ، ذلك الطراز الذي كثيراً ما تراه في الكنائس التي انشئت في فلسطين خلال القرن الثاني عشر .

وهناك من يدحض هذا الرأي ويقول غير هذا القول. ومن هؤلاء الارشمندريت (ميلاتيوس ميتا كسا كيس) فانه ذكر في مقال نشره عام ١٩٠٧ م وبحث فيه الخارطة الموجودة في مادبا والمصنوعة من الفسيفساء ان الذين يزعمون ان الجامع الكبير بني حيث كانت كنيسة افدوكسية يتمسكون بزعمهم هـذا على اعتبار ان الكنيسة مبنية في وسط المدينة . فاذا كان يترتب علينا الأخذ بقولهم هـذا والقينا نظرة على خارطة مأدبا وجدنا ان الموجود في وسط المدينة هي كنيسة الروم الارثوذكس

الحاليـة ، تلك الكنيسة التي بنيت عـام ١٨٥٦ م في زمن كيريللوس الثاني (١٨٤٥—١٨٧٢) وعلى نفقة اخوية القبر المقدس .

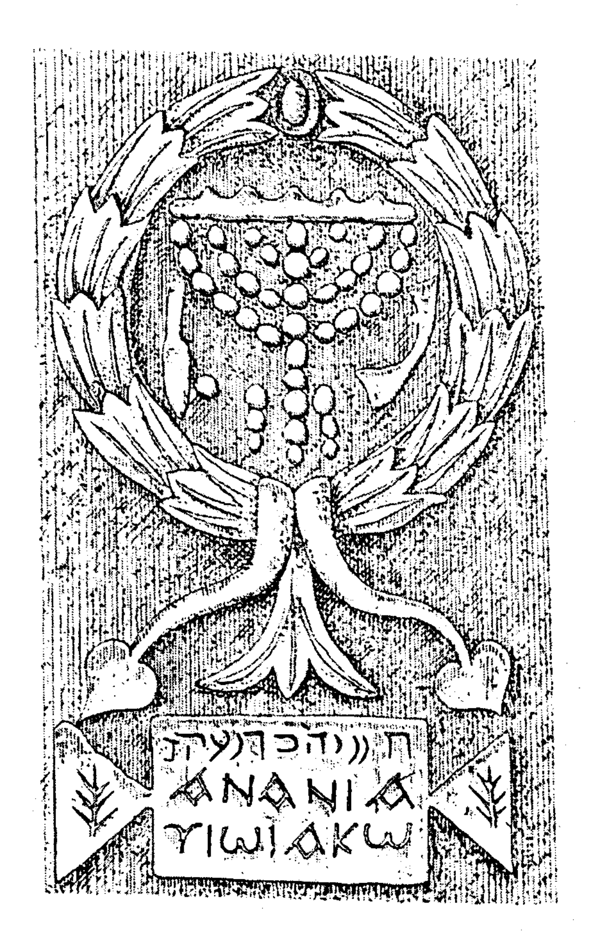
وأما الجامع فانه ، على قول ميلاتيوس هذا ، قد يكون احد الكنائس التي بناها مارقيانوس . إذ أن اعمدة هذه الكنيسة كانت في كنيس لليهود . وقد يكون هذا هو كنيس قيسارية بدليل انه منقوش على احـد هذه الاعمدة الشمعدان ذو السبعة فـروع الآتي ذكره ، وليست لهذه الاعمدة اية صلة بالاعمدة الـتي ارسلت من القسطنطينية لبناء كنيسة افدوكسية .

واما الاستاذ (كليرمان غانو) فانه يقول ان الجامع الـكبير كان في الأصل كنيسة صليبية اضاف اليها المسلمون إضافات كثيرة حـتى غيروا كثيراً من شكلها الأصلي . وان الصليبين عندما بنوها استعملوا في بنائها كثيراً من الحجارة ومواد البناء والاعمدة الرخامية القديمة إلى ان قال :

« بعد أن احتل الصليبيون غزة واعادوا بناءها عام ١١٤٩ هاجمها صلاح الدين عام ١١٧٠ ثم استرجعها منهم نهائياً بعد موقعـة حطين عام ١١٨٧ ويظهر ان البناء بني بين ١١٤٩ و ١١٧٠ وان الذين بنوه هم في الغالب فرسان الهيكل الذين عهـد اليهم بلدوين الثالث بحراسة غزة » .

وقد نقش على احد الاعمدة العلوية القائمة في وسط المسجد ، صورة شمعدان ذي سبعة اكواع يحيط به تاج كأنه مصنو ع من الغصون واوراق الشجر . وفوق التاج صورة جوهرة بحجم البيضة ، وتحته بلاطة منقوش عليها ثلاثة سطور : السطر الاول منها مكتوب باللغة العبرية والسطران الآخران باللغة اليونانية. وبجانب الشمعدان من اليمين بوق وعلى يساره سكين . اما الكلمات العبرية فهي חנניה בן יעקב (اي حنانيا بن يعقوب) . والكلمات اليونانية يعتقد انهـا كتبت بالاحرف اليونانية التي كانت تستعمل في القرن الثاني او الثالث بعد الميلاد ، ومعناها : « الى انانياس ابن يا كو(ب) » .

ويقول الاستاذ (كلـيرمان غانو) الذي زار غزة عام ١٨٧٠ م ان العمود الذي نقشت عليه هذه الصورة اما ان يكون قد نقل من كنيس كان لليهود في قيسارية أو من رواق كان مشيداً في احد الأبنية اليهودية بغزة او انه احد الاعمدة الثلاثين التي ارسلتها الامبراطورة افدوكسية لبناء الكنيسه في اوائل القرن الخامس للميلاد



صورة وجدت منقوشة على احد الاعمدة في الجامع الكبير

وهو (اي الاستاذ كليرمان غانو) لا يعتقد ان هذا العمود اخذ من كنيس يهودي كان في غزة . إذ ان اليهود لم يوطدوا اقدامهم في غزة طويلا . وليس من المعقول ان يمنحوا حق بناء كنيس لهم في غزة في وقت توطدت فيه اركان النصرانية .

ومهما كانت حقيقة الحال فيما يتعلق بهذه الكنيسة او تلك ، ومن الذي بناها ومتى بناها ؟ فانه مما لا شك فيه ان الجامع العمري الكبير كان يوم الفتح الاسلامي كنيسة. ولما كان سواد المسيحيين الأعظم قد دخلوا يومئذ في دين الاسلام ، فقد جاءوا إلى فاتح غزة القائد العربي الكبير عمرو بن العاص وطلبوا إليه ان يقضي بينهم وبين اخوانهم الذين بقوا على دين النصرانية قائلين انهم ورثوا عن آبائهم واجدادهم

(من عرب ويونان) تلك المعابد والكنائس ليقيموا فيها صلواتهم وطقوسهم الدينية . والآن وقد دخلوا في الدين الاسلامي وهم المالكون لتلك المعابد وليست لهم مقدرة على تركها والاستغناء عنها ، فقد طلبوا تقسيم تلك المعابد بينهم وبين اخوانهم الذين بقوا على دينهم بالحق لانهم ورثوها عن الآباء والاجداد .

قبل عمرو بن العاص دعواهم ، وجمع بين الفريقين، وطلب اليهما ان ينتخبا حكماً عدلا ليجري التقسيم . فأخذ المسلمون المعبد الكبير لأنهم الأكثرية . وأخذ النصارى المعبد الصغير لكونهم الاقلية . وقد تمت هذه القسمة بطريقة التحكيم المتقدم ذكرها .

ولقد عمر هذا الجامع مراراً عديدة من قبل عدد كبير من الملوك والوزراء والمصلحين ، كما تشهد بذلك الكتابات المنقوشة على ابوابه وجدرانه . ومن ذلك ان الداخل الى الجامع الكبير من بابه الشرقي يرى فوقه بلاطة كتبت عليها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . أمر بانشاء هذا الباب المبارك والمئذنة المباركة مولانا وسيدنا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ابو الفتح لاجين المنصوري (١) ادام الله ايامه ونشر في الخافقين بالنصر ألويته واعلامه ، واعز انصاره واعوانه ووزراءه وامراءه وحكامه وجنده وخدامه ، وحكم في محز المشركين سهامه وسنانه وحسامه ، واوزع شكر ما انعمت عليه واحسن في الدنيا والآخرة اليه. وتولى عمارتها العبد الفقير إلى ربه الراجي عفوه سنقر السلحدار العلائي المنصوري بنظره في ايام ولايته . وكان الفراغ منهما في شهر شعبان في سنة ٦٩٧ هـ سبع وتسعين وستمائة غفر الله له ولجميع المسلمين » .

وعلى الباب القبلي للجامع تقرأ هذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام

---

(١) كان من مماليك السلطان ايبك . ثم صار إلى السلطان قلاوون ، فاعتقه . وأخذ يتدرج في معارج الرقي حتى اصبح اميراً . ثم والياً على سورية . وقد بويع له بالسلطنة سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) وتوفى بعد ذلك بثلاثة اعوام . تزوج ابنة السلطان الظاهر بيبرس . وكان نموذجاً حسناً للمسلم الكامل ، فقد ابتعد عن الخمر والميسر وكان يصوم الأشهر الثلاثة . ويقال انه من اصل يوناني .

الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . امر بانشاء هذه الزيادة المباركة بالجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد(١) بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون خلد الله تعالى ملكه باشارة المقر الأشرف العالي المولوي الاميري الاجلي الكبيري العضدي النصيري المحترمي المخدومي المجاهدي المرابط الشاعري المؤيدي الناصري المنصور السيفي مولانا ملك الامراء تنكيز (٢) الناصري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة اعز الله انصاره وكان الفراغ منه في شهر محرم سنة ثلاثين وسبعمائة » (٢٥ اكتوبر ١٣٢٩ م) .

وعلى أحد شبابيك الايوان القبلي تقرأ الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : في ايام مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري ادام الله ايامه . فتح هذا شباك النور المبارك في ولاية العبد الفقير الى ربه سنقر السلحدار العلائي في شهر ربيع الاول سنة سبع وتسعين وستمائة اثابه الله وغفر له ولجميع المسلمين » .

وعلى اسطوانة بالجهة القبلية من ساحة الجامع الكتابة الآتية :

« جدد هذه المنارة وتم للمسجد بها شعاره ولام هذا الصهريج وأتى بهذا الحوض البهيج ابتغاء مرضاة السلام امير الامراء الكرام درويش حسين باشا متصرف غزة بلغه الله ما يشاء عام ثلاث ومائتين والف » .

واما الباب الخارجي الكائن في الناحية الشمالية فقد انشأه السيد كمال الدين البكري ، كما انشأ في تلك الناحية اربع غرف خصصها لطلاب العلم من ابناء غزة . وكان ذلك قبل مئة سنة بالوجه التقريبي .

وفي زمن رؤوف باشا متصرف القدس عمر الجامع المذكور مرة اخرى

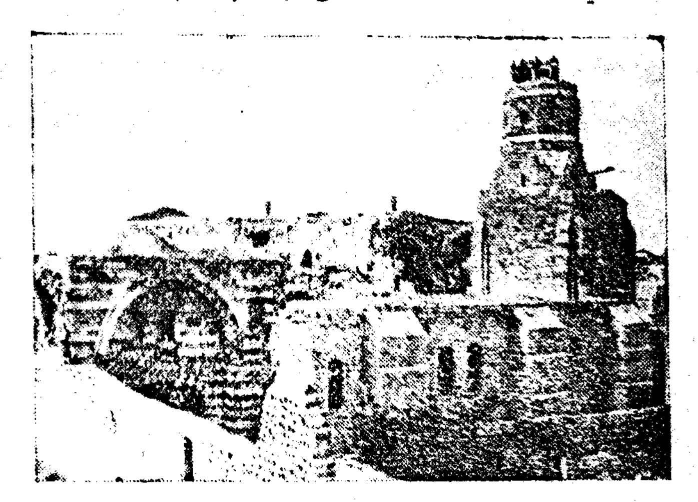
---

(١) تولى الملك وهو صغير (٦٩٣ — ٧٤١ هـ ١٢٩٣ — ١٣٤١ م) وقد خلع مرتين . وفي مدته بلغ فن المباني والنقوش العربية اقصاه . كان ضئيل الجسم، اعرج ، اعور . إلا انه كان قوي البأس، شديد البطش، ذا رأى سديد وعزيمة من حديد .

(٢) مملوك اشتراه اسلاف الناصر . وظل في خدمة الناصر ٢٨ عاماً . ناب عنه في دمشق . وغامر بحياته من اجله في ميادين الحروب . وبعد ان كان الناصر يحبه ويستشيره في جلائل الامور (حتى أنه تزوج ابنته كما عقد على اثنتين من بناته لولدى تنكيز) انقلب عليه بدسائس الدساسين فارسل تنكيز الى مصر مكبلا بالسلاسل . وهناك قتل بعد ان اذيق ألواناً من العذاب .

(١٢٩٢ هـ) . وقد تولى عمارته البكباشي الكنج احمد . كان هذا قد انتدب لجمع العسكر من غزة لينخرطوا في الجيش التركي ويحاربوا المسكوب . وكان من العفة والزهد والاستقامة على جانب عظيم ، حتى ان رؤوف باشا انتدبه لاجل ادارة اموال الوقف . فأحسن ادارتها ، وقام بتعمير الجامع العمري الكبير . فقد رصف صحن الجامع بالبلاط من النوع المتين . وكذلك فعل في ساحته الكبرى ، كاقصر جدرانه ومدّ السطح مدّاً يحول دون وكفه ، وانشأ بجانبه المراحيض والحنفيات بشكل يسهل للمصلين سبيل الوضوء والصلاة ، ومسح الأعمدة ودهنها . ورمم المئذنة التي كان اصابها العطب على اثر زلزال سابق .

وقد اصاب هذا الجامع (١) خراب كبير اثناء الحرب المنصرمة (١٩١٤—١٩١٧) بسبب القنابل التي كانت تتساقط على غزة من البر والبحر والهواء فسقطت مئذنته ،



الخراب الذي حل بالجامع الكبير

١٩ نيسان ١٩١٧

وتهدمت جوانبه . وظل في حالة من الخراب (٢) تفتت الأكباد حتى عام ١٣٤٥ للهجرة حيث قام المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى الذي يرأسه سماحة مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين افندي الحسيني فعمره .

---

(١) يقال ان الأتراك استعملوه يومئذ لخزن اسلحتهم وعتادهم .

(٢) انظر الى الصورة المثبتة في الصفحة ٢٢٦

وانـك إذا نظـرت إلى البـاب الواقـع قبـلي الحـائط الغربي وجـدت مكتوباً عليه هـذه الكلمات :

« جدد عمارة هذا الجامع المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى سنة ١٣٤٥ للهجرة». ونستطيع القول بان العمارة التي احدثها المجلس الاسلامي عبارة عن اقامة جامع جديد بني على اسس الجامع القديم وبعض اعمدته وجدرانه لان الخراب الذي ألم به اثناء الحرب كان عظيماً للغاية . وقد اعاد المجلس الاسلامي بناء المئذنة بشكل فاق شكلهـا السابق بدرجات .



مئذنة الجامع الكبير بعد تعميرها
١٣٤٥ هـ

٢ — جامع السيد هاشم

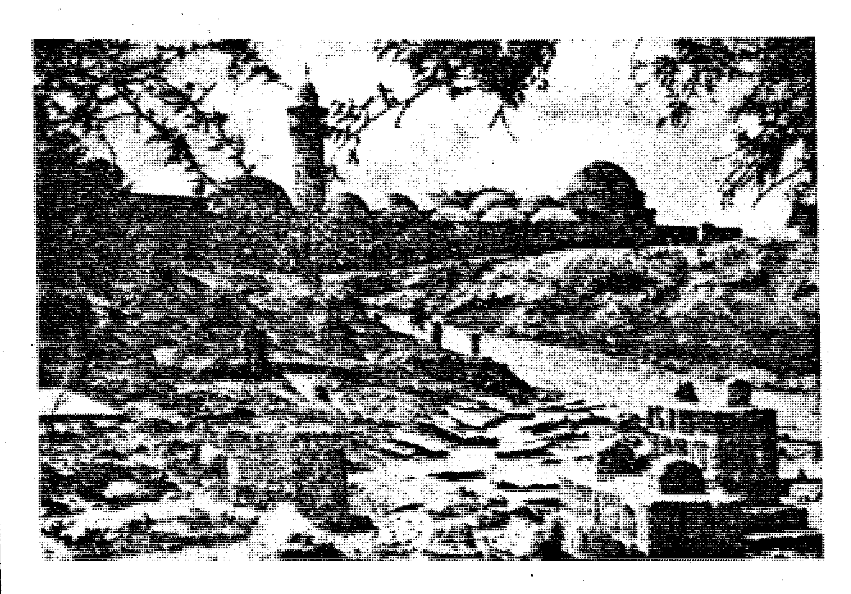
من أكبر جوامع غزة واتقنها بناءاً . واقع في حي الدرج ، والمعتقد ان السيد هاشم جد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام مدفون فيه . وهناك من يقول: انه مدفون في قبة الشيخ رضوان وليس في هـذا المكان ، بدليل ما جاء في قول احد اصحابه الأعراب الذين كانوا يرافقونه في رحلاته التجارية بين مكة وغزة ، إذ قال :

وهاشم في ضريح وسط بلقعة   تسفو الرياح عليه بين غزات

ومن يدري ؟ لعل رفاته نقلت من موقع الشيخ رضوان إلى حيث هي الآن .

يعتقد المرحوم السيد كامل المباشر احد اعيان غزة الذين توفوا فيها عام ١٩٤١ « ان هذا الجامع بني في اواخر القرن الثالث عشر للهجرة (١٢٦٨ هـ) من قبل السلطان العثماني عبد المجيد (١) بطلب من الحاج احمـد بن محي الدين بن عبد الحي

(١) واما الاستاذ عبدالله مخلص مدير الاوقاف بفلسطين فانه يعتقد انه من منشآت المماليك ، وقد عمره السلطان عبد المجيد في سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٥٠ م .



جامع السيد هاشم

الحسيني مفتي الأحناف بغزة ، وانهم عندما بنوه استعملوا الحجارة الباقية من انقاض جامع الجاولي والبيمارستان وغيرهما . وقد تبرع سكان المدينة بمبالغ وفيرة من اموالهم لهذه الغاية . وامرت الحكومة التركية بتحويل اوقاف جامع البيمارستان إلى جامع سيدنا هاشم لتقام فيه الشعائر الدينية » .

وقد صدرت الارادة السنية بأن يتولى هو (أي المفتي) صلاة الجمعة في الجامع المذكور والخطبة . وتم تدشينه يومئذ باحتفالات شعبية رائعة . وها هم اولاء آل الحسيني يحتفلون بذكرى هذا التدشين مرة في كل عام . وتدوم الاحتفالات ثمانية ايام آخرها يوم المولد النبوي . وفيه مدرسة انشأها المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى من مال الوقف . وقد اصابت الجامع قنبلة اثناء الحرب المنصرمة (١٩١٤—١٩١٧) فخربته . ولكن المجلس الاسلامي الأعلى عمره ، وارجعه إلى احسن ما كان عليه .

٣ — جامع الشيخ زكريا

واقع في حي الدرج . انشىء في القرن الخامس ، ودفن فيه الشيخ زكريا .



جامع الشيخ زكريا

وقد كتب على ضريحه : « هذا قبر العبد الفقير لله تعالى زكريا التدمري توفى في شهر صفر سنة ٤٤٩ هـ » .

٤ — جامع كاتب الولاية

وهناك من يسميه (جامع كاتب الأوليا) . وهو جامع قديم واقع في حي الزيتون وبالقرب من كنيسة الروم الارثوذكس . مئذنته قريبة من جرس الكنيسة ، ليس بينهما سوى بضعة امتار . على باب هذا الجامع بلاطة قرأت عليها هذه الكلمات : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليـــوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . أمر بانشاء هذا المسجد المبارك العبد الفقير أحمد بك كاتب الولاية في اوائل ذي القعدة سنة ٩٩٥ هـ . » وأحمد بك هذا كان على ما يظهر كاتباً للولاية في ايام السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني .

وهناك من يعتقد ان الذي امر ببناء هذا الجامع هو عمرو بن العاص ، وذلك عند فتحه غزة . وقد بناه قريباً من الكنيسة عملا بوصية الخليفة عمر بن الخطاب الذي اوصاه ببناء جامع في القرب من الكنيسة كلما امكن ذلك . وعلى قول ان أصله دير ، وانه كان يسمى (دير كاتب سلم الفضائل) .

كانت مئذنة الجامع صغيرة ، فأُعليت بعد الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٧) .

٥ — جامع الشمعة

انه من الجوامع المشهورة بغزة . وهو قائم في ناحية من حي النجارين (حارة الزيتون) . لا يدري أحد من سكان غزة لماذا اطلق عليه هذا الاسم . غير انه يوجد فوق بابه الخارجي بلاطة من الرخام محطمة من ناحيتها اليسرى ، نقش عليها الكلمات بالنسخ الذي كان معروفاً في عهد المماليك :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن باللهواليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . امر بانشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء مرضاة الله واتباع سنة رسول الله العبد الفقير إلى الله تعالى سنجر بن عبدالله الجاولي (الملكي الناصري) نائب السلطنة الشريفة بالاعمال الساحلية والجبلية بغزة المحروسة أعز الله انصاره بتاريخ ذي الحجة سنة اربع . . . . »

يقول الاستاذ ماير : « سنجر بنى ابنية عديدة في غزة ، فأيهما هو هذا ؟ وسنجر كان نائباً في غزة من ٧١١ إلى ٧٢٠ اولا . ثم في المرة الثانية في زمن الملك الصالح اسماعيل في ٧٤٠ » وهو يعتقد ان التاريخ الذي كتبت فيه تلك الكتابة كان ٧١٤ .

وأما أنا فاني عندحد الاعتقادان جامع الشمعة لم يبن من قبل الأمير علم الدين سنجر الجاولي. واماالبلاطة الرخامية الموجودة فوق بابه والتي تقول ان الجاولي هو الذي بناه فانها مأخوذة من بقايا جامع الجاولي عندما هدم ذلك الجامع واندثر ، واخذ الناس ينقلون حجارته من مكان إلى مكان . ولقد ذكرنا في الاسطر المتقدمة ان قسما من الحجارة التي استعملت في بناء جامع السيد هاشم كان من بقايا جامع الجاولي . ويفهم من الكتابات الاخرى الموجودة في جامع الشمعة انه عمر مراراً عديدة خلال المدة الواقعة بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع عشر .

٦ — جامع الشيخ عبد الله الايبكي

انه جامع قديم واقع في حي التفاح . وهو عامر في يومنا هذا . ومدفون بجانبه الشيخ عبدالله الايبكي من مماليك عز الدين ايبك المشهور ، ومن رجال القرن السابع .

كان للشيخ عبدالله هذا ولدان : احدهما وهو الشيخ عياذ مدفون بالقرب من السيد هاشم ، والثاني وهوالشيخ احمد له مزار باسم الشيخ ايبك .

٧ — جامع علي بن مروان

انه من جوامع غزة المشهورة . وهو عامر تقام الصلاة فيه. له مئذنة ، وامامه مقبرة،



جامع علي بن مروان

وفيه ضريح يقولون انه لولي الله الشيخ علي بن مروان . يعتقد الناس به ، ويزورونه ، ويتبركون به . ويقال انه حسني جاء من بلاد المغرب واستوطن غزة . وكانت وفاته فيها في يوم الاثنين السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ٧١٥ هـ . وعلى باب المئذنة كتبت الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد عمارة هذه المنارة المباركة وايوان القاعة والمنبر والمحراب الشريف في جامع ابن مروان رضي الله عنه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله سنة ٧٢٥ هـ » . وعلى باب الجامع تقرأ الكلمات الآتية :

لو لا المحبة في القلوب وانهـــا	رحب لضاق الكون بالاكوان
هي سر فرقان الاله وجمعـه	هي منة في جنة الرحمن
بجود وحلم ساد يحي على الملا	امير غزة هاشم الجزران
بنا بناء خالصاً في صنعـــه	جزاه خيراً خالق الانسان
يحـي حياه الله كل فضيلة	بيناء مسجد علي بن مروان
حصنته بالهـــاشمي محمـــد	وبالخليل مبرد النيران

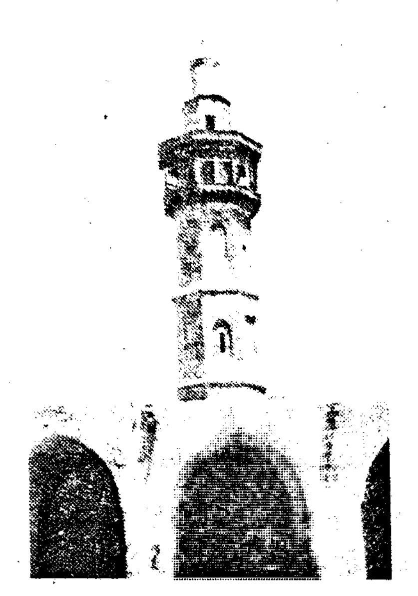
صلى الاله عليه بعد نبينا والآل والاصحاب والاقران
ما دام خير الدين يرجو رحمة من منزل الزابور والفرقان

حبر وحرر في عشرة من شعبان المبارك سنة ١٢١٧ هـ .

ومما هو جدير بالذكر عن هذا الجامع أنه الجامع الوحيد في غزة الذي يصلي فيه النساء صلاة الجمعة . وهناك في صحن الجامع قاطع خشبي يفصل مصلى النساء عن مصلى الرجال.

٨ — جامع ابن عثمان

إنه من الجوامع الكبيرة والمشهورة في غزة . يأتي بعد الجامع العمري الكبير من حيث الحجم ومتانة البناء . واقع في حي الشجاعية . والمعروف عنه ان الذي بناه هو (أحمد بن عثمان) من رجال القرن الثامن ، وفيه قبر لرجل لا يعرف الناس عنه شيئاً سوى انه كان من الصالحين (١)



مئذنة جامع ابن عثمان

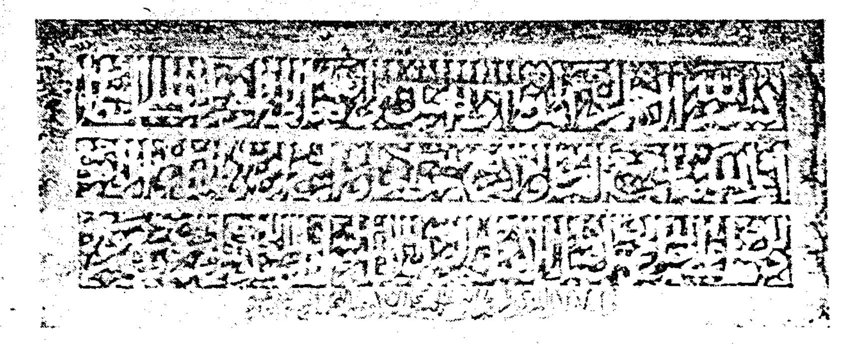
ولقد قضيت بعض الوقت في بهو هذا الجامع ، وبين ردهاته . وأخذت له صوراً عديدة هي التي تراها في غير هذا المكان . واستعنت بالكراس الذي اصدره الاستاذ ماير (٢) على قراءة بعض الكتابات المنقوشة على ابوابه وجدرانه . وها أنا ذا انقلها إليك في الأسطر التالية :

---

(١) يقول الاستاذ مصطفى افندي الدباغ أنه قبر يلخجا من مماليك الملك الظاهر برقوق. اشتراه مع ابويه وانعم بهم على ولده عبد العزيز الملقب بالمنصور . وتنقلت به الأيام إلى أن عين نائباً على غزة سنة ٨٤٩ وفيها توفي . ودفن بجامع ابن عثمان بظاهر غزة (٨٥٠ هـ) . وكان هذا النائب تركياً شجاعاً مقداماً كريماً جميلا (إلى آخر ما جاء عنه في الضوء اللامع) .

(٢) (L. A. Mayer, Arabic Inscription of Gaza III in Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. IX, 1929)

هناك بلاطة وضعت فوق الباب الشرقي نقشت عليها في سنة ٧٩٧ (١) للجهرة الكلمات التالية :



«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اوقف العبد الفقير إلى الله تعالى السيفي ارزمك الملكي الظاهري اعزه الله تعالى جميع القيسارية والاربع حوانيت مجاورة الشيخ ابن مروان والدار سكن الواقف جميع ذلك وقفاً على مصالح المدرسة والسبيل وكتّاب الايتام وخبز الصدقة والمسجد المجاور سكنه وما فضل من ذلك يكون للجامع بتاريخ شهر شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

ومن الاملاك المذكورة قيراط ونصف للنبي عليه السلام ومثله للخليل عليه السلام اتقده (؟) عنه . » .

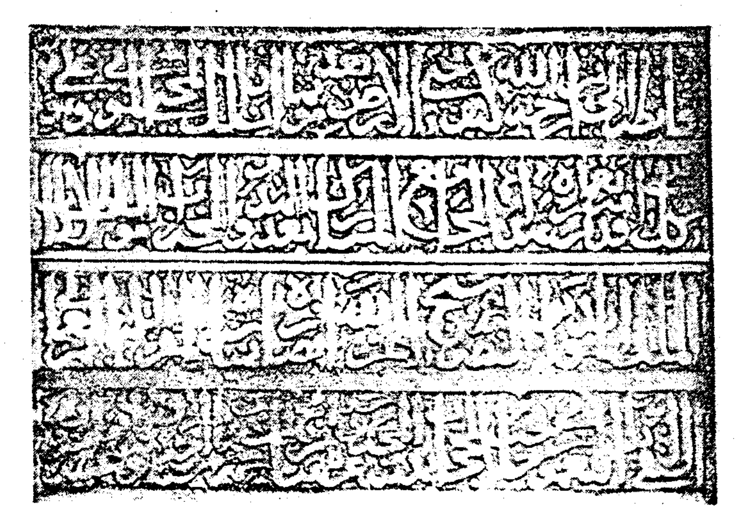
وهناك بلاطة من الرخام في وسط قوس تعلو الباب الشمالي ، نقش عليها الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش إلا الله . امر

(١) ١٣٩٥ بعد الميلاد

بانشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف العالي المولوي السيدي المالكي المخدومي العلائي اقبغا الطولوتمري الملكي الناصري اعز الله انصاره بتاريخ شهر رجب الفرد سنة اثنين وثمانمائة هجرية »(١)

ويقول الاستاذ ماير : « كان علاء الدين اقبغا الطولوتمري الملقب باللقاش عبد من عبيد السلطان برقوق . ولذلك لقبه ابن تغريبردي : (الظاهري) . ولا يعرف عن ماضيه شيء سوى انه صار من جملة امراء الالوف (راجع كتاب النجوم الزاهرة). وقد عينه السلطان برقوق حاكماً على غزة. ويقول ابن اياس انه وصل إليها في يوم الاربعاء ٨ صفر ٧٩٢ . وقد اشترك في مؤامرة ضد فرج . فالقي القبض عليه، وشنق بأمر منه» .

وهناك فوق المحراب الكائن في صحن الجامع بلاطة نقشت عليها الكلمات التالية:



« فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير . أمر بعمارة هذا الجامع المبارك بعد الهدم والخراب مولانا السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ اعز الله انصاره بمباشرة المقر الكريم العالي السيفي ابو بكر اليغموري حاجب الحجاب بمدينة غزة المحروسة بتاريخ شهر شعبان سنة احدى وعشرين وثمانمائة (٢) »

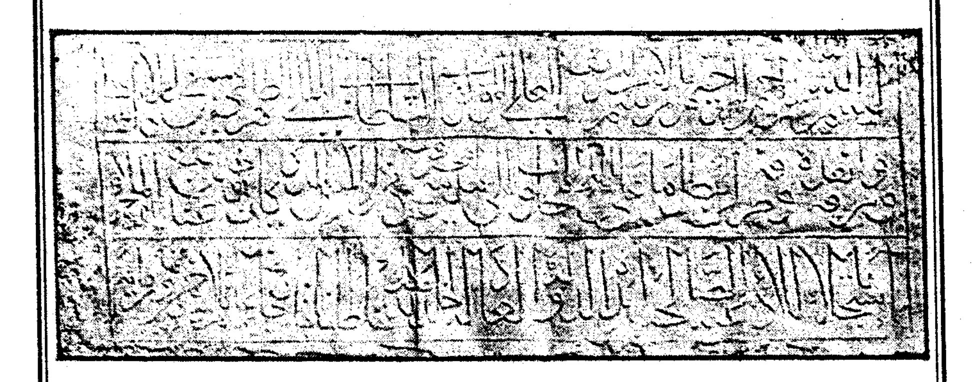
وهناك فوق المحراب في داخل المسجد بلاطة من رخام نقشت عليها الكلمات

(١) ١٣٩٨ بعد الميلاد

(٢) ١٤١٨ بعد الميلاد

التالية: « بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا محمـــد وسلم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . والمحراب اشرف مكان من المسجد . عمر هذا المحراب وكذلك الفسقية والقبة اعلاه بصحن الجامع ابتغاء لوجه الله العبد الفقـير إلى الله تعالى الصدر الأجل الكبير الحاج علم الدين سنجر المعامل بغزة اعزه الله بعزه وجعله في كنفه وحرزه . وذلك في مدة آخرها العشر الاخير من شهر رجب سنة اربع وثلاثين وثمانمئة (٨٣٤ هـ) — ١٣ ابريل ١٤٣١ م . » ويقول الاستاذ ماير : « ان هذا لم يكن حاكماً في غزة ، بل كان يشغل منصباً اقل اهميـة من ذلك؛ وانه في عام ٨٣٤ هـ كان حاكم غزة اينال العلائي (الذي صار فيما بعد الملك الاشرف) وظل في هذا النصب من ١٨ شوال ٨٣١ (٣١ تموز ١٤٢٨) إلى ٨٣٦ هـ. ثم ان الوالي او الحاكم في غزة كان منذ نهاية القرن الثامن يلقب بـ (الكافل) وهو أعلى لقب يطلق على الحكام في عهد المماليك . »

وعلى بلاطة من رخام وضعت بين البابين في المدخل كتبت هذه الكلمات :



« بسم الله الرحمن الرحيم : رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري السيفي اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرفه ان يبطل ما على الملح المجلوب إلى مدينة غزة المحروسة من المكس الذي كان يؤخذ عند بيع الملح المذكور استجلاباً للأدعية الصالحة لهـذه الدولة العادلة خلد الله ملك سلطانها بتاريخ خاتمة عام ثلاثة وخمسين وثمانمئة . » (٣١ فبراير ١٤٥٠) .

٩— جامع المحكمة البرديكية

جامع قديم انشىء في القرن التاسع ، وله مئذنة جميلة . كان مدرسة ثم محكمة للقضاة . وكانت تقيم فيه مدرسة الشجاعية الاميرية (١٩٣٨ م) . المدرسة أسسها الأمير برديك الدوادار سنة ٨٥٩ هـ أيام الملك الأشرف ابو النصر اينال العلائي .

وعلى بابه الشمالي توجد الكتابة الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . بنى هذه المدرسة المباركة ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الأشرف العالي السيدي المالكي المخدومي السيفي برديك الدوادار الملكي الأشرف اعز الله انصاره بتاريخ ذي الحجة الحرام سنة ٨٥٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما ابداً . »

جامع المحكمة البرديكية

* * *

وهناك مساجد يصلي الناس فيها صلواتهم الخمس فقط، ولا تقام فيها صلاة الجمعة ، وهي :

في حي الدرج:

١ — مسجد المغربي
٢ — مسجد الشيخ فرج
٣ — مسجد الشيخ خالد
٤ — مسجد الزاوية الأحمدية
٥ — مسجد زاوية الهنود
٦ — مسجد الهجاني

في حي الزيتون:

٧ — مسجد العجمي
٨ — مسجد الشيخ القشقار

٩ — مسجد السدرة } في حي التفاح

١٠ — مسجد الغزالي
١١ — مسجد السيدة رقية
١٢ — مسجد الظفر دمري } في حي الشجاعية
١٣ — مسجد الطواشي
١٤ — مسجد المواشي

وإليك ما نعرفه عن هذه المساجد :

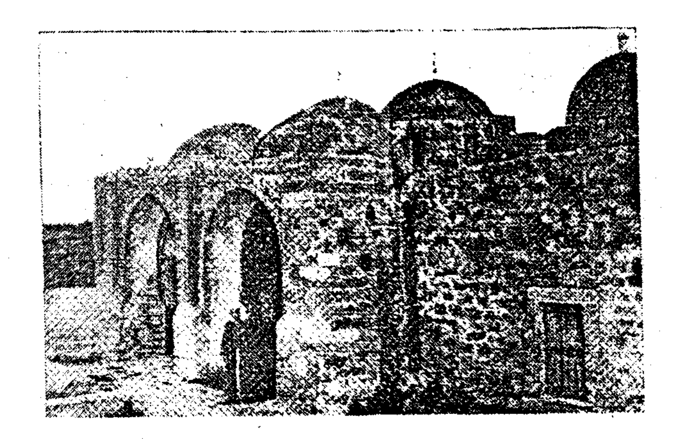
١ — **مسجد المغربي** ويسمونه ايضاً (مسجد الشيخ المغربي) . واقع في حي الدرج . وهناك على العتبة العليا للباب المخصص للدخول بلاطة من رخام نقش عليها بالخط النسخي الذي كان معروفاً في عهد المماليك الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أمر بانشاء هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى شاهين بن عبدالله الكجكي مقدم القصر الشريف . إنه اوقف جميع البيت والقاعتين جوار المدرسة وجميع الحوش ظاهره وباطنه المعروف بالجوباني وجميع الحاكورة وما فيها المجاورة للمدرسة وقفاً صحيحاً شرعياً في سنة ستة وثمانين وسبع مائة . » (٢٤ فبراير ١٣٨٤) .

٢ — **مسجد الشيخ فرج** لا نعرف عنه شيئاً سوى انه مسجد صغير ، واقع في حي الدرج . ولم يستطع أحد ان يقول لنا من الذي بناه ، ومتى ؟ وكل ما نعرفه ان الشيخ فرج كان عبداً للسيد محمد خطاب في اواخر القرن العاشر ، وظهر له منه بعض كرامات ، فأجله . ولما مات دفنه في ذلك الموقع واتخذ عنده مسجداً ثم دفن بجانبه . وقد جعل بعدئذ مدفناً لذرية اسرة خطاب . تلك الاسرة التي انقرضت في القرن الرابع عشر .

٣ — **مسجد الشيخ خالد** اسس في القرن الثامن ، وفيه قبر كتب عليه هذه الكلمات:

« جدد هذا المكان المحتوي على ضريح ولي الله تعالى سيدنا الشيخ خالد المتوفي سنة ٧٤٩ هـ ناظره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ابراهيم المقدسي الانصاري في اوائل



مسجد الشيخ خالد

جمادى الاولى سنة ٩٥٥ هـ » ودفن فيه ايضاً الشيخ جماق جد اسرة جماق المنقرضة وإليه تنسب ساقية الجماقية .(١)

٤ — مسجد الزاوية الاحمدية واقع في حي الدرج . وهو عامر حتى يومنا هذا . وقد انشأ الزاوية التي بجانبه المنتمون إلى الطريقة البدوية في أوائل القرن الثامن للهجرة . وذلك انتساباً إلى السيد أحمد البدوي المتوفي بطنطا عام ٦٧٥ هـ .

وإذا ما دخلت الزاوية المذكورة رأيت على يمينك غرفة ، ووجدت فوق باب الغرفة بلاطة من رخام كتبت عليها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . انشأ هـذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى طرنطاي الجوكنداري » . ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني فقال ان حسام الدين طرنطاي الجوكندار كان والياً في غزة في ايام تنكيز . وجاء في (صبح الأعشى) للقلقشندي ان تاريخ تعيينه إليها كان بتاريخ ١٥ رمضان ٧٣٦ هـ وقد خلف سنجر الجاولي في الحكم .

٥ — مسجد زاوية الهنود واقع في حي الدرج . لا نعلم عنه شيئاً سوى ان الهنود هم الذين انشأوه . ويظهر انه كان يعيش في غزة في زمن من الأزمنة الغابرة عدد

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذه الساقية فى الصفحة ٢٨١ من هذا الكتاب .

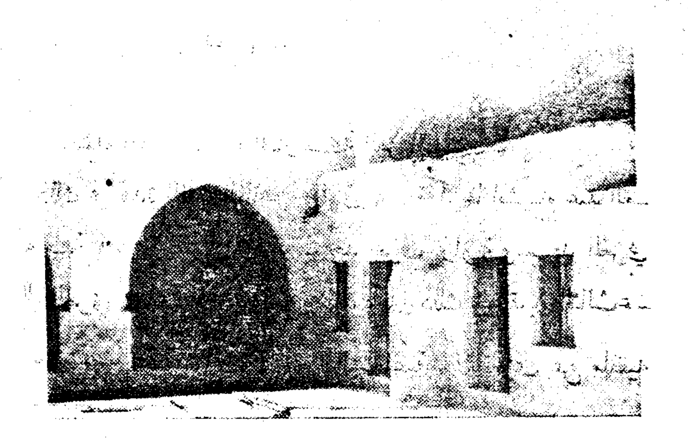
غير قليل من الجالية الهندية لوقوعها على درب الحج وطرق التجارة .

٦ — مسجد الهجاني واقع في حي الدرج وهو مسجد صغير . ليس له إمام ولا مدرس ولا خادم .

٧ — مسجد العجمي واقع في حي الزيتون . تقام فيه الصلوات الخمس . وهناك مسجدان آخران بهذا الإسم : واحد في حي العجمي ، وآخر في حي المباشر . لكنهما في حالة من الخراب شديدة .

٨ — مسجد القشقار واقع في حي الزيتون . ويسمونه (مسجد الشيخ عثمان القشقار) . والمظنون ان الذي بناه رجل بهذا الاسم ألباني الأصل .

٩ — مسجد السدرة واقع في حي التفاح ، بجانب بئر الاجمقية. سمي كذلك لوجود سدرة بالقرب منه .



مسجد السدرة

١٠ — مسجد الغزالي واقع في حي الشجاعية . ليس ثمة ما يدل على بانيه . غير ان الكثيرين يظنون ان الذي بناه هو الأمير جان بردي الغزالى الذي كان نائباً في غزة في اوائل سلطنة آل عثمان .

١١ — **مسجد السيدة رقية** واقع في حي الشجاعية . ويقال ان امرأة تدعى رقية هي التي انشأته، وقد كانت زوجة لأحد الحكام الذين تولوا الحكم في غزة في العهد العثماني.

١٢ — **مسجد الظفر دمري** هذا ايضاً في الشجاعية . انشيء في القرن الثامن من قبل شهاب الدين أحمد ازفير بن الظفر دمري في سنة ٧٦٢ هـ نسبة إلى ظفر دمر من بلاد المغرب . ثم اشتهر بالقز دمري . وفيه قبره . والمسجد عامر في يومنا هذا .وقد كتبت على بابه هذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى شهاب الدين أحمد ازفير بن الظفر دمري سنة ٧٦٢ هـ . »

١٣ — **مسجد الطواشي** بناه رجل من امراء المماليك المصريين وسمي على اسمه (الطواشي) . وقد اعتاد بعدئذ رجل من المغاربة يسمى (الشيخ علي) ان يصلي فيه ، وظل كذلك إلى ان مات فيه ، فسمي (مسجد المغربي). وبجانبه مدرسة إنشأها في اواخر القرن الثامن للهجرة المقر السيفي شاهين بن عبدالله الكجكي . وكان ذلك في زمن الملك الظاهر برقوق . وقد نقش على بابها هذه الكلمات:

« أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة المعز السيفي شاهين بن عبدالله الكجكي وكان ذلك في مدة الملك الظاهر برقوق » . ذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته سنة ١١٠١ هـ وهي اليوم مسجد يعرف بزاوية ومسجد المغربي . لأن الشيخ علي المغربي المتقدم ذكره دفن فيها ، وكان ذلك في القرن الثالث عشر للهجرة .

١٤ — **مسجد الهواشي** واقع في حي الشجاعية . لا نعرف عن ماضيه شيئاً .

✡✡✡

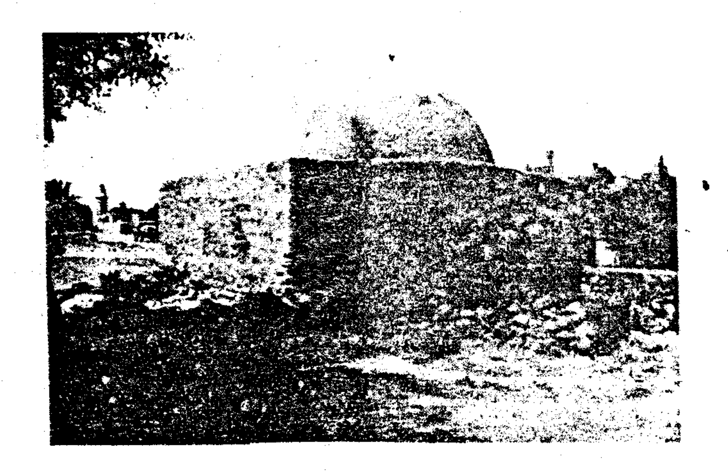
وهناك مساجد اخرى وجوامع كانت في سابق الأيام عامرة ، إلا انها خربت مع تقادم العهد ، واهملت ؛ او انها اندثرت بالمرة ، فلم يبق لها أثر .

أما الجوامع والمساجد التي هجرت هجراً لقلة استعمالها ، او لعدم تصليح الخراب الذي ألم بها فإليك اسماءها :

في حي الدرج : جامع المدرسة الغصينية ، وجامع الشيخ ظريف،وجامع الشيخ منصور(١)،ومسجد الهليس(٢)،ومسجد الشيخ شعبان ابي القرون .

في حي الزيتون : مسجد الشيخ الياس (٣)،ومسجد الشيخ عبدالله المغفري(٤) . ومسجد ابي الركاب ، وجامع الوزيري(٥)،ومسجد الشيخ عطية(٦)

في حي التفاح : مسجد الشيخ بشير (٧)



مسجد الشيخ بشير

في حي الشجاعية : مسجد العابد (٨)

---

(١) بجوار خان الكتان .

(٢) فيه دفن جد آل الهليس .

(٣) أمام مقبرة آل الشوا وبالقرب من زاوية الشيخ عابد.

(٤) جد النخالة . وهو واقع عند مفترق الطرق المؤدية الي خان يونس والمحطة وشارع عمر المختار .

(٥) تحت دار البلدية الجديدة،وعلى شارع عمر المختار.هجر اخيراً لتشعث بسيط ألم به.

(٦) مولد الامام الشافعي وهو الآن بيت معد للايجار . فيه قبر بنت الامام، وخادمه الشيخ عطية .

(٧) عند مزلقان السكة الحديدية ، وبالقرب من مقبرة الدمرداش .

(٨) فى البقعة الواقعة عند مفترق الطرق المؤدية الى غزة وخان يونس ويافا .

وأما الجوامع والمساجد التي اندثرت بالمرة حتى انه لم يبق لها أثر ، فمنها :

في حي الدرج: مسجد الأوزاعي(١) ، ومسجد الشيخ رضوان ، ومسجد الاندلسي (٢) ، وجامع البيمارستان(٣) ،وجامع أبي مدين الغوث .

في حي الزيتون : جامع العجان،وجامع الجاولي (٤) ،وجامع المدرسة الكاملية(٥) ومسجد القيدة،ومسجد العجمي،ومسجد البطل،ومسجد الشيخ رشيد (او المنجرة) ، وجامع الشهداء الواقع بالقرب من مقبرة العواميد .

في حي التفاح : جامع الجمعة(٦)،ومسجد ابن سلطان(٧)،ومسجد ابي العزم(٨) ومسجد الشيخ الباز (٩) ، وجامع البطنة .

---

(١) بجوار جامع السيد هاشم . وهو اليوم مقبرة .

(٢) بني هذا في القرن الثامن . وسمي كذلك لأنه مدفون فيه الشيخ علي الأندلسي، وقد كتب على قبره : « هذا قبر الفقير إلى رحمة ربه علي بن أحمد الأندلسي الأنصارى توفى في شهر رجب سنة ٧٥٩ ه » . ومن يدري لعله هو الذى بنى المسجد . وقد هدم قبل توسيع الشارع الجديد المسمى (شارع فهمى بك) .

(٣) كان شرقي الجامع الكبير ، وبه رباط انشأه الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون سنة ٧٣٠ ه . وقد كانت له اوقاف كثيرة تحولت ، بعد هدمه ، إلى جوامع اخرى . وكان قسم من البيمارستان مخصصاً لتداوي امراض العقول . وبقي عامراً حتى سنة ١٢١٥ إذ خرب فى حرب نابليون .

(٤) كان قائماً في البقعة الواقعة تجاه حاكورة الحاج حسن البورنو ومسلخ البلدية . وكانت البقعة المذكورة فى وسط المدينة . ذكره ابن بطوطة فى رحلته . وكذلك الشيخ عبد الغنى النابلسي . انشأه الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة. وذلك بتاريخ ٧٠٨ للهجرة . وهدم اثناء فتح نابليون لغزة ، ثم اندثر وبعثرت حجارته هنا وهناك . وقد استعمل قسم منها فى بناء جامع السيد هاشم . وهناك بلاطة من رخام فوق باب جامع الشمعة بحارة الزيتون كانت فى الأصل فى جامع الجاولي هذا .

(٥) فى اول الشارع المؤدي إلى دير اللاتين من الجهة القبلية بجوار دار السيد طالب الريس . وقد انشأه الملك الكامل بن الملك العادل سنة ٦٣٥ للهجرة .

(٦) في شمال جامع علي بن مروان . ويقال ان صلاة الجمعة ما كانت تصلى إلا به .

(٧) غربي مقبرة علي بن مروان . وقد دفن فيه (محمد بن عبد الرحمن بن سلطان) الغزي الذى جاء ذكره فى الضوء اللامع .

(٨) عند مدخل مقبرة علي بن مروان من الناحية القبلية الغربية امام المدرسة الثانوية.

(٩) دخل فى مدرسة الأوقاف .

في حي الشجاعية : جامع الباسطية(١) ، وجامع قايتباي(٢) ، ومسجد الطيار ، ومسجد المقازين ، ومسجد الشيخ مسافر(٣)،ومسجد ركن الدين التركماني(٤).

وهناك جوامع سمعت بها ، ولكني لم أعثر لها على أثر ،كجامع الماروني،والجامع المعلق الذي اقامه الامير سيف الدين بلبان .

٭٭٭

وهناك جامعان شرع في انشائهما حديثاً ، ولكن ظروف الحرب حالت دون اتمامها . وهما :

١ — جامع البحر : وقد شرع الصيادون سكان الحي الواقع على شاطىء بحر غزة ببنائه حوالي عام ١٩٣٤ ولكنهم لم يستطيعوا اتمامه بعد .

٢ — جامع الكنز : واقع في حي الرمال . شرع ببنائه السيد عبد المجيد بن الشيخ محمود عباس الشوا ، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٣٦ ، إلا انه لم يتم بعد.وقد أوقف الشيخ سلامة بن سعيد ، شيخ عشيرة السعوديين المزازمة من قبائل بئر السبع أرضاً له في بئر السبع لهذه الغاية .

٭٭٭

وفي غزة مزارات لا تعد ولا تحصى ، نكتفي بأن نذكر منها :

١ — مزار الأوزاعي : وهو واقع بجوار جامع السيد هاشم . كان هذا مسجداً ، ثم اندثر . وهو الآن مقبرة ومزار .

٢ — مزار الشيخ محمد بن طريف : وهو واقع في حي الدرج . انه قبر وقد كتب عليه هذه الكلمات : « هذا قبر العبد الفقير إليه تعالى الشيخ محمد بن طريف الراجي عفو ربه اللطيف توفاه الله تعالى يوم الخميس عشر ذي الحجة سنة ٧٨٤ هـ»

---

(١) في المكان الذى فيه مطحنة زمو الآن .

(٢) وكان بجانبه مدرسة علم راقية . انشىء في اواخر القرن التاسع للهجرة.والذى انشأه هو الملك الأشرف ابو النصر قايتباى وخرب سنة ١٢٣٠ هـ . انه كان فى البقعة المجاورة لساقية الطوابين فى مدخل الشجاعية وعند مفترق الطرق التي تربط غزة بخانيونس والمحطة .

(٣) انشأه الحاج سعد الدين مسافر بن قتبغلي أحد المماليك السلطانية . وكان ذلك سنة ٧٠٦ هجرية .

(٤) بناه ركن الدين عمر بن خليل التركمانى الغزى سنة ٧٨٢ هـ .

٣ - مزار الشيخ عثنيه قلنا في عير هـذا المكان انه كان مسجداً ، وفيه ولد الامام الشافعي . وهو اليوم مزار . وفيه قبر بنت الامام ، وخادمه الشيخ عطية.

٤ — مزار الشيخ عابد : هو الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله زين العابدين . وينتهي نسبه إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني . استوطن غزة في اوائل القرن العاشر . وإليه تنتمي اسرة ابي بكر الموجودة الآن في الرملة والتي كانت في غزة في سابق الأيام .

٥ — مزار الشيخ بشير . هو واقع بالقرب من جامع ابن مروان . وبهذه البقعة قبور الشهداء والمجاهدين من القرن السابع . كتب على قبره : « هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى الطواشي الأجل الكبير سعد الدين بشير بن عبد الله الأشرفي رحمه الله تعالى توفي في العشر الأخير من رمضان المعظم سنة ٦٤٩ هـ » .

٦ — مزار الشيخ ابي العزم : هو الشيخ محمد شمس الدين ابو العزم من اولياء المغاربة . نزل غزة في القرن التاسع . ومن ذريته الشيخ أحمد بن محمد ابن يحيي الشهير بالموقت . وهذا المزار واقع بالقرب من مدرسة الفتح الاسلامية ، وشمالي المدرسة الثانوية الاميرية . وهناك من يعتقد ان ابا العزم هذا هو شمشون الجبار الذي جاء ذكره في التوراة والذي ذكرناه عند البحث عن غزة في زمن الفلسطينيين القدماء .

٧ — مزار الدارقطون : هو قبر واقع بداخل الساقية المعروفة باسم ساقية سويد ؛ وقد كتب على القبر : « هـذا قبر العبد الفقير إلى الله الشيخ علاء الدين الدارقطون الكمالي البدري » .

٨ — مزار تل المنطار : وقد دفن فيه ولي الله (الشيخ محمد البطاحي) من رجال القرن الخامس . وهـذا يرجع بنسبه إلى علي زين العابدين بن الحسن بن فاطمة الزهراء .

وفيه مزار (الشيخ علي) وكنيته ابو سليمان . وعلى قول : اسمه سليمان وكنيته ابو علي . واشتهر بالمنطار . كان جامعاً واليوم مزار فقط .

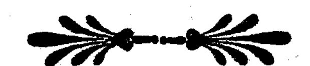
٩ — مزار الشيخ رضوان : انه ابن الشيخ علي بن عليل ، وهو عم الشيخ عجلين . ويقال انه الشيخ ابراهيم بن عرقوب المدفون في حمامة .

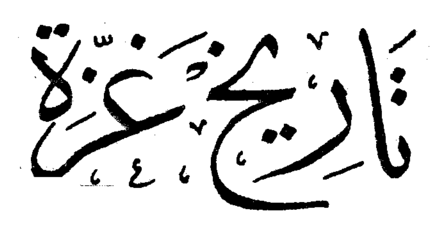
وقيل انه رضوان بن رسلان بن الشيخ محمد البطاحي المدفون بالمنطار .

١٠ — مزار الشيخ عجلين : هناك بلاطة فوق الباب ، كتبت عليها الكلمات التاليه : « بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . امر بإنشاء هذا المسجد المبارك لله وفي طاعة الله وابتغاء مرضاته ورغبة في مغفرته وثوابه العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الياس بن سابق بن خضر غفر الله له واثابه في شهر صفر سنة احدى وسبعين وستمئة رحم الله من دعا له وجميع المسلمين » .

ان هذه الكتابة هي اقدم كتابة اثرية وجدت في غزة . ولكن : من هو الياس بن سابق ؟ ولماذا بنى هناك مسجداً ؟ ألا يمكن ان تكون البلاطة قد وضعت لمكان آخر ، فاخذت منه في زمن من الأزمان ، ووضعت في هذا المكان ؟

إني ميال للاعتقاد بأن الشيخ عجلين هو ابن الشيخ ابراهيم بن الشيخ علي بن عليل ، وانه لا علاقة للشيخ عجلين هذا بالشيخ الياس الوارد اسمه فوق البلاطة ، وان البلاطة منقولة من مكان آخر . وفوق كل ذي علم عليم .





تاريخ غزة

تأليف

عارف العارف

قائمقام غزة

١٣٦٢هـ – ١٩٤٣م

مطبعة دار الأيتام الاسلامية في بيت المقدس



عارف العارف

بسم الله الرحمن الرحيم



المؤلف

محتويات هذا الكتاب

المواضيع

الصفحة	
١	كلمة المؤلف
٣	مصادر الكتاب
٧	غزة : اهميتها التاريخية . اسماؤها المختلفة . معناها . أين كانت في العهود الغابرة
١٠	بناة غزة الأقدمون : المعينيون ، البأيون ، العويون ، الكفتاريون ، العناقيون ، المديانيون ، الأدوميون
١٣	غزة في عهد الكنعانيين
١٦	غزة في عهد الفراعنة
٢٠	غزة في عهد الهيكسوس (الملوك الرعاة)
٢٤	غزة والفلسطينيون
٣٣	غزة وبنو اسرائيل
٤٥	غزة في عهد الآشوريين
٤٧	غزة وبابل
٤٩	غزة في عهد الفرس
٥٢	غزة في عهد اليونان
٦٣	غزة في عهد الانباط
٦٥	غزة وتدمر
٦٦	غزة تحت سيطرة الرومان
٧٣	غزة الوثنية
٨٢	غزة والدين المسيحي
١٠٢	غزة والسامريون
١٠٨	التقويم الغزي
١١٢	غزة والفتح الاسلامي
١٢٣	غزة في عهد الدولة الطولونية
١٢٤	غزة في عهد الدولة الأخشيدية
١٢٥	غزة في عهد الدولة الفاطمية
١٢٧	غزة في عهد الدولة السلجوقية
١٢٨	غزة في ايام الصليبيين
١٣٥	غزة في عهد صلاح الدين
١٤٠	غزة في عهد المماليك
١٦٨	غزة في عهد الأتراك
٢٠٧	غزة ونابليون
٢١١	غزة وابراهيم باشا
٢١٧	غزة والاختلال الانكليزي
٢٣٤	السياح وجوابو الامصار بغزة
٢٤٩	غزة في يومنا هذا
٣١٦	اخلاق الغزيين وطبائعهم
٣١٩	ملابس الغزيين وازياؤهم
٣٢٢	اعياد الغزيين ومواسمهم
٣٢٧	تل المنطار
٣٢٩	جوامع غزة ومساجدها

☆☆☆

الصور

الصفحة

المؤلف
٦ خارطة فلسطين
١٧ تاحوتمس الثالث
١٨ امين حوتب الثاني
١٩ رعمسيس الثاني
٣٢ شمشون الجبار
٣٣ موسى (كليم الله)
٤١ مدينة غزة (عام ١٥٩٨)
٤٣ حجر من بقايا كنيس يهودي
٤٤ ثيودور هرتسل
٤٤ اللورد بلفور
٥٢ اسكندر الكبير
٥٥ عملة الاسكندر
٥٦ سوتر (بطليموس الأول)
٦٦ يوليوس قيصر
٦٩ النقود الرومانية
٨٢ الاسرة المقدسة
٨٦ القديس برفيريوس
٩٦ الخوري الياس الرشماوي
٩٨ كنيسة الروم الارثوذكسيين
١٠١ مستشفى الارسالية الانكليزية
١٢٢ قبر آسيا بنت الامام الشافعي
١٢٨ البابا اربانوس الثاني
١٣٢ ريكاردوس قلب الأسد
١٣٤ الملوك والامراء الصليبيون
١٣٥ السلطان صلاح الدين

الصفحة

١٤٠ غزة في عهد المماليك
١٦٨ غزة في عهد الأتراك
١٧٧ الدبويا — قصر آل رضوان
١٧٨ خان الزيت
٢٠٦ الملك حسين
٢١٠ نابليون بونابرت
٢١١ محمد علي باشا
٢١٢ ابراهيم باشا
٢١٩ قرس فون قرسنشتاين
٢٢٣ سر تشارلس دوبل
٢٢٤ قواد حامية غزة
٢٢٦ الجامع الكبير (في حالة خراب)
٢٢٧ الجنود الأتراك (والمدافع سريعة الطلقات)
٢٢٨ فاتح فلسطين : اللورد اللنبي
٢٣١ فيلق الجمالة
٢٣٢ غزة المهجورة
٢٣٣ الأمير فيصل بن الحسين
٢٤٨ غزة في يومنا هذا
٢٥٢ زقاق من ازقة غزة القديمة
٢٥٧ دار من دور الحي الجديد في الرمال
٢٥٧ دار الحكومة الجديدة في الرمال
٢٦٠ معلمو مدرسة البنين بغزة
٢٦٥ فهمي بك الحسيني
٢٦٥ رشدي بك الشوا
٢٦٦ دار البلدية الجديدة
٢٦٧ المجلس البلدي بغزة

الصور

الصفحة

٢٧١ حائك غزي
٢٧٤ فواخير غزة
٢٧٧ مقبرة علي بن مروان
٢٨٢ سبيل بئر الرفاعية
٢٨٣ بئر الصفا
٢٩٣ قوارب الصيد على شاطىء غزة
٢٩٥ اللسان البحري بغزة
٣٠٠ الآثار القديمة في عسقلان
٣٠٢ مستعمرة نقبا ومختارها
٣١٠ حاكم لواء غزة المستر بلارد
٣١٢ موظفو الادارة في غزة
٣١٤ ضباط البوليس في غزة
٣١٦ نقابة الموظفين في غزة
٣٢١ الغزيون يلبسون الكوفية والعقال
٣٢٥ وادي النمل في عسقلان

الصفحة

٣٢٧ تل المنطار
٣٢٩ مئذنة الجامع الكبير بغزة
٣٣١ الباب الغربي للجامع الكبير
٣٣٣ صورة منقوشة على أحد الأعمدة في الجامع الكبير
٣٣٦ الخراب الذي حل بالجامع الكبير
٣٣٧ مئذنة الجامع الكبير بعد تعميرها
٣٣٨ جامع السيد هاشم
٣٣٩ جامع الشيخ زكريا
٣٤١ جامع علي بن مروان
٣٤٢ مئذنة جامع ابن عثمان
٣٤٦ جامع المحكمة البرديكية
٣٤٨ مسجد الشيخ خالد
٣٤٩ مسجد السدرة
٣٥١ مسجد الشيخ بشير

للمؤلف

١ — **احصائيات** : دروس ألقاها أستاذ علم الاقتصاد في جامعة استانبول على تلامذته عام ١٣٢٧ رومي (١٩١١ م) . التقطها المؤلف من فيه ، فدونها . ثم نسخها – بطلب من استاذه – ووزعها على اترابه من تلامذة الجامعة

٢ — **نافخ الصور** : جريدة عربية انتقادية هزلية أصدرها في (قراسنويارسق) من اعمال سيبريا يوم كان أسيراً في تلك الديار . صدر العدد الأول منها في شهر رجب ١٣٣٥ ﻫ (١٩١٦ م) والعدد الخامس والأربعون وهو الأخير في جمادى الآخرة ١٣٣٦ ﻫ (١٩١٧ م) .

٣ — **أسرار الكون** كتاب وضعه الفيلسوف الألماني (إرنست هيكل) Ernest Häckel وعنوانه Die Welträtzel شرح فيه نظرية داروين . نقله المؤلف من اللغة الألمانية إلى اللغة التركية (١٩١٦ م) وأسماه (أسرار جهان)

٤ — **سورية الجنوبية** : جريدة عربية سياسية أصدرها المؤلف بالاشتراك مع السيد محمد حسن البديري المحامي بالقدس صدر العدد الأول منها في ٨ ايلول ١٩١٩ والعدد الثالث والستون في ١١ حزيران ١٩٢٠ يوم اغلقت بسبب الاضطرابات الفلسطينية الاولى

٥ — **القضاء بين البدو** : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) وترجم إلى اللغات الألمانية والعبرية والإنكليزية . وهو يبحث عن اخبار بدو بئر السبع وعاداتهم وبطونهم وافخاذهم وعددهم ومنازلهم ونسأبهم وطرق تقاضيهم واغانيهم وما إلى ذلك .

٦ — **تاريخ بئر السبع وقبائلها** : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) . وهو كتاب يبحث في تاريخ بئر السبع وقبائلها من تياها وترابين وجبارات وحناجرة وعزازمة واحيوات وسعيديين من اقدم عصور التاريخ إلى يومنا هذا .

٧ — **الموجز في تاريخ عسقلان** : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) ويعتبر متمماً لتاريخ غزة .

٨ — **رؤياي** : رسالة خيالية وضعها المؤلف يوم كان أسيراً في سبريا وهرب من الأسر ليلتحق بالثورة العربية (١٩١٥ م) ، فأودعها أعز أمانيه في هذه الحياة ، وأغلى احلامه من حيث مستقبل امته وبلاده. طبعت في مطبعة الآباء الفرنسيسيين بالقدس عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) .

٩ — **تاريخ غزة** : هو هذا الكتاب الموضوع بين يديك ايها القاريء الكريم. وهو يبحث عن تاريخ غزة منذ عام ٧٥٠ . قبل الميلاد إلى يومنا هذا .

كلمة شكر

الآن وقد انتهيت من تأليف كتابي هذا في (تاريخ غزة) أود أن اتقدم بالشكر الجزيل إلى الاخوان الذين آزروني مؤازرة لولاها ما كنت لأنجح في عملي . ومنهم :

رئيس المجمع العلمي في لبنان الاستاذ عيسى اسكندر معلوف . رئيس اساقفة شرق الأردن المطران بولس سلمان . رئيس جمعية الهداية الإسلامية وامام الجامع الكبير في غزة الاستاذ الشيخ عثمان الطباع . عميد معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس الاستاذ ماير . استاذ علم التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت أسد رستم . منشىء ديوان رياسة الوزراء في شرق الاردن يعقوب العودات (المكنى بالبدوي الملثم).قيم المكتبة في دار الآثار القديمة بالقدس الاستاذ اسطفان حنا اسطفان . مدير المتحف الحربي بمصر البكباشي عبد الرحمن بك زكي . قائد كلية اركان الحرب بمصر القائمقام محمود بك هاشم . الكاتب العبري الاستاذ ويلنائي . الكاتب العربي الاستاذ محي الدين مكي . رئيس دير اللاتين بغزة الخوري سليمان عيسى . رئيس طائفة الروم الارثوذكس بغزة الخوري الياس الرشماوي . استاذ اللغة العربية في مدرسة غزة الثانوية الشيخ محمود افندي سرداح . استاذ اللغة العربية في مدرسة بئرالسبع الشيخ خلوصي افندي بسيسو . مدير مدرسة الطور الأميرية ابن خالي رجحي العارف . قنصل تركيا في القدس جلال بك قرة صابان ابن أخي عدنان . طبيب الجيش الاوسترالي المرابط بغزة الكبتن طوماس . الكاتبان على الآلة الكاتبة محمد رجب خلف ورأفت ابو شعبان . نائب مدير المال في العهد التركي المرحوم داود افندي فرح وولداه حنا وجورج . وولدي سمير الذي تعلم ، رغم حداثة سنه ، الطباعة على الآلة الكاتبة خصيصاً ليكون عوناً في نسخ مسودات هذا الكتاب واعدادها للطبع .

فالله سبحانه وتعالى اسأل أن يجزي الجميع عني خير الجزاء .

مطبـعة العمرانيـــة للاوفســت

الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩